

مجلة كلية

الإمام الأعظم "رحمه الله" الجامعة

مجلة

كلية الإمام الأعظم "رحمه الله"

الجامعة

العدد العشرون

١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

هيئة التحرير

١. أ.م.د. صديق خليل صالح - رئيس التحرير
٢. أ.م.د. حسن سهيل عبود - مدير التحرير
٣. د. مكّي وليد عبد الكريم - سكرتير التحرير
٤. أ.د. مظفر شاكر الحياني - عضواً
٥. أ.د. أسعد عبد العليم عبد الرحمن - عضواً
٦. أ.د. فهمي احمد عبد الرحمن - عضواً
٧. أ.د. صالح حيدر علي - عضواً
٨. أ.م.د. مشعان محي علوان - عضواً
٩. أ.م.د. احمد كريم محمد - عضواً
١٠. أ.د. داود صالح عبد الله - عضواً
١١. أ.م.د. عادل محمود محمد - عضواً
١٢. أ.م.د. عبد الباري مجيد المدرس - عضواً
١٣. أ.م.د. حيدر حسين عبيد - المدقق اللغوي

* * *

الهيئة الإستشارية

١. أ.د. فاضل صالح السامرائي.
٢. أ.د. عبد الستار حامد الدباغ.
٣. أ.د. خليل ابراهيم حمودي.
٤. أ.د. لطف الله جنين عبد اللطيف.
٥. أ.د. محمد جواد الطريحي.
٦. أ.د. جواد فقي علي.
٧. أ.د. جمال محمد فقي رسول باجلان.

* * *

مجلة كلية الإمام الأعظم "رحمه الله" الجامعة

يخضع للتحكيم كل ما ينشر في المجلة من بحوث ومقالات وتُعتمَد تعليمات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بكتابها المرقم ب.ت ٢٧٩٣ في ٢٦ / ١٢ / ٢٠٠٤ .
تم اعتماد المجلة لاغراض الترقية العلمية حسب موافقة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بموجب كتابها المرقم ٨٦٤ والمؤرخ ٢٤ / ٥ / ٢٠٠٥ م.
رقم الإيداع لدى دار الكتب والوثائق هو ٨١٨ في ١٧ / ٣ / ٢٠٠٥ م.
كل ما ينشر في المجلة يعبر عن اجتهاد كاتبه ولا يعد تمثيلاً لوجهة نظر المجلة، رتبت المحتويات على وفق اعتبارات فنية.

الرقم الدولي للمجلة / issn 1817-6674

متابعة: مروان محمد أمين.

للمراسلة: مدير هيئة تحرير المجلة

أ.م. د. حسن سهيل عبود

موبايل: 07706137863

Email: elezary2006@yahoo.com

www.alsohel.com

شُروط النشر العامة

إن قواعد النشر المعتمدة تشكل المنهجية والتخصص والطريقة العلمية في كتابة البحوث والحقوق على وفق الشروط الآتية :

١. يلتزم الباحث مراعاة سلامة اللغة العربية وحسن صياغتها و ألا يكون البحث منشوراً من قبل وألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية ويعد إرساله الى المجلة تعهداً بذلك.
٢. تخريج النصوص القرآنية والحديث النبوي في ضوء المنهج العلمي الدقيق الكامل.
٣. يذيل البحث بخلاصة تتناول أهم النتائج التي توصل إليها الباحث أو الكاتب.
٤. تحدد المدّة ما بين تقديم البحث وقبوله للنشر بمدّة شهر واحد وعملية النشر الفعلي حسب الظروف الممكنة .
٥. لا تلتزم المجلة ردّ الأبحاث التي لا يتم نشرها .
٦. يتم دفع مبلغ (٥٠,٠٠٠) خمسين ألف دينار كأجور خبرة.
٧. يزود الباحث بنسخة واحدة من المجلة بعد نشر البحث .
٨. تلتزم المجلة بالقواعد المنهجية العلمية المتبعة والحقوق القانونية والعلمية للنشر والناشرين فيها. وكذلك طريقة إعتقاد البحث للنشر من خلال المقيمين العلميين.
٩. يقدم البحث بثلاث نسخ يراعى فيها النمط الفني في طباعة البحوث.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رافع العلماء والمتعلمين قدراً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وآله وصحبه ومن سار على دربهم سيراً.
وبعد.. فإن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وأنزله إلى الأرض لهدفٍ سامٍ وهو عبادته سبحانه وتعالى وكذلك عمارة الأرض، وقد شرط لهذه العبادة أن تكون على علمٍ ومعرفةٍ، وأوكل عمارة الأرض إلى البشر بما يقدمونه من نتاجات، وأفضل ما أنتجه البشر هو النتاج العقلي والمعرفي فهو زينةٌ لأهله ورفعَةٌ لهم، ومع إطلالة شهر رمضان المبارك لسنة ١٤٣٦ هـ، تزف كلية الإمام الأعظم «رحمه الله» الجامعة عددها العشرون من مجلتها العلمية المباركة وهي ثمرة جهدٍ لعقولٍ متنورة تعبر عن أفكارهم وآرائهم يرفدون أمتهم بها ويسعون جاهدين كما نسعى إلى خدمة هذه الأمة لدفع مسيرتها وعجلة تقدمها والله ولي التوفيق.

مدير التحرير

* * *

الرياض الندية فيمن فسّر

القرآن من الشافعية

الأستاذ المساعد الدكتور

محمود محمد داود الصميدعي

ديوان الوقف السني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أعلى مراتب العلماء الأعلام، وزكّى منهم العقول والأحلام، ومنحهم مآثر تقصر عن جمعها الأقلام، وهداهم وهدى بهم الأنام، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ أفضل العالمين، وكنزِ العارفين، صاحب المعجزات الباهرة، والآيات الظاهرة، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين...!!

فإن حبَّ العلماء، واحترامهم، وتقديرهم، وإجلالهم، من علامات الوفاء وموجباته، ولو أدرك الناس قيمة العلم وأهمية العلماء، وأنه لا صلاح للعباد في دينهم ولا دنياهم إلا بأهل العلم، لأحبهم من سويدا قلبه، ومن عمق فؤاده.

ومن آثار هذا الحب والتقدير، في نفسي أن حاولتُ تتبّع بعض جهود علماء المسلمين ومعرفتها، فوقع الاختيارُ على ثلثة خبّرة من العلماء المسلمين ممثلة بعلماء الشافعية الكرام، وارتأيتُ أن أعرض جهودهم في أشرف العلوم، وأعني به تفسير القرآن الكريم. وبعد الرجوع إلى كتب التراجم والطبقات، وإحصاء هؤلاء العلماء الأعلام، وجدت أن أعدادهم كبيرة- والحمد لله- لا يتسع لها بحثٌ واحدٌ، فعزمت على الاقتصار على جهودهم في القرون الهجرية الستة الأولى، فكان هذا البحث... الذي سمّيته (الرياض الندية في من فسر القرآن من الشافعية إلى القرن السادس الهجري).

وقد قسّمتُ هذا البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

تناولت في المبحث الأول: الإمام الشافعيّ- رحمه الله تعالى-

وجهوده في تفسير القرآن.

وفي المبحث الثاني عرضت جهود مفسري الشافعية في القرون الهجرية الستة الأولى.

الرياض الندية فيمن فسر القرآن من الشافعية

وفي المبحث الثالث عرضتُ نماذجَ من كتبِ التفسيرِ وبيّنتُ أبرزَ خصائصِها. وختمتُ ذلكَ بخاتمةٍ أوجزتُ فيها أهمَ نتائجِ هذا البحثِ، سائلاً... المولى القديرَ جلاً شأنُه أن يَمُنَّ علينا بنعمه السابغات، ويوفقنا للخير والطاعات، إنه سميعٌ مجيبُ الدعوات. وآخرُ دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين
وصلَّى الله على سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

* * *

المبحث الأول

الإمام الشافعي وجهوده في تفسير القرآن

• أولاً: ترجمة الإمام الشافعي:

إن شهرة الإمام الشافعي - رحمه الله - وكثرة ما ألف عنه تغني عن التوسع في ترجمته، وفيما يأتي موجز عنه:

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي الشافعي، ولد بغزة سنة (١٥٠ هـ)، وحمل منها طفلاً إلى مكة، ونشأ بالبادية، واستظهر القرآن، وتعلم الشعر والفروسية، فكان من الفصحاء، وتلمذ على مفتيها مسلم بن خالد الزنجي حتى أجازته بالإفتاء، ثم تحول إلى الإمام مالك، فسمع الموطأ ولازمه حتى وفاته، وارتحل لليمن فالتقى بأحد تلاميذ الأوزاعي، وتلمذ عليه، وكما التقى بصاحب الليث بن سعد - فقيه مصر - فأخذ عنه. ومن اليمن، أخذ به إلى العراق بتهمة موالاته العلويين، وهناك التقى بمحمد بن الحسن الشيباني، فلازمه، وجاوره، وأخذ عنه، ثم تحول إلى مكة وظل يفتي ويدرس مدة عشر سنوات وعاد عام (١٩٥ هـ) إلى بغداد ثانية، وبعد عامين رجع إلى مكة ثم عاد إلى بغداد ثم ارتحل إلى مصر في نهاية القرن الثاني الهجري، واستمر يفتي ويعلم حتى توفي سنة (٢٠٤) هجرية.

له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب (الأم)، (المسند) في الحديث، و(أحكام القرآن)، و(السنن)، و(الرسالة) في أصول الفقه، و(اختلاف الحديث)، و(السبق والرمي)، و(فضائل قريش)، و(أدب القاضي)، و(المواريث)^(١).

(١) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (ت ٤٣٠ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ٤٠٥ هـ؛ ٦٣/٩؛ وطبقات الفقهاء، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف

• ثانياً: جهود الإمام الشافعي في التفسير:

توزعت جهود الإمام الشافعي - رحمه الله - في التفسير على اتجاهين هما:
الأول: آراؤه التفسيرية المنقولة عنه.
والآخر: جهوده في التأليف.

• الأول: آراؤه التفسيرية المنقولة عنه:

للشافعي - رحمه الله - آراء تفسيرية كثيرة، بعضها مبثوث في كتبه المختلفة، منها:
قال: «في قوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي﴾^(١) بيان ما وصفت
من أنه لا ينسخ كتاب الله إلا بكتابه، كما كان المبتدئ لفرضه فهو المزيل المثبت لما
شاء منه جل ثناؤه، ولا يكون ذلك لأحد من خلقه»^(٢).

«قال الشافعي: قال الله جل ثناؤه: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا
مِنَ الصَّلَاةِ﴾^(٣)، قال الشافعي: وكان بينا في كتاب الله أن القصر في السفر في الخوف
وغير الخوف معاً رخصة من الله؛ لأن الله فرض أن تقصروا، كما كان بينا في كتاب الله

الشيرازي، (ت ٤٧٦هـ)، تحقيق: خليل الميس، دار القلم، بيروت: ٤٨-٤٩؛ وصفة الصفوة، لأبي الفرج
عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي، (ت ٥٩٧هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية،
حيدرآباد الدكن، الهند، ط ١، ١٣٥٥هـ/٢٠١٤؛ وتهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين
يحيى بن شرف النووي، (ت ٦٧٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، = ١٩٩٦م/١٤٤/١، ٦٧؛
وتذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي،
(ت ٧٤٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ: ٣٢٩/١؛ البداية والنهاية، لأبي الفداء عماد
الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، بلا تاريخ:
٢٥١/١٠؛ تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، (ت ٨٥٢هـ)،
دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م: ٢٥/٩.

(١) سورة يونس: من الآية ١٥.

(٢) الرسالة، للشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م: ١٠٧.

(٣) سورة النساء: من الآية ١٠١.

أن قوله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾^(١) رخصة؛ لأن حتماً من الله أن يطلقوهن من قبل أن يمسوهن، وكما كان بينا في كتاب الله: ﴿وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾ إلى: ﴿جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾^(٢) رخصه، أن الله تعالى حتم عليهم أن يأكلوا من بيوتهم، ولا من بيوت آبائهم، ولا جميعاً، ولا أشتاتاً، وإذا كان القصر في الخوف والسفر رخصة من الله كان كذلك القصر في السفر بلا خوف، فمن قصر في الخوف والسفر قصر بكتاب الله، ثم بسنة رسول الله ﷺ، ومن قصر في سفر بلا خوف قصر بنص السنة، وأن رسول الله ﷺ أخبر أن الله تصدق بها على عباده^(٣).

وقال: «قال تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٤)، قال الشافعي -رحمه الله تعالى-، يقال: نزلت قبل تحريم الخمر، وأياً ما كان نزولها قبل تحريم الخمر أو بعده، فمن صلى سكران لم تجز صلاته لنهي الله عز وجل إياه عن الصلاة حتى يعلم ما يقول، ومن المعقول أن الصلاة قول وعمل وإمساك في مواضع مختلفة ولا يؤدي هذا إلا من أمر به ممن عقله، وعليه إذا صلى سكران أن يعيد إذا صحا، ولو صلى شارب الخمر كان عاصياً في شربه المحرم، ولم يكن عليه إعادة الصلاة؛ لأنه ممن يعقل ما يقول، والسكران الذي لا يعقل ما يقول، وأحب إلي لو أعاد»^(٥).

إن القراءة الأولية لهذه النصوص تظهر أن الإمام الشافعي -رحمه الله- كان يستنبط الأحكام من الآيات القرآنية بما تراكم عنده من معرفة واسعة بها، ومن دون الرجوع إلى أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم اعتماداً على التراكم المعرفي لديه.

(١) سورة البقرة: من الآية ٢٣٦.

(٢) سورة النور: من الآية ٦١.

(٣) اختلاف الحديث، للشافعي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م: ٧٥.

(٤) سورة النساء: من الآية ٤٣.

(٥) الأم، للشافعي، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ/١/٦٩.

• الثاني: جهوده في التأليف:

للإمام الشافعي - رحمه الله - كتابان في تفسير القرآن الكريم هما:

• أحكام القرآن:

نسبة الكتاب:

جمع الإمام البيهقي أقوال الشافعي المختلفة في كتاب أسماه أحكام القرآن^(١).

وهو أول كتاب في بابهِ كما يقول حاجي خليفة^(٢).

وفي هذا يقول البيهقي: «وجمعت أقاويل الشافعي - رحمه الله - في أحكام القرآن

وتفسيره في جزأين»^(٣).

وقال: «قد أتى على بيان ما يجب علينا معرفته من أحكام القرآن وكان ذلك مفرقاً

في كتبه المصنفة في الأصول والأحكام، فميزته وجمعته في هذه الأجزاء على ترتيب

المختصر ليكون طلب ذلك منه على من أراد أيسر، واقتصرت في حكاية كلامه على ما

يتبين منه المراد دون الإطناب ونقلت من كلامه في أصول الفقه واستشهاده بالآيات التي

احتاج إليها من الكتاب على غاية الاختصار ما يليق بهذا الكتاب»^(٤).

وقال ابن خلكان عن البيهقي: «أول من جمع نصوص الإمام الشافعي رضي الله عنه،

في عشر مجلدات»^(٥).

(١) أحكام القرآن، للشافعي، جمعه الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى

البيهقي النيسابوري، (ت ٤٥٨هـ)، عرف الكتاب وكتب تقدمته: محمد زاهد بن الحسن الكوثري،

(ت ١٣٧١هـ)، حققه: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي

الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي، (ت ١٠٦٧هـ)، طبع بعناية محمد شرف الدين يالتقاي، ورفعت

بيلكه الكليسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م: ٢٠/١.

(٣) مناقب الشافعي، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: السيد محمد صكر،

مكتبة دار التراث بالقاهرة، دار النصر للطباعة، ط ١، ١٩٧١م: ٣٦٨/٢.

(٤) أحكام القرآن، للشافعي: ١٨/١.

(٥) وفيات الأعيان وأبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان،

وأشار الدكتور فؤاد سزكين إلى النسخة التي في المكتبة الظاهرية بدمشق من كتاب أحكام القرآن جمعها الحافظ البيهقي^(١).

وقد اعترض السبكي على أن البيهقي ليس أول من جمع أحكام القرآن للشافعي، قائلاً: «وفي كلام شيخنا الذهبي أنه أول من جمع نصوص الشافعي، وليس كذلك بل هو آخر من جمعها، ولذلك استوعب أكثر ما في كتب السابقين، ولا أعرف أحداً بعده جمع النصوص؛ لأنه سد الباب على من بعده»^(٢).

من هذا يتبين أن كتاب أحكام القرآن للإمام الشافعي المعروف حالياً هو من جمع الإمام البيهقي بلا شك.

والسؤال المطروح: هل للإمام الشافعي كتاب أحكام القرآن غير الذي جمعه البيهقي؟ ذهب الباحثون إلى أنه ليس للشافعي -رحمه الله- مثل هذا الكتاب، بل المقصود به الكتاب الذي جمعه البيهقي.

قال الدكتور أكرم القواسمي: «لقد ورد ذكر كتاب أحكام القرآن العظيم، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، برواية الربيع بن سليمان، وأنه توجه منه نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق - مكتبة الأسد حالياً برقم (٦٣٥)^(٣)، إلا أنه يغلب على ظني أن هذا المخطوط هو لكتاب أحكام القرآن الذي جمعه الحافظ البيهقي من آثار الإمام الشافعي»^(٤).

(ت ٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٦٨م: ٧٦/١.

(١) ينظر: تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، (ت ١٣٤٢هـ)، نقله إلى العربية: د. محمود فهمي حجازي،

د. فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٨م: ١٨٩/١.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، لأبي نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي،

(ت ٧٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، و د. محمود محمد الطناحي، دار هجر للطباعة والنشر

والتوزيع والإعلان، الجيزة، ط ٢، ١٩٩٢م: ١٠/٤.

(٣) ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي، المخطوط- الفقه وأصوله، مؤسسة آل البيت، الأردن،

بلا تاريخ: ٢٠٦/١.

(٤) المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي، للدكتور أكرم يوسف عمر القواسمي، دار النفائس للنشر

والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣م: ٢٦.

الرياض الندية فيمن فسّر القرآن من الشافعية

ورجّح محبّ الدين عبد السبحان عدم توافر كتاب أحكام القرآن الذي صنّفه الإمام الشافعي بين يدي الحافظ البيهقي، وأنه ربما كان مفقوداً في عصره، وإلا لما احتاج الحافظ البيهقي أن ينشئ التصنيف في هذا الموضوع وتحت العنوان نفسه^(١).

ولكن ما ينقض هذه الأقوال تصريح الإمام البيهقي نفسه في سننه، إذ أثبت وجود هذا الكتاب، من ذلك قوله: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ في كتاب المستدرک: أنبأنا الحسن بن يعقوب العدل: ثنا يحيى بن أبي طالب: أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء: أنبأنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ، قال: أيما رجل باع من رجلين بيعاً، فهو للأول منهما، وأيما امرأة زوجها وليان، فهي للأول»^(٢).

وقال: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ: حدثنا أبو العباس: محمد بن يعقوب: أخبرنا الربيع، قال: قال الشافعي - رحمه الله تعالى - يعني في كتاب أحكام القرآن فيمن أتى امرأته حائضاً، أو بعد توليه الدم ولم تغتسل: يستغفر الله تعالى ولا يعود حتى تطهر، وتحل لها الصلاة، وقد روى فيه شيء لو كان ثابتاً أخذنا به؛ ولكنه لا يثبت مثله»^(٣).

وقال: «فقول الشافعي - رحمه الله - وسأل النبي ﷺ شريكاً فأنكر، فلم يحلفه يحتمل أن يكون إنما أخذه عن أهل التفسير، فإنه كان مسموعاً له، ولم أجده في الروايات الموصولة والذي قال الشافعي في كتاب أحكام القرآن: ولم يحضر رسول الله ﷺ المرمى بالمرأة» الخ^(٤).

وهذه النصوص لا نقف عليها في كتاب أحكام القرآن للشافعي مما يبين أن هذه الاقتباسات ليست من الكتاب الذي جمعه البيهقي، بل من نسخة أخرى مفقودة، وهي

(١) منهج الإمام الشافعي في تفسير آيات الأحكام، محب الدين عبد السبحان، رسالة ماجستير، السعودية، ٢٠٠٦م: ٨.

(٢) سنن البيهقي الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م: ١٤٠/٧.

(٣) الكبرى: ٣١٩/١، رقم (١٥٨٧).

(٤) الكبرى: ٤٠٨/٧، رقم (١٥٧٤٧).

تثبت وجود كتاب للشافعي غير الذي جمعه البيهقي.

• منهج الكتاب:

الكتاب قائم على مرويات الإمام البيهقي بسنده عن الربيع عن الإمام الشافعي.

أما منهج الكتاب فيمكن إيجاز أهم خصائصه بما يأتي:

أولاً: جمع البيهقي ما تيسر له من أقوال الإمام الشافعي في تفسير آيات الأحكام، لذلك لم يشهد الكتاب تفسير جميع آيات الأحكام.

• ثانياً: قُسم الكتاب على وفق الأبواب الفقهية، وقد اشتمل على ما يأتي:

فصل فيما ذكره الشافعي رحمه الله في التحريض على تعلم أحكام القرآن.

فصل في معرفة العموم والخصوص.

فصل في فرض الله عز وجل في كتابه وأتباع سنة نبيه ﷺ.

فصل في تثبيت خبر الواحد من الكتاب.

فصل في النسخ.

فصل ذكره الشافعي - رحمه الله - في إبطال الاستحسان واستشهد فيه بآيات من القرآن.

فصل فيما يؤثر عنه من التفسيري والمعاني في آيات متفرقة.

فصل فيما يؤثر عنه من التفسير والمعاني في الطهارات والصلوات.

ما يؤثر عنه في الزكاة.

ما يؤثر عنه في الصيام.

ما يؤثر عنه في الحج.

ما يؤثر عنه في البيوع والمعاملات والفرائض والوصايا.

ما يؤثر عنه في قسم الفيء والغنيمة والصدقات.

ما يؤثر عنه في النكاح والصداق وغير ذلك.

ما يؤثر عنه في الخلع والطلاق والرجعة.

ما يؤثر عنه في العدة وفي الرضاع وفي النفقات.

ما يؤثر عنه في الجراح وغيره.
 ما يؤثر عنه في قتال أهل البغي والمرتد.
 ما يؤثر عنه في الحدود.
 ما يؤثر عنه في السير والجهاد وغير ذلك.
 مبتدأ التنزيل والفرض على النبي ﷺ ثم على الناس.
 الإذن بالهجرة.
 مبتدأ الإذن بالقتال.
 فرض الهجرة.
 فصل في أصل فرض الجهاد.
 فصل فيمن لا يجب عليه الجهاد.
 ما يؤثر عنه في الصيد والذبائح وفي الطعام والشراب.
 ما يؤثر عنه في الإيمان والندور.
 ما يؤثر عنه في القضايا والشهادات.
 ما يؤثر عنه والعق والولاء والكتابة.
 ما يؤثر عنه في التفسير في آيات متفرقة سوى ما مضى.
 وما يلاحظ أنه جعل بعض الموضوعات تحت تسمية (فصل)، وبعضها تحت تسمية (ما يؤثر عنه) ولا يوجد وجه ظاهر لذلك.

وأنة اشتمل على الأصول التي بنى الإمام الشافعي عليها مذهبه الفقهي.

• منهج تفسير الآيات:

للقوف على المنهج المتبع في التفسير اقتبس شاهداً مما جاء فيه، وهو ما ورد في (الإذن بالهجرة).

«أن أبو سعيد، نا أبو العباس، نا الربيع، قال: قال الشافعي -رحمه الله-: وكان المسلمون مستضعفين بمكة زماناً لم يؤذن لهم فيه بالهجرة منها، ثم أذن الله لهم بالهجرة، وجعل

الرياض الندية فيمن فسّر القرآن من الشافعية

لهم مخرجاً، فيقال نزلت: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(١). فأعلمهم رسول الله ﷺ أن قد جعل الله لهم بالهجرة مخرجاً، قال: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾^(٢)، وأمرهم ببلاد الحبشة، فهاجرت إليها منهم طائفة.

ثم دخل أهل المدينة في الإسلام، فأمر رسول الله ﷺ طائفة، فهاجرت إليهم، غير محرم على من بقي، ترك الهجرة.

وذكر الله عز وجل أهل الهجرة، فقال: ﴿وَالسَّيِّئَاتِ الْأُولَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾^(٣)، وقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٥).

قال: ثم أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة منها، فهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة. ولم يُحَرِّم في هذا على من بقي بمكة المقام بها، وهي دار شرك وإن قُلُوا بِأَنْ يُفْتَنُوا، ولم يأذن لهم بجهاد.

ثم أذن الله عز وجل لهم بالجهاد، ثم فرض بعد هذا عليهم أن يهاجروا من دار الشرك، وهذا موضوع في غير هذا الموضوع^(٦).

فالمنقول هنا هو قول الإمام الشافعي -رحمه الله- في موضوع الإذن بالهجرة مؤيداً بالآيات القرآنية المناسبة، فهو ليس تفسيراً نمطياً أو تقليدياً لآيات الأحكام في حقيقة الأمر، بل عرض لموافقة أقوال الشافعي لبعض الآيات.

ويلاحظ أيضاً أن الآراء المنقولة هنا لا تعتمد على مرويات أو أقوال المفسرين

(١) سورة الطلاق: من الآية ٢.

(٢) سورة النساء: من الآية ١٠٠.

(٣) سورة التوبة: من الآية ١٠٠.

(٤) سورة الحشر: من الآية ٨.

(٥) سورة النور: من الآية ٢٢.

(٦) أحكام القرآن، للشافعي: ١١/٢-١٢.

الآخرين، وأن الحديث عن الهجرة لم يكن معزلاً بالمرويات.
 وأن تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(١) بأنه الإذن بالهجرة لم أقف عليه عند أحد من المفسرين، ويبدو أن الإمام الشافعي - رحمه الله - عدَّ الهجرة من هذا القبيل.

• تفسير الشافعي:

وهذا كتاب آخر ليس من تأليف الإمام الشافعي، بل سار بعض الباحثين فيه على نهج الإمام البيهقي، فجمع أقوال الشافعي ومروياته في التفسير من كتبه المختلفة، ولاسيما أن الإمام البيهقي جمع المرويات في كتاب أحكام القرآن على الطريقة الفقهية وأبواب الفقه، ولم يستوعب جميع الآيات التي فسرها الإمام الشافعي^(٢).
 وهذا التفسير عرض أقوال الشافعي ومروياته على وفق تسلسل سور القرآن الكريم، ولكنه لم يستوعب جميع السورة والآيات، بل اقتصر على ما ورد فيها قول أو رواية عن الإمام.

وأهم النتائج التي خلص إليها جامع التفسير هي:

لم يرد تفسير كامل لجميع الآيات، وإنما ورد تفسير ٧٤٥ آية مذكورة في ٩٥ سورة. إن نسبة الآيات المفسرة إلى مجموع آيات القرآن الكريم نسبة ضئيلة بلغت ١١٪، ولكنها زاخرة بالفوائد الفقهية.

تركز أغلب التفسير على آيات الأحكام.

لم يرد أي تفسير لسور: سبأ، الدخان، الرحمن، الحديد، الحاقة، النبأ، عبس، الانفطار، الفجر، الضحى، التين، العاديات، القارعة، التكاثر، الهمزة، الفيل، الكوثر، النصر، المسد^(٣).

(١) سورة الطلاق: من الآية ٢.

(٢) ينظر: تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفران، دار التدمرية، السعودية، ط ١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ١٣.

(٣) ينظر: تفسير الإمام الشافعي: ١٧٣-١٧٧.

والمنهج العام للتفسير تمثل ذكر الآية القرآنية، ويحكي ما رواه الشافعي بسنده في تفسير الآية، غالباً، ثم يعقب ذلك تقارير الإمام الشافعي واستنتاجاته، وأحياناً يكتفي بذكر المرويات، أو ذكر تقارير الشافعي.

من ذلك قوله: « (باب غلول الصدقة) أخبرنا الربيع، قال: أخبرنا الشافعي، قال: فرض الله عز وجل الصدقات، وكان حبسها حراماً، ثم أكد تحريم حبسها، فقال عز وعلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ سَرٌّ لَّهُمْ﴾^(١) الآية»^(٢).

«أخبرنا الربيع قال: أخبرنا الشافعي، قال: أخبرنا مالك عن عبد الله بن دينار، قال: سمعت عبد الله بن عمر وهو يسأل عن الكنز فقال: هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة. قال الشافعي: وهذا كما قال ابن عمر إن شاء الله تعالى؛ لأنهم إنما عذبوا على منع الحق، فأما على دفن أموالهم وحبسها، فذلك غير محرم عليهم، وكذلك إحرازها والدفن ضرب من الإحراز، ولولا إباحة حبسها ما وجبت فيها الزكاة في حلول؛ لأنها لا تجب حتى تحبس حولاً»^(٣).

* * *

(١) سورة آل عمران: من الآية ١٨٠.

(٢) ينظر: تفسير الإمام الشافعي: ٥٠١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٥٠١-٥٠٢.

المبحث الثاني

جهود مفسري الشافعية في القرون الهجرية الستة الأولى

لعلماء الشافعية جهود كبيرة في تفسير القرآن الكريم، وقد برز عدد كبير منهم بالمقارنة بمفسري سائر المذاهب، وفيما يأتي تعريف مفسري الشافعية في القرون الهجرية الستة الأولى أذكرهم على حسب سني الوفاة:

أبو بكر النقاش: هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون الموصللي ثم البغدادي، المقرئ المفسر كان إمام أهل العراق في القراءات والتفسير. ضعفه أغلب أهل العلم، قال البرقاني: كل حديث النقاش منكر، مولده سنة (٢٦٦هـ)، ومات في شوال سنة (٣٥١هـ)^(١).

أبو سعيد الحيري: أحمد بن محمد بن سعيد بن إسماعيل الحافظ أبو سعيد بن أبي بكر بن الشيخ الزاهد أبي عثمان الحيري النيسابوري، صنف التفسير الكبير، والصحيح المخرج على صحيح مسلم والأبواب وغير ذلك، دخل بغداد في خلق كثير واجتمع عليه الناس بها، وكان من محبته للحديث يكتب بخطه ويسمع إلى أن استشهد بطرسوس في

(١) ينظر: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ: ٢٠١/٢؛ الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركبي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م: ٣٤٥/٢؛ طبقات الشافعية، لجمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي، (ت ٧٧٢هـ)، تحقيق: عبد الله الجبوري، رئاسة ديوان الأوقاف، إحياء التراث العربي الإسلامي، مطبعة الإرشاد، ط ١، بغداد، ١٩٧٠م: ٢٧٠/٢؛ طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأذنوي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٩٩٧م: ٩٥/١.

سنة (٣٥٣هـ) وله خمس وستون سنة^(١).

القفال: هو العلامة الفقيه الأصولي اللغوي، عالم خراسان محمد بن علي بن إسماعيل أبو بكر الشاشي القفال الكبير أحد أعلام المذهب وأئمة المسلمين. ولد سنة (٢٩١هـ). وعنه انتشر فقه الشافعي في ما وراء النهر. من تصانيفه: دلائل النبوة ومحاسن الشريعة وأدب القضاء جزء كبير، وتفسير كبير. توفي سنة (٣٦٥هـ)^(٢).

الأزهري: هو محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الهروي أبو منصور الأزهري، ولد سنة (٢٨٢هـ)، سمع في بغداد من أبي القاسم البغوي وغيره، كان إماماً في اللغة، بصيراً بالفقه.

صنف تهذيب اللغة، وغريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء، وتفسير القرآن، وفوائد منقولة من تفسير المزني. توفي بهراة سنة (٣٧٠هـ)، وقيل: وغيرها^(٣).

أبو بكر الفارسي: محمد بن عبد الله بن محمد الفارسي، الواعظ المفسر، كان مقدماً في معرفة المعاني والتفسير، وسكن نيسابور، وتوفي بها في رمضان سنة (٣٧٧هـ)^(٤).

(١) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٤٣/٣؛ طبقات الشافعية، للأسنوي: ٢/٢٧٠؛ العبر في خبر من غير، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي، (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، وفؤاد سيد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط٢، ١٩٤٨م: ٢/٢٩٦. (٢) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ١٩/١؛ سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي، (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ: ١٦/٢٠٠.

(٣) ينظر: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي، (ت٦٢٦هـ)، مطبعة دار المأمون، مصر، ١٩٣٦م: ٦/٢٩٧؛ طبقات الشافعية الكبرى: ١٠٦/٢؛ مفتاح السعادة ومصباح السيادة، لأحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده، (ت٩٦٨هـ)، حيدرآباد- الهند، ١٣٥٦هـ: ٩٧/١؛ طبقات الشافعية، للأسنوي: ٣٥/١؛ طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبه، (ت٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ٣/٦٣-٦٥.

(٤) ينظر: طبقات الشافعية للأسنوي: ٢/٢١٣.

الهروي: هو أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو عبيد الهروي الفاشاني. المؤدب، كان من علماء الأكابر، واشتغل على أبي منصور الأزهري، وبه انتفع. من تصانيفه (غريب القرآن) و (كتاب الغريبين) في غريب القرآن وغريب الحديث، توفي سنة (٤٠١هـ)^(١).

إسماعيل القُرَّاب: إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن السرخسي الهروي، أبو محمد القراب المقرئ العابد، كان إماماً في علوم كثيرة وله المصنفات الكثيرة المفيدة منها كتاب في مناقب الشافعي وكتاب الجمع بين الصحيحين وكتاب درجات التائبين وكتاب الكافي في القراءات في مجلدات كثيرة ومنها الشافي في علم القراءات أيضاً، وله كتاب في معاني القرآن. مات في شعبان سنة (٤١٤هـ) بهراة^(٢).

أبو عبد الرحمن الحيري: إسماعيل بن أحمد بن عبد الله النيسابوري الضريع، وهو مصنف كتاب الكفاية في التفسير، سمع جميع صحيح البخاري من أبي الهيثم الكشميهني عن الفربري عن البخاري كان فاضلاً عالماً، مولده سنة (٣٦١هـ)، وتوفي سنة (٤٣٠هـ) وقيل: بعدها والحيري بالحاء المهملة والحيرة محلة من نيسابور^(٣).

أبو محمد الجويني: عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، من علماء التفسير واللغة والفقهاء، هو والد إمام الحرمين الجويني ولد في جوين (من نواحي نيسابور)

(١) ينظر: وفيات الأعيان: ٧٩/١؛ طبقات الشافعية الكبرى: ٣١/٤؛ طبقات الشافعية الكبرى، ٢/٢٩٢؛ بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة؛ لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط ١، مصر، ١٩٤٦م: ٣٧١/١.

(٢) ينظر: طبقات الشافعية، لمحمد بن أحمد بن محمد العبادي الهروي، (ت ٤٥٨هـ)، مطبعة ليدن، ١٩٦٤م: ٣٦؛ طبقات الشافعية الكبرى: ٢٦٦/٤؛ طبقات الشافعية، لأسنوي: ١٥٤/٢؛ طبقات الشافعية، لابن شعبة: ٢٤/١.

(٣) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٢٦٥/٤؛ طبقات الشافعية، لابن شعبة: ٢٠٦/١؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي الدمشقي، (ت ١٠٨٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ: ٢٤٦/٣.

وسكن نيسابور، وتوفي بها سنة (٤٣٨هـ). من كتبه: التفسير الكبير، والتبصرة والتذكرة، في الفقه، والرسائل في فروق المسائل، والجمع والفرق، في فقه الشافعية، وله رسائل، منها: إثبات الاستواء^(١).

سليم الرازي: سليم بن سليم الرازي: فقيهه أصله من الري. ولد سنة (٣٦٥هـ) تفقه ببغداد، ورابط بثرغ (صور) وحج، فغرق في البحر عند ساحل جدة سنة (٤٤٧هـ). له كتب في التفسير والفقه، منها غريب الحديث، والإشارة^(٢).

أبو الفضل المحاملي: محمد بن أحمد بن محمد المحاملي، أبو الفضل بن الفقيه المحاملي، كان فقيهاً، عالماً بالتفسير والحديث ذكياً سمع الكثير، اشتغل في حدائته على أبيه، وكانت له حلقة أيام الجمع بجامع القصر، يقرأ عليها فيها الحديث والتفسير، لم ينقل عنه إلا اليسير لأنه ترك العلم وأقبل على الدنيا، وله سنة (٤٠٠هـ)، ومات سنة (٤٤٧هـ)^(٣).

شهوة بن طاهر: شهوة بن طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر: عالم بالأصول، مفسر، من فقهاء الشافعية. قال السبكي: ارتبطه نظام الملك بطوس، وصنف تفسير كبير، وصنف في الأصول، توفي سنة (٤٧١هـ)^(٤).

أبو الحسن النيسابوري: علي بن سهل بن العباس، النيسابوري المفسر، عالم زاهد،

(١) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٢٠٨/٣؛ طبقات الشافعية، للأسنوي: ١٦٥/١؛ مفتاح السعادة: ١٨٤/٢.

(٢) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، للوزير أبي الحسن جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي، (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٥٢م: ٦٩/٢؛ وفيات الأعيان: ٢١٢/١؛ طبقات الشافعية الكبرى: ١٦٨/٣؛ طبقات الشافعية للأسنوي: ٢٧٥/١.

(٣) ينظر: طبقات الشافعية، للأسنوي: ٢٠٣/٢.

(٤) المصدر نفسه؛ وينظر: طبقات الشافعية، لابن شهبة: ١٧٥/٣؛ وطبقات المفسرين، للأدروبي: ١٣٠/١.

ديّن عابد، مقرأ، نشأ في طلب العلم، وتبحر في العربية، وكان من تلامذة الواحدي. من تصانيفه: كتاب في التفسير، زاد الحاضر والبادي، ومكارم الأخلاق. مات ليلة الجمعة ثالث عشر ذي القعدة سنة (٤٩١هـ)^(١).

عبد الوهاب الفارسي الفامي: عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد الفارسي الفامي، أبو محمد، الفقيه المفسن، ولد سنة (٤١٤هـ) واشتغل في العلوم. صنف سبعين مصنفًا، وله تفسير ضمنه مائة ألف بيت شعر على ما ذكر. وكان بارعًا في معرفة المذهب. قدم بغداد سنة (٤٨٣هـ) لتدريس النظامية، وكان المدرس فيها يومئذ الحسين بن محمد الطبري فتقرر أن يدرس فيها في جامع القصر، وحفظت عليه غلطات في الحديث وإسقاط رجال وتصحيح فاحش. أورد منه ابن السمعاني أشياء كثيرة. وقال يحيى بن منددة: هو أحفظ من رأيناه لمذهب الشافعي، صنف كتاب تاريخ الفقهاء. مات في شيراز في رمضان سنة (٥٠٠هـ)^(٢).

الحسن الهمداني: الحسن بن الفتح بن حمزة بن الفتح أبو القاسم الهمداني. كان من أهل الفضل والتقدم في الفرائض، والتفسير، والآداب، واللغة، والمعاني والبيان، والكلام، استوطن بغداد في آخر عمره، وله «تفسر حسن في مجلدين واسمه» البديع في البيان عن غوامض القرآن» فيه عناية بالعربية والكلام ضعيف الفقه، وله شعر رائق، صحب أبا إسحاق الشَّيرازي وتفقه عليه، مات بعد الخمسمائة^(٣).

الكيا الهراسي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري الملقب عماد الدين

(١) ينظر: الوافي بالوفيات: ٧٥/١٢؛ طبقات الشافعية، للأسنوي: ٢٢٣/٢؛ بغية الوعاة: ٨٢/٢؛ معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية، لعمر رضا كحالة، (ت١٤٠٨هـ)، مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م: ١٠٦/٧.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات: ٢١٩/١٩؛ وطبقات الشافعية الكبرى: ؛ وطبقات الشافعية، للأسنوي: ١٤٩/٢؛ وطبقات الشافعية، لابن شهبة: ٤٤/١.

(٣) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ؛ وطبقات الشافعية، للأسنوي: ٢٩٩/٢؛ وطبقات المفسرين، للأسنوي: ١٤٢/١.

المعروف بالكنية الهراسي، الفقيه الشافعي، و(الكنية) بكسر الكاف بالأعجمية: الكبير القدر، و(الهراسي) بمعنى الذعر، ولد في طبرستان، سنة (٤٥٠هـ)، وسكن بغداد فدرس بالنظامية ووعظ، وتفقه على (إمام الحرمين) وهو أجل تلامذته بعد الغزالي، وحدث عن (إمام الحرمين) وأبي علي الحسن ابن محمد الصفار وغيرهما. روى عنه السلفي وسعد الخير بن محمد الأنصاري وآخرون، من كتبه (أحكام القرآن)، (لوامع الدلائل في زوايا المسلم)، (شفاء المسترشدين في مباح المجتهدين)، (التعليق في أصول الفقه) توفي سنة (٥٠٤هـ)^(١).

أبو القاسم الأنصاري: هو سلمان بن ناصر بن عمران أبو القاسم الأنصاري النيسابوري، الفقيه الصوفي صاحب إمام الحرمين، كان بارعاً في الأصول والتفسير، وشرح الإرشاد لشيخه، وخدم أبا القاسم القشيري مدة، وكان صالحاً زاهداً إماماً عابداً عارفاً من أفراد الأئمة، ومن كبار المصنفين في التفاسير. سمع الحديث من عبد الغافر الفارسي وكريمة المروزية وجماعة. روى عنه ابن السمعاني إجازة. توفي سنة (٥١١هـ)، وقيل: (٥١٢هـ)^(٢). أبو نصر القشيري: عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري أبو نصر، واعظ، من علماء نيسابور، من بني قشير، ابن الإمام القشيري صاحب الرسالة، علت له شهرة كأبيه. زار بغداد في طريقه إلى الحج، ووعظ بها، فوعدت بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية، فاستدعاه نظام الملك إلى أصفهان (إطفاءً للفتنة ببغداد) فذهب إليه ولقي منه إكراماً.

(١) ينظر: تبیین کذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، (ت ٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ٤٠٤هـ: ٢٨٨؛ ومراة الزمان في تاريخ الأعيان، لسبط الجوزي شمس الدين أبي المظفر يوسف بن فرغلي، (ت ٦٥٤هـ)، طبع حيدرآباد، ١٣٧٠هـ- ١٩٥١م: ٣٧/٨؛ وفيات الأعيان: ٢٨٦/٣-٢٨٩؛ وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة: ٢٨١/٣؛ وشذرات الذهب: ٨/٤؛ معجم المؤلفين: ٢٢٠/٧.

(٢) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٩٧/٧؛ طبقات الشافعية، للأسنوي: ٤٢/١؛ طبقات المفسرين، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٣٩٦هـ: ٨؛ طبقات المفسرين، للأدنوي: ١٥٥.

وعاد إلى نيسابور، فلزم الوعظ والتدريس إلى أن فلج وتوفي بها سنة (٥١٤هـ)، كان ذكياً حاضر الخاطر، فصيحاً، جريئاً، يحفظ كثيراً من الشعر والحكايات. برع في الأصول والتفسير له (المقامات والآداب) تصوف ووعظ^(١).

أبو الحسن بن أبي طالب الكرجي: محمد بن عبد الملك بن محمد بن عمر بن محمد الكرجي بالجيم، أبو الحسن بن أبي طالب ولد سنة (٤٥٨هـ)، صنف التصانيف في مذهب الشافعي والتفسير، له كتاب الذرائع في علم الشرائع، كان إماماً ورعاً فقهياً محدثاً، أفتى طول عمره في جميع العلوم ونشرها، وتوفي سنة (٥٣٢هـ)^(٢).

جمال الإسلام بن المسلم: علي بن المسلم بن محمد بن علي، أبو الحسن السلمي الدمشقي الفقيه الفرضي. برع في المذهب حتى أعاد للشيخ نصر، ولزم الغزالي مدة مقامه بدمشق، ودرس في حلقة الغزالي في الجامع مدة. وسمع الكثير وأملى عدة مجالس، ودرس بالأمينية سنة أربع عشرة وخمسائة وهو أول من درس فيها. قال الغزالي: خلفت بالشام شاباً إن عاش كان له شأن، فكان كما تفرس فيه، له مصنفات في الفقه والتفسير، وكان يعقد مجلس التذكير ويظهر السنة ويرد على المخالفين، ولم يخلف بعده مثله. وذكره أيضاً في طبقات الأشعرية. توفي في ذي القعدة سنة (٥٣٣هـ) وهو ساجد في صلاة الفجر، ومن تصانيفه كتاب أحكام الخنثي مختصر^(٣).

إسماعيل الأصبهاني: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر

(١) ينظر: تبيين كذب المفتري: ٣٠٨-٣١٧؛ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمد عبد الله بن أسعد اليميني المكي اليافعي، (ت٧٦٨هـ)، منشورات مؤسسة العلمي للمطبوعات، سنة ١٩٧٠، وهي طبعة مصورة على ط ١ بحيدرآباد الدكن، ١٣٣٧هـ: ٢١٠/٣؛ طبقات الشافعية، للأسنوي: ١٤٩/٢.

(٢) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ١٧/٦؛ طبقات الشافعية، للأسنوي: ١٨١/٢؛ العبر: ٨٩/٤؛ طبقات المفسرين، للأدزوي: ١٦٣/١.

(٣) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٢٨٣/٤؛ طبقات الشافعية، للأسنوي: ٢٣٢/٢؛ طبقات الشافعية، لابن شهبة: ٥٤/١؛ العبر: ٩٢/٤.

الحافظ الكبير أبو القاسم التَّمِيمِي الطَّلْحِيّ، الملقب قوام السنة، وهو إمامٌ في التفسير والحديث واللغة والأدب، عارف بالمتون والأسانيد، عديم النظري لا مثل له في وقته. ولد سنة (٤٥٧هـ) روى عنه أبو القاسم بن عساكر، من تصانيفه: (التفسير الكبير) ثلاثون مجلداً سماه الجامع؛ وله كتاب (الإيضاح) في التفسير، أربع مجلدات؛ و(الموضح) في التفسير، ثلاث مجلدات و(المعتمد) في التفسير عشر مجلدات وكتاب (التفسير باللسان الأصبهاني) عدم مجلدات. وله كتاب (الترغيب والترهيب) وكتاب (السنة) وكتاب (دلائل النبوة) و(شرح البخاري) و(شرح مسلم) و(إعراب القرآن) وغير ذلك. وله فتاوى كثيرة مات يوم الأضحى سنة (٥٣٥هـ) بالفالج^(١).

أبو عبد الله البنجديهي: محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الزاغولي. ولد سنة (٤٧٢هـ)، كان فقيهاً صالحاً، حسن السيرة، خشن العيش تاركاً للتكلف، قانعاً باليسير، عارفاً بالحديث وطرقه، اشتغل طول عمره، وجمع كتاباً مطولاً أكثر من أربعمئة مجلد مشتمل على التفسير والحديث والفقه واللغة، سماه قيد الأوابد توفي في جمادى الآخرة سنة (٥٥٩هـ)^(٢).

أبو شجاع البسطامي: عمر بن محمد بن عبد الله البلخي، أديب، شاعر، من حفاظ الحديث، كان فقيهاً مفسراً، واعظاً حسن الطريقة، له من المصنفات: لقاطات العقول، ومن ألفت العزلة، توفي سنة (٥٦٢هـ)^(٣).

الخضر بن عقيل الأربلي: هو الخضر بن نصر بن عقيل الأربلي، أبو العباس: فقيه، عالم بالفرائض، من أهل أربل. تعلم في بغداد وعاد إلى أربل فدرس فيها إلى أن توفي سنة (٥٦٧هـ)، له تصانيف في التفسير والفقه وغيرهما^(٤).

(١) ينظر: طبقات الشافعية، للأسنوي: ١/١٧٥؛ طبقات الشافعية، لابن شهبة: ١/٥٢؛ طبقات المفسرين، للسيوطي: ٥.

(٢) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٦/١٣٢؛ طبقات الشافعية، لابن شهبة: ١/٥٧؛ بغية الوعاة: ١/١١٨.

(٣) ينظر: مرآة الزمان: ٨/٣٣٠؛ طبقات الشافعية الكبرى: ٧/٢٤٩؛ طبقات الشافعية، للأسنوي: ١/١٢٥.

(٤) ينظر: وفيات الأعيان: ١/١٧١؛ طبقات الشافعية الكبرى: ٧/٨٤؛ طبقات الشافعية، للأسنوي: ١/٦٦.

الشاطبي: القاسم بن فيرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الإمام العلامة الحافظ الضريبر، أبو مُحَمَّد الرعيني الأندلسي الشاطبي المقرئ الشهير صاحب القصيدة الموسومة بحرز الأمانى ولم يحلق فيها ولا سبق إلى مثلها، ولد بشاطبة في آخر سنة (٥٣٨هـ) لم يكن في زمانه بمصر نظيره في تعدد فنونه وكثرة محفوظه، كان عالماً بكتاب الله قراءة وتفسيراً، وبحديث رسول الله ﷺ مبرزاً، وكان يقرأ عليه الصحيحين والموطأ، فيصححون النسخ من حفظه، ويملي النكت على المواضع المحتاج إليها، وكان إماماً في علم النحو واللغة وعارفاً بتعبير المنامات، حسن المقاصد مخلصاً فيما يقول ويفعل ولا يجلس للإقراء إلا على طهارة في هيئة حسنة وتخشع واستكانة وكان يقال: إنه يحفظ وقر يعير من العلوم، توفى بالقاهرة في جمادى الآخرة سنة (٥٩٠هـ)، ودفن بالقرافة^(١).

الفخر النوقاني: محمد بن أبي علي بن أبي نصر فخر الدين أبو عبد الله النوقاني، الفقيه الشافعي الأصولي، كان له يد طولي في التفسير والفقه والجدل، كثير العبادة والصلاح، تفقه على الإمام محمد بن يحيى وقدم بغداد ودرس وناظر، وتولى تدريس مدرسة أم الخليفة الناصر، توفى بالكوفة في صفر سنة (٥٩٢هـ)^(٢).

* * *

(١) ينظر: وفيات الأعيان: ٧١/٤؛ طبقات الشافعية الكبرى: ٢٩٧/٤؛ طبقات الشافعية، للأسنوي: ٢٧/٢؛ طبقات الشافعية، لابن شهبة: ٣٥/٢؛ العبر: ٢٧٣/٤.

(٢) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ١٩٨/٤؛ طبقات الشافعية، للأسنوي: ٢٨٠/٢؛ طبقات المفسرين، للأدنوي: ٢٠٧/١.

المبحث الثالث

نماذج من كتب التفسير

هذا المبحث مخصص لعرض أبرز كتب التفسير المؤلفة في القرون الهجرية الستة الأولى، مع إيجاز بحياة مؤلفيها، وقد عرضتها على حسب سني الوفاة.

• تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم:

• ترجمة ابن أبي حاتم:

هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس أبو محمد بن أبي حاتم الحنظلي الرازي، أحد الأئمة في الحديث والتفسير والعبادة والزهد والصلاح، حافظ ابن حافظ، أخذ عن أبيه وأبي زرعة وصنف الكتب المهمة كالتفسير الجليل تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن أبي حاتم، وكتاب الجرح والتعديل وكتاب العلل المبوب على أبواب الفقه ومناقب الشافعي ومناقب أحمد وغير ذلك، توفي سنة (٣٢٧هـ) وقد قارب التسعين^(١).

• التعريف بالتفسير:

تفسير ابن أبي حاتم من كتب التفسير بالأثر المتقدمة، ولعله أشهر تفسير في بابيه بعد تفسير الطبري جامع البيان، اعتنى فيه مؤلفه بالرواية عن مفسري السلف، ففسر فيه كلام الله تعالى بالأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها.

كان المؤلف يذكر الآية، ثم يروي بسنده الأحاديث والآثار المتعلقة بتفسيرها، من

ذلك قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾^(٢).

(١) ينظر: طبقات الشافعية، للأسنوي: ٢٠٠/١؛ طبقات الشافعية، لابن شهبة: ١١١/١؛ طبقات

المفسرين، للسيوطي: ٥٢؛ كشف الظنون: ٤٣٦/١.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢.

قال: «به عن عِكْرَمَةَ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾، قال: هذا الكتاب»، قال: وهكذا فسرهُ سعيدُ بنُ، والسديُّ، ومقاتلُ بن حيانَ، وزيدُ بن أسلمَ.

قوله: ﴿الْكِتَابُ﴾ حديثنا الحسنُ بن محمدِ بن الصباح، ثنا أسباطُ بنُ محمدٍ، عن الهذليِّ يعني أبا بكرٍ، عن الحسنِ، «في قوله الله: ﴿الْكِتَابُ﴾»، قال أبو محمدٍ: وروي عن ابن عباسٍ مثلُ ذلك»^(١).

ومن أجل توضيح منهجة أقران بينه وبين تفسير الطبري، فهذا التفسير ليس كتفسير الطبري، إذ أنه يخلو من بيان معاني الآيات، أو وجوهها الإعرابية أو القراءات أو الترجيح بين الأقوال، والقراءات الواردة فيه هي التي وردت فيه روايات حديثة أسوة بالمروريات التفسيرية.

من ذلك ما رواه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٢):

«حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: قرأ ابن عباس: وشاورهم في بعض الأمر»^(٣).

فشخصية المحدث ابن أبي حاتم ظاهرة بوضوح في هذا التفسير، والكتاب على العموم يسير على هذا المنوال.

• تفسير الثعلبي:

• ترجمة الثعلبي:

هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، ويقال له: الثعلبي، والثعلبي لقب عليه، لم تذكر كتب التراجم تاريخ ولادته. كان الثعلبي عالماً في التفسير، وفي اللغة العربية وفنونها، ثقة صالحاً. ترك عدة مؤلفات منها كتاب العرائس في قصص القرآن،

(١) تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي بن أبي حاتم، (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، ط ١، بلا تاريخ: ٣٤/١.

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٥٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٨٠٢/٣.

وكتاب التفسير المسمى الكشف والبيان عن تفسير القرآن. ومع أن الثعلبي كان ثقة صالحاً إلا أن تفسيره- كما يقول بعض العلماء- لم يكن ذا قيمة علمية لما فيه من أحاديث موضوعة، خصوصاً في باب الفضائل، ولما فيه من قصص باطلة وإسرائيليات منكرة، كالتي ذكرها في قصة أصحاب الكهف. ولعل الذي دفعه إلى هذا المنهج أنه كان يميل إلى إرضاء الناس بهذه الأخبار من باب الترغيب. توفي سنة (٤٢٧هـ)^(١).

• التعريف بالتفسير:

وضح الثعلبي منهجه في هذا التفسير في مقدمته، وبين دوافعه إلى هذا التفسير، إذ ظهر له أن المصنفين في تفسير القرآن فرّق على طُرُقٍ مختلفة، وهذه الفرق هي: فرقة أهل البدع والأهواء، منهم الجبائي والرّماني. وفرقة أحسنوا، إلا أنهم خلطوا بأباطيل المبتدعين بأقاويل السلف الصالحين، منهم القفال.

وفرقة اقتصرت على الرواية والنقل دون الدراية والنقد، منهم الحنظلي. وفرقة حذف الإسناد ونقلت من الصحف والدفاتر، وذكرت الغثّ والسمين، فصنّت الكتاب عن ذكرهم.

وفرقة حازوا قصب السبق، غير أنهم طوّلوا في كتبهم بالمعادات، وكثرة الطُّرُق والروايات، منهم الطبري.

وفرقة جرّدت التفسير دون الأحكام، وبيان الحلال والحرام، والحل عن الغوامض والمشكلات، والرد على أهل الزيغ والشبهات، كمشايخ السلف الماضين، مثل مجاهد والسدي والكلبي^(٢).

(١) ينظر: إرشاد الأريب: ٣٦/٥؛ ووفيات الأعيان: ٧٩/١؛ وطبقات الشافعية، للأسنوي: ١٥٩/١؛ والعبر: ٢٨٣/٤؛ وبغية الوعاة: ٣٥٦/١؛ وشذرات الذهب: ٢٣٠/٣.

(٢) ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ٤٢٢هـ-٢٠٠٢م: ٧٥-٧٠/١.

ولأنه لم يقف على تفسير يجمع بين فضائل التفاسير السابقة ومزاياها، قال: «فاستخرتُ الله تعالى في تصنيف كتاب شامل، مهذب، ملخص، مفهوم، منظوم، مستخرج من نيف ومائة كتاب مجريات مسموعات، سوى ما التقطته من التطبيقات والأجزاء المتفرقات، وتلقفته عن أقوام من المشايخ، وهو قريب من ثلاثمائة شيخ، فسقته بأبلغ ما قدرتُ عليه من الإيجاز والترتيب»^(١).

ثم قال: وخرّجت فيه الكلام على أربعة عشر نحواً: البسائط والمقدمات، والعدد والتنزلات، والقصص، والنزولات، والوجوه والقراءات، والعلل والاحتجاجات، والعربية واللغات، والإعراب والموازنات، والتفسير والتأويلات، والمعاني والجهات، والغومض والمشكلات، والأحكام والفقهيات، والحكم والإشارات، والفضائل والكرامات، والأخبار والمتعلقات، أدرجتها في أثناء الكتاب بحذف الأبواب، وسميته: كتاب «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»^(٢).

ثم ذكر أسانيده إلى مَنْ يروى عنهم التفسير من علماء السلف، واكتفى بذلك عن ذكرها أثناء الكتاب، كما ذكر أسانيده إلى مصنفات أهل عصره وكتب الغريب والمشكل والقراءات، ثم ذكر باباً في فضل القرآن وأهله، وباباً في معنى التفسير والتأويل^(٣). لقد طبع هذا الكتاب محققاً ومدققاً، إلا أنني وجدت فيه هنات وثرغرات كثيرة عندما قارنته بما نقله الدكتور الذهبي عن مخطوطة لهذا التفسير بمكتبة الأزهر، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في التفسير المطبوع: «مستخرج من [نيف و] مائة كتاب مجريات مسموعات، سوى ما التقطته من التطبيقات»^(٤).

في حين نقل الدكتور الذهبي عن مخطوطة الأزهر قوله: «مستخرج من زهاء مائة

(١) الكشف والبيان: ٧٥/١.

(٢) المصدر نفسه: ٧٥/١.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ٧٥/١-٨٨.

(٤) ينظر: المصدر السابق: ٧٥/١.

كتاب مجموعات مسموعات. سوى ما التقطته من التعليقات والأجزاء المتفرقات»^(١).
والقاري يرى أن نص الدكتور الذهبي أكثر دقة وأوفى بالمراد.
وأبرز خصائصه التي أجملها الدكتور الذهبي هي:
يُفسّر القرآن بما جاء عن السلف، مع اختصاره للأسانيد، اكتفاءً بذكرها في مقدمة الكتاب.

يعرض للمسائل النحوية ويخوض فيها بتوسع ظاهر.
يشرح الكلمات اللغوية وأصولها وتصاريفها، ويستشهد على ما يقول بالشعر العربي.
يتوسع في الكلام عن الأحكام الفقهية.
التوسع إلى حد كبير في ذكر الإسرائيليات بدون أن يتعقب شيئاً من ذلك أو يُنبّه على ما فيه رغم استبعاده وغرابته.

لم يتحرر الصحة في كل ما ينقل من تفاسير السلف.
الاستشهاد بالأحاديث الموضوعية في فضائل القرآن^(٢).

• تفسير الماوردي:

• ترجمة الماوردي:

هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي البصري البغدادي، ولد سنة (٣٦٤هـ)، نشأ الماوردي بالبصرة، وتعلّم وسمع الحديث من جماعة من العلماء، تولى القضاء في كورة (أستوا) من ناحية نيسابور، ولقب بأقضى القضاة عام (٤٢٩هـ)، من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة، من كبار فقهاء الشافعية، وإمام من أئمة فقه الخلاف من العلماء الباحثين صاحب المؤلفات، ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد، كان من رجال السياسة البارزين في الدولة العباسية وخصوصاً في مرحلتها المتأخرة، وولي القضاء في بلدان كثيرة.

(١) ينظر: المصدر السابق: ١/٧٥-٨٨.

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون: ١/٢٢٨-٢٣٤.

تألق نجمه عند عودته إلى بغداد وقيامه بالتدريس، ولكن نجمه السياسي برز عندما عمل سفيراً بين رجالات الدولة في بغداد وبني بويه في المدة بين عامي ٣٨١ و ٤٢٢ هـ لحل الخلافات الناشبة بين أقطار الدولة العباسية. وكان يميل إلى مذهب الاعتزال نسبته إلى بيع ماء الورد، له مصنفات كثيرة، اشتهر الماوردي بكثرة التأليف وغازرة الإنتاج، ولكن لم يصل إلينا من مؤلفاته إلا القليل. ويمكن تصنيف مؤلفاته في مجموعات دينية ولغوية وأدبية وسياسية واجتماعية. ومن أبرزها: (أدب الدنيا والدين)، (أعلام النبوة)، (الحاوي الكبير)، (الإفناع) وهو مختصر لكتاب الحاوي الكبير. ومن أشهر كتبه في مجال السياسة (قوانين الوزارة وسياسة الملك)، (نصيحة الملوك)، (تسهيل النظر وتعجيل الظفر)، (الأحكام السلطانية) الذي يُعد من أشهر كتب الماوردي وأعظمها أثراً. وله تفسيره المسمى النكت والعيون. توفي سنة (٤٥٠ هـ)^(١).

• التعريف بالتفسير:

هذا التفسير له خصوصية تميزه من غيره من التفاسير، فهو يذكر في كل آية مجمل الأقوال الواردة فيها باختصار مع نسبة كل قول إلى قائله، وكان أثره كبيراً في تفسير ابن الجوزي زاد المسير، إذ حاكاه في منهجه.

والمنهج العام لهذا التفسير يتمثل بالشاهد الآتي:

«قوله عز وجل: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٢)، يعني: به هدى من الضلالة.

وفي المتقين ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنهم الذين اتقوا ما حرم الله عليهم وأدّوا ما افترض عليهم وهذا قول الحسن البصري.

والثاني: أنهم الذين يحذرون من الله تعالى عقوبته ويرجون رحمته وهذا قول ابن عباس.

(١) ينظر: طبقات الفقهاء: ١١٠؛ وفيات الأعيان: ٣٢٦/١؛ طبقات الشافعية الكبرى: ٣٠٣/٣؛ طبقات

الشافعية الكبرى: ١٥٥/٢؛ كشف الظنون: ٦٢٨/١؛ شذرات الذهب: ٢٨٥/٣.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢.

والثالث: أنهم الذين اتقوا الشرك وبرئوا من النفاق وهذا فاسد؛ لأنه قد يكون كذلك، وهو فاسق وإنما خصّ به المتقين، وإن كان هدياً لجميع الناس؛ لأنهم آمنوا وصدقوا بما فيه»^(١).

ويمكن ذكر أبرز خصائص هذا التفسير بما يأتي:

اعتمد الماوردي على عدة مصادر متنوعة مما أضفى على تفسيره لونا متميزاً لامتزاج هذه المصادر وترابطها.

احتوى التفسير على مادة علمية غزيرة متوافقة مع سعة علمه وتفننه في عدة علوم.

إنه جمع بين الرواية والدارية في تفسيره.

لم يخل تفسيره من إيراد بعض الإسرائيليات.

إنه تفسير عام اشتمل على إيراد العلوم المتعلقة كلها بتفسير القرآن من إيراد القراءات والإعراب ومعاني اللغة وغير ذلك.

ضمّن تفسيره الإشارات الصوفية أو ما يعرف بالتفسير الإشاري.

كان أسلوبه في العرض أسلوباً سهلاً بعيداً عن التعقيد.

احتوى التفسير على بعض آراء الاعتزال.

افتقر التفسير إلى بيان المعنى العام للآيات في عدد كبير من مواضعه^(٢).

• تفسير القشيري:

• ترجمة القشيري:

هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن مُحَمَّد الإمام أبو القاسم

القشيري النيسابوري الزاهد الصوفي شيخ خراسان وأستاذ الجماعة ومقدم الطائفة، قرأ

(١) النكت والعيون، المعروف بـ (تفسير الماوردي)، تحقيق: خضر محمد خضر، مطابع مقهوي،

الكويت، ط ١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م: ١/٦٧-٦٨.

(٢) ينظر: منهج الماوردي في تفسير النكت والعيون، للإمام العلامة أبي الحسن علي بن محمد بن

حبيب الماوردي، (٣٦٤-٤٥٠هـ)، رسالة ماجستير مقدمة من الطالب بدر محمد الصميط إلى كلية

الشرعية والدراسات الإسلامية في جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ-١٩٠٤-٤٩٤.

الأدب والعربية على أبي القاسم اليماني ثم لازم الأستاذ أبا علي الدقاق في التصوف والفقهاء أبا بكر الطوسي في الفقه وأبا بكر بن فورك في الكلام والنظر حتى بلغ الغاية، ولد في ربيع الأول سنة (٣٧٦هـ)، وكانت وفاته في يوم الأحد سادس عشر ربيع الآخر سنة (٤٦٥هـ) بمدينة نيسابور ودفن بالمدرسة تحت شيخه أبي علي الدقاق وله عدة أولاد أئمة. من كتبه (التيسير في التفسير) ويقال له: «التفسير الكبير»، ولطائف الإشارات، والرسالة القشيرية^(١).

• التعريف بلطائف الإشارات:

لهذا التفسير نصيب وافر من أسمه فهو لطائف الإشارات وهو من قبيل التفسير الإشاري، فيكشف ما قد لا يبدو لكل قارئ لكتاب الله، ولكن على نحو لا يمتنع أو يتعارض مع الشرع، وهو من مراجع القرطبي في تفسيره.

والناظر فيه يجده يلامس شغاف القلب ويرفع الهمة إلى العبادات الظاهرة والصفات العالية من تواضع لله وعزة بدينه ومراقبة له، وينفر من الشرك بأنواعه، وكل ما يصرف العبد عن الله وطاعته، ويلاحظ القارئ ما يحصل له من سمو وارتقاء روعي يترجمه إن شاء بخلق رفيع ويعجب من الدرجة التي رقى إليها القشيري- رحمه الله- في حب مولاه في نشره وشعره، كل ذلك بعبارات سلسلة عالية لا تحوج صاحبها إلا إلى فهم بعض مصطلحات القوم كالحقيقة والأحوال والعارف والمريد وقليل غيرها. وهو يختلف عن غيره من كتب التفسير الإشاري باعتداله في الاستقراء من الآيات، وبناء المعنى على ما يوافق المعنى العام للآيات، من ذلك قوله: «قوله جلّ ذكره: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٢). قيل: ذلك الكتاب، أي: هذا الكتاب، وقيل: إشارة إلى ما تقدم إنزاله من الخطاب، وقيل: ذلك الكتاب الذي وعدتُك إنزاله عليك يوم الميثاق.

(١) ينظر: تاريخ بغداد: ٨٣/١١؛ وطبقات الشافعية الكبرى: ٢٤٣/٣-٢٤٨؛ ومفتاح السعادة: ٤٣٨/١؛

وطبقات المفسرين: ١٢٥-١٢٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢.

لا ريب فيه، فهذا وقت إنزاله. وقيل: ذلك الكتاب الذي كتبت فيه الرحمة على نفسي لأمتك، لاشك فيه، فتحقق بقولي.

وقيل: الكتاب الذي هو سابق حكمي، وقديم قضائي لمن حكمت له بالسعادة، أو ختمت عليه بالشقاوة لا شك فيه.

وقيل: حكمي الذي أخبرت أن رحمتي سبقت على غضبي لا شك فيه.

وقيل: إشارة إلى ما كتب في قلوب أوليائه من الإيمان والعرفان، والمحبة والإحسان، وأن كتاب الأحباب عزيز على الأحباب، لاسيما عند فقد اللقاء، وكتاب الأحباب سلوتهم وأنسهم، وفيه شفاؤهم ورؤحهم، وفي معناه أنشدوا:

وكتبك حولي لا تفارق مضجعي وفيها شفاء للذي أنا كاتم وأنشدوا:
ورد الكتاب بما أقر عيوننا وشفى القلوب فنلن غايات المنى
وتقاسم الناس المسرة بينهم قسماً وكان أجلهم حظاً أنا^(١)

• تفسير الواحدي:

• ترجمة الواحدي:

هو العلامة أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية الواحدي النيسابوري الشافعي، والواحدي نسبة إلى الواحد بن الدليل ابن مهرة مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل، كان من أولاد التجار أصله من ساوة (بين الري وهمذان) ومولده ووفاته بنيسابور.

صاحب التفسير (البسيط)، (الوسيط)، (الوجيز)، و(أسباب النزول)، كلها في التفسير، وقد أخذ الغزالي هذه الأسماء وسمى بها تصانيفه الفقهية، وله (شرح ديوان المتنبي)،

(١) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي، (ت ٤٦٥هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م: ١/١٠.

و(شرح الأسماء الحسنی) وغير ذلك توفي سنة (٤٦٨ هـ)^(١).

التعريف بتفسيره الوسيط:

اخترت هذا التفسير؛ لأنه أوسع تفاسيره وأهمها، وقد استفرغ أبو الحسن جهده في هذا التفسير، يقول عن ذلك: «وقد كنت تعبت دهرًا طويلاً من عنفوان صباي إلى تناهي أيام شببتي في إحكام مقدمات هذا العلم، رجاء أن أقتدر بها على تلخيصه وتهذيبه وترهيبه، فحقق الله بفضل ذلك الرجاء، وأتم بإتمامه علي النعماء»^(٢).
وفعلًا فقد نال تفسيره مكانة عالية بين التفاسير المؤلفة، وصار مرجعاً للعلماء، يشهد على ذلك ما قاله العلماء فيه، من ذلك:

قيل للإمام الغزالي: لم لا تصنف في التفسير، فقال: يكفي ما صنف فيه شيخنا الإمام أبو الحسن الواحدي»^(٣)، وهذا يفسر سبب تسمية الغزالي تواليه الثلاثة في الفقه بأسماء كتب الواحدية الثلاثة في التفسير.

وقال ابن قاضي شهبه: «ومن تصانيف: البسيط في خمسة عشر مجلداً، وهو من أحسن التفاسير، ولم يصنف مثله»^(٤).

وقال ابن خلكان: «صاحب التفاسير المشهورة... ورزق السعادة في تصانيفه، وأجمع الناس على حسنها، وذكرها المدرسون في دروسهم، منها: البسيط في تفسير القرآن الكريم...»^(٥).

(١) ينظر: وفيات الأعيان: ٣٠٣/٣؛ طبقات الشافعية، للأسنوي: ٣٠٣/٢؛ طبقات الشافعية، لابن شهبه: ٢٥٧/١؛ العبر: ٢٦٧/٣؛ النجوم الزاهرة: ١٠٤/٥.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري الواحدي، (ت ٤٦٨ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، و د. أحمد محمد صبرة، و د. أحمد عبد الغني الحيل، مكتبة الباز، المدينة المنورة، بلا تاريخ: ١٣/١.

(٣) مرآة الجنان: ٢٨٤/١.

(٤) طبقات الشافعية، لابن شهبه: ٢٥٧/١.

(٥) ينظر: وفيات الأعيان: ٣٠٣/٣؛ طبقات الشافعية، للأسنوي: ٣٠٣/٢؛ طبقات الشافعية، لابن شهبه:

ولكن تفسيره لم يخل من نقد وجه إليه، فقد نقده ابن تيمية؛ لأن الواحدي حذا وحدو شيخه الثعلبي في إيراد الروايات الضعيفة والموضوعة.

قال في فتاواه، وقد سئل عن بعض كتب التفسير: «وأما الواحدي فإنه تلميذ الثعلبي، وهو أخبر منه بالعربية، لكن الثعلبي فيه سلامة من البدع، وإن ذكرها تقليداً لغيره وتفسيره، وتفسير الواحدي البسيط والوسيط والوجيز فيها فوائد جليلة، وفها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها»^(١).

وقال الكتاني عند الكلام عن الواحدي المفسر: «ولم يكن له ولا لشيخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث، بل في تفسيرهما- وخصوصاً الثعلبي- أحاديث موضوعة وقصص باطلة»^(٢).

وأسهب الواحدي في مقدمته في بيان منهجه في تفسيره، فبين الباعث له على تأليف هذا التفسير، وبين أهمية تعلم اللغة وإحكامها في جميع فنونها لمن أراد فهم كلام الله سبحانه، وكلام رسوله ﷺ من غير تقليد لأحد، وذكر طبقات المفسرين من الصحابة والتابعين، ثم أرباب المعاني الذي اقتصروا على الإعراب ونهج الخطاب، ثم ذكر شيوخه الذين تلقى عنهم هذه الأصول، وبين الطبقة التي تستفيد من هذا الكتاب، ثم وضع منهجه بقوله: «وابتدئ في كل آية عند التفسير بقول ابن عباس: ما وجدت له نصاً، ثم بقول: من هو قدوة في هذا العلم، من الصحابة وأتباعهم، مع التوفيق يبين قولهم ولفظ الآية»^(٣).

١/٢٥٧: العبر: ٣/٢٦٧؛ النجوم الزاهرة: ٥/١٠٤.

(١) الفتاوى الكبرى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٣٨٦هـ/٢/١٩٣.

(٢) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لمحمد بن جعفر الكتاني، (ت ١٣٤٥هـ)، تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ٤، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م: ٧٩.

(٣) ينظر: الوسيط: ١/٢٦.

ثم يبين موقفه من الأقوال الضعيفة والروايات السقيمة قائلاً: «فأما الأقوال الفاسدة والتفسير المرذول الذي لا يحتمله اللفظ ولا تساعده العبارة فمما لم أعبأ به، ولم أضيع الوقت بذكره»^(٤).

وعن القراءات قال: «وذكرت وجوه القراءات السبع التي اجتمع عليها أهل الأمصار دون تسمية القراء»^(٥).

ويتصف هذا التفسير بخصائص أبرزها:

ثراء هذا التفسير من الناحية العلمية، ولاسيما في النحو واللغة.

حرصه على جمع أقوال الصحابة والتابعين.

أولى عناية بالفقه والبلاغة ونحوها من الفنون.

جمع الواحد بين منهجي التفسير بالرواية، والتفسير بالدراية، ووازن بينهما دون أن يطغى أحدهما على الآخر.

غالب مصادر الواحد في تفسيره أصولاً ومصادر قيمة في بابها، فهو يختار في كل فن من مراجعه المرضية عند العلماء، المقبولة في ذلك العلم.

بالنظر كثرة مصادر، فإنه يعدّ مرجعاً مهماً لنصوص كثيرة، نقلها من كتب مفقودة الآن، لا سبيل للرجوع إليها الآن.

لم يكتف الواحد بالنقل، بل كان ناقداً، يرجح ويختار، ويرد ويناقش، يصحح الأقوال ويضعفها.

الإطالة الواضحة في المباحث اللغوية والنحوية بما يخرج الكتاب عن مقصوده وهو تفسير كلام الله، ولذا قال السيوطي بحقه: «فالنحوي تراه ليس له هم إلا الإعراب، وتكثير الأوجه المحتملة فيه، ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته، كالزجاج والواحدي

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧/١.

(٥) ينظر: الوسيط: ٢٧/١.

في البسيط»^(١). وقبل قال الزركشي: «وقد أكثر الناس فيه -أي التفسير- من الموضوعات، ما بين مختصر ومبسوط، وكلهم يقتصر على الفن الذي يغلب عليه، فالزجاج والواحد في البسيط يغلب عليهما الغريب...»^(٢).
كثرة النقول وطولها.

رواية الواحد عن شيوخه بأسماء غير ما اشتهروا بها، وهو ما يعرف عند علماء مصطلح الحديث بتدليس الشيوخ، ومن أمثلته، عندما يذكر شيخه سعيد بن محمد الحيري، يذكره مرة هكذا، ومرة يقول: سعيد بن محمد المقرئ، وعندما يذكر أبا علي الفارسي، يذكره في بعض المواضع قائلاً: أبو علي الفسوي. وقال في موضع: «وقد أخبرنا أبو الحسين بن أبي عبد الله الفسوي رضي الله عنه أنبا أحمد بن محمد الفقيه»، يعني بالأول شيخه عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي، فذكره بكنيته وذكر أباه كذلك، ونسبه إلى قريته «فسا» ويعني بالثاني: أحمد بن محمد الخطابي البستيو فأغمض في أسميهما، وأبعد في التعريف بهما- رحمه الله-^(٣).

ضخامة الكتاب، تسبب في ضعف الانتفاع به، والحد من انتشاره، وهذا أمر انتقده الواحد على بعض المتقدمين، إذ أنه عندما ذكر سبب تأليفه، بين أن بعض التلاميذ: «شكوا إلى غلط حجم المصنفات في التفسير، وأن الواحدة منها تستغرق العمر كتبتها، ويستنزف الروح سماعها وقراءتها، ثم صاحبها بعد أن أنفق العمر على تحصيلها، ليس يحظى منها بطائل تعظم عائده، وتعود عليه فائدته»^(٤). وقد وقع فيما عاب عليه غيره، من أهل التفسير، ومن المفارقات أنه مع تلك الإطالة الظاهرة يدعي الإيجاز فيما جاء به،

(١) الإتيان في علوم القرآن، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م: ٤/٢٣٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي، (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ: ١/١٣١.

(٣) ينظر: الوسيط، ١/١٢٦، ٢/١٣٦، ٣/٢٥.

(٤) المصدر نفسه: ١/١٦.

فيقول: «...سالك نهج الإعجاز في الإيجاز، مشتمل على ما نعمت على غيري إهماله، ونعيت عليه إغفاله، خالٍ عما يكسب المستفيد ملالة، ويتصور عند المتصفح إطالة؛ ويقول: « ثم إن هذا الكتاب عجلة الوقت، وقبسة العجلان، وتذكرة يستصحبها المرء حيثما حل وارتحل»^(١) ثم وعد بكتاب أوفى منه وأجمع؟!!

• تفسير السمعاني:

• ترجمة السمعاني:

هو أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي المروزي الحنفي، ثم الشافعي. تفقه على والده حتى برع في مذهب أبي حنيفة وصار من فحول النظر، ومكث كذلك ثلاثين سنة، ثم صار إلى مذهب الشافعي، وأظهر ذلك في سنة (٤٦٨ هـ)، فاضطرب أهل مرو لذلك، وتشوش العوام، فخرج منها، وخرج معه طائفة من الفقهاء، وقصد نيسابور فاستقبله الأصحاب استقبالاً عظيماً، صنف في التفسير، والفقه والحديث، والأصول، فالتفسير في ثلاث مجلدات وهو مطبوع، وكتاب البرهان، والاصطلاح الذي شاع في الأقطار، وكتاب القواطع في أصول الفقه، وكتاب الانتصار في الرد على المخالفين، وكتاب المنهاج لأهل السنة وكتاب القدر. وأملى قريباً من تسعين مجلساً. ولد في ذي الحجة سنة (٤٢٦ هـ)، ومات في ربيع الأول سنة (٤٨٩ هـ)^(٢).

• التعريف بالتفسير:

جاء التفسير مقتصداً بين الإسهاب والإيجاز، اشتمل على فنون التفسير كافة، من بيان معاني الآيات وتفسير غريب الألفاظ، وذكر القراءات وتوجيهها، وبيان المشكل من إعراب الآيات.

وبرزت فيه شخصيته الأصولية في ترجيحاته بين الآراء المختلفة، وإن كان الغالب عليه

(١) الوسيط: ١/١٦٠.

(٢) ينظر: المنتظم: ١/٩؛ الوافي بالوفيات: ٩٦/٢٦؛ طبقات الشافعية الكبرى: ٤/٢١؛ النجوم الزاهرة:

١٦٠/٥.

اتفاقه مع جمهور المفسرين في المسائل المختلف فيها^(١).

ومن نماذج تفسيره ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

«قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ الآية، يكاد كلمة القرب، يكاد يفعل، أي: قرب يفعل، (يخطف أبصارهم) والخطف استلاب بسرعة، وهذا من تمام المثل، ومعناه على القول الأول تكاد دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة، ومعناه على القول الآخر: يكاد القرآن يبهر قلوبهم»^(٣).

فهو تفسير معتبر معتدل مهذب من الروايات الموضوعية.

• تفسير البغوي:

• ترجمة البغوي:

هو الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، أو ابن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحبي السنة، فقيه، محدث، مفسر. ولد سنة (٤٣٦هـ) نسبته إلى (بغا) من قرى خراسان، بين هراة ومرو. كان إماماً جليلاً ورعاً زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً بين العلم والعمل، سالكاً سبيل السلف له في الفقه اليد الباسطة. تفقه على القاضي الحسين وهو أخص تلامذته به، وكان رجلاً مخشوشناً يأكل الخبر وحده، فعذل في ذلك فصار يأكله بالزيت وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة، سمع الحديث من جماعات منهم أبو عمر عبد الواحد

(١) ينظر: منهج الإمام أبي المظفر السمعاني في الترجمات من خلال كتابه تفسير القرآن، رسالة ماجستير مقدمة من الطالب فهد بن سالم رافع الغامدي إلى كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م: ٣٣٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠.

(٣) تفسير السمعاني، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م:

المليحي وأبو الحسن عبد الرحمن له (التهذيب) في فقه الشافعية، و(شرح السنة) في الحديث، و(لباب التأويل في معالم التنزيل) في التفسير، و(مصابيح السنة) و(الجمع بين الصحيحين) وغير ذلك.

توفي بمرور سنة (٥١٦ هـ)^(١).

• التعريف بالتفسير:

تفسير البغوي المعروف باسم معالم التنزيل من التفاسير المعتمدة لدى العامة والخاصة، وهو متوسط الحجم، وقد هذب من الآثار الموضوعية، وقد ذكر في مقدمة تفسيره إسناده بالرواية ولم يكرهه، إيثاراً للإيجاز، وهو في عمله هذا كان مجيداً لأنه من حافظ الحديث المعروفين، قال في مقدمته: «وما ذكرت من أحاديث رسول الله ﷺ في أثناء الكتاب على وفاق آية أو بيان حكم فإن الكتاب يُطلب بيانه من السنة، وعليها مدار الشرع وأمور الدين، فهي من الكتب المسموعة وأئمة الحديث، وأعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير»^(٢).

ويمكن إيجاز أهم خصائصه بما يأتي:

لم يبالغ في عرض القراءات ومباحث الإعراب، ونكت البلاغة، والاستطراد إلى علوم أخرى لا صلة لها بعلم التفسير.

كان قليل الترجيح بين الروايات المختلفة.

مع تقدمه في علم الحديث إلا أنه روى عن بعض الضعفاء، كما أنه أورد بعض الإسرائيليات من دون تعليق عليها.

الكتاب في الغالب هو مختصر لتفسير الثعلبي الكشف والبيان^(٣).

(١) ينظر: وفيات الأعيان: ١٣٦/٢ وفيه رواية أخرى في وفاته سنة (٥١٠ هـ)؛ طبقات الشافعية، للأسنوي:

١٠١/١؛ طبقات الشافعية، لابن شعبة: ٢١٤/٤؛ شذرات الذهب: ٤٨/٤.

(٢) معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧ م: ٣٨/١.

(٣) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية: ١٩٣/٢.

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز لأبرز مفسري الشافعية في القرون الستة الهجرية، مع عرض بعض كتب التفسير، أو جزأهم ما توصلت إليه من نتائج بما يأتي:
إن جهود علماء الشافعية كان جهداً كبيراً متميزاً أثرى مدرسة تفسير القرآن الكريم إذ تنوعت لديهم اتجاهات التفسير.

إن الاقتصار على مفسري هذه الحقبة الزمنية جاء متمشياً مع حجم البحث، والقرون اللاحقة بحاجة إلى دراسة للوقوف على جهود مفسري الشافعية فيها.
إن للإمام الشافعي تفسيراً في أحكام القرآن هو في عداد المفقودات، وجمع الإمام البيهقي ما تناثر من أقوال الشافعي في الكتب؛ لكنه لم يستوعب جميع الأقوال، فانبرى أحد المعاصرين وهو الفرّان لجمع ما تشتت من هذه الأقوال.
كثيرة هي التفاسير الشافعية المهمة في هذه الحقبة التي تركت آثارها في التفاسير الأخرى بقوة، وقد عرضت لبعضها في المبحث الثالث.

إن تفاسير علماء الشافعية تباينت في مناهجها وفي تجاوزها للأخطاء التي يقع بها المفسرون عادة مثل الاعتماد على المرويات الموضوعية، كما تباينت الاتجاهات العقدية لهم، فبعضهم كان يميل للاعتزال وبعضهم كان أشعرياً.

هذه أهم النقاط التي خلصت منها، والله نسأل أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه.

وصلّى الله على سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

* * *

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

الإتقان في علوم القرآن، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

أحكام القرآن، للشافعي، جمعه الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي النيسابوري، (ت ٤٥٨هـ)، عرف الكتاب وكتب تقدمته: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، (ت ١٣٧١هـ)، حققه: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.

اختلاف الحديث، للشافعي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

الأم، للشافعي، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ

إنباه الرواة على أنباه النحاة، للوزير أبي الحسن جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي، (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٥٢م.

البداية والنهاية، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، بلا تاريخ.

البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله ابن بهادر الزركشي الشافعي، (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي،

الرياض الندية فيمن فسّر القرآن من الشافعية

(ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط ١، مصر، ١٩٦٤م.

تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، (ت ١٣٤٢هـ)، نقله إلى العربية، د. محمود فهمي حجاز، د. فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٨م
تاريخ بغداد أو مدينة السلام، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.

تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، (ت ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ

تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز التركماني الذهبي، (ت ٧٤٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.
تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: الدكتور أحمد بن مصطفى الفران، دار التدمرية، السعودية، ط ١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

تفسير السمعاني، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن- الرياض- السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي بن أبي حاتم، (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيداً، ط ١، بلا تاريخ.

تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (ت ٦٧٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، (ت ٨٥٢هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (ت ٤٣٠هـ)،
دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥هـ
- الرسالة، للشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م.
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لمحمد بن جعفر الكتاني،
(ت ١٣٤٥هـ)، تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني، دار البشائر الإسلامية،
بيروت، ط ٤، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- سنن البيهقي الكبرى، للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة
المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي،
مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣هـ
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي
الدمشقي، (ت ١٠٨٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.
- صفة الصفوة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي،
(ت ٥٩٧هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الهند، ط ١، ١٣٥٥هـ
- طبقات الشافعية الكبرى، لأبي نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي
السبكي، (ت ٧٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، و د. محمود محمد الطناحي،
دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، ط ٢، ١٩٩٢م.
- طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبه، (ت ٨٥١هـ)،
تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ
- طبقات الشافعية، لجمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي، (ت ٧٧٢هـ)،
تحقيق: عبد الله الجبوري، رئاسة ديوان الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي، مطبعة الإرشاد،
ط ١، بغداد، ١٩٧٠م.
- طبقات الشافعية، لمحمد بن أحمد بن محمد العبادي الهروي، (ت ٤٥٨هـ)، مطبعة

ليدن، ١٩٦٤م.

طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، (ت ٤٧٦هـ)، تحقيق: خليل الميس، دار القلم، بيروت، بلا تاريخ.

طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأندروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٩٩٧م.

طبقات المفسرين، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٣٩٦هـ.

العبر في خبر من غبر، للذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، وفؤاد سيد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط ٢، ١٩٤٨م.

الفتاوى الكبرى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٣٨٦هـ.

الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي، المخطوط- الفقه وأصوله، مؤسسة آل البيت، الأردن، بلا تاريخ.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي، (ت ١٠٦٧هـ)، طبع بعناية محمد شرف الدين يالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

الكشف والبيان، للشعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٥هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي، للدكتور أكرم يوسف عمر القواسمي، دار النفائس

الرياض الندية فيمن فسّر القرآن من الشافعية

للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣م.

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمد عبد الله بن أسعد اليميني المكي الياضي (ت ٧٦٨هـ)، منشورات مؤسسة العلمي للمطبوعات، سنة ١٩٧٠م، وهي طبعة مصورة على ط ١، بحيدرآباد الدكن ١٣٣٧هـ.

مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، لسبط الجوزي شمس الدين أبي المظفر يوسف بن فرغلي، (ت ٦٥٤هـ)، طبع حيدرآباد ١٣٧٠هـ-١٩٥١م.

معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي، (ت ٦٢٦هـ)، مطبعة دار المأمون، مصر، ١٩٣٦م.

معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمر رضا كحالة، (ت ١٤٠٨هـ)، مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

مفتاح السعادة ومصباح السيادة، لأحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده، (ت ٩٦٨هـ)، حيدرآباد- الهند، ١٣٥٦هـ.

مناقب الشافعي، للبيهقي، تحقيق: السيد محمد صكر مكتبة دار التراث بالقاهرة، دار النصر للطباعة، ط ١، ١٩٧١م.

منهج الإمام أبي المظفر السمعاني في الترجيحات من خلال كتابه تفسير القرآن، رسالة ماجستير مقدمة من الطالب فهد بن سالم رافع الغامدي إلى كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

منهج الإمام الشافعي في تفسير آيات الأحكام، محب الدين عبد السبحان، رسالة ماجستير، السعودية، ٢٠٠٦م.

منهج الماورى في تفسيره النكت والعيون، للإمام العلامة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، (٣٦٤-٤٥٠هـ)، رسالة ماجستير مقدمة من الطالب بدر محمد

الرياض الندية فيمن فسّر القرآن من الشافعية

الصميط إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة أم القرى، ١٤٠٧ هـ.
 النكت والعيون، المعروف بـ (تفسير الماوردي)، تحقيق: خضر محمد خضر، مطابع
 مقهوي، الكويت، ط ١، ١٤٠٢ هـ-١٩٨٢ م.
 الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: أحمد
 الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م.
 الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري الواحدي،
 (ت ٤٦٨ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض،
 و د. أحمد محمد صبرة، و د. أحمد عبد الغني الحيل، مكتبة الباز، المدينة المنورة،
 بلا تاريخ.
 وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن
 أبي بكر بن خلكان، (ت ٦٨١ هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط ١،
 ١٩٦٨ م.

* * *

الحوار في المنظور القرآني

وأثره في التعايش

الأستاذ المساعد الدكتور

صديق خليل صالح

كلية الإمام الأعظم «رحمه الله» الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الملك العلام، ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه الكرام.

أما بعد:

فيعد الحوار من المسائل المهمة كونه أداة عملية في الوصول إلى الحقيقة وتكوين القناعات وفي حركة الصراع في القضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية، كونه وسيلة تعبير الإنسان عن فكرة بطريقته الخاصة رفضاً أو قبولاً لأفكار الآخرين .

وهو أسلوب مهم في التقارب والتعايش، وله أثر كبير في العيش المشترك إذا ما استحكمت عناصره، وآدابه، وليس لنا في الوقوف على ذلك إلا دستورنا وكتاب ربنا (سبحانه وتعالى)، فهو المعين الذين لا ينضب، والحق الذي لا يتسرب إليه الشك، ولا تزيع به الأهواء، من قال به صدق، ومن حكم به عدل.

ولقد أسهمت بعد التوكل على الله في مؤتمر أقامته كلية الإمام الأعظم «رحمه الله» الجامعة عن فقه التعايش والتعامل في المنظور الإسلامي ببحث وأسميته **بـ (الحوار في المنظور القرآني وأثره في التعايش)** لما للحوار من أهمية عظيمة لا تخفى على أولي الألباب، الذين يتصدون ويتصدرون للدعوة والإرشاد، والدفاع عن بيضة الإسلام، والتقريب بين الناس على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، لإقامة العدل والتسامح، ولهذا رأيت أن أطبعه لينتفع منه أكبر عدد من القراء والمثقفين.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث تتلوها خاتمة.

عرضت في المبحث الأول: عن مفهوم الحوار وآدابه.

الحوار في المنظور القرآني وأثره في التعايش

وخصصت المبحث الثاني: للحوار في المنظور القرآني وأساليبه وصوره.
أما المبحث الثالث: فقد عرضت فيه حوار التعايش في المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي. ثم أتبعته بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.
فأله تعالى أسأل أن يغفر زلتي، ويقلل عثرتي، وأن ينصر أمتي، ويوحد صفها لما يرضيه ونرتجي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

* * *

المبحث الأول

مفهوم الحوار وآدابه

١. مفهوم الحوار لغةً واصطلاحاً

أولاً: الحوار لغةً: كلمة تدل على معانٍ منها: الرجوع إلى الشيء .

قال الخليل:^(١) الحور: الرجوع إلى الشيء وعنه، والمحاورة: مراجعة الكلام، حاورت فلانا في المنطق، وأحرت إليه جواباً، وما أحرار بكلمة، والاسم الحوير، تقول: سمعت حويرهما وحوارهما، والمحورة من المحاورة، كالمشورة من المشاورة، وهي مفعلة، قال الشاعر:^(٢)

بِحَاجَةِ ذِي بَثٍّ وَمَحْوَرَةٍ لَهُ كَفَى رَجْعُهَا مِنْ قِصَّةِ الْمُتَكَلِّمِ

وفي الحديث: ((نعوذ بالله من الحور بعد الكور))^(٣) أي: النقصان بعد الزيادة، وقيل:

الحوار بالفتح والكسر، والحيرة بالكسر، والحويرة بالتصغير.

يقال: كلمته فما رجع إليّ حُوراً وحواراً ومحاورةً وحويراً ومَحْوَرَةً، أي: جواباً، وإنه

لضعيف الحوار، أي: المحاورة، فالمحاورة هي المجاوبة.^(٤)

ومما تقدم فإن الحوار في اللغة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بكلمتين هما: الجدل والمناقشة،

(١) ينظر: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: ٢٨٧/٣، مادة (ح و ر).

(٢) لم أعثر على القائل.

(٣) سنن الترمذي: ٥/ ٤٩٧ برقم (٣٤٣٩) باب (ما يقول إذا خرج مسافراً) قال أبو عيسى « حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ »، والمجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي): ٨/ ٢٧٢، برقم (٥٤٩٨) (الاستعاذة من الحور بعد الكور) والسنن الكبرى للنسائي: ٤/ ٤٥٩، برقم (٧٩٣٥) (الاستعاذة من الحور بعد الكور).

(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور: ٢/ ١٠٤٣، مادة (حور)، والقاموس المحيط: ٢/ ٢٣ - ٢٤، مادة (الحوار)، وتاج العروس للزبيدي: ١١/ ١٠٧، مادة (ح و ر).

الحوار في المنظور القرآني وأثره في التعايش

ولذا قيل: حاوره محاوراً وحواراً، والمحاور: المجاوبة أو مراجعة النطق والكلام المخاطب، لذلك كان لا بد في الحوار من وجود متكلم ومخاطب لما فيه من تبادل الكلام ومراجعته.

ثانياً: الحوار اصطلاحاً:

هو لفظ عام يشمل صوراً عديدة منها المناظرة والمجادلة، ويراد به: طريقة في المناقشة والاستدلال في الكلام والحديث بين طرفين، من دون أن يكون بينهما ما يدل بالضرورة على الخصومة، والغرض منه تبادل المعلومات بين الطرفين^(١)

وقد يفترقان حين يتحول الحوار إلى لدد في الخصومة، فهو حينئذ يسمى جدالاً لا حواراً، وقد يكون مقارباً للجدل، كقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٢)، إلا أن الجدل والحوار ليسا مترادفين، لأن الجدل يعني الشدة والظفر والفتل^(٣)

وقد يكون الحوار مقارباً للمناظرة؛ لأن المتناظرين يتراجعان في الكلام في قضية ما بعد النظر فيها بعين البصيرة، إلا أن المناظرة أدل في النظر والتفكير، كما أن الحوار أدل في الكلام ومراجعته.^(٤)

فالحوار: هو الجملة المجاب عنها في حوار، أو المردود بها على استفهام في كلام مفصل.^(٥)

ويكون الحوار عندما يضطرب الذهن ويصبح العقل في حيرة بين أمر نفسه وأمر قضية من القضايا أو مسألة من المسائل، ويراد من الحوار أن يخرج من كل ذلك.^(٦) ولا بد للحوار من عناصر أربعة هي: شخصية المتحاورين، والمناخ الحوارية، والعلم

(١) ينظر: الحوار في القرآن الكريم، للأستاذ خليل إبراهيم فرج: ٨.

(٢) المجادلة: ١.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٨٩ (مادة جدل)

(٤) ينظر: أصول الحوار - الندوة العالمية للشباب الإسلامي: ٩.

(٥) ينظر: أصول الحوار: ١٠.

(٦) ينظر: الحوار في القرآن الكريم: ٨.

الحوار في المنظور القرآني وأثره في التعايش

بموضوع الحوار، وأسلوب الحوار.

أما طبيعة العلاقة بين طرفي الحوار فيجب أن تقوم على التجاوب المستمر، فضلاً عن تحلي المتحدث إلى السند القوي المقنع الواعي ليكون حجة مقنعة بين المتحاورين^(١) ومن ذلك يتبين لنا مدى الارتباط الوثيق بين المدلول اللغوي والمدلول الاصطلاحي لكلمة الحوار، إذ إن كلاً منهما مرتبط بمراجعة الكلام والجواب عن الاستفهام.

٢. آداب الحوار:

هناك آداب تتعلق بنفسية المحاور وشخصه، وهناك ظروف نفسية قد تطرأ على الحوار فتؤثر فيه تأثيراً سلبياً، فينبغي مراعاة ذلك حتى يحقق الحوار غاياته ويؤتي ثمراته. قال تعالى ﴿فَمَا رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٢).

فديننا دين الأخلاق والآداب الفاضلة، ولا بد للمحاور من آداب تأسيماً بإسلامنا وأسلافنا الذين فتحوا البلاد بأخلاقهم، ومن أهمها:^(٣)

أولاً: الإخلاص وصدق النية:

لابد لكل عمل من نية خالصة لله تعالى، ويجب أن تتوافر سلامة القصد في الحوار والمناظرة، وأن يبتعد المحاور عن قصد الرياء والسمعة، والظهور على الخصم، وحب التفوق على الآخرين، والانتصار للنفس.

ثانياً: العدل والإنصاف:

من تمام الإنصاف قبول الحق من الخصم، والتفريق بين الفكرة وقائلها، وأن يبدي المحاور إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الراجحة.

(١) ينظر: المعجم الفلسفي: ٥٩ - ٦٠.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) ينظر: آداب الحوار وقواعد الاختلاف: للدكتور عمر عبد الله كامل ٧ - ١٦.

ثالثاً: التواضع وحسن الخلق:

إن التزام الأدب وحسن الخلق عموماً والتواضع على وجه الخصوص له أثر كبير في إقناع الطرف الآخر وقبوله للحق وإذعانه للصواب، فكل من يرى من محاوره توقيراً وتواضعاً، ويلمس خلقاً كريماً، ويسمع كلاماً طيباً، فإنه لا يملك إلا أن يحترم محاوره، ويفتح قلبه لاستماع رأيه، وفي الحديث: ((وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)).^(١)

رابعاً: الحلم والصبر:

يجب على المحاور أن يكون حليماً صبوراً، لا يغضب لأدنى فكرة، ومقابلة فحش الكلام بليته، والشدة بالرفق، ورد الكلمة الجارحة بالكلمة الطيبة، وترك المؤاخذة والسماحة عن المسيء، ولا سيما في الحوار والمناظرة، وهذه منزلة لا يصل إليها إلا من صبر، لأن عاقبته الظفر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٣٤) وَمَا يُلْقَىٰهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَىٰهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ^(٣٥).^(٢)

خامساً: حسن الاستماع:

من الضرورة أن يكون المحاور متقناً لفن الاستماع، فكما أن للكلام فناً وأدباً، فكذلك للاستماع، ففي الحوار تبادل للآراء والأفكار، ولا بد للمحاور من الإنصات كي يستوعب فكرة خصمه أو محاوره، ومما ينافي حسن الاستماع مقاطعة كلام الطرف الآخر، فإنه طريق سريع للتنفير، فضلاً عن سوء أدب في الحوار.

سادساً: العلم:

شرط أساسي للخوض في أي حوار لنجاحه وتحقيق غايته، يقول ابن تيمية في التأكيد على ضرورة العلم وأهميته لمن يتصدى للحوار: «وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيخاف عليه أن

(١) صحيح مسلم: ٤ / ٢٠٠١، برقم (٢٥٨٨)، باب (استحباب العفو والتواضع).

(٢) فصلت: ٣٤ - ٣٥.

يفسده ذلك المضل، ويضر المسلمين بلا منفعة»^(١).

سابعاً: الدليل:

إن أهم سمة من سمات الحوار الناجح هو الدليل، ولا بد من إثبات الدليل، كما قيل: إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل، ولا يحسن بالمحاور أن يستدل بأدلة ضعيفة أو حجج واهية، ومتى وجد الدليل وثبتت صحته فلا بد من صحة دلالاته على المطلوب، ولا بد من ترتيب الأدلة حسب قوتها وصراحتها في الدلالة على المقصود. وهناك آداب أخرى يضيق المقام بذكرها ومنها: احترام الآخر، تهيئة الجو المناسب للحوار، عدم رفع الصوت، واستعمال الألفاظ غير الغامضة، وغير ذلك.

* * *

(١) درء تعارض العقل والنقل: لشيخ الإسلام ابن تيمية: ٧/ ١٧٣ .

المبحث الثاني

الحوار في المنظور القرآني

إن للقرآن الكريم أسلوباً متميزاً في الحوار، يسترعي الانتباه، ويلفت الأنظار، ويترك للعقول المجال الواسع لاستنباط العبر والعظات من تلك المحاورات العديدة التي حفل بها القرآن الكريم، والتي جاءت متناثرة بين دفتي هذا المصحف العظيم، وقد تناولت مختلف المحاور، وشتى المواضيع التي تهتم الناس كافة.

ولو تأملنا قليلاً في القرآن الكريم نجد أن غالب الآيات التي دار فيها الحوار تتحدث عن الإيمان بالله تعالى، ووحدانيته، وأحقيته بالعبادة دون غيره، والإيمان برسله، والإيمان بالبعث والجزاء، وهذه العناصر الثلاثة من أهم قضايا القرآن الكريم، ولهذا كانت موضع جدل وحوار، كما جاءت بعض المحاورات لبيان مسألة أو حكم فقهي.

فالقرآن الكريم بشموليته لم يترك لنا باباً إلا و تناوله بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، التي حاج بها خصومه في صورة جلية واضحة يدركها القاصي والداني، والجاهل والمتعلم، لأنه دستور هذه الأمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

فالقرآن الكريم وضع القواعد وأصل الأصول لحل جميع القضايا، ومن أهمها الحوار القائم على العقل والدليل، لا على القوة والجهالة.

ولو نظرنا ملياً في كتاب الله العزيز، نجد أن لفظ (الحوار) لم يرد في القرآن الكريم إلا في ثلاثة مواضع، موضعان منها في سورة الكهف، والثالث في سورة المجادلة.^(١)

إذ إن غالبية المحاورات جاءت بصيغ مختلفة بحسب موضع الآية ومدلولها، ومناسبة الألفاظ واختلافها باختلاف الشخصيات والمخاطبين، وبما يقتضيه المجال، ومن هذه

(١) ينظر: المعجم المفهرس: محمد فؤاد عبد الباقي: ٢٢٠.

الألفاظ: المشاورة، والمحاججة، والمجادلة، والمجاوبة، والمخاصمة وغيرها.
وسنعرض في هذه العجالة بعض هذه الصور لتمام الفائدة وبيان منهج القرآن الكريم
الذي أفحم الفصحاء وأعجز البلغاء.

أولاً: حوار الله تعالى مع الملائكة:

إن الله (سبحانه وتعالى) هو الجبار ذو القوة المتين، القادر على إنهاء الخلاف كما يريد،
ولاسيما مع الملائكة الذين ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١).
قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ
فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ
مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

قال المفسرون: فائدة قوله تعالى هذا للملائكة تعليم المشاورة، وتعظيم شأن المجعول،
بأن بشر (عز وجل) بوجود سكان ملكوته، ولقبه بالخليفة قبل خلقه، وإظهار فضله الراجح
على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان أن الحكمة تقتضي إيجاد ما يغلب خيره،
فإن ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير إلى غير ذلك، وتعجب الملائكة من أن
يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها، أو يستخلف مكان أهل الطاعة أهل
المعصية واستكشاف ما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد وألفتها،
واستخبار عما يرشدهم، ويزيح شبهتهم، كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره،
وليس باعتراض على الله تعالى جلت قدرته، ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة،
فإنهم أعلى من أن يظن بهم ذلك لقوله عز من قائل ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾^(٣) لَا
يَسْقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ^(٣) وإنما عرفوا ذلك بإخبار من الله

(١) التحريم: ٦.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) الأنبياء: ٢٦ - ٢٧.

تعالى، أو تلقى من اللوح، أو استنباط عما ركز في عقولهم أن العصمة من خواصهم.^(١)

ثانياً: حوار الله تعالى مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

ومن ذلك قوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾^(٢) قال المفسرون: لم يكن إبراهيم (عليه السلام) شاكاً في إحياء الله تعالى الموتى قط، وإنما طلب المعاينة، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به، ولذلك قال نبينا محمد ﷺ (ليس الخبير كالمعانية)^(٣) كما أن سؤال إبراهيم (عليه السلام) وسائر ألفاظ الآية لم تعط شكاً؛ وذلك لأن الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حالة شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسؤول، نحو قولك: كيف علم زيد؟ و: كيف نسج الثوب؟ ونحو هذا، كما أن الأنبياء معصومون ومتفقون على الإيمان بالبعث، وقد أخبر سيدنا إبراهيم (عليه السلام) أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين، فقله: ﴿أَرِنِي كَيْفَ﴾ طلب مشاهدة الكيفية.^(٤)

ثالثاً: حوار النبي ﷺ مع اليهود ومحاجتهم إياه:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾

(١) ينظر: معالم التنزيل: للإمام البغوي ٣/ ٢٨٦، وزاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي: ٥/ ٣٤٧،

والتسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي الكلبي: ٢/ ٢١، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي: ٤/ ٤٩.

(٢) البقرة: ٢٦٠.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ١/ ٢١٥، برقم (١٨٤٢)، مسند (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ)،

قال شعيب الأرنؤوط: «حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين»، والمستدرک للحاكم: ٢/ ٣٥١،

برقم (٣٢٥٠) باب (تفسير سورة الأعراف)، قال الذهبي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ».

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ٣/ ٢٩٧، ومدارك التنزيل: للنسفي: ١/ ٢١٥، ٢١٦، وفتح

القدر: الشوكاني: ١/ ٢٨١.

الحوار في المنظور القرآني وأثره في التعايش

وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ (١)

المحاجة وردت في هذه الآية بمعنى المنافرة والمخاصمة، وهي من (الحُجَّة) اسم مضعف على زنة (فُعلة) أي: برهان أهل الحق والدلالة البينة للمحاجة، أي: المقصد المستقيم الذي يقتضي صحة أحد النقيضين. (٢)

قال المفسرون: روي أن أهل الكتاب قالوا: الأنبياء كلهم منا، لو كنت نبيا لكنت منا، فجادلوا في الله تعالى وفي شأنه واصطفائه نبياً من العرب دونهم بحجة واهية، فنزلت ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ الاختصاص له بقوم دون قوم، يصيب برحمته من يشاء من عباده، فكأن الله تعالى ألزمهم على لسان نبيه ﷺ على كل مذهب ينتحلونه إفحاماً وتبكيماً، فإن كرامة النبوة إما تفضل من الله سبحانه على من يشاء من عباده والكل فيه سواء، وإما إفاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالإخلاص، وكما أن لكم أعمالاً ربما يعتبرها الله في إعطائها، فلنا أيضاً أعمال، ونحن له موحدون ومخلصون فخصه بالإيمان والطاعة دونكم. (٣)

رابعاً: حوار الكافر للمؤمن:

قال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كِتَابَ الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلُهُا وَلَمْ تُظَلِّمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَاهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودَتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ

(١) البقرة: ١٣٩.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز: الفيروزآبادي: ٤٣١ / ٢.

(٣) ينظر: الكشاف: للزمخشري: ١٩٧/١، وأنوار التنزيل: للبيضاوي: ١٠٩ / ١، وروح المعاني للآلوسي:

بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصَبِّحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴿١﴾.

قال المفسرون: هذا مثل لمن يتعزز بالدنيا ويستنكف عن مجالسة المؤمنين، واختلف في اسم هذين الرجلين وتعيينهما، فقيل: نزلت في أخوين من أهل مكة مخزوميين أحدهما مؤمن والآخر كافر، وقيل: هو مثل لجميع من آمن بالله وجميع من كفر، والعبارة في هذه الآيات بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، إذ يضرب الله تعالى لنا المثل في رجلين وما جرى بينهما من حوار، كل بحسب عقيدته وإيمانه، من حيث أحوالهما المستفادة من هذه الآيات، وعصيان الكافر مع قلبه في نعم الله تعالى وطاعة المؤمن مع مكابדתه مشاق الفقر، ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ أي: الكافر للمؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أي: يراجعه في الكلام، من حار إذا رجع، أنا أكثر منك مالاً وأعاوناً وأولاداً، ودخل جنته مستكبراً وهو ظالم لنفسه لطول أمله وتمادي غفلته، فأجابه صاحبه بموعظة حسنة وذكره بفناء جنتيه ونهاه عن الاعتزاز بهما، وأمره بتحصيل الباقيات الصالحات، وساق الأدلة في ذلك، ومنها: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ لوح له بدليل البعث والجزاء، وبعد أن أهلك الله تعالى أمواله المعهودة، أظهر الندم وهو يقلب كفيه، كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه إنما أتى من قبل شركه ولم يصبه ما أصابه. (٢)

خامساً: حوار النبي ﷺ مع خولة بنت ثعلبة ومجادلتها إياه:

قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ

(١) الكهف: ٣٢ - ٤٢

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠ / ٣٩٨، وإرشاد العقل السليم: للقاضي أبي السعود: ٥ / ٢٢١ -

٢٢٣، وتفسير الجلالين: ١ / ٣٨٥.

تَحَاوَرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ (١)

المجادلة: ضرب من ضروب الحوار، وهو المعارضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وقيل: الأصل في الجدل الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة أي الأرض الصلبة. (٢)

ومفهوم المجادلة في هذه الآية يخرج عن المعنى الذي وضع له، فلم تكن هناك خصومة وإنما صريح الآية يدل على الشكوى بالنجاح السائلة ومراجعتها للكلام في قضية الظهار.

قال المفسرون: عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله، أبلى شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني! اللهم أشكو إليك.. فما برحت حتى نزل جبريل (عليه السلام) بهذه الآيات.

والظهار كان من أشد طلاق الجاهلية، لأنه في التحريم أوكد ما يمكن، كما أن هذه الواقعة تدل على أن من انقطع رجاءه عن الخلق ولم يبق له في مهمة أحد سوى الخالق كفاه الله تعالى ذلك المهم، وفي هذه الآية بعض الأقوال اللطيفة منها: ﴿قَدْ﴾ معناه التوقع، لأن رسول الله ﷺ والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها.

والجدال نسب إلى المجادلة، ولم ينسب إلى رسول الله ﷺ وتلك المجادلة كلما قال لها: ((حرمت عليه)) قالت: والله ما ذكر طلاقاً، وثانيها شكواها إلى الله تعالى، وقولها: إن لي صبيبةً صغاراً.

فدار هذا الحوار والمراجعة في الكلام ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أي:

(١) المجادلة: ١.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ٢/ ٣٧٣ - ٣٧٤.

يسمع كلام من يناديه، ويبصر من يتضرع إليه.^(١)

سادساً: الفوائد المستخلصة من الآيات:

١. يعد الحوار منهجاً ريبانياً وأسلوبياً من أساليب القرآن الكريم، فبين لنا جل جلاله هذا المنهج من خلال ذاته العلية وهو يحاور الملائكة، فهو النموذج الأعلى والأسمى في تعليم البشرية وإرشادهم مع دنو مرتبة الملائكة من ذاته المقدسة، وأعطى (سبحانه وتعالى) في هذه المحاورة درساً بليغاً في الشورى وبيان مكانة الإنسان، كما أنها رسالة واضحة إلى ذوي الجاه والسلطان بأن لا يضيّقوا برأي المخالف، بل الواجب أن تتسع صدورهم وعقولهم لاستيعاب ما يوجه إليهم من تساؤلات، وأن لا يركنوا إلى القوة لردع كل من خالفهم، بل معتمدين على الحجة والبرهان، حتى يتضح الحق فيرجع المجانب عن رأيه ويتوب إلى الله تعالى وكل هذا من أساسيات التعايش التي لا بد منها.

٢. لا بد للمقدمات من نتائج، ولا بد للحوار من ثمرات، فالحوار القرآني في الأغلب يدعو إلى الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله والقيامة والجزاء، وإخراج الناس من الشرك والضلال إلى عقيدة سليمة تتناسب وفطرة الإنسان التي فطر الله الناس عليها، ورغم أن النتائج في بعض المحاورات لم تكن إيجابية، إلا أن الله (سبحانه وتعالى) سطرها في كتابه العزيز لتكون درساً بليغاً آخر إلى البشرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، كما أن العناد والاستكبار وعدم الرضوخ للحق سبب للهلاك والندامة، وبذلك لا بد للمتعايشين من الرجوع إلى الحق والصواب وعدم التعصب للشعارات الواهية والدعاوى الجاهلية، ليستقيم أمر الأمة بما يرضي الله تعالى في المعاش والمعاد.

٣. جاء الحوار في القرآن الكريم بطرق متعددة ومناهج مختلفة لكي نستلهم من خلاله العبر والعظات، التي تزرع في قلوبنا الإيمان، ويوضح لنا كيفية التعامل والتعايش مع الناس عبر الحوار البناء الناتج عن العقل الواعي المدرك الذي وهبه الله تعالى للعباد لإعماله

(١) ينظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٤٤، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٥/ ٢٧٢ والتفسير الكبير للرازي:

ويكون سببا للسعادة لا الشقاء.

٤. نجد أن بعض المحاورات التي دارت بين الأنبياء وأقوامهم المعاندين المستكبرين أظهرت ما قوبل به الأنبياء والمرسلون من صلف وتبجح وعناد من أقوامهم، كما أظهرت لنا الطريقة التي اتبعها الأنبياء في محاوراتهم باللين والرفق تارة، وبالترهيب تارة أخرى، هدفهم من ذلك كله أن يستجيب أقوامهم إلى الإصلاح والرشاد.

٥. ديننا خاتم الأديان ونبينا خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وليس بعد ذلك شيء، فلا بد لنا من الوقف على أخطاء و عثرات الآخرين التي أصابت الأقسام قبلنا من خلال المحاورات والمجادلات التي نلقها لنا القرآن العظيم، وبينها رسولنا الكريم، وأن نتأسى بالذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم، وسنة الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، لترتقي بأمتنا إلى ما يرضي الله تعالى ونتعاش كما أمرنا الله (سبحانه وتعالى)، وكما تعاش الناس على عهد رسول الله ﷺ وهذا أمر إلهي إذ يقول سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) ويقول نبينا محمد ﷺ: ((المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم)). (٢)

* * *

(١) الحجرات: ١.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٢ / ١٩٢، برقم (٦٧٩٧)، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح وإسناده حسن .

المبحث الثالث

حوار التعايش

أولاً: حوار التعايش في المفهوم الإسلامي

التعايش لغةً: عايشه: عاش معه، كقوله: عاشره، قال الشاعر:

وقد عَلِمْتُ عَلَى أَنِّي أَعَايَشُهُمْ لَا تَبْرُحُ الدَّهْرُ إِلَّا بَيْنَنَا إِحْنُ

والمعيشة ضرب من العيش، يقال: عاش عيشة صدق، وعيشة سوء، والمعاش والمعيش

والمعيشة ما يعاش به، فالعيش هو المطعم والمشرب وما يكون به الحياة، والأرض معاش

للخلق،^(١) قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا﴾.^(٢)

مما سبق يتضح لنا أن هناك أموراً مشتركة بين الإنسان وجنسه، فلا يستغني كل إنسان

عنها، وهي: المطعم والمشرب والأرض التي أوجدها الله تعالى واستخلف بني آدم فيها،

فهذا كله لديمومة وجود الإنسان عليها، لعبادة الله تعالى وعمارته.

فحوار التعايش في المفهوم الإسلامي هو الحوار المتعلق بالعلاقة المعيشية البحتة

بين معتنقي الأديان، ويهدف إلى تحسين العلاقة بين الشعوب والطوائف والأمم، أو بين

الشعوب والأقليات التي تعيش معها، بالضوابط الشرعية المستقاة من ديننا الحنيف،

فالإسلام يرحب به، ويدعو إليه من خلال الإحسان والبر والقسط.^(٣)

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ

وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.^(٤)

(١) ينظر: تهذيب اللغة: لأبي منصور الأزهري: ٣/ ٣٩، ولسان العرب: ٤/ ٣١٩٠، مادة (عيش)

(٢) الأعراف: ١٠.

(٣) ينظر: الحوار بين الأديان - حقيقته وأنواعه: لأبي زيد بن محمد مكي: ١٠.

(٤) الممتحنة: ٨.

الحوار في المنظور القرآني وأثره في التعايش

* وأهم ضوابط الحوار في المفهوم الإسلامي:

١. مراعاة جانب الولاء والبراء.

٢. إقامة العدل.

٣. الحكمة في الدعوة والمعاملة.^(١)

كما أن الهدف من الحوار الإسلامي مع أصحاب الديانات الأخرى هو دعوتهم للدين الإسلامي الذي هو خاتم الأديان، ولم يتسرب إليه التحريف والتبديل رغم محاولات الأعداء، وإيضاح محاسن الإسلام، وبيان ما هم عليه من باطل، وإنقاذهم من ظلمات الشرك والجهل.^(٢)

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

قال المفسرون: الخطاب مع اليهود والنصارى أو مع نصارى نجران، حين دعاهم رسول الله ﷺ وكان حريصاً على إسلامهم، لما أورد إليهم عليه الصلاة والسلام أنواع الدلائل، ثم دعاهم إلى المباهلة فخافوا وما شرعوا فيها، وقبلوا الهوان والصغار بأداء الجزية، فكأنه تعالى قال: يا محمد، اترك ذلك المنهج من الكلام واعدل إلى منهج يشهد كل عقل سليم، وطبع مستقيم، أي هلموا إلى كلمة فيها إنصاف من بعضنا لبعض ولا ميل فيه لأحد على صاحبه، وهي ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾.

وإنها لدعوة منصفة من غير شك، دعوة لا يريد بها النبي ﷺ أن يتفضل عليهم هو ومن معه من المسلمين، كلمة سواء يقف عندها على مستوى واحد، دعوة لا يأبأها إلا

(١) ينظر: الحوار بين الأديان - حقيقته وأنواعه: لأبي زيد بن محمد مكي: ١١.

(٢) ينظر: الحوار العربي الأوروبي: لهيفاء أحمد السامرائي: ٥ - ٩.

(٣) آل عمران: ٦٤.

متعنت مفسد، لا يفيء إلى الحق القويم.^(١)

ثانياً: حوار التعايش في المفهوم الغربي:

حوار التعايش في المنظور الغربي بكل أنواعه وسيلة تنصيرية واستعمارية، ومناورة سياسية، لتحقيق مكاسب عقدية وسياسية واقتصادية، وغيرها.

وهناك بعض الحقائق التي توضح حقيقة الحوار عند الغربيين: ذكر (دانيال آر

بروستر) في محاضرة له بعنوان: (الحوار بين النصارى والمسلمين) حقائق عدة منها:

١. في عام ١٩٦٠م رفع مجلس الكنائس العالمي الحوار مع المسلمين، وكان يعد هذا الحوار وسيلة مفيدة للتنصير، فالحوار هو وسيلة لكشف معتقدات وحاجيات شخص آخر، هي نقطة بداية شرعية للتنصير.

٢. ذكر (هوكيتسكل) زعيم حزب العمال البريطاني في كتابه (التعايش السلمي والخطر الذي ينتابه) تعريف التعايش بأنه: مناورة خالصة، وهي ظاهرة مؤقتة قد تقتضي تحوير السياسة، وتخفيف الضغط.

٣. إن الحوار بالنسبة للكنيسة هو عبارة عن أداة، وبالتحديد عبارة عن طريقة للقيام بعملها في عالم اليوم.^(٢)

كما رفع الغرب شعار التعايش والتسامح مع العرب والمسلمين، بعد نشوب الحرب مع إسرائيل عام ١٩٧٣م وقيام القوات العربية في إنزال الضربات القوية بالمحتل الإسرائيلي، وقرار وزراء النفط العرب بفرض الحصار النفطي على الولايات المتحدة الأمريكية، وتخفيض مستوى الضخ حتى يتحقق الجلاء، كما فرضت الحظر النفطي على هولندا، لموقفها العدائي من العرب، فكان لابد من الغرب بعد هذا برفع شعارات التعايش مع المسلمين، ليتطور هذا الشعار حتى أصبح دعوى فكرية تخفي وراءها أهدافاً عقدية

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٨ / ٢٥١، وتفسير السعدي: ١ / ١٣٣، وفي ظلال القرآن: ١ / ٤٠٦.

(٢) ينظر: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٨م، ٧٦٧ - ٧٨٣.

وثقافية وسياسية واقتصادية، منها:

تشويه حكم الردة في الإسلام، وإضعاف عقيدة الولاء والبراء، ومحاربة مفهوم الجهاد في الإسلام، وامتصاص غضب المسلمين من الظلم الحاصل عليهم.^(١)

ثم تأتي محاولة (روجيه جارودي) للتجاوز بين الأديان على أساس إقامة وحدة فيدرالية للطوائف الدينية، ورأى أن الرابط بين الأديان هو الإيمان بمعناه الأرحب والأوسع، والذي يمكن أن يوجد حتى عند الملحدين، فهم لديهم إيمان بالإنسان، وهذه المعادلة قابلة للعيش وإن لم تتحقق في تاريخ اليهودية والنصرانية والإسلام، ويمكن أن تصل بنا إلى روابط الجماعة، وروابط الأرض، والسوق المشتركة، وحتى روابط الماضي، والثقافة، ولكنني أعترف، والقول لـ جارودي: إن هذا أحد الأسباب الذي جذبني للإسلام، وذلك لأنه أكثر الديانات جمعاً وتوحيداً للإنسان، وهو بمثابة عصارة وزبدة الأديان.^(٢)

ويتضح لنا مما سبق أن الحوار من أجل التعايش يختلف بمضمونه من أمة إلى أمة، ومن ثقافة إلى أخرى، ويختلف بوسائله باختلاف دعائه وأغراضهم ومقاصدهم.

وإذا أردنا أن نكون أكثر إنصافاً فأقول: ربما يوجد من يريد التعايش ويسعى له في عالم الدول الغربية، ولم تسعفني المصادر للوقوف على مثل هؤلاء، ولكننا نتعايش مع الواقع في حاضرتنا، الذي يثبت كل النظريات التي وضعها قادة الفكر الغربي، وما يسعون إليه من تمزيق هذه الأمة التي حفظها الله تعالى، وحفظ بها دينه، وما نعيشه في عراق اليوم، دليل آخر يضاف إلى سجل المكر والخديعة لإسلامنا وأمتنا.

ثم نلاحظ البون الشاسع في مفهوم الحوار من أجل التعايش بين المنظور الإسلامي والمنظور الغربي، ولم يتأت هذا الفرق إلا من الاختلاف في العقيدة والمقصد.

* * *

(١) ينظر: الحوار العربي الأوروبي: لأحمد صدقي الدجاني: ١٠ .

(٢) ينظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة: للدكتور ناصر العقل: ٤١٢ .

الحوار في المنظور القرآني وأثره في التعايش

الخاتمة

يمكن أن نجمل أهم النتائج التي أفضى إليها هذا البحث بما يأتي:

الحوار في اللغة له مدلولات عدة منها: المراجعة، والنقصان، والمجادلة، والمناظرة، والمدافعة، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمدلول الاصطلاحي، الذي هو: مراجعة الكلام والحديث بين طرفين.

للحوار آداب يجب على المحاور أن يلتزم بها، أقرها الإسلام وساقها علماء الأخلاق من أهمها: الإخلاص، وصدق النية، والعدل، والعلم، والتواضع، والصبر، وحسن الاستماع، والدليل.

إن للقرآن الكريم أسلوباً مميزاً في الحوار يسترعي الانتباه، ويلفت الأنظار يتناسب وعالمية الإسلام، وشموليته لمخاطبة جميع الناس على اختلاف ألوانهم وألسنتهم، فالقرآن الكريم وضع القواعد لحل جميع القضايا ومن أهمها الحوار القائم على العقل والدليل، ويعد الحوار القرآني منهجاً ربانياً في تعليم البشرية أساليب الحوار الناجع في الدعوة والتعايش بين الناس والاعتماد على الحجة والبرهان، وإعمال العقل في إرشاد الناس لطريق الحق في المعاش والمعاد.

حوار التعايش في المفهوم الإسلامي يهدف إلى تحسين العلاقة بين البشر، وإنقاذهم من ظلمات الشرك والجهل، وإقامة العدل والتسامح والحكمة في التعايش فيما بينهم. حوار التعايش في المفهوم الغربي يعد وسيلة لتحقيق المكاسب العقدية والسياسية والاقتصادية، يختلف باختلاف الأغراض والمقاصد ولا يقيم للتعايش وزناً، ويختلف اختلافاً جذرياً مع مقصد الإسلام في التعايش، وعلى المسلمين دوماً أن يعوا ما يحيط بهم بالتمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

الحوار في المنظور القرآني وأثره في التعايش

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ١- الاتجاهات العقلانية الحديثة، د. ناصر العقل، (د.ت.ط)
- ٢- آداب الحوار وقواعد الاختلاف، د. عمر عبد الله كامل (د.ت.ط)
- ٣- أسباب النزول أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري الشافعي المتوفى: ٤٦٨هـ (د.ت.ط)
- ٤- أصول الحوار الندوة العالمية للشباب الإسلامي
- ٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ.
- ٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي، (د.ت.ط).
- ٧- تاج العروس محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، (د.ت.ط)
- ٨- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ.
- ٩- تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د.ت.ط)
- ١٠- تفسير الجلالين، المحلي والسيوطي، (د.ت.ط)
- ١١- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد

الحوار في المنظور القرآني وأثره في التعايش

بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

١٢ - التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي لأعمال المؤتمر التبشيري/الولايات المتحدة عام ١٩٧٨م.

١٣ - تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، (د.ت.ط.)

١٤ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

١٥ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، (د.ت.ط.)

١٦ - الحوار بين الأديان حقيقته وأنواعه، أبو زيد بن محمد مكي /موقع تونس المسلمة .

١٧ - الحوار العربي الأوربي، احمد صدقي الدجاني، (د.ت.ط.)

١٨ - الحوار العربي الأوربي، هيفاء احمد السامرائي، (د.ت.ط.)

١٩ - الحوار في القرآن الكريم، خليل إبراهيم، (د.ت.ط.)

٢٠ - درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٢١ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألويسي، (د.ت.ط.) .

٢٢ - زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ .

الحوار في المنظور القرآني وأثره في التعايش

٢٣ - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٢٤ - سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩١ .

٢٥ - صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (د.ت.ط)

٢٦ - العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت.ط)

٢٧ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر - بيروت، (د.ت.ط)

٢٨ - في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة السابعة عشر - ١٤١٢ هـ .

٢٩ - القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) (د.ت.ط) .

٣٠ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ .

٣١ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، المحقق: عبد الله علي الكبير - محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف - القاهرة، (د.ت.ط)

٣٢ - المجتبي من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق عبد

الحوار في المنظور القرآني وأثره في التعايش

- الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
- ٣٣ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- ٣٤ - المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.
- ٣٥ - مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة - القاهرة.
- ٣٦ - معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- ٣٧ - المعجم الفلسفي، جمال صليبا (د.ت.ط)
- ٣٨ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ت.ط)
- ٣٩ - مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- ٤٠ - المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المتوفى ٥٠٢هـ، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - لبنان.

* * *

الحوار في المنظور القرآني وأثره في التعايش

الطُّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ

بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

تأليف

علاء الدين علي بن حسام الدين

الشهير بالمتقن الهندي

تحقيق

الدكتور عدنان عبد الرحمن / جامعة أم القرى / مكة المكرمة

المدرس وحيد عبد الخالق مجيد / الجامعة العراقية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن الله خلق الخلق للاختبار والامتحان؛ فلا يسلم منه أحد من خلقه، لا نبي مرسل، ولا صالح مقرّب، بل هم أشدّ بلاءً من غيرهم؛ فالتفاضل بين الخلق يكون على قدر صبرهم على البلاء وتحملهم إياه، عن سعد بن أبي وقاص قال: سألت رسول الله ﷺ: من أشدّ الناس بلاءً؟ قال: (النبيون، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان صلب الدين اشتدّ بلاءؤه، وإن كان في دينه رقةً ابتلي على حسب دينه، فما تبرّح البلايا على العبد حتى تدعه يمشي على الأرض ليس عليه خطيئة^(١)، والإنسان بطبعه لا يحبّ البلاء، ولا يتمناه، بل يفر منه، وهو واقع به لا محالة، وهو غير محمود ويتجنبه الإنسان قدر المستطاع، ولا يصبر عليه إلا أصحاب الإيمان الراسخ بالله سبحانه وتعالى، وله أنواع كثيرة ومتنوعة، فقد يُبتلى بالفقر تارة وبالغنى تارة، وبالضراء تارة وبالسراء أخرى، وبالعافية تارة وبالمرض والسقم تارة أخرى بل هو أشدها على الإنسان، فمن من الناس لا يمرض ولا يسقم؟ الصغير والكبير، والغني والفقير، والعزير والحقير، والمؤمن والكافر، به أذل الله الجبارين والمتكبرين، فلا يسلم منه أحد من خلقه، لذا ترى الناس يهرعون إلى طلب الاستطباب طمعاً في الشفاء وأملاً في تخفيف الألم ويبدلون في ذلك الغالي والنفيس، فحيث ما كان الإنسان كان معه الطبيب، فهو علم لا يستغني عنه أحد من البشر الكلّ بحاجة إليه وإلى تعلمه، لهذا كان لعلم الطب مكانة ومنزلة بين العلوم، وقد بيّن ذلك الإمام الشافعي^(٢) بعبارة موجزة حيث قال: (إِنَّمَا الْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمُ الدِّينِ، وَعِلْمُ الدُّنْيَا، فَالْعِلْمُ

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٥٢٣/٣ رقم ٦٥٣٤.

(٢) هو: مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُثْمَانَ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ، ثُمَّ الْمُطَّلِبِيُّ، الشَّافِعِيُّ، الْمَكِّيُّ،

الطُّبُّ النَّامُ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

الَّذِي لِلدِّينِ هُوَ: الْفِقْهُ، وَالْعِلْمُ الَّذِي لِلدُّنْيَا هُوَ: الطَّبُّ^(١) وفي رواية له قال: (لا تَسْكُنَنَّ بَلَدًا لَا يَكُونُ فِيهِ عَالِمٌ يُفْتِيكَ عَنْ دِينِكَ، وَلَا طَبِيبٌ يُنْبِئُكَ عَنْ أَمْرِ بَدَنِكَ)، لذا حرص أعداء الإسلام على اختلاف أجناسهم وألوانهم، وبلدانهم على الجهد في تحصيل علم الطب، وبلغوا فيه أرفع الدرجات حتى قال قائلهم: (حيث تجد بشراً تجد آلاماً، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير)، من أجل هذا وذاك لا بد للأمة الإسلامية أن تهتم بعلم الطب، وتبرز فيه مرةً ثانية كما برزت فيه قديماً على أيدي علماء أفاضل أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم التي مازالت تُدرَّس في جامعاتهم إلى يومنا هذا، بل قد تفوق الطب النبوي على ما عند الغرب؛ حيث قُسم علم الطب إلى قسمين: طب جسماني وطب روحاني؛

فالطب الجسماني مُتعلقٌ بالأمراض الظاهرة التي تُصيب الإنسان في أي عضو من أعضاء الجسم، وأما الطب الروحاني فإنه يهتم بشؤون النفس البشرية ومشاكلها، وسماء الفلاسفة قديماً بطب الأخلاق، وهو خاصٌ بمعالجة النفس المريضة، وسبر أغوارها، والسيطرة عليها، وتقوية الجوانب الإيجابية فيها، فعندما يخفق الإنسان في بعض جوانب الحياة تراه يعاني من الفشل، والوهن، والضعف، ويبدأ يعاني من أثر المصيبة التي حلت به، وفي النتيجة ظهور أفكار سلبية تؤثر تأثيراً مباشراً على حالة الجسد الصحية، فالبعض يعتقد أنه مريض بسبب تجسيمه لظرف مؤلم ألم به، وعقدها له العقل الباطن، وأثرت عليه تأثيراً بالغاً، فتصيبه عوارض مرضية وهمية، يصاب على إثرها بالإحباط والفشل والبؤس، يُصادف ذلك نقطة ضعيفة في الجسد يتركز عليها الضغط النفسي تكون مصدر الضعف والمرض، كالرأس مثلاً، أو المعدة، أو الصدر، أو القلب، واحتمال تعطل الرجلين عن

الغزّي، قال الربيع بن سليمان: وُلِدَ الشَّافِعِيُّ يَوْمَ مَاتَ أَبُو حَنِيفَةَ (رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى)، قال الذهبي في وصفه: الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، وقال أبو ثور الكلبي: ما رأيت مثل الشافعي، ولا رأي هو مثل نفسه، (ت ٥٢٠٤). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/٥٩ — ٩٩

(١) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم ٢٤٤/١.

المشي أو يُصاب بعمى مؤقت، وعوارض جسدية أخرى، وهؤلاء هم المرضى النفسيون، أو ما يسمى مرضى الوهم والأفكار السلبية.

لذلك أقولُ إنَّ الإيمانَ بالله، والاستعانة به، والتوكل عليه، واليقين بما ورد في القرآن من آياتِ الشِّفاء، وما جاءت به السُّنة النبوية الصحيحة من توجيهات نبوية كريمة هذه كلها هي البلسم الشَّافي لعلاج مثل هذه الاضطرابات، والأمراض النفسية، ولا ننسى أيضاً أثر التفاؤل، والأمل، والطموح، والروح المرحة، هذه كلها بإمكانها أن تزيل مثل هذه العوارض المرضية، والخيالات السلبية.

من أجل ذلك؛ فأهمية الأخذ بالطبِّ الرُّوحاني وتعلمه ضرورية جداً وخاصة حين لا ينفع الدَّواء الجِسْماني قال الله تعالى: (أَلَا بذكر الله تطمئن القلوب)^(١)، وقال تعالى: (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)^(٢).

ورسالة الشَّيخ عَلِي المُنْتَقِي الهندي، والتي أسماها: (الطُّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الأَسْقَامِ، لِلْمُوقِنِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لا لِلْعَوَامِ)، وَقَفَّ على جُملةٍ من الأحاديث والآثار في الموضوع، مشتملة على الطُّبِّ الرُّوحاني والجِسْماني، تُمَّ انتخب منها أدوية لعلاج الأمراض الجِسْمانية والرُّوحية، وَرَتَّبَهَا على مُقَدِّمَةٍ وثلاثة فصول وخاتمة، تَحَدَّثَ فيه المُقَدِّمَةُ عن ضرورة الاعتدال في الأمور كلها، والفصل الأول: في الترغيب في الطُّبِّ، والفصل الثاني: في الأدوية الرُّوحانية، الفصل الثالث: في الأدوية الجِسْمانية، والخاتمة: في فوائد تتعلق بالأمراض والأدوية ونصائح مهمة للحفاظ على الصحة عموماً مُستشهداً بأقول العُلَماء والحكماء. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) سورة الرعد (الآية ٢٨).

(٢) سورة الإسراء (الآية ٨٢).

- دراسة المخطوط وتشتمل على قسمين:
- القسم الأول: الدراسي.
- القسم الثاني: النص المحقق.
- القسم الأول: الدراسي؛ يشتمل على بابين:

الباب الأول: دراسة المؤلف، الشيخ علي بن حسام الدين المتقي الهندي^(١):

* اسمه ونسبه: هو الإمام المحدث الفقيه الشيخ علاء الدين علي بن حسام الدين بن عبد الملك بن قاضي خان المتقي، الحنفي مذهباً، القادري طريقةً، البرهانبوري بلدةً، والهندي موطناً.

* ولادته وأصله: كانت ولادته بمدينة برهانفور، إقليم كُجرات، الهند، سنة (٨٨٥هـ)، وأصله من جونفور، انتقل أجداده إلى برهانفور، وسكنوا هناك.

* نشأته: نشأ الشَّيخ في بيئة دينية، وعلمية وترعرع فيها تحت رعاية أبيه الذي كان عالماً كبيراً إلا أنه توفي، فنشأ يتيماً، وواجه الكثير المتاعب والمصائب في بداية حياته، واحتملها مع عِفَّةٍ وَزَهَادَةٍ في طلب الدنيا، ورزقه الله همةً عالية في طلب العلم، وعزماً راسخاً في الاعتماد على نفسه، اشتغل فترة عند أحد الأمراء لكي يكسب قوته، حيث تكفل برعاية عائلته بعد موت أبيه، وحين رأى أنه جمع قسطاً من المال، قرر التفرغ لطلب العلم، فاستقال من عمله، وتوجه إلى الشَّيخ عبد الحكيم ابن الشيخ بهاء الدين الصُّوفي البرهانبوري الجشتي، ولازم صُحبته، واشتغل بالدراسة والتحصيل، وبدأ يتلقى العلم بجد ونشاط، فنال رضا شيخه عبد الحكيم؛ فأخذ يُقَرِّبه منه ومنحه الإجازة والخلافة، ولم يقنع بهذا، بل عزمه وعزيمته حرضته على طلب المزيد، ثم سافر

(١) مصادر ترجمة المؤلف:

- ١/ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام لعبد الحي بن فخر الدين الحسيني ٤/٣٨٥ — ٣٨٨.
- ٢/ النور السافر عن أخبار القرن العاشر لعبد القادر بن شيخ العَيْدَرُوس ص ٢٨٣ — ٢٨٦.
- ٣/ الأعلام للزركلي ٧/٥٩.
- ٤/ هدية العارفين ١/٦٤٦.

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

إلى ملتان ولازم الشيخ حسام الدين المتقي الملتاني وصحبه سنتين، وقرأ عليه تفسير البيضاوي وكتاب عين العلم، ثم رجع إلى كجرات، وأقام بأحمد آباد، وتزوج هناك، وعاش مع الزوجة وأفراد الأسرة الآخرين.

وبدأ علم الشيخ، وفضله، وورعه ينتشر في أنحاء بلاد الهند؛ فاجتمع حوله جمع غفير من طلاب العلم الوافدين من مختلف الأقاليم للأخذ عنه والتعلم على يديه.

ثم سافر إلى مكة المكرمة سنة (٩٤٢هـ) فأقام فيها قريباً من البيت الحرام، والتقى بعلمائها وأخذ العلم عنهم ومن هؤلاء: الشيخ الإمام محمد بن محمد السخاوي الذي كان من كبار علمائها، والشيخ طاهر زمان الزواوي بالمدينة المنورة، كما تتلمذ على يد الشيخ أبي الحسن علي البكري، وصحبه واستفاد منه، ونال أيضاً الخلافة في الطريقة من الشيخ أبو مدين شعيب المغربي قدس سره، وقرأ الحديث الشريف على يد الشيخ شهاب الدين أحمد ابن حجر المكي وأقام بمكة المكرمة، وعَمَّرَ بالقرب من رباطه بسوق الليل بيتاً لسكناه له حوش واسع يشتمل على خلاوي لأتباعه والمنقطعين إليه من أهل السند، وكان يعيل كثيراً ويعين على الوقت من سألته، ومع كل هذا فقد مال الشيخ إلى العزلة والزهد في متاع الحياة الدنيا الزائلة، فكان على غاية من الورع والزهد، ويزن كل شيء في ميزان الشريعة، وأقبل على العبادة، والسياحة، والانقطاع عن الناس.

* شيوخه وتلاميذه:

أشهر شيوخه ومن أخذ عنه:

الشيخ الصالح الفقيه عبد الحكيم بن بهاء الدين بن معز الدين البرهانبوري الشهير بـ (باجن) الجشتي (ت ٩٨٩هـ)، والشيخ العالم الصالح حسام الدين المتقي الملتاني (ت ٩٦٠هـ)، والشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو الحسن البكري الصديقي الشافعي (ت ٩٥٢هـ)، والشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر أبو العباس الهيتمي شيخ الإسلام (ت ٩٧٤هـ)، والشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي، أبو محمد الشافعي الشَّعراني (ت ٩٧٣هـ)، وغيرهم.

الطَّبُّ النَّامُ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

* أشهر تلاميذه:

الشيخ العالم المحدث عبد الله بن سعد الله المتقي الحنفي السندي (ت ٩٨٤هـ)،
والشيخ الإمام العالم الكبير المحدث اللغوي العلامة مجد الدين محمد بن طاهر ابن علي
الحنفي الفتني الكجراتي (ت ٩٨٦هـ)، والشيخ العالم الكبير المحدث رحمة الله بن عبد
الله بن إبراهيم العمري السندي (ت ٩٩٤هـ)، والشيخ العالم الكبير المحدث الفقيه الزاهد
عبد الوهاب بن ولي الله المندوي البرهانبوري (ت ١٠٠١هـ) وغيرهم.

* ثناء العلماء عليه:

١/ بلغ من محاسن الشيخ ومناقبه أن أفرد له تلميذه الشيخ عبد الوهاب المتقي
كتاباً مستقلاً سماه: (إتحاف التقي في فضل الشيخ علي المتقي)^(١)، والشيخ عبد الحق
بن سيف الدين الدهلوي كتاب في سيرة الشيخ علي بن حسام الدين المتقي والشيخ
عبد الوهاب المتقي، وغيرهما من المشايخ، سماه: (زاد المتقين في سلوك طريق اليقين)،
وخصه الشيخ عبد القادر بن أحمد الفاكهي المكي في تأليف سماه: (القول النقي في
مناقب المتقي)^(٢).

٢/ قال عبد القادر العيدروس^(٣): **وَبِالْجُمْلَةِ فَمَا كَانَ هَذَا الرَّجُلَ إِلَّا مِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ**
وَخَاتَمِهِ أَهْلُ الْوَرَعِ وَمَفَاخِرِ الْهِنْدِ وَشَهْرَتِهِ تَغْنِي عَنْ تَرْجَمَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ فِي الْقُلُوبِ يُغْنِي
عَنْ مَدْحِهِ^(٤).

٣/ قال الإمام عبد الوهاب الشُّعراني^(٥): كان عالماً، ورعاً، زاهداً، نحيف البدن، لا تكاد

(١) انظر: الأعلام للزركلي ٣٠٩/٤.

(٢) انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام لعبد الحي بن فخر الدين الحسن بن ٣٨٧/٤، ٥٥٥/٥.

(٣) هو: عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس اليمني، الحضرموتي، الهندي
(شمس الشمس، محيي الدين، أبو بكر) مؤرخ، شاعر، صوفي، مشارك في بعض العلوم، ولد بأحمد آباد
من بلاد الهند ثم رجع إلى أحمد آباد، وتوفي بها (ت ١٠٣٨ هـ). انظر: معجم المؤلفين ٢٨٨/٥

(٤) انظر: النور السافر في أعيان القرن العاشر للعيدروس ص ٢٨٦.

(٥) هو: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، الشُّعراني، أبو محمد: من

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

تجد عليه أوقية لحم من كثرة الجوع، وكان كثير الصمت، كثير العزلة، لا يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة في الحرم، فيصلى في أطراف الصفوف، ثم يرجع بالسرعة، وأدخلني داره، فرأيت عنده جماعة من الفقراء الصادقين في جوانب حوش داره، كل فقير له حض يتوجه فيه إلى الله، منهم التالي، ومنهم الذاكر، ومنهم المطالع في العلم ما أعجبني في مكة المكرمة مثله^(١).

٤/ قال الشيخ محمد بن طاهر الفتني^(٢): الجناب العالي، شيخي الشفيق المشفق، ذوى المفاهر والمعالى، قطب الأوان، وغوث الزمان، وصفوة الرحمن، نزيل الحرمين الشريفين، مجاور بيت الله مربي الأنام^(٣).

٥/ قال الشيخ الإمام عبد القادر الفاكهي^(٤): كان قليل الكلام، ومحاسنه جمّة، ومناقبه ضخمة، ما اجتمع به أحد من العارفين أو العلماء العاملين، أو اجتمع هو بهم إلا أثنوا عليه ثناءً بليغاً^(٥).

علماء المتصوفين، ولد في قلقشندة (بمصر)، ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليها نسبته: (الشعراني، ويقال الشعراوي)، له مصنفات كثيرة في مختلف الفنون، توفي في القاهرة، (ت ٥٩٧٣هـ). انظر: الأعلام للزركلي ١٨٠/٤

(١) انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام لعبد الحي بن فخر الدين الحسيني ٣٨٨/٤.
 (٢) هو: محمد طاهر الصديقي الهندي، الفتني، جمال الدين: عالم بالحديث ورجاله، كان يلقب بملك المحدثين، نسبته إلى فتن (من بلاد كجرات بالهند)، ومولده ووفاته فيها، زار الحرمين والتقى بكثير من العلماء وعاد فانقطع للعلم، له عدة مصنفات في الحديث، قُتل بالقرب من (أجّين) ودفن في فتن (ت ٥٩٨٦هـ). انظر: الأعلام للزركلي ١٧٢/٦

(٣) انظر: مجمع بحار الأنوار لمحمد بن طاهر الفتني ص ٣٤.
 (٤) هو: الشَّيْخُ الْفَاضِلُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ الْفَاكِهِي الْمَكِّيّ، مولده عام عشرين وتسعمائة، وله مصنفات كثيرة لا تنحصر وأنه يشبه الجلال السُّيُوطِيّ في كثرتها بِحَيْثُ أَنَّهُ يَكْتُبُ عَلَى كُلِّ مَسْأَلَةٍ رِسَالَةً، (ت ٥٩٨٢هـ). انظر: النور السافر في أعيان القرن العاشر للعيدروس ص ٣١٦
 (٥) انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام لعبد الحي بن فخر الدين الحسيني ٣٨٧/٤.

الطُّبُّ النَّامُ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

*مؤلفاته^(١):

بلغت مؤلفات الشيخ نحو من مائة^(٢) مؤلف ما بين صغير وكبير، وهي موزعة على عدة فنون، وما تيسر جمعه منها هو:

- ١/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال.
- ٢/ البرهان في علامات المهدي آخر الزمان.
- ٣/ جوامع الكلم في المواعظ والحكم.
- ٤/ مختصر النهاية في اللغة.
- ٥/ النهج الأتم في ترتيب الحكم.
- ٦/ البرهان الجلي في معرفة الولي.
- ٧/ منهج العمال في سنن الأقوال.
- ٨/ إرشاد العرفان وعبرة الإيمان.
- ٩/ غاية الكمال في بيان أفضل الأعمال.
- ١٠/ الرتبة الفاخرة في نصائح الملوك.
- ١١/ مجمع بحار الانوار في شرح مُشكل الآثار.
- ١٢/ الإكمال لمنهج العمال.
- ١٣/ تبیین الطريق إلى الله تعالى.
- ١٤/ تبويب الجامع الصغير وزوائده.
- ١٥/ تبويب قسم الأقوال في الجامع الصغير.
- ١٦/ العنوان في سلوك النسوان.

(١) جَمَعْتُ مؤلفاته من المصادر التالية: هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي ١/٦٤٧. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام لعبد الحي بن فخر الدين الحسيني ٤/٣٨٥ — ٣٨٩. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٧/٥٩. الأعلام للزركلي ٤/٣٠٨ — ٣٠٩.

(٢) انظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر لعبد القادر العيْدَرُوس ص ٢٨٤. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام لعبد الحي بن فخر الدين الحسيني ٤/٣٨٧.

١٧/ الوسيلة الفاخرة في سلطة الدنيا والآخرة.

١٨/ الرق المرقوم في غايات العلوم.

١٩/ مستدرك الأقوال في تبويب غاية العمال.

٢٠/ هداية ربي عند فقد المربي.

٢١/ النهج الأتم في ترتيب الحكم.

٢٢/ الحكم العرفانية في معان ارشادية و اشارات قرآنية.

٢٣/ رسالة في إبطال دعوى السيد محمد بن يوسف الجونبوري.

٢٤/ تلقين الطريق في السلوك لما ألهمه الله سبحانه.

٢٥/ غاية العمال في سنن الأقوال في تبويب الجامع الصغير وزوائده.

* وفاته: تُوفي الشَّيخ بمكة المكرمة ليلة الثلاثاء وقت السَّحر من شهر جمادى الأولى

سنة (٩٧٥هـ)، ودُفن صُبح تلك اللَّيلة بمقبرة المعلاة بسفح جبل مُحاذي تربة الفُضيل

بن عياض.

* * *

• الباب الثاني: ويشتمل على دراسة المخطوط:

أولاً/ وصف النسخة الخطية المعتمدة في التحقيق:

اعتمدتُ في تحقيق المخطوط على نسخة خطية وحيدة، لم أحصل على نسخة غيرها، وهي نسخة مصورة عن نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف برقم (٥٦ مجاميع)، تقع النسخة في سبع ورقات من (٢٩١-٢٩٧)، وعدد أسطرها (٢١)، كتبت بخط نسخي واضح، بعض كلماتها مشكولة، جاء في الصفحة الأخيرة من المخطوط ما نصه: (تمت الرسالة والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده)، كما جاء على يمين الصفحة الأخيرة من المخطوط ما نصه: (بلغ مقابلةً على أصله المنسوخ منه)، ولم يذكر في آخر المخطوط تاريخ نسخه، ولم يذكر اسم الناسخ، وورد في أول المخطوط وعند صفحة العنوان على يسار الصفحة ما نصه: (الحمد لله سبحانه، بخط الفقير محمد أبي الفضل بن محمد المكي عبد العظيم الحنفي سنة ١٠٣٦ هـ) ختمت بالخير والشرف آمين).

ثانياً/ موارد المؤلف في المخطوط وجميعها مطبوعة:

- ١/ الأحاديث المختارة لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٥٦٤٣هـ).
- ٢/ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلي بن بلبان الفارسي (٥٧٣٩هـ).
- ٣/ أطباق الذهب لعبد المؤمن بن هبة الله المغربي الأصفهاني (ت ٥٦٠٠هـ).
- ٤/ تاريخ بغداد لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٥٤٦٣هـ).
- ٥/ تاريخ دمشق لعلي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٥٣٠هـ).
- ٦/ التدوين في أخبار قزوين لعبد الكريم بن محمد القزويني (ت ٥٦٢٣هـ).
- ٧/ الترغيب في فضائل الأعمال لأبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين (٥٣٨٥هـ).
- ٨/ الترغيب والترهيب لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (٥٥٣٥هـ).
- ٩/ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي (ت ٥٣٢٧هـ).

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

- ١٠/حلية الأولياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني(ت٥٤٣٠هـ).
- ١١/الزهدي، لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني(ت٥٢٤١هـ).
- ١٢/الزهدي لأبي السري هناد بن السري الكوفي(ت٥٢٤٣هـ).
- ١٣/سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني(ت٥٢٧٥هـ).
- ١٤/سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي(ت٥٢٧٩هـ).
- ١٥/سنن البيهقي(الصغرى) لأحمد بن الحسين البيهقي(ت٥٤٥٨هـ).
- ١٦/سنن البيهقي(الكبرى) لأحمد بن الحسين البيهقي(ت٥٤٥٨هـ).
- ١٧/سنن النسائي(الكبرى) لأحمد بن شعيب النسائي(ت٥٣٠٣هـ).
- ١٨/سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد ابن ماجه القزويني(ت٥٢٧٥هـ).
- ١٩/شعب الإيمان لأحمد بن الحسين البيهقي(ت٥٤٥٨هـ).
- ٢٠/صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري(ت٥٢٥٦هـ).
- ٢١/صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج النيسابوري(ت٥٢٦١هـ).
- ٢٢/الطب النبوي لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني(ت٥٤٣٠هـ).
- ٢٣/الطب النبوي لابن السني أحمد بن محمد الدينوري(ت٥٣٦٤هـ).
- ٢٤/الطبقات الكبرى لأبي عبد الله محمد ابن سعد البصري(ت٥٢٣٠هـ).
- ٢٥/العلل الواردة في الأحاديث النبوية أبو الحسن علي بن عمر بن الدارقطني(ت٥٣٨٥هـ).
- ٢٦/الفردوس بمأثور الخطاب لشيرويه بن شهردار الديلمي(ت٥٥٠٩هـ).
- ٢٧/المرض والكفارات لعبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا(ت٥٢٦١هـ).
- ٢٨/المستدرک علی الصحیحین لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري(ت٥٤٠٥هـ).
- ٢٩/مسند أحمد لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني(ت٥٢٤١هـ).
- ٣٠/مصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر بن أبي شيبة(ت٥٢٣٥هـ).
- ٣١/المعجم الأوسط لسليمان بن أحمد الطبراني(ت٥٣٦٠هـ).
- ٣٢/معجم الصحابة لعبد الباقي بن قانع البغدادي(ت٥٣٥١هـ).

- ٣٣/المعجم الكبير لسليمان بن أحمد الطبراني (ت ٥٣٦٠هـ).
 ٣٤/المغني في الضعفاء شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٥٧٤٨هـ).
 ٣٥/مكارم الأخلاق لأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي (ت ٥٣٢٧هـ).
 ٣٦/المواهب اللدنية بالمنح المحمدية لأحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (ت ٥٩٢٣هـ).

وقد حفظ لنا المخطوط موارد مفقودة وهي:

- ١/مسند الحارث بن أسامة.
- ٢/مسند الديلمي.
- ٣/الطب النبوي لأبي الشيخ.
- ٤/الإيضاح لعبد الغني.
- ٥/الطب النبوي للمستغفري.
- ٦/مسند عبد بن حميد.
- ٧/كتاب لابن النجار (لم يتبين لنا عنوانه).
- ٨/كتاب لأبي الشيخ (لم يتبين لنا عنوانه).

ثالثاً: عملي في تحقيق المخطوط:

- ١/قمتُ بنسخ المخطوط وفق قواعد الضبط المعروفة.
- ٢/قمتُ بترقيم نصوص المخطوط فبلغت (٧٧) نصاً.
- ٣/خرجتُ الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية التي ذكرها المؤلف والتي لم يذكرها.

- ٤/حكمتُ على الأحاديث من خلال تتبعي لمن حكم عليها من العلماء والمصنفين.
- ٥/شرحتُ بعض الكلمات الغريبة وذلك بالرجوع إلى كتب اللغة.
- ٦/قمتُ بدراسة مختصرة للمؤلف والمخطوط.

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

٧/ قمتُ بعمل الفهارس الفنية:

١/ فهرس الآيات.

٢/ فهرس الأحاديث.

٣/ فهرس المراجع والمصادر.

٤/ فهرس الموضوعات.

رابعاً: نماذج من المخطوط:

* * *

الورقة الثانية من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين

البلاد وله أيضا ينبغي للعبد ان يحسن بخصه عيشه في البلاد هذه الآية
واصبر عليهم وتلك فانك باعدينا قبل الخلق كلهم في مقام الشكر وهم
بظنون انهم في مقام الصبر ابو عمر والمغزبي لولا ما يصيبه من الدنيا
لوردنا في الاخرة هؤلاء ليس فانهم انزلهم الى الكعبة من جملتها كما انزل
العبد بل الاورد الله تعالى عنه ما هو اكبر منها قال لقا عليا السلام لانه
قال الجنيدي رضي الله عنه كنت نائما عند سرير علي السعدي رضي الله عنه فها
نبيهني وقال يا جنيد رايت كافي قد وقعت بين يديه وقال يا سر
خلقت الخلق فكلمهم ادعوا محبتي وخلقت الدنيا فمحب مني نسوة
اعشارهم ويومئذ العشرة وخلقت الجنة فمحب مني ثمة اعشار العشرة
ويومئذ عشرة العشرة فسلطت عليهم ذرة من البلا فمحب مني تسعة
عشرة اعشار العشرة فقلت للباقيين معي لا الدنيا اردتم ولا الجنة اخذتم ولان
البلاء هم من فماد انزويون قالوا ايكم نعلم ان نريد فقلت لهم اني اسلط
عليكم من البلاء بعد انتم اسمي بالانعمون انكم الجهاد الرضايي الصبر
قالوا اذ كنت انت للتباي ففعلنا شئيت فهو لا رجا في حقنا
كانت الرسالة والجدالة وجدلا كما والصلوة واللام على من لا يبي بعدة

العابد
ص
٧٥
يا

بلغ مقابلة على
اضل المنسوخ
سنة

فايدة لسائر الامراض والاوراج
سبع هات وخط فوق خط
٥٥٥٥٥٥٥

٥٥٥٥٥٥٥

هذه ذات اذا عد فيها
ذال اسم الواحد الفرد اليك
من سبع ليس فيها غلط
ليكنها بر الرحمة ط

٤

القسم الثاني

النص المحقق

٢/ أ بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق بقُدْرَتِهِ وحكْمَتِهِ الدَّاءَ والدَّوَاءَ، وجعلَ لعبادهِ في الأَدْوِيَةِ الرُّوحَانِيَةِ والجِسْمَانِيَةِ والمُرَكَّبَةِ منهما الشِّفَاءَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلَ من أُوتِي الحِكْمَةَ وَفَضَلَ الخِطَابِ، وَعَلَى آلِهِ أَوْلِيَ الحِكْمَةِ والأَلْبَابِ.

أما بعد: فيقول العبدُ الحَقِيرُ (عَلِيِّ بنِ حُسَامِ الدِّينِ الشَّهِيرِ بِالْمُتَّقِي):

لما وقفتُ على الأحاديثِ التي كانتْ مُشْتَمَلَةً على الطَّبِّ الرُّوحَانِيِّ والجِسْمَانِيِّ، انتخبتُ منها ما يتعلَّقُ بعلاجِ يَعْجُ الأمراضِ كُلِّهَا أو أكثرَها، وزدتُ عليها ما يناسبُ هذا الفنَّ، وَسَمَّيْتُهَا: (الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الأَسْقَامِ، لِلْمُوقِنِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لا لِلْعَوَامِ)، وَرَتَّبْتُهَا عَلَى: مُقَدِّمَةٍ، وَثَلَاثَةِ فُصُولٍ، وَخَاتِمَةٍ.

المُقَدِّمَةُ

[١] اعلمْ رحمك اللهُ أَنَّ اللّهَ تعالى جَمَعَ الطَّبَّ كُلَّهُ في كلمتين؛ وهُما: قولُهُ تباركُ وتعالى: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا)^(١)، ووَرَدَ في الحديثِ: ((خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَطُهَا))^(٢)، وغيرِ

(١) سورة الأعراف (الآية ٣١).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١٠٣/٧ رقم ٣٠٢٧، وابن أبي شيبة في المصنف ١٧٩/٧ رقم ٣٥١٢٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٥١٨/٨ رقم ٦١٧٦، جميعهم بلفظ: (أوساطها) عن مُطَرِّفِ بنِ عُبيدالله، قال الشيخ الألباني: إسناده صحيح موقوف. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١١٦٤/١ رقم ٧٠٥٦.

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الأَسْقَامِ لِلْمُوقِنِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لا لِلْعَوَامِ

ذلك من الأحاديث التي لا تُحصَى، فالمقصود من هذا المذكور هو الاعتدال في الأمور بعدم الميل إلى الإفراط والتفريط، وهذا الخلق لا بُدَّ للشخص من معرفته وتحصيله، فإذا تحقق الشخص فيه استراح من جميع الأدوية والأمراض، فينبغي للشخص أن يُراعي الاعتدال في جميع الأمور في الطعام، والشراب، والنوم، والجماع وتركه، واللباس، والكلام، وغير ذلك حتى في تحصيل العلوم.

ثم اعلم أن الاعتدال أمر نسبي لا يخلو الشخص من الميل إما إلى الإفراط أو إلى التفريط، والاعتدال الحقيقي الذي لا يميل صاحبه إلى أحد الطرفين بنقطة، فهذا نادر جداً، وما يتحقق الشخص إلا بنور النبوة أو الولاية، اللهم ارزقنا ذلك.

حكى أن رجلين من شدة العطش أشرفا على الموت، فوجدا ماءً فشرب أحدهما فوق الاعتدال، والثاني دون الاعتدال، فمات كلاهما، وقد يُعبر عن هذا الاعتدال بأن يأكل الشخص بعد صدق الجوع، ويمتنع من الأكل وفيه من الجوع.

ثم اعلم رحمك الله أن الحكماء والأطباء اتفقوا على أن أخف الأغذية الرمان، وأثقلها ٢/ب اللحم القديد^(١)، ثم اتفقوا على أن من أكل الرمان فوق الاعتدال يضره، ومن أكل اللحم القديد وفق الاعتدال لا يضره، فافهم.



(١) القديد: اللحم المملوح المجفف في الشمس فعيل بمعنى مفعول.

انظر: لسان العرب ٣/٣٤٤

الفصل الأول

في الترغيب في الطب

• فورد:

[٢] ((اللَّهُ الطَّبِيبُ، بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ رَفِيقٌ، طَبِيبُهَا الَّذِي خَلَقَهَا))^(١) أبو داود عن أبي رَمَثَةَ^(٢).

[٣] ((تَدَاوُوا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا وَقَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، إِلَّا السَّامَ وَالْهَرَمَ))^(٣) ابن حَبَانَ

عن أُسَامَةَ بن شَرِيكٍ^(٤).

قلتُ: هذا الحديث لا ينافي الأوَّل، لأنَّ الأوَّلَ محمولٌ على النَّظَرِ إلى حَقِيقَةِ الأمر، وهذا

الحديث محمولٌ على النَّظَرِ إلى الأسباب وما جَرَتْ به السُّنَّةُ الإلهية في تحصيل الأُمُور.

[٤] ((الدَّوَاءُ مِنَ الْقَدَرِ، وَقَدْ يَنْفَعُ بِإِذْنِ اللَّهِ))^(٥) الطَّبْرَانِي وَأَبُو نَعِيمٍ عن ابن عَبَّاسٍ (رضي

اللهُ عنهُما).

(١) أخرجه أبو داود ٤٤٨٦/٤ رقم ٤٢٠٧ - كتاب الترجل - باب في الخضاب - وذكره الألباني في سلسلة

الأحاديث الصحيحة ٥١/٤ رقم ١٥٣٧.

(٢) هو: أبو رَمَثَةَ البلوي، قيل اسمه: رفاعة بن يثربي، صحابي، مات بإفريقية سنة ———

انظر: الإصابة لابن حجر ٧/١١٨

(٣) أخرجه ابن حبان انظر: الإحسان ١٣/٢٩ رقم ٦٠٦٤ كتاب الطب - ذكر وصف الشيعيين اللذين

لا دواء لهما - وقد صححه محقق الكتاب الشَّيْخُ شُعَيْبُ الأرنؤوط. والسَّامُ: الموت. انظر: لسان

العرب ١٢/٣١٤

(٤) هو: أُسَامَةُ بن شَرِيكٍ الثعلبي من بني ثعلبة بن يربوع، له صحبة، روى حديثه أصحاب السنن

وأحمد، وابن خزيمة وابن حبان، والحاكم، (ت). انظر: الإصابة لابن حجر ١/٢٠٣

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/١٦٩ رقم ١٢٧٨٤، وأبو نعيم في الطب النبوي ١/١٩٨

رقم ٥٠، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/٨٥ رقم ٨٢٨١ كتاب - الطب - باب الداء والدواء - وقال: فيه

صالح بن بشير وهو ضعيف.

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

[٥] ((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الدَّاءَ وَالِدَوَاءَ فَتَدَاوَوْا، وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ))^(١) الطبراني عن أمِّ الدرداء.

[٦] ((لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى))^(٢) أحمد ومسلم عن

جابر^(٣).

* * *

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢/٢٥٤ رقم ٦٤٩، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٦/٥

رقم ٨٢٨٨ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه مسلم ٤/١٧٢٩ رقم ٢٢٠٤ - كتاب الآداب - باب لكل داء دواء، والنسائي في السنن

الكبرى ٧/٨٠ رقم ٧٥١٤ كتاب الطب - الأمر بالدواء - وأحمد ٢٢/٤٥٠ رقم ٤١٥٩٧.

(٣) هو: جابر بن عبد الله الأنصاري.

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

الفصل الثاني

في الأدوية الروحانية

قال^(١) في (المواهب): (اعلم أَنَّ الرُّقَى بالمُعَوِّذَاتِ وَغَيْرَهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الطَّبُّ الرُّوحَانِيُّ، وَإِذَا كَانَ عَلَى لِسَانِ الْأَبْرَارِ مِنَ الْخَلْقِ حَصَلَ الشِّفَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، لَكِنْ لَمَّا عَزَّ هَذَا النَّوْعُ فَزَعَ النَّاسُ إِلَى الطَّبِّ الطَّبِيعِيِّ)^(٢)، انتهى.

• ففي الحديث:

[٧] ((حَيَّرَ الدَّوَاءِ الْقُرْآنُ))^(٣) ابن ماجة عن علي^(٤).

[٨] ((اسْتَشْفُوا بِمَا حَمِدَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يَحْمَدَهُ خَلْقُهُ وَبِمَا مَدَحَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَقُلُّهُ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَمَنْ لَمْ يَشْفِهِ الْقُرْآنُ فَلَا شِفَاءَ لِلَّهِ))^(٥) ابن قانع عن رجاء الغنوي.

(١) القائل هو: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين: من علماء الحديث. مولده ووفاته في القاهرة (ت ٩٢٣ هـ). انظر: الأعلام ١/٢٣٢
(٢) انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني ٢/٣١٠. فتح الباري لابن حجر ١٠/٩٦، الإتيان للسيوطي ٤/١٦٥، وكلاهما نسب القول لابن التين.

(٣) أخرجه ابن ماجة ٢/١٥٨ رقم ٣٥٠١ كتاب الطب - باب الاستشفاء بالقرآن -، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٧/٩٣ رقم ٣٠٩٣ وقال: إسناده ضعيف جداً.

(٤) هو: علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

(٥) أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة ١/٢١٣، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٢/١٢٧ رقم ٢٨٣١، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١/٢٨٣ رقم ١٥٢ وقال: ضعيف جداً، وقال: وهذا الحديث يوحى بترك المعالجة بالأدوية المادية والاعتماد فيها على تلاوة القرآن، وهذا شيء لا يتفق في قليل ولا كثير مع سنته ﷺ القولية والفعلية، فقد تعالج ﷺ بالأدوية المادية مراراً، وأمر بذلك فقال: يا عباد الله تداووا فإن الله لم ينزل داء إلا وأنزل له دواء.

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

[٩] وَنُقِلَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ ^(١) الْقَشِيرِيِّ (رَحِمَهُ اللَّهُ): (أَنَّ وَلَدَهُ مَرِضٌ مَرَضًا شَدِيدًا حَتَّى أَشْرَفَ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ قَالَ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ، فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ مَا بَوْلَدِي، فَقَالَ: (أَيْنَ أَنْتَ مِنْ آيَاتِ الشِّفَاءِ؟))، فَانْتَبَهْتُ فَتَفَكَّرْتُ فَإِذَا هِيَ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَهِيَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَيَسْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) ^(٢)، (وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ) ^(٣)، (يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) ^(٤)، (وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ ١٣/ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) ^(٥)، (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) ^(٦)، (قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً) ^(٧)، قَالَ: فَكَتَبْتُهَا ثُمَّ حَلَلْتُهَا بِالْمَاءِ وَسَقَيْتُهُ بِإِيَّاهَا، فَكَأَنَّمَا نَشِطُ مِنْ عَقَالٍ ^(٨) ^(٩).

[١٠] (إِذَا اسْتَكَيْتَ فَضَعْ يَدَكَ حَيْثُ تَشْتَكِي ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ مِنْ وَجْعِي هَذَا، ثُمَّ ارْفَعْ يَدَكَ ثُمَّ أَعِدْ ذَلِكَ وَتَرَاهُ) ^(١٠) الترمذي والحاكم عن أنس.

(١) هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري، من بني قشير ابن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام، شيخ خراسان في عصره، زهداً، وعالماً بالدين، كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها (ت ٤٦٥ هـ). انظر: الأعلام ٥٧/٤.

(٢) سورة التوبة (الآية ١٤).

(٣) سورة يونس (الآية ٥٧).

(٤) سورة النحل (الآية ٦٩).

(٥) سورة الإسراء (الآية ٨٢).

(٦) سورة الشعراء (الآية ٨٠).

(٧) سورة فصلت (الآية ٤٤).

(٨) قوله: (نَشِطُ مِنْ عَقَالٍ أَي: حُلٌّ مِنْ عُقْدَةِ الْحَبْلِ. انظر: النهاية لابن الأثير ٥٧/٥).

(٩) انظر: المدخل لابن الحاج ٤/١٢١ - فصل في طب الأبدان والرُقى الواردة في المواهب اللدنية

للقسطلاني ١٩/٣ - النوع الأول: في طبه ﷺ بالأدوية الإلهية —

(١٠) أخرجه الترمذي ٥/٤٦٦ رقم ٣٥٨٨ - أبواب الدعوات - باب ١٢٦ - وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ

مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ٤/٢٤٤ - كتاب الطب - حديث ميسرة بن حبيب - وقال: هَذَا

حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَوَأَفَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

[١١] ((قولي: اللَّهُمَّ مُصَغَّرَ الْكَبِيرِ وَمُكَبَّرَ الصَّغِيرِ، صَغَّرَ مَا بِي))^(١) ابنُ السُّنِّي^(٢) في (عمل يوم وليلة) عن بعض أمهات المؤمنين.

[١٢] [أَتَانِي جَبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اسْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ((بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، وَعَيْنِ حَاسِدٍ، بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، اللَّهُ يَشْفِيكَ))]^(٣) أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد.

[١٣] ((أَذْهَبِ الْبَأْسَ، رَبِّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءَ لَا يُعَادِرُ سَقَمًا))^(٤) أحمد وأبو داود وابن ماجه عن (ابن مسعود)^(٥).

[١٤] ((صَعِي يَدِكَ عَلَيهِ، ثُمَّ قُولِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ أَذْهَبْ عَنِّي شَرَّ مَا أَجِدُ بِدَعْوَةِ نَبِيِّكَ الطَّيِّبِ الْمُبَارِكِ الْمَكِينِ عِنْدَكَ بِسْمِ اللَّهِ))^(٦) الخرائطي^(٧) في (مكارم الأخلاق) عن أسماء بنت أبي بكر.

(١) أخرجه ابنُ السُّنِّي في عمل اليوم واللييلة ص ٥٩٠ رقم ٦٣٥ - بَابُ مَا يُعَوِّذُ بِهِ الْقُوْبَةَ وَالْبَثْرَةَ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٩/٦٤ رقم ٤٠٦٨ وقال: ضعيف.

(٢) هو: أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري، أبو بكر ابنُ السُّنِّي: مُحَدَّثٌ، ثِقَةٌ، شَافِعِيٌّ من تلاميذ النسائي، ناهز الثمانين، من أهل الديينور، سمع بالعراق ومصر والشَّام والجزيرة، وصنف كُتُبًا، منها (عمل اليوم واللييلة)، (ت ٣٦٤هـ). انظر: الأعلام للزركلي ١/٢٠٩.

(٣) أخرجه مسلم ٤/١٧١٨ رقم ٢١٨٦ كتاب الآداب - باب الطب والمرض والرقى - والترمذي ٢/٢٩٤ رقم ٩٧٢ أبواب الجنائز - باب ما جاء في التعوذ للمريض، والنسائي في السنن الكبرى ٩/٣٧٠ رقم ١٠٧٧٧ كتاب عمل اليوم واللييلة - ذكر ما كان جبريل يعوذ به النبي ﷺ، وابن ماجه ٢/١٦٤ رقم ٣٥٢٣ كتاب الطب - باب ما عوذ به النبي ﷺ - وأحمد ١١١/١٨ رقم ١١٥٥٧.

(٤) أخرجه أبو داود ٩/٤ رقم ٣٨٨٣ كتاب الطب - باب تعليق التمام - وابن ماجه ٢/١٦٦ رقم ٣٥٣٠ كتاب الطب - باب تعليق التمام، وأحمد ٦/١١٠ رقم ٣٦١٥، الحديث صحيح.

(٥) في الأصل (أبي مسعود) والمثبت من مصادر التخريج، وهو: عبد الله بن مسعود.

(٦) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٣٤٧ رقم ١٠٧٤ - باب الرقى والعوده، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٨/٢٨٤ رقم ٣٨١٦ وقال عنه: موضوع.

(٧) هو: محمد بن جعفر بن محمد بن سهل، أبو بكر الخرائطي السَّامري، فاضل، من حفاظ الحديث، من أهل السَّامرة بفلسطين، ووفاته في مدينة يافا، من كتبه (مكارم الأخلاق)، (ت ٣٢٧هـ). انظر: الأعلام ٦/٧٠.

الطَّبُّ النَّامُ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

[١٥] ((مَنِ اشْتَكَى مِنْكُمْ شَيْئًا أَوْ اشْتَكَاهُ أَخٌ لَهُ، فَلْيَقُلْ: رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَمَا رَحِمْتُكَ فِي السَّمَاءِ، فَاجْعَلْ رَحِمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ أَنْزَلَ رَحْمَةً مِنْ رَحِمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجْعِ، فَيَبْرَأُ))^(١) أبو داود عن أبي الدرداء.

[١٦] عن أنس بن مالك مرفوعاً: ((مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، بَرِيءٌ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَعُوفِي مِنْ سَبْعِينَ بَلَاءً مِنْ بَلَايَا الدُّنْيَا مِنْهَا: الْجُنُونُ وَالْجُدَامُ وَالْبَرَصُ وَالرَّيْحُ))^(٢).

[١٧] عن عائشة^(٣) (رضي الله عنها) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ مِمَّا يَقُولُ لِلْمَرِيضِ بِبُرْأَقِهِ بِإِصْبَعِهِ: ((بِسْمِ اللَّهِ، تُزْبَةُ أَرْضِنَا، بَرِيْقَةٌ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا))^(٤) أخرجه ابن أبي شيبة.

[١٨] ((دَاوُوا مَرَضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ عَنْكُمْ الْأَمْرَاضَ وَالْأَعْرَاضَ))^(٥) (٦) الدَّيْلَمِي

عن ابن عمر.

(١) أخرجه أبو داود ١٢/٤٠٤ رقم ٣٨٩٢ كتاب الطب - باب كيف الرقي - والبيهقي في الدعوات الكبير ٢٢٤/٢ رقم ٥٨٦ - باب ما جاء في رقية المريض - وذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير ١/٧٨٢ رقم ٥٤٢٢ وقال عنه: ضعيف جداً.

(٢) لم أجد من أخرجه، إلا أَنَّ القسطلاني ذكره في (المواهب اللدنية ٥٧/٣) وعزاه لعبد الله بن محمد المالكي الأفريقي في كتابه أخبار أفريقية.

(٣) جاء في هامش الأصل عند هذا الحديث ما نصه: [وفي بعض الروايات: (يضع يده على الأرض حتى يلصق به شيء من التراب، ثم يمسح موضع الألم) قائلًا هذه الكلمات].

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦٢/٦ رقم ٢٩٤٩٢ كتاب الدعاء - ما يدعى به للمريض إذا دخل عليه - الحديث صحيح. وأصل الحديث في الصحيحين.

(٥) الأعراض: قال عبد الرؤوف المناوي: بفتح الهمزة أي العوارض من المصائب والبلايا وقد جرب ذلك الموفقون من أهل الله فوجدوا الأذوية الروحانية تفعل ما لا تفعله الحسية. انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/٢.

(٦) ذكره السيوطي في الفتح الكبير ١٠٢/٢ رقم ٦٢٩٢ وعزاه للدَّيْلَمِي في مسند الفردوس، وذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير ١/٤٣٤ رقم ٢٩٥٧ وقال: ضعيف.

الفصل الثالث

في الأدوية / ٣ ب الجسمانية

- [١٩] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ)^(١).
- [٢٠] وفي الحديث: ((مَا طَلِبَ الدَّوَاءَ أَفْضَلَ مِنْ شَرْبَةِ عَسَلٍ))^(٢) أبو نعيم في (الطب) عن عائشة.
- [٢١] ((مَا لِلنَّفْسَاءِ عِنْدِي شِفَاءٌ مِثْلَ الرُّطْبِ، وَلَا لِلْمَرِيضِ مِثْلَ الْعَسَلِ))^(٣) أبو الشيخ وأبو نعيم في (الطُّب) عن أبي هريرة.
- [٢٢] ((إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ شِفَاءٌ، فَشَرْطُهُ مِحْجَمٌ، أَوْ شَرْبَةُ عَسَلٍ، أَوْ كَيْيٌ يُصِيبُ أَلَمًا، وَأَنَا أَكْرَهُ الْكَيْيَ وَلَا أُحِبُّهُ))^(٤) الطبراني عن عتبة بن عامر.
- [٢٣] ((عَلَيْكُمْ بِالشَّفَاءِينِ^(٥) الْعَسَلِ وَالْقُرْآنِ))^(٦) ابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود.

(١) سورة النحل (الآية ٦٩).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي ١/٢٦٩ رقم ١٦٣ - باب استعمال المعجونات والجوارش - وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١/٨٨٨ رقم ٥٩٤٩ وقال: موضوع.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي ٢/٤٨٠ رقم ٤٥٩ - باب ما تطعم النساء وتداوي به - وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١/٣٠١ رقم ٢٦٤ وقال: موضوع.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٧/٢٨٨ رقم ٧٩٦، والرويانى في مسنده ١/١٥٤ رقم ١٧٢، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير ١/٥٨١ رقم ٣٠٢٦ وقال: صحيح.

(٥) في الأصل (بشفائين) والمثبت من مصادر التخريج.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٢/١١٤٢ رقم ٣٤٥٢ - كتاب الطب - باب العسل - والحاكم في المستدرک ٤/٢٢٢ رقم ٧٤٣٥ - كتاب الطب - وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في الطب النبوي ٢/٦٣٨ رقم ٦٨٩، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/٥٧٩ - باب أدوية النبي ﷺ - والخطيب في تاريخ بغداد ١٣/٣١٧ رقم ٣٩٠٥، وذكره ابن كثير في تفسيره ٤/٥٠١

الطُّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

[٢٤] ((دِرْهَمٌ حَلَالٌ تَشْتَرِي بِهِ عَسَلًا وَيُشْرَبُ بِمَاءِ الْمَطَرِ، شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ))^(١) الدَّيْلَمِي

عن أنس.

[٢٥] قَالَ صَاحِبُ (المواهب اللدنية)^(٢) وَأَثَرُ عَلِيِّ (رضي الله عنه): ((إِذَا اشْتَكَى أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَوْهَبْ مِنْ امْرَأَتِهِ مِنْ صَدَاقِهَا فَلْيَشْتَرِ بِهِ عَسَلًا ثُمَّ يَأْخُذْ مَاءَ السَّمَاءِ فَيَجْمَعُ هَنِيئًا مَرِيئًا شِفَاءً مُبَارَكًا))^(٣) أخرج ابن أبي حاتم في (التفسير) بسندٍ حَسَنٍ.

[٢٦] ثُمَّ قَالَ وَرُوينا عَنْهُ (رضي الله عنه) أَنَّهُ قَالَ: ((إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ الشُّفَاءَ، فَلْيَكْتُبْ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فِي صَحِيفَةٍ، وَلْيَغْسِلْهَا بِمَاءِ السَّمَاءِ، وَلْيَأْخُذْ مِنْ امْرَأَتِهِ دِرْهَمًا عَنْ طَيِّبِ نَفْسٍ مِنْهَا، فَلْيَشْتَرِ بِهِ عَسَلًا فَلْيَمْرُجْهُ وَيَشْرِبْهُ كَمَا سَبَقَ))^(٤).

[٢٧] ((الْحِجَامَةُ تَنْفَعُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، أَلَا فَاحْتَجِمُوا))^(٥) الدَّيْلَمِي عن أبي هريرة.

[٢٨] ((مَنْ احْتَجَمَ لِسَبْعِ عَشْرَةَ، وَتِسْعَ عَشْرَةَ وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ كَانَ شِفَاءً مِنْ كُلِّ

وقال: وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ تَفَرَّدَ بِإِخْرَاجِهِ ابْنُ مَاجَهٍ مَرْفُوعًا.

(١) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في أخبار أصبهان ٤٤٦/١ ، وذكره عبد الرؤوف المناوي في فيض القدير ٣/ ٥٢٤ رقم ٦٧١٤ ، كما ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٩١/٨ رقم ٣٥٩٦ وقال: ضعيف.

(٢) انظر: المواهب اللدنية ٦٨/٣ — النوع الثاني: طبه ﷺ بالأدوية الطبيعية — ذكر طبه ﷺ في ببس الطبيعية بما يمشيه ويلينه —

(٣) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٦٢/٣ رقم ٤٧٧٩ ، وذكره ابن حجر في فتح الباري ١٠/١٧٠ وعزاه لابن أبي حاتم في التفسير، وذكره ملا علي القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٧/٢٨٦٣ رقم ٤٥٢٣.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٥٠١/٤ ، وذكره القسطلاني في المواهب اللدنية ٦٨/٣ النوع الثاني: طبه ﷺ بالأدوية الطبيعية - ذكر طبه ﷺ في ببس الطبيعية بما يمشيه ويلينه -

(٥) ذكره السيوطي في الفتح الكبير ٧٢/٢ رقم ٥٩٠٠ وعزاه للدلمي في مسند الفردوس، وذكره علي بن سلطان القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٧/٢٨٤٠ كتاب اللباس - باب الترجل - وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٢/٨ رقم ٣٥١٢ وقال: موضوع.

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

دَاءٍ))^(١) أبو داود والحاكم عن أبي هريرة.

[٢٩] ((أَخْبَرَنِي جَبْرِيلُ أَنَّ الْحَجْمَ أَنْفَعُ مَا تَدَاوَى بِهِ النَّاسُ))^(٢) الحاكم عن أبي هريرة.

[٣٠] ((إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِمَّا تَدَاوَوْنَ بِهِ خَيْرٌ، فَالْحِجَامَةُ))^(٣) أحمد وأبو داود وابن ماجه

والحاكم عن أبي هريرة.

[٣١] ((إِنَّ الْحِجَامَةَ فِي الرَّأْسِ دَوَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ؛ الْجُنُونِ وَالْجُدَامِ وَالْعَشَا وَالْبَرَصِ

وَالصُّدَاعِ))^(٤) الطبراني عن أم سلمة.

[٣٢] ((عَلَيْكُمْ بِالْحِجَامَةِ فِي جَوْزَةِ الْقَمَحْدُودَةِ^(٥)، فَإِنَّهُ دَاءٌ مِنْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ دَاءً،

(١) أخرجه أبو داود ٤/٤٠٤ رقم ٣٨٦١ كتاب الطب — باب متى تستحب الحجامة — والحاكم في المستدرک ٤/٢٣٣ رقم ٤٧٥٧ — كتاب الطب — حديث شعبة — والبيهقي في السنن الكبرى ٩/٥٧٢ رقم ١٩٥٣٥ كتاب الضحايا - باب ما جاء في وقت الحجامة - وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/١٩٠ رقم ٦٢٢.

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده ١/٢٧٨ رقم ٢٥١، والحاكم في المستدرک ٤/٢٣٢ رقم ٧٤٧٠ - كتاب الطب - وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَالْخَطِيبُ فِي الْمَتَّفِقِ وَالْمَفْتَرِقِ ١/٢٧٥ رقم ١١٩، وذكره السيوطي في الفتح الكبير ١/٥٤٢ رقم ٤٥٢ وعزاه للحاكم، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير ١/٤١٠ رقم ٢١٨ وقال: صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود ٤/٤٠٤ رقم ٣٨٥٧ كتاب الطب - باب في الحجامة - وابن ماجه ٢/١١٥١ رقم ٣٤٧٦ كتاب الطب - باب الحجامة - وأحمد ٤/١٤٠٤ رقم ٨٥١٣، وأبو يعلى في مسنده ١٠/٣١٨ رقم ٥٩١١، وابن حبان انظر: الإحسان ١٣/٤٤٢ رقم ٦٠٧٨ كتاب الطب - ذكر الإباحة للمرء أن يحتجم... قال شعيب الأرنؤوط: حسن، والحاكم في المستدرک ٤/٤٥٤ رقم ٨٢٥٧ - كتاب الطب - قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٣/٢٩٩ رقم ٦٦٧، وذكره السيوطي في الفتح الكبير ١/٢٧٧ رقم ٣٠١٦ وعزاه للطبراني، كما ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٤/١١٧٨ رقم ٧٠٧١ وقال: ضعيف.

(٥) جاء في هامش الأصل عند هذه الكلمة ما نصه: (وهي: الهَيْئَةُ النَّاشِئَةُ فَوْقَ الْقَفَا وَأَعْلَى الْقَذَالِ خَلْفَ الْأُذُنَيْنِ، وَمُؤَخَّرُ الْقَذَالِ). انظر: القاموس المحيط ١/٣١٢، لسان العرب ٣/٣٦٨

الطَّبُّ النَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ لَا لِلْعَوَامِ

وَحَمْسَةَ أَدْوَاءٍ مِنَ الْجُنُونِ، وَالْجُدَامِ، وَالْبَرَصِ، وَوَجَعَ الْأَضْرَاسِ))^(١) الطبراني/٤ وابن السني وأبو نعيم عن صهيب^(٢).

• لَبَنُ الْبَقْرِ وَسَمْنُهَا:

[٣٣] ((عَلَيْكُمْ بِالْبَانِ الْإِبِلِ وَالْبَقْرِ فَإِنَّهَا تَرْمُ^(٣) مِنَ الشَّجَرِ كُلِّهِ وَهُوَ دَوَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ))^(٤)

ابن عساكر عن طارق بن شهاب^(٥).

[٣٤] ((عَلَيْكُمْ بِالْبَانِ الْبَقْرِ فَإِنَّهَا شِفَاءٌ، وَسَمْنُهَا دَوَاءٌ، وَلَحْمُهَا دَاءٌ))^(٦) ابن السني وأبو

نعيم عن صهيب^(٧).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣٦/٨ رقم ٧٣٠٦، وذكره ابن السني في الطب النبوي ص ١٠٨-١٠٩، وأبو نعيم في الطب النبوي ٣٦٥/١ رقم ٣٠٢ كتاب الطب - باب موضع الحجامة للمجدوم - وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٤/٥ رقم ٨٣٣٩ كتاب الطب - باب ما جاء في الحمى... - وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٣٥١/٨ رقم ٣٨٩٤ وقال: ضعيف.

(٢) هو: صهيب بن سنان أبو يحيى النمري، ويعرف بالرومي كان من كبار السابقين البديرين، روى أحاديث معدودة، وكان موصوفاً بالكرم والسماحة، (ت ٣٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٨٢/٢

(٣) في الهامش قال مانصه: (أي: تأكل). انظر: لسان العرب ٢٥٤/١٢

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢١/٢٤، وذكره السيوطي في الفتح الكبير ٢٢٤/٢ رقم ٧٧٨٨ وعزاه لابن عساكر، والصالح في سبل الهدى والرشاد ٢١٧/١٢ - الباب السادس والستون في الكلام على بعض المفردات التي جاءت على لسانه ﷺ - كما ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٥٤٩/١ رقم ٣٧٥٤ وقال: ضعيف.

(٥) هو: طارق بن شهاب بن عبد شمس الأحمسي، رأى النبي ﷺ وغزا في خلافة أبي بكر وعمر، وكان معدوداً من العلماء، (ت ٨٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٨٧-٤٨٦/٣

(٦) ذكره ابن السني في الطب النبوي ص ١٨٣، وأبو نعيم في الطب النبوي ٦٩١/٢ رقم ٧٦٦ - باب السمن أقوى الأدهان وأغذاها يلين الصلابات - وذكره السيوطي في الفتح الكبير ٢٢٤/٢ رقم ٧٧٩١ وعزاه لابن السني وأبي نعيم، والألباني في صحيح الجامع الصغير ٧٥٠/٢ رقم ٤٠٦١ وقال: صحيح.

(٧) هو: بن سنان الرومي.

• الثُّفَاءُ:

[٣٥] ((عَلَيْكُمْ بِالثُّفَاءِ^(١) فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ فِيهِ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ))^(٢) ابنُ السُّنِيِّ وأبو نُعَيْمٍ

عن أبي هُرَيْرَةَ.

• الْهَلِيلِجُ^(٣) الْأَسْوَدُ:

[٣٦] ((عَلَيْكُمْ بِالْهَلِيلِجِ الْأَسْوَدِ فَاشْرَبُوهُ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْجَنَّةِ، طَعْمُهُ مُرٌّ وَهُوَ شِفَاءٌ مِنْ

كُلِّ دَاءٍ))^(٤) الْحَاكِمُ عن أبي هُرَيْرَةَ.

• السَّنَا^(٥) وَالسَّنُونُ^(٦):

(١) ورد في الهامش ما نصه: (الثُّفَاءُ: بالضم والمد الخردل، وقيل: هو حب الرِّشَاد). انظر: لسان العرب ٤١/١

(٢) ذكره ابن السني في الطب النبوي ص ١٦٣، وأبو نعيم في الطب النبوي ٦٠٣/٢ رقم ٦٤٠، وذكره السيوطي في الفتح الكبير ٢٢٥/٢ رقم ٧٧٩٦ وعزاه لابن السني وأبي نعيم، والصالحي في سبل الهدى والرشاد ٢٢٣/١٢ - الباب السادس والستون في الكلام على بعض مفردات التي جاءت على لسانه ﷺ الثفاء والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٥٤٩/١ رقم ٣٧٥٧ وقال: ضعيف.

(٣) وَالْهَلِيلِجُ وَالْإِهْلِيلِجُ وَالْإِهْلِيلِجَةُ عَقِيمٌ مِنَ الْأَدويةِ معروفٌ وهو مُعْرَبٌ.

انظر: لسان العرب ٣٩٢/٢

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤٤٨/٤ رقم ٧٨٢٨ - كتاب الطب - سكت عنه الحاكم، وقال الذهبي: قال أحمد وغيره سيف بن محمد كذاب، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩٩/٧ رقم ٥٠٤، وذكره السيوطي في الفتح الكبير ٢٢٧/٢ رقم ٧٨٢٨ وعزاه للحاكم، والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٣٨٢/٨ رقم ٣٩٠٩ وقال: موضوع.

(٥) السَّنَا: نباتٌ شُجيري من الفصيلة القرنية، زهره مصفر، وحبه مفلطح، رقيق كلوي الشكل تَقْرِيبًا إِلَى الطول، يتداوى بورقه وثمره، وأجوده الحِجَازِي وَيَعْرِفُ بِالسَّنَا الْمَكِّيِّ.

انظر: المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ٤٥٧/١

(٦) السَّنُونُ: ورد في هامش الأصل تفسير هذه الكلمة: (قيل: العَسَل، وقيل: الرُّب، وقيل: الكَمُون).

انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٠٧/٢

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ لَا لِلْعَوَامِ

[٣٧] ((ثَلَاثٌ فِيهِنَّ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ [إِلَّا السَّامَ] ^(١) السَّنَا وَالسَّنُوتُ)) ^(٢)، قال محمد ^(٣):

ونسيتُ الثالث، (النسائي) ^(٤) عن أنس.

• الحبة السوداء:

[٣٨] ((فِي الْحَبَّةِ السُّودَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلَّا السَّامَ)) ^(٥) أحمد والشيخان وابن ماجه

عن أبي هريرة.

• التليينة ^(٦):

[٣٩] ((فِي التَّلِينَةِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ)) ^(٧) الحارث عن أنس.

• الشونيز ^(٨):

(١) ساقطة من الأصل والإضافة من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٨٦/٧ رقم ٧٥٣٣ - كتاب الطب - الدواء بالسنا والسنوت - والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٢٣٧/٦ رقم ٢٢٥٥، وذكره السيوطي في الفتح الكبير ٤١/٢ رقم ٥٥٣٨ وعزاه للنسائي، والألباني في صحيح الجامع الصغير ٥٨٢/١ رقم ٣٠٣٤ وقال: حسن.

(٣) هو: محمد بن عمارة كما هو في سند النسائي.

(٤) في الأصل (الشيخان) والمثبت من (الفتح الكبير).

(٥) أخرجه البخاري ١٢٤/٧ رقم ٥٦٨٨ كتاب الطب - باب الحبة السوداء - ومسلم ١٧٣٥/٤ رقم ٢٢١٥ كتاب السلام - باب التداوي بالحبة السوداء - وابن ماجه ١١٤١/٢ رقم ٣٤٤٧ كتاب الطب - باب الحبة السوداء - وأحمد ٥١٢/١٢ رقم ٧٥٥٧، وابن الجعد في مسنده ص ١٥٥ رقم ٩٨٨، وإسحاق بن راهوية في مسنده ١٧٥/١ رقم ١٢٣.

(٦) التليينة: ورد في هامش الأصل تفسير هذه الكلمة ما نصه: (وهي: حَسَاءٌ يُعْمَلُ مِنْ دَقِيقٍ أَوْ نُخَالْتِهِ وَرَبْمَا يُجْعَلُ فِيهِ الْعَسَلُ، سُمِّيَتْ بِاللَّبَنِ لِبَيَاضِهَا وَرِقَّتِهَا). انظر: لسان العرب ٣٧٦/١٣

(٧) ذكره ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٣٨/١١ رقم ٢٤٤٥ كتاب الطب - باب التليينة - والسيوطي في الفتح الكبير ٢٥٩/٢ رقم ٨٢٠٦ وعزاه للحارث (مسند الحارث بن أسامة)، وذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٥٨٢/١ رقم ٣٩٩٥ وقال: ضعيف.

(٨) الشونيز: هي الحبة السوداء وتسمى أيضاً الحبة المباركة، قال بهذا الزُّهري والقاضي عياض وغيرهم.

انظر: طرح التشريب للعراقي ١٧٥/٨، وتاج العروس للزبيدي ٢٣١/٢، ٢٣١/٨

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ لَا لِلْعَوَامِ

[٤٠] ((الشونيز [دَوَاءً] ^(١) مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ وَهُوَ الْمَوْتُ))^(٢) ابن السُّنِّي فِي (الطَّب)،

وعبد الغني فِي (الإيضاح) عَنْ بُرَيْدَةَ.

[٤١] ((كَلُوا الزَّيْتِ وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ سَبْعِينَ [دَاءً]^(٣)، مِنْهَا الْجُدَامُ))^(٤) أَبُو

نُعَيْم فِي (الطَّب) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

• ماء زمزم:

[٤٢] ((مَاءُ زَمْرَمَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ))^(٥) الدَّيْلَمِي عَنْ صَفِيَّةَ .

[٤٣] ((مَاءُ زَمْرَمَ، لِمَا شَرِبَ لَهُ))^(٦) ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ بِيهَقِي فِي السُّنَنِ

عَنْ جَابِرٍ، وَابْنِ بِيهَقِي فِي الْكَبِيرِ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو^(٧).

(١) ساقطة من الأصل والإضافة من مصادر التخريج.

(٢) ذكره ابن السُّنِّي فِي الطب النبوي ص ١٦٠، وذكره السيوطي فِي الفتح الكبير ١٧٤/٢ رقم ٧١٥٩

وعزاه لابن السُّنِّي فِي (الطَّب)، وعبد الغني فِي (الإيضاح)، والألباني فِي صحيح الجامع الصغير ١/٦٩٤ رقم

٣٧٣٨ وقال: صحيح.

(٣) ساقطة من الأصل والإضافة من مصادر التخريج.

(٤) أخرجه أبو نعيم فِي الطب النبوي ٦٣٥/٢ رقم ٦٨٤، وذكره الصفوري فِي نزهة المجالس ٢/٢٨ -

فصل فِي قوله ﷺ خلقتهم مع سبع - قال الذهبي: الإدهان بالزيت يقوي الشعر والأعضاء، ويبطئ الشيب،

وشربه ينفع من السموم، وهو ترياق الفقراء. كما ذكره السيوطي فِي الفتح الكبير ١/٣٠١ رقم ٨٦٦٨

وعزاه لأبي نعيم، والألباني فِي ضعيف الجامع الصغير ١/٦١٢ رقم ٤٢٠٢ وقال: ضعيف.

(٥) ذكره ابن حجر فِي الإصابة فِي تمييز الصحابة ٨/٢١٧ رقم ١١٤٢٢ وأشار إِلَى ضعف الحديث،

والسيوطي فِي الفتح الكبير ٣/٧٠ رقم ١٠٤١٣ وعزاه للدَيْلَمِي فِي مسند الفردوس، والألباني فِي

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٩/٣٩٧ رقم ٤٤٠٧، وقال: ضعيف.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٢/١٠١٨ رقم ٣٠٦٢ كتاب المناسك - باب الشرب من زمزم - وابن أبي شَيْبَةَ فِي

المصنف ٥/٦٣ رقم ٢٣٧٢٣ كتاب الطب - من كان يقول ماء زمزم فِيه شفاء - وأحمد ٢٣/١٤٠ رقم

١٤٨٤٩، والبيهقي فِي السنن الكبرى ٥/٥٤١ رقم ٩٦٦٠ كتاب الحج - باب سقاية الحاج والشرب

منها ومن ماء زمزم -

(٧) أخرجه البيهقي فِي السُّنَنِ الصغرى ٢/٢٠٣ رقم ١٧٤٣ كتاب المناسك - باب دخول الكعبة

والصلاة فِيها - وذكره الألباني فِي صحيح الجامع الصغير ٢/٩٦٦ رقم ٥٥٠٢ وقال: صحيح.

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

[٤٤] ((مَاءٌ زَمَزَمَ لِمَا شَرِبَ لَهُ، مَنْ شَرِبَهُ لِمَرَضٍ شَفَاهُ اللَّهُ، أَوْ لَجُوعٍ أَشْبَعَهُ اللَّهُ، أَوْ لِحَاجَةٍ قَضَاهَا اللَّهُ))^(١) المُستغفري في (الطَّب) عن جابر.

• السَّوَاكُ وَشُرْبُ بَقِيَّةِ مَاءِ الْوُضُوءِ:

[٤٥] ((السَّوَاكُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ، وَالسَّامُ الْمَوْتُ))^(٢) الدَّيْلَمِي عَنْ عَائِشَةَ.

[٤٦] ((الشُّرْبُ مِنْ فَضْلِ وَضُوءِ الْمُؤْمِنِ فِيهِ شِفَاءٌ مِنْ سَبْعِينَ دَاءً أَدْنَاهَا الْهَمُّ))^(٣) أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِي عَنْ أَبِي أَمَامَةَ.

• جَوَامِعُ الْأَدْوِيَةِ:

[٤٧] قَالَ وَكَيْعٌ^(٤): حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ^(٥) الْأَعْرَجُ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَبِي حَبَابٍ، حَدَّثَنِي عَيْسَى بْنُ الْأَشْعَثِ، عَنْ جُوَيْرِ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ النَّزَالِ بْنِ سَبْرَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ) قَالَ: (مَنْ ابْتَدَأَ غَدَاءَهُ بِالْمِلْحِ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ سَبْعِينَ نَوْعًا مِنَ الْبَلَاءِ، وَمَنْ أَكَلَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمْرَاتٍ عَجْوَةً، قَتَلَتْ كُلَّ دَاءٍ فِي بَطْنِهِ، وَمَنْ أَكَلَ كُلَّ يَوْمٍ إِحْدَى وَعِشْرِينَ زَبِيْبَةً حَمْرَاءَ لَمْ يَرِ فِي جَسَدِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ، وَاللَّحْمُ يُنْبِتُ اللَّحْمَ، وَالشَّرِيدُ طَعَامٌ

(١) ذكره السيوطي في الفتح الكبير ٧٠/٣ رقم ١٠٤١٦ وعزاه للمستغفري في الطب، والألباني في ضعيف الجامع الصغير ٧١٩/١ رقم ٤٩٧٣ وقال: ضعيف.

(٢) ذكره السيوطي في الفتح الكبير ١٦٤/٢ رقم ٧٠٣١ وعزاه للدَّيْلَمِي فِي مَسْنَدِ الْفَرْدُوسِ، وَالْأَلْبَانِي فِي ضَعِيفِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ ٤٩٣/١ رقم ٣٣٦٠ وقال: ضعيف.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ شَاهِينَ فِي التَّرْغِيبِ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ ص ١٥٤ رقم ٥٣٦ — بَابُ فَضْلِ مَا لِلْعَبْدِ فِي حَسَنِ النِّيَّةِ لِلخَلْقِ — وَالشُّوْكَانِي فِي الْفَوَائِدِ الْمَجْمُوعَةِ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ ص ٢٦٣ رقم ١٦٨ وقال: فِي إِسْنَادِهِ وَضَاعٌ، وَالْأَلْبَانِي فِي سِلْسِلَةِ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْمَوْضُوعَةِ ٢٣٢/٨ رقم ٣٧٥٧ وقال: مَوْضُوعٌ.

(٤) هُوَ: وَكَيْعُ بْنُ الْجِرَاحِ بْنِ مَلِيحِ الرَّؤَاسِيِّ، أَبُو سَفِيَّانٍ، حَافِظٌ لِلْحَدِيثِ، ثَبِتَ، كَانَ مَحْدُثَ الْعِرَاقِ فِي عَصْرِهِ، وَلَدَ بِالْكُوفَةِ، وَتَفَقَّهُ وَحَفِظَ الْحَدِيثَ، وَاشْتَهَرَ، وَأَرَادَ الرَّشِيدُ أَنْ يُؤَلِّقَهُ قَضَاءَ الْكُوفَةِ، فَامْتَنَعَ وَرِعًا،

وَكَانَ يُصُومُ الدَّهْرَ، لَهُ كِتَابٌ مِنْهَا (تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ)، (ت ١٩٧ هـ). انظر: الْأَعْلَامُ ١١٧/٨.

(٥) فِي الْأَصْلِ بِيَزَادَةَ (بَنٍ)، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ كِتَابِ التَّرَاجِمِ.

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

العَرَبِ، والبَاشِيَاؤُ حَارًّا يَعِظُمُ البَطْنَ وَيُرْخِي الإِلْيَتَيْنِ^(١)، وَلَحْمُ البَقَرِ دَاءٌ، وَلَبَنُهَا شِفَاءٌ، وَسَمْنُهَا دَوَاءٌ، وَالشَّحْمُ يُخْرِجُ مِثْلَهُ مِنَ الدَّاءِ، وَلَمْ يَسْتَشْفِ النَّاسَ بِشِفَاءِ أَفْضَلِ مِنَ السَّمْنِ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَالسَّوَاكُ يُذْهِبُ البَلْغَمَ، وَلَمْ تَسْتَشْفِ النَّفْسَاءُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الرُّطْبِ، وَالسَّمَكُ يُذِيبُ الجَسَدَ، وَالمرءُ يَسْعَى بِجَدِّهِ، وَالسَّيْفُ يَقْطَعُ بِجَدِّهِ، وَمَنْ أَرَادَ البَقَاءَ وَالبَقَاءَ فَلْيُبَاكِرِ العَدَاءَ، وَلْيُقِلَّ عَشِيَانَ النِّسَاءِ، وَلْيُخَفِ الرَّدَاءَ، قِيلَ: وَمَا خِيفَةُ الرَّدَاءِ فِي البَقَاءِ؟ قَالَ: لِخِيفَةِ الدِّينِ^(٢).

روى بعضه ابن السني وأبو نعيم معاً في (الطَّبِّ) والبيهقي.

(عيسى بن الأشعث)، قال في (المغني)^(٣): مجهول، وجُوْبِرَ متروك.

• الحَمِيَّةُ وَالبَرْدَةُ^(٤):

[٤٨] ((الحَمِيَّةُ رَأْسُ كُلِّ دَوَاءٍ))^(٥).

[٤٩] عن ابن عمر قال: سمعتُ عمر يقول: ((إِنَّ اشْتَهَى مَرِيضُكُمْ الشَّيْءَ فَلَا تَحْمُوهُ

(١) في الأصل (الأيسر) والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) الأثر ذكره كاملاً أبو طالب المكي في قوت القلوب ٣١٥/٢ - الفصل الأربعون في كتاب الأطعمة - ذكر أخبار جاءت في الآثار... وابن مفلح في الآداب الشرعية ١١٨/٣ - فصل في وصايا صحية مختلفة والمتقي الهندي في كنز العمال ٨٦/١٠ رقم ٢٨٤٧٢ كتاب الطب - الأدوية المفردة - وذكر بعضه ابن السني في الطب النبوي ص ١٩٠، وفي ص ١٩٧، والبيهقي في شعب الإيمان ١٠٠/٨ رقم ١٥٥٣ - الفصل الرابع في آداب الأكل... أكل اللحم -

(٣) انظر: المغني في الضعفاء للذهبي ٤٩٦/٢ رقم ٤٧٨٧. وجُوْبِرَ هو: ابن سعيد بن البلخي، والضحاك هو: ابن مزاحم البلخي.

(٤) قال ابن الأثير: هي التُّخْمَةُ وتُثْقَلُ الطَّعَامُ عَلَى المَعِدَةِ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُبْرَدُ المَعِدَةَ فَلَا تَسْتَمِرُّ الطَّعَامَ. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢٩٣/١

(٥) ذكره ابن قيم الجوزية في زاد المعاد ٩٦/٤ - فصل هديه ﷺ في الحمية - وقال: فَهَذَا الحَدِيثُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الحَارِثِ بنِ كَلْدَةَ طَبِيبِ العَرَبِ، وَلَا يَصِحُّ رَفْعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أئِمَّةِ الحَدِيثِ. ومثل هذا القول ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٤١٩/١ رقم ٢٥٢.

(٦) في الأصل (إذا) والمثبت من مصادر التخريج.

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

فَلَعَلَّ اللَّهُ إِنَّمَا شَهَاهُ ذَلِكَ لِيَجْعَلَ شِفَاءَهُ فِيهِ^(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا.

[٥٠] (إِذَا اشْتَهَى مَرِيضٌ أَحَدَكُمْ شَيْئًا، فَلْيُطْعِمْهُ)^(٢) ابْنُ مَاجَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

قلت: هذا لا يُنَافِي الحِمِيَةَ لِأَنَّ الحِمِيَةَ بِاعتبار الأغلب والأكثر، وهذا باعتبار التُّدْرَةِ والقِلَّةِ.

[٥١] ((أَصْلُ كُلِّ ذَايِ الْبَرْدَةِ^(٣)))^(٤) الدَّارِقُطَنِيُّ فِي (العِلل) عَنْ أَنَسٍ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي (الطَّب)

عَنْ عَلِيٍّ، ابْنِ السُّنِيِّ وَأَبُو نُعَيْمٍ وَتَمَامٌ وَابْنُ عَسَاكِرٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ.

[٥٢] وَوَرَدَ فِي السُّنَنِ أَيْضًا: ((سُورَةُ يَسٍ، مَنْ كَتَبَهَا ثُمَّ شَرِبَهَا أَدْخَلَتْ جَوْفَهُ أَلْفَ دَوَائٍ،

وَأَلْفَ نُورٍ))^(٥) الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ فِي (فضائل سورة يس).

خَاتِمَةٌ: ١٥٠/٥ فِي فَوَائِدَ تَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ الْمَرَضِ وَالْكَفَّارَاتِ ص ١٥٩ رَقْم ٢٠١ وَذَكَرَ الْمُحَقِّقُ أَنَّ إِسْنَادَهُ حَسَنٌ، وَابْنُ بَيْهَقِيٍّ فِي شَعْبِ الْإِيمَانِ ١١/٤٣٦ رَقْم ٨٧٩٤ - فَضَّلَ فِي آدَابِ الْعِبَادَةِ - وَذَكَرَهُ الْمُتَّقِيُّ الْهِنْدِيُّ فِي كَنْزِ الْعَمَالِ ١/٨٤ رَقْم ٢٨٤٦٨ وَعِزَاهُ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا وَعَبْدِ الرَّزَاقِ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ ٢/١١٣٨ رَقْم ٣٤٤٠ كِتَابِ الطَّب - بَابِ الْمَرِيضِ يَشْتَهِي الشَّيْءَ... - وَتَمَامُ الرَّازِيِّ فِي فَوَائِدِهِ ١/٢٦٣ رَقْم ٦٤١، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الطَّبِ النَّبَوِيِّ ٢/٦٤٨ رَقْم ٧٠٢ - بَابِ إِطْعَامِ الْمَرِيضِ الطَّعَامَ... وَذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي ضَعِيفِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ ١/٥٣ رَقْم ٣٧٣ وَقَالَ: ضَعِيفٌ.

(٣) جَاءَ فِي الْهَامِشِ فِي شَرْحِ كَلِمَةِ (الْبَرْدَةِ) مَا نَصَّهُ: (هِيَ: التُّخْمَةُ). انظُر: لِسَانَ الْعَرَبِ ٣/٨٢

(٤) أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطَنِيُّ فِي الْعِللِ الْوَارِدَةِ فِي الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ ١٢/٧٣ رَقْم ٢٤٣٣ عَنْ أَنَسٍ، وَأَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الطَّبِ النَّبَوِيِّ ١/٢٤٥ رَقْم ١٣٠، وَفِي ٢/٥٥٦ رَقْم ٥٧٨ عَنْ أَنَسٍ، وَفِي ١/٢٤٦ رَقْم ١٣٢ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَذَكَرَهُ ابْنُ السُّنِيِّ فِي الطَّبِ النَّبَوِيِّ ص ٨٠ - الْإِحْتِرَاسُ مِنَ الْبَرْدَةِ - عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، وَذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي ضَعِيفِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ ١/١٢٧ رَقْم ٨٩٣ وَقَالَ: ضَعِيفٌ جَدًّا.

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ الضَّرِيرِ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ ١/١٠٠ رَقْم ٢١٦ - بَابِ فِي فَضْلِ يَسٍ - وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ ٧/١٣٦، وَالْمُسْتَغْفَرِيُّ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ ٢/٥٩٦ رَقْم ٨٧٥ - بَابِ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ سُورَةِ يَسٍ - وَابْنُ بَيْهَقِيٍّ فِي شَعْبِ الْإِيمَانِ ٤/٩٦ رَقْم ٢٢٣٧ - فَضَّلَ فِي فَضَائِلِ السُّورِ وَالْآيَاتِ - ذَكَرَ سُورَةَ يَسٍ - وَقَالَ: تَفَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا عَنْ سَلِيمَانَ وَهُوَ مُنْكَرٌ، قَالَ الشُّوْكَانِيُّ: فِي فَتْحِ الْقَدِيرِ ٤/٤١١ - سُورَةُ يَسٍ -: فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ كُلُّهَا مُنْكَرَةٌ بِعِيدَةٍ مِنْ كَلَامٍ مَنْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ.

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

[٥٣] ذَكَرَ فِي (المواهب اللدنية)^(١) ناقلاً عن ابن القيم: (أَنَّ الْآيَاتِ وَالْأَذْكَارَ وَالْأَدْعِيَةَ الَّتِي يُسْتَشْفَى وَيُرْفَى بِهَا، هِيَ فِي نَفْسِهَا نَافِعَةٌ شَافِيَةٌ، وَلَكِنْ تَسْتَدْعِي قَبُولَ الْمَحِلِّ، وَقُوَّةَ هِمَّةِ الْفَاعِلِ وَتَأْثِيرَهُ، فَمَتَى تَخَلَّفَ الشِّفَاءُ كَانَ لِضَعْفِ تَأْثِيرِ الْفَاعِلِ، أَوْ لِعَدَمِ قَبُولِ الْمَحِلِّ الْمُنْفَعِلِ، أَوْ لِمَانِعِ قُوِّيٍّ فِيهِ يَمْنَعُ أَنْ يَنْجَعَ فِيهِ الدَّوَاءُ، كَمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأَدْوِيَةِ وَالْأَدْوَاءِ الْحِسِّيَّةِ، فَإِنَّ عَدَمَ تَأْثِيرِهَا قَدْ يَكُونُ لِعَدَمِ قَبُولِ الطَّبِيعَةِ لِذَلِكَ الدَّوَاءِ، وَقَدْ يَكُونُ لِمَانِعِ قُوِّيٍّ يَمْنَعُ مِنْ اقْتِضَائِهِ أَثْرَهُ، فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ إِذَا أَخَذَتِ الدَّوَاءَ بِقَبُولٍ تَامٍّ كَانَ انْتِفَاعُ الْبَدَنِ بِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ الْقَبُولِ، وَكَذَلِكَ الْقَلْبُ إِذَا أَخَذَ الرُّقَى وَالتَّعَاوِيذَ بِقَبُولٍ تَامٍّ، وَكَانَ الدَّوَاءُ نَفْسَ فَعَالَةٍ وَهِمَّةً مُؤَثَّرَةً أَثَرَ فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ)^(٢).

[٥٤] قيل: كَانَ لِكِسْرَى طَبِيبٌ حَادِقٌ، كَبِيرُ السِّنِّ، فَخَشِيَ كِسْرَى أَنْ يَمُوتَ ذَلِكَ الطَّبِيبُ وَلَا يَعْتَاضَ عَنْهُ بِأَحَدٍ لِأَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ زَمَانِهِ، فَدَعَاهُ يَوْمًا وَقَالَ لَهُ: صِفْ مَا أَعْمَلُ بِهِ وَأَسْؤُسُ نَفْسِي مُدَّةَ حَيَاتِي، فَلَسْتُ آمِنٌ أَنْ يَحْدُثَ لَكَ حَادِثُ الْمَوْتِ وَلَا أَجِدُ مِثْلَكَ، فَقَالَ الطَّبِيبُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَا أُبَيِّنُ لَكَ عَشْرَةَ أَبْوَابٍ، إِنْ عَمِلْتَ بِهَا لَمْ تَمْرُضْ مُدَّةَ حَيَاتِكَ، أَوْلَاهَا: أَنْ لَا تَأْكُلَ وَفِي مَعْدَتِكَ طَعَامٍ. **الثاني:** أَنْ لَا تَأْكُلَ مَا تَضَعِفُ أَسْنَانَكَ عَنْ مَضْغِهِ فَتَضَعِفُ مَعْدَتَكَ عَنْ هَضْمِهِ. **الثالث:** أَنْ لَا تَسْتَعْمَلَ مِنَ الدَّوَاءِ مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حَاجَةٌ دَاعِيَةً إِلَيْهِ. **الرابع:** أَكْثَرَ الدَّمِّ فِي بَدَنِكَ تَحْرَسُ بِهِ نَفْسَكَ. **الخامس:** أَنْ لَكَ فِي كُلِّ أَسْبُوعٍ قِيَّةٌ. **السادس:** لَا تَحْبِسُ الْبَوْلَ إِذَا حَضَرَكَ وَلَوْ كُنْتَ عَلَى سَرِّجِكَ لِكَيْ لَا يَعْقِرَكَ^(٣). **السابع:** أَعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَى الْخَلَاءِ قَبْلَ نَوْمِكَ. **الثامن:** عَلَيْكَ بِدُخُولِ الْحَمَامِ فِي كُلِّ يَوْمَيْنِ مَرَّةً فَإِنَّهُ يُخْرِجُ مِنْ جَسَدِكَ مَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ الدَّوَاءُ. **التاسع:** لَا تَقْرُبِ الْجَمَاعَ كَثِيرًا فَإِنَّهُ يَقْتَبِسُ نَوْرَ الْحَيَاةِ. **العاشر: ٥/أ** لَا تَجَامِعُ عَجُوزًا فَإِنَّهُ يُورِثُ الْمَوْتَ فَجَاءَهُ. فَلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى هَذِهِ

(١) ذكره القسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٢٠/٣ — ٢١ النوع الأول في طبه ﷺ

بالأدوية الإلهية —

(٢) ذكره ابن قيم الجوزية في الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٩ - القرآن شفاء - والزرقاني

في شرحه على المواهب اللدنية ٣٧١/٩ - الفصل الأول في طبه ﷺ -

(٣) يعقرك: استعمل في القتل والهلاك. انظر: لسان العرب ٥٩١/٤

الطُّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِفِ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ لَا لِلْعَوَامِ

الألفاظ، أمر كاتبه أن يكتبها بالذهب الأحمر، ويتركها في صندوق من ذهب، وأمر خازنه أن يعرض عليه في كل يوم مرة، وعمل بها فلم يمرض جسده مدة حياته^(١).

[٥٥] قال عبد المؤمن بن هبة الله المغربي في كتابه: (أطباق الذهب)^(٢) مقالة في هذا المعنى: (مرض القلوب أشد الأمراض، وعلاجه من أصح الأغراض، فيامن مرض فؤاده، ومله عواده، تراجع الطبيب في الحمى، وأين الطبيب من أجل المسسى؟، وأي حكيم لم يصرعه المنون؟، ثم لم ينفعه القانون، وأي طبيب لم تقذه^(٣) الغث؟، ثم لم ينقذه الطب، تجمّع العواد حولك، وتعرض على^(٤) الطبيب بولك، وترفع إليه شأنك، وتدلع لسانك، وتنهى سرك إلى الطبيب، وتشكو إلى العدو من الحبيب، والله لا ينعشك إلا من صرعك، كما لا يخلصك إلا من زرعك، إن كنت وصفت له علة لم يشفها، وإن عرّضت عليه كربة لم يقدر على كشفها، فاطلب طبيباً غيره، وإلا فدع النصراني وذيره، ولا يركن المؤمن إلى قول النصارى^(٥) واليهود، ولا يثقن الخشف بسنة الفهود، فاجعل المقدور كائناً، ولا تحكّم على نفسك خائناً، فاستشف بالقرآن، فإنه بحرّ يجيش إلى الأبد، وقول الطبيب يطيش كالزبد، ومن الزبد ما هو جفاءً، ونزل من القرآن ما هو شفاءً).

[٥٦] قلت: ولنا بعض حكم في هذا المعنى وهو هذا:

١/ الطيب تابع تجربته، وبائع ما في أجرته^(٦)، فالشافي هو الله لا هو (وإن يمسسك

(١) هذه الحكاية ذكرها ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٨٠ - تياذوق -

(٢) انظر: أطباق الذهب لعبد المؤمن بن هبة الله المغربي ص ٥٨ - المقالة الثانية والخمسون -

(٣) في هامش الأصل عند هذه الكلمة ما نصه: (من الوقدة وهي: الضرب حتى يسترخي ويشرف على الموت).

(٤) في الأصل (عن)، والمثبت من كتاب (أطباق الذهب).

(٥) في الأصل (النصراني)، والمثبت من كتاب (أطباق الذهب).

(٦) انظر: أطواق الذهب في المواعظ والخطب للزمخشري ص ١٠٨ - المقالة الثالثة والخمسون: الثقة بالطبيب -

الطّب التّام لجميع الأسقام للموقن بالكتاب والسنة لا للعوام

اللَّهُ بَضْرٌ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ^(١).

٢/ الأَطْبَاءُ الْكُفَّارُ يُضْمَرُونَ مَوْتَكُمْ وَإِنْ يُظْهِرُوا الْإِطَاعَةَ وَالْعُهُودَ وَ: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ)^(٢).

٣/ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا تَقْدِرْ عَلَى مَنَعِهِ وَعَضْلِهِ/٦٦ (وَإِنْ يُرِيدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ)^(٣).

٤/ قد يذهب قول الطبيب وهو جفاء (وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ)^(٤).

وَمِنْ جُمْلَةِ الْعِلَاجِ الَّذِي يَعْصَمُ الْأَمْرَاضَ كُلَّهَا الْمُعَلَّمُ بِفَضِيلَةِ الصَّبْرِ عَلَى الْأَمْرَاضِ وَالْبَلَاءِ.

[٥٧] عن عكرمة قال: مرَّ عمرُ بن الخطاب برجل مبتلى، أجدمٌ أعمى أصمَّ أبكم، فقال لمن معه: هل ترون في هذا من نعم الله شيئاً؟ قالوا: لا، قال: بلى، ألا ترونه يبُولُ فلا يعتصر ولا يلتوي فيخرج^(٥) بوله سهلاً، فهذه نعمة من الله^(٦). أخرجه عبد بن حميد.

[٥٨] (كان عيسى بن مريم يسبح، فإذا أمسى، أكل بقل الصَّحراءِ، وشرب الماء القراح، وتوسد التراب، ثم قال عيسى بن مريم: ليس له بيت يُخرب، ولا ولد يموت، طعامه بقل الصَّحراءِ، وشربه الماء القراح، ووسادته التراب، فإذا أصبح سَاحَ فَمَرَّ بوادٍ فيه رجلٌ أعمى مُقْعَدٌ مجذومٌ قد قطعه الجذام، السَّمَاءُ مِنْ فوقه، والوادي مِنْ تحته، والثَّلجُ عن يمينه، والبرَدُ عن يساره، وهو يقول: الحمد لله ربِّ العالمين ثلاثاً، فقال عيسى بن مريم: يا عبد الله أنت أعمى مُقْعَدٌ مجذومٌ وقد قطعك الجذام، السَّمَاءُ مِنْ فوقك، والوادي مِنْ تحتك،

(١) سورة يونس (الآية ١٠٧).

(٢) سورة المائدة (الآية ٨٢).

(٣) سورة يونس (الآية ١٠٧).

(٤) سورة الإسراء (الآية ٨٢).

(٥) في الأصل بزيادة (به).

(٦) الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ٨/٦٢٠ - سورة التكاثر - والمتقي الهندي في كنز العمال ٧٥١/٣ رقم ٨٦٥٤، وكلاهما عزاه لعبد بن حميد، ولم أجده في المنتخب من مسند عبد بن حميد.

الطَّبُّ النَّامُ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ لَا لِلْعَوَامِ

والتَّلَجُّعُ عن يمينك، والبرْدُ عن يسارك، قال: ياعيسى، أحمدُ الله الذي لم أكن السَّاعَةَ مِمَّنْ يقول: إِنَّكَ إِلَهٌ وابنُ إِلِهِ أو ثَلَاثُ ثَلَاثَةٌ^(١). الدَّيْلَمِيُّ وابنُ النُّجَارِ عن جابر.

[٥٩] وورد: ((أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَصِحَّ فَلَا يَسْقَمُ؟)) قَالُوا: كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((أَتُحِبُّونَ أَنْ تَكُونُوا كَالْحَمِيرِ الصَّيَالَةِ^(٢)؟، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ تَكُونُوا أَصْحَابَ بَلَاءٍ، وَأَصْحَابَ كَفَّارَاتٍ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ اللَّهُ لَيَبْتَلِي الْمُؤْمِنَ وَمَا يَبْتَلِيهِ بِهِ إِلَّا لِكِرَامَتِهِ عَلَيْهِ))، وفي لفظ: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَتَكُونُ لَهُ الدَّرَجَةُ فَمَا يَبْلُغُهَا بِشَيْءٍ^(٣) مِنْ عَمَلِهِ، فَيَبْتَلِيهِ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ لِيَبْلُغَ تِلْكَ الدَّرَجَةَ، وَمَا يَبْلُغُهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ))^(٤) الطُّبْرَانِيُّ والبغوي وأبونعيم والبيهقي في (شعب الإيمان) عن أبي فاطمة الضمري، أيضاً.

[٦٠] ((لِيُؤَدَّنَ/ب أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ جُلُودَهُمْ قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ))^(٥) التُّرْمُذِيُّ والضياء عن جابر.

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ٣/٣٤٢-٣٤٣ رقم ٦٨٥٢ الكتاب الثالث في الأخلاق - الفصل الثاني في تعدد الأخلاق المحموده - وملا علي القاري في تسليية الأعمى عن بلية العمى ص ٤٨، وكلاهما عزاه للديلمى وابن النجار عن جابر(رضي الله عنه).

(٢) الحمر الصيالة: العير الذي في الفلاة يصلو البعض على البعض وبعض البعض على البعض وهي أصح الحيوان جسماً. انظر: الترغيب والترهيب لأسماعيل بن محمد الأصبهاني ١/٣٣٠ (٣) في الأصل (شيء) والمثبت من مصادر التخريج.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٧/٣٥١ رقم ٤٠٣٣، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٢/٢١٩ رقم ٩٧٤، والطبراني في المعجم الكبير ٢٢/٣٢٣ رقم ٨١٣، وأبو نعيم الأصفهاني في معرفة الصحابة ١/٢٤٧ رقم ٨٥٠، والبيهقي في شعب الإيمان ١٢/٢٧٧ رقم ٩٣٩٣ - فصل في ذكر ما في الأوجاع والأمراض والمصيبات من الكفارات - وإسماعيل بن محمد الأصبهاني في الترغيب والترهيب ١/٣٣٠ رقم ٥٥٥ - باب ثواب البلاء... وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦/١٩١ رقم ٢٥٩٩.

(٥) أخرجه الترمذي ٤/١٨١ رقم ٢٤٠٢ - أبواب الزهد - باب ٥٨ - وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/٥٢٦ رقم ٦٥٥٣ كتاب الجنائز - باب ما ينبغي لكل مسلم أن يستشعره من الصبر - وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/٢٤٠ رقم ٢٢٠٦.

الطُّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

[٦١] ((كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً))^(١) الدَّيْلَمِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْسَلًا.

[٦٢] ((إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))^(٢) الطَّبْرَانِي فِي

(الْأَوْسَط) وَأَبُو الشَّيْخِ عَنْ أَنَسٍ.

[٦٣] ((الْغَرِيبُ إِذَا مَرَضَ، فَنَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ أَمَامِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، فَلَمْ يَرَ

أَحَدًا يَعْرِفُهُ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))^(٣) ابْنُ النَّجَّارِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

[٦٤] ((أَيُّنَ الْمَرِيضِ تَسْبِيحٌ، وَصِيَاحُهُ تَهْلِيلٌ، وَنَفْسُهُ صَدَقَةٌ، وَنَوْمُهُ عَلَى الْفِرَاشِ

عِبَادَةٌ، وَتَقَلُّبُهُ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ كَمَا يُقَاتِلُ الْعَدُوَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ

لِمَلَائِكَتِهِ اكْتُبُوا لِعَبْدِي أَحْسَنَ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي صِحَّتِهِ، فَإِذَا قَامَ وَمَشَى [كَانَ]^(٤) كَمَنْ

لَا ذَنْبَ لَهُ))^(٥) الْخَطِيبُ وَالدَّيْلَمِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَقَالَ: رَجَالُهُ مَعْرُوفُونَ بِالثَّقَّةِ إِلَّا حَسِينُ

بْنِ أَحْمَدَ الْبَلْخِيِّ فَإِنَّهُ مَجْهُولٌ.

[٦٥] ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَكْتُبُ لِلْمَرِيضِ أَفْضَلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي صِحَّتِهِ مَا دَامَ فِي وَثَاقِهِ،

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ٣٠٢/٢ رقم ١٤٠٩ عن أنس، وذكره عبد الرؤوف المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢٠٧/٢ وقال: ضعيف، والألباني في ضعيف الجامع الصغير ٦٠٨/١ رقم ٤١٧٣ وقال: ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات ص ٦٦ رقم ٦١، والطبراني في المعجم الصغير ٣١٤/١ رقم ٥١٩، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٩٧/٢ رقم ٣٧٦٤ وعزاه للطبراني في الصغير والأوسط، وقال: في إسناده إبراهيم بن الحكم وهو ضعيف، والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٢٣٤/٦ رقم ٢٧١٢ وقال: ضعيف جداً.

(٣) أخرجه الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية ٣٩٨/٢ رقم ٢٩٠٦ - في ذكر عيادة المرضى وفضلها... وذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ١١٢/٣ رقم ٤٣١٠، وأخرجه القزويني في التدوين في أخبار قزوين ١٧٠/٤، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٤٣٦/٨ رقم ٣٩٦٦ وقال: ضعيف.

(٤) ساقطة من الأصل والإضافة من مصادر التخريج.

(٥) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٥٨٨/٢ رقم ٤٤٣، وابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ٣٨٨/٢ رقم ١٤٤٩، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال ٣١١/٣ رقم ٦٧٠٥.

وللمُسَافِرِ أَفْضَلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي حَضْرِهِ»^(١) الطبراني عن أبي موسى.

[٦٦] عَنْ (أَبِي السَّفَرِ)^(٢) قَالَ: دَخَلَ عَلَيَّ أَبِي بَكْرٍ نَاشٍ يَعْوِدُونَهُ فَقَالُوا: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، أَلَا نَدْعُو لَكَ طَيِّبًا يَنْظُرُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «قَدْ نَظَرُ إِلَيَّ»، قَالُوا: فَمَاذَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: قَالَ: إِنِّي فَعَّالٌ لِمَا أُرِيدُ.^(٣) ابن سعد وابن أبي شيبه وأحمد في (الزهد) وأبو نعيم في (الحلية) وهناد. [مِنْ] ^(٤) كَلَامِ السَّلَفِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ):

[٦٧] (الْعَافِيَةُ سَتَرَتْ الْبِرَّ وَالْفَاجِرَ، فَإِذَا جَاءَتْ الْبَلَوَى تَبَيَّنَ عَنْهَا الرَّجَالُ)^(٥) أحمد بن عيسى (رضي الله عنه).

[٦٨] (يُوجِرُ الْمَرْءَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِهِ)^(٦).

[٦٩] قيل: (لَا يَجْزَعُ عَنِ الْمُصِيبَةِ إِلَّا مَنْ يَتَهُمُ رَبُّهُ عَزَّوَجَلَّ)^(٧) حمدون القصار.

[٧٠] (الْبَلَاءُ مِلْحُ الْمُؤْمِنِ فَإِذَا عُدِمَ الْبَلَاءُ فَسَدَ حَالُهُ)^(٨) ذو النون (رضي الله عنه).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (الروض الداني) ٢٣٨/٢ رقم ١٠٩٢، وفي المعجم الأوسط ٢٧١/٨ رقم ٨٦٠٩، وذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٢٥٢/١ رقم ١٧٥٥ وقال: ضعيف.

(٢) في الأصل (أبي سعيد)، والمثبت من مصادر التخریج.

(٣) أخرجه ابن سعد ١٤٨/٣ - ذكر وصية أبي بكر - وابن أبي شيبه ٩٣/٧ رقم ٣٤٤٤٠ - كلام أبي بكر الصديق - وأحمد في الزهد ص ١١١ رقم ٧١٦ من كلام أبي الدرداء، وهناد في الزهد ٢٣٠/١ رقم ٣٨٢ - باب الصبر على البلاء... - وابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص ٥٢ رقم ٣٩، وأبو نعيم في الحلية ٣٤/١.

(٤) ليست في الأصل والإضافة من عندي.

(٥) أخرجه ابن الجوزي في كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٢٨٢/١٢ رقم ١٨٣٦، وفي صفة الصفوة ٥٢٩/١ عن أبي سعيد الخراز أحمد بن عيسى.

(٦) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٧٤٤ رقم ١٣٥٣، والعجلوني في كشف الخفاء ٤٨٨/٢ رقم ٣٢٤١ وقال: ليس بحديث، والغزي في الجدل الحديث في بيان ما ليس بحديث ص ٢٦٥ رقم ٦٤٦ وقال: لا أصل له به.

(٧) ذكره السلمي في طبقات الصوفية ص ١١٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢١٣/١٣، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢٣٩/٢٠، وفي سير أعلام النبلاء ٥١/١٣.

(٨) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣٧٣/٩.

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

[٧١] [مَنْ اسْتَصْعَرَ عِظَاءَهُ عَظُمَ بَلَاؤُهُ] أحمد بن محمد بن سهل.

[٧٢] [الْاِحْتِيَالُ فِي دَفْعِ الْبَلَاءِ زِيَادَةٌ فِي ٧/ أَلْبَلَاءِ لَهُ أَيْضًا.]

[٧٣] [يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَجْعَلَ نُصَبَ عَيْنَيْهِ فِي الْبَلَاءِ هَذِهِ الْآيَةُ: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ

فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)^(١).

[٧٤] [قِيلَ: الْخَلْقُ كُلُّهُمْ فِي مَقَامِ الشُّكْرِ، وَهُمْ يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ فِي مَقَامِ الصَّبْرِ^(٢)، أَبُو عَمْرٍو

المغربي.

[٧٥] [لَوْلَا مَصَائِبُ الدُّنْيَا لَوَرَدْنَا فِي الْآخِرَةِ مَفَالَيْسَ]^(٣)، قَالَتْ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ الْعَابِدَةُ لَمَا

انكسرت رجلها.

[٧٦] [مَا ابْتُلِيَ الْعَبْدُ بِلَاءٍ إِلَّا وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ^(٤)، قَالَ لِقْمَانَ (عَلَيْهِ

السَّلَام) لَابْنَهُ.

[٧٧] [قَالَ الْجَنَيْدُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): كُنْتُ نَائِمًا عِنْدَ سَرِيٍّ السَّقَطِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

فَأَنْبَهَنِي، وَقَالَ: يَا جَنَيْدُ، رَأَيْتُ كَأَنِّي قَدْ وَقَفْتُ بَيْنَ (يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)^(٥)، وَقَالَ: يَا سَرِيٍّ،

خَلَقْتُ الْخَلْقَ، فَكُلُّهُمْ ادَّعَاوُا مَحَبَّتِي، وَخَلَقْتُ الدُّنْيَا، فَهَرَبَ مِنِّي تِسْعَةَ أَعْشَارِهِمْ، وَبَقِيَ

مَعِيَ الْعُشْرُ، وَخَلَقْتُ الْجَنَّةَ فَهَرَبَ مِنِّي تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْعُشْرِ وَبَقِيَ مَعِيَ عُشْرُ الْعُشْرِ، فَسَلَّطْتُ

عَلَيْهِمْ ذُرَّةً مِنَ الْبَلَاءِ، فَهَرَبَ مِنِّي تِسْعَةَ أَعْشَارِ عُشْرِ الْعُشْرِ، فَقُلْتُ لِلْبَاقِينَ مَعِيَ: لَا الدُّنْيَا

أَرَدْتُمْ، وَلَا الْجَنَّةَ أَخَذْتُمْ، وَلَا مِنَ الْبَلَاءِ هَرَبْتُمْ، فَمَاذَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُرِيدُ،

فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنِّي أَسَلَّطُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْبَلَاءِ بَعْدَ أَنْفَاسِكُمْ، مَا لَا تَقُومُ لَهُ الْجِبَالُ الرَّوَاسِي،

(١) سورة الطور (الآية ٤٨).

(٢) ذكره السُّلَمِيُّ فِي عِيُوبِ النَّفْسِ ص ٣٥ - تَنَاوَلَ الرَّخِيصَ بِالشَّبَهَاتِ - وَإِسْمَاعِيلَ حَقِي الْخُلُوتِي فِي

رُوحِ الْبَيَانِ ١٩٨/٩ - سُورَةُ الطُّورِ آيَةُ ٢٩ -

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي صِفَةِ الصَّفْوَةِ ٢/ ٢٥١، وَابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةُ فِي عُدَّةِ الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةِ الشَّاكِرِينَ

ص ٩١ - الْبَابُ السَّادِسُ عَشَرَ فِي ذِكْرِ مَا وَرَدَ فِيهِ مِنْ نَصُوصِ السُّنَّةِ -

(٤) فِي الْأَصْلِ (مِنْهَا) وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ عِنْدِي حَتَّى يَسْتَقِيمَ بِهِ الْمَعْنَى.

(٥) فِي الْأَصْلِ (بِيَدِهِ)، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ مَصَادِرِ التَّخْرِيجِ.

الطُّبُّ النَّامُ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِفِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

أَتَصْبِرُونَ؟ قَالُوا: إِذَا كُنْتَ أَنْتَ الْمُبْتَلَى فافْعَلْ مَا شِئْتَ، فَهَؤُلَاءِ عِبَادِي حَقًّا^(١).
تمت الرسالة والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

بلغ مقابلةً على أصله المنسوخ .

* * *

(١) الأثر أخرجه الخطيب في الزهد والرفائق ص ١٠٧ رقم ٨٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨٦/٢٠-١٨٧، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ١/١ ٥٠.

فهرس المصادر والمراجع

- الآحاد والمثاني، لأبي بكر أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم الشيباني (ت ٢٨٧هـ)،
تحقيق: د/ باسم فيصل الجوابرة، الناشر: دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩١م.
- آداب الشافعي ومناقبه، لعبد الرحمن بن محمد، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)،
تحقيق وتعليق: عبد الغني عبد الخالق، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،
سنة ٢٠٠٣م.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية، لمحمد بن مفلح بن محمد المقدسي الحنبلي
(ت ٧٦٣هـ)،
الناشر: عالم الكتب.
- الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)،
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٤م.
- الأحاديث المختارة، لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣هـ)،
تحقيق: د/ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع،
بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٠م.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان التميمي، البستي
(ت ٣٥٤هـ)،
ترتيب: علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة
الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م.
- أخبار أصبهان، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق:
سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٠م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)،

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت،

الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ

- أطباق الذهب، عبد المؤمن بن هبة الله المغربي الأصفهاني (ت)، شرح ألفاظه الشيخ يوسف أفندي النبھاني، الطبعة الأدبية، بيروت، سنة ١٣٠٩هـ

- أطواق الذهب في المواعظ والخطب، محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت) (٥٣٨هـ)،

تحقيق: الناشر: مطبعة نخبة الأخبار.

- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) لعبد الحي بن فخر الدين الحسيني (ت ١٣٤١هـ)، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٩م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية.

- تاريخ الإسلام لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٣م.

- تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢م.

- تاريخ دمشق، لعلي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)،

تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة، دمشق، سنة ١٩٩٥م.

- التدوين في أخبار قزوين لعبد الكريم بن محمد، أبو القاسم القزويني (ت ٦٢٣هـ)، تحقيق: عزيز الله العطاردي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،

سنة ١٩٨٧م.

الطُّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

- ترتيب الأمالي الخميسية ليحيى بن الحسين بن إسماعيل الشجري الجرجاني (ت ٤٩٩ هـ)،

رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد العبشمي (ت ٦١٠ هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠١ م.

- الترغيب في فضائل الأعمال، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي المعروف بابن شاهين (ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٤ م.

- الترغيب والترهيب لإسماعيل بن محمد الأصبهاني، الملقب بقوام السنة (ت ٥٣٥ هـ)،

تحقيق: أيمن بن صالح، الناشر: دار الحديث / القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٣ م.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٩ هـ

- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩

- التيسير بشرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي (ت ١٠٣١ هـ)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٨ م.

- الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث لأحمد بن عبد الكريم الغزي (ت ١١٤٣ هـ)، تحقيق: بكر عبد الله أبو زيد، الناشر: دار الراجعية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٢ م.

- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، الناشر: دار المعرفة، المغرب، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٧ م.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني

الطُّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

(ت ٤٣٠هـ)،

الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، سنة ١٩٧٤م.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي

(ت ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت.

- الدعوات الكبير، لأحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق:

بدر بن عبد الله البدر، الناشر: غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٩م.

- روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الخلوئي المولى أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ)،

الناشر: دار الفكر، بيروت.

- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية

(ت ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة

السابعة والعشرون، سنة ١٩٩٤م.

- الزهد لأبي السري هناد بن السري الدارمي الكوفي (المتوفى: ٢٤٣هـ)، تحقيق: عبد

الرحمن الفريوائي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، سنة

١٩٨٦م.

- الزهد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، وضع حواشيه:

محمد عبد السلام الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٩م.

- الزهد والرقائق (المنتخب)، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت

٤٦٣هـ)،

تحقيق: د/عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة

٢٠٠٠م.

- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي

(ت ٩٤٢هـ)،

تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر:

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٣م.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٩٩٩م)،

الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني

(ت ١٩٩٩م)،

دار النشر: دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٢م.

- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث بن إسحاق السَّجِسْتَانِي (ت ٢٧٥هـ)،

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف،

الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة ١٩٩٨م.

- سنن البيهقي (الصغرى)، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت

٤٥٨هـ)،

تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي،

باكستان،

الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٩م.

- سنن البيهقي (الكبرى)، لأحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق:

محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٣م.

- السنن النسائي (الكبرى)، لأحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق:

حسن عبد المنعم شلبي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠م.

- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (ت ٢٧٣هـ)،

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي

الحلي.

- سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (ت

الطَّبُّ النَّامُ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ لَا لِلْعَوَامِ

(١٤٤٨هـ)،

تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة،

الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٥م.

- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي (ت ١٢٢٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م.

- شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: د/عبد العلي عبد الحميد، ومختار أحمد الندوي، الناشر: مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٣م.

- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن النسخة السلطانية)، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ

- صحيح الجامع الصغير، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)،

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- صفة الصفوة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)،

تحقيق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، سنة ٢٠٠٠م.

- ضعيف الجامع الصغير، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٩٩٩م)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي.

- الطب النبوي، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق:

مصطفى التركي، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٦م.

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

- الطب النبوي لابن السني، أحمد بن محمد الدينوري (ت ٣٦٤هـ)، إشراف وتقديم: د/عبد الرحمن العوضي، د/أحمد الجندي، طبعة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، الكويت، سنة ٢٠٠٤م.

- طبقات الصوفية، لمحمد بن الحسين بن محمد ، أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ)،

تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٨م.

- الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد البصري، المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)

تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٠م.

- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)،

الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٩م.

- طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ)،

أكملها ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٢٦هـ)، الناشر: الطبعة المصرية القديمة، وصورتها عدة دور.

- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)

تحقيق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨١م.

- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، أبو الحسن علي بن عمر بن الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)،

الطُّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

علق عليه: محمد بن صالح بن محمد الدباسي، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٧هـ

- عمل اليوم والليلة، أحمد بن محمد بن إسحاق الدُّنُورِيُّ، المعروف بـ «ابن السُّنِّي»، (ت ٣٦٤هـ)، تحقيق: كوثر البرني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة / بيروت.

- عيوب النفس، لمحمد بن الحسين بن محمد أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ)، تحقيق: مجدي فتحي السيد، الناشر: مكتبة الصحابة، طنطا، بمصر. الطبعة -

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن خليفة ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ)،

تحقيق: د/نزار رضا، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت.

- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)،

الناشر: دار المعرفة، بيروت، سنة ١٣٧٩هـ

- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)،

الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤ هـ

- الفتح الكبير، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق:

يوسف النبهاني، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٣م.

- الفردوس بمأثور الخطاب، لشيرويه بن شهردار أبو شجاع الديلمي (ت ٥٠٩هـ)،

تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة

١٩٨٦م. - فضائل - القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، أبو عبد الله محمد

بن أيوب ابن الضريس (ت ٢٩٤هـ)، تحقيق: غزوة بدير، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة

الأولى، سنة ١٩٨٧م.

- فضائل القرآن، أَبُو عَبَّاسٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُسْتَعْفِرِيُّ، (ت ٤٣٢هـ)، تحقيق: أحمد

بن فارس السلوم، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٨م.

- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)،

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

- تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي (ت ١٠٣١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م.
- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة، سنة ٢٠٠٥م.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب لمحمد بن علي الحارثي، أبو طالب المكي (ت ٣٨٦هـ)، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٥م.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس لإسماعيل بن محمد العجلوني ، أبو الفداء (ت ١١٦٢هـ)
- تحقيق: عبد الحميد بن أحمد، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٨١م.
- لسان العرب لمحمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٩٤م.
- المتفق والمفترق لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) تحقيق: د/محمد صادق آيدن الحامدي، الناشر: دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٧م.
- مجمع بحار الأنوار في غرائب تنزيل ولطائف الأخبار لمحمد بن طاهر الفتني الصديقي (ت ٥٨٦هـ)، الناشر: مكتبة دار الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، سنة

١٩٩٤م.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)،

تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، سنة ١٩٩٤م.

- المحتضرين لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)

تحقيق: محمد خير رمضان، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة

١٩٩٧م.

- المدخل لابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد الفاسي الشهير بابن الحاج (ت

٧٣٧هـ)،

الناشر: دار التراث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

- المرض والكفارات، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا

(ت ٢٨١هـ)، تحقيق: عبد الوكيل الندوي، الناشر: الدار السلفية في بومباي، الهند، الطبعة

الأولى، سنة ١٩٩١م.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور

الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة

٢٠٠٢م.

- المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد

النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر:

دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٠م.

- مسند أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق:

شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي،

الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠١م.

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

- مسند إسحاق بن راهويه، لإسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه (ت ٢٣٨هـ)، تحقيق: د. عبد الغفور البلوشي، الناشر: مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩١م.

- مسند ابن الجعد، لعلي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة نادر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٠م.

- مسند الروياني، لأبي بكر محمد بن هارون الروياني (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق: أيمن علي أبو يمان

الناشر: مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٦م.

- مسند الشهاب، لأبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٦م.

- مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي بن المثنى التميمي، الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٤م.

- مصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العبسي (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٩م.

- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لأحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر الشثري، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ

- المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

- معرفة الصحابة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، سنة

الطُّبُّ النَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

١٩٩٨م.

- المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)،
تحقيق: طارق بن عوض، عبد المحسن الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
- معجم الصحابة، لعبد الباقي بن قانع بن مرزوق البغدادي (ت ٣٥١هـ)، تحقيق: صلاح
بن سالم المصراطي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، سنة
١٤١٨هـ

- المعجم الصغير (الروض الداني)، لسليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)،
تحقيق: محمد شكور، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان،
الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٥م.

- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي
السلفي،
دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية.

- معجم المؤلفين لعمر بن رضا كحالة دمشق (ت ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى،
ودار إحياء التراث العربي / بيروت.

- معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)،
تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، سنة
١٩٩٨م.

- المغني في الضعفاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي
(ت ٧٤٨هـ)،

تحقيق: د/ نور الدين عتر.

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة لشمس الدين
محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، تحقيق: محمد عثمان الخشت،
الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٥م.

الطَّبُّ التَّامُّ لِجَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِلْمَوْقِنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِلْعَوَامِ

- مكارم الأخلاق لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد الخرائطي السامري (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٩م.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٢م.
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني أبو العباس، شهاب الدين (ت ٩٢٣هـ)، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٩م.
- نزهة المجالس ومنتخب النفائس، لعبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (ت ٨٩٤هـ)، الناشر المطبعة الكاستلية، مصر، سنة ١٢٨٣هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، سنة ١٩٧٩م.
- النور السافر في أعيان القرن العاشر لعبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيذرؤوس (ت ١٠٣٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا بن محمد البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجلييلة في مطبعتها البهية استانبول سنة ١٩٥١م، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* * *

تكوين اللبن من بين فرث ودم

دراسة تحليلية موضوعية

الدكتور

علي عبد الوهاب عبد الرزاق

كلية الإمام الأعظم «رحمه الله» الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أخرج اللبن من بين فرث ودم، وجعله خالصاً سائغاً للشاربين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإنَّ القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، وفي كل زمن، وبكل تقدم وحضارة، فما من آية في علوم الإنسان والحيوان والفلك والأبهر، والأرض والسماء، والأشجار والأنهار، والطب والجبال، إلا جاء العلم الحديث يشهد بصدقها ويقف أمام إعجازها، وينهر أمام عظمتها قال تعالى: ﴿ سَأْرِيهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَٰمْ يَكْفُرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١)

وقد وددت الوقوف والبحث والتأمل في دراسة آيتين من آيات القرآن الكريم لبيان قدرة الله تعالى في خروج اللبن من بين فرث ودم، واللبن يحتاجه الإنسان والحيوان ولا يستغني عنه الكبير والصغير وسميت بحثي (تكوين اللبن من بين فرث ودم) .

* وسبب اختياري لهذا البحث للأسباب الآتية:

- (١) دراسة العلوم الموجودة في القرآن الكريم.
- (٢) بيان قدرة الله عز وجل في خروج اللبن من بين فرث ودم.
- (٣) بيان الإعجاز العلمي.

وقد قسمت بحثي على مقدمة ومبحثين وخاتمة، فتكلمت في المبحث الأول عن تحليل قول الله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرُوا بِطُؤْنِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ

(١) سورة فصلت الآية ٥٣

لَبَّنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرِيبِينَ ﴿١﴾.

وتحدثت في المبحث الثاني عن تحليل قول الله تعالى ﴿وَلِإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۗ نُسِّقُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنفِعٌ كَثِيرٌ ۖ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٢﴾.

وأما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

وقد اعتمدت على عدة مصادر ومراجع في اللغة والغريب والتفسير والقراءات، والفقهاء،

والإعجاز الطبي.

وفي ختام هذه المقدمة أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث من يقرأه وأن يكون

خالصاً لوجه الله تعالى في ميزان عملي في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله

بقلب سليم .

* * *

(١) سورة النحل الآية ٦٦

(٢) سورة المؤمنون الآية ٢١

المبحث الأول

تحليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّئَلَّا تُسْقِكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾^(١).

* وفيه أحد عشر مطلباً :

المطلب الأول: معاني ألفاظ الآية في اللغة.

المطلب الثاني: مناسبة الآية لما قبلها وبعدها.

المطلب الثالث: وجوه القراءات في الآية .

المطلب الرابع: وجوه الإعراب في الآية.

المطلب الخامس: العبرة في خلق الأنعام .

المطلب السادس: خروج اللبن من بين فرث ودم.

المطلب السابع: مقارنة بين خروج اللبن والمنى.

المطلب الثامن: تكوين اللبن والدم .

المطلب التاسع: وجوه تكوين اللبن في الثدي لتغذية الطفل .

المطلب العاشر: وصف اللبن .

المطلب الحادي عشر: توجيه التكرار بين هذه الآية وآية ٢١ من سورة المؤمنین

لقد بيّن الله تعالى العبرة والعظة في الأنعام بسقي الناس اللبن، وخروجه صافياً سائغاً

للشاربين من بين فرث ودم، وهذه دعوة عظيمة، ومعجزة باهرة، لكل إنسان أن يقف أمام عظمة

الخالق المدبر، وسأتكلم في هذا المبحث عن تحليل قوله تعالى ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً

لِّئَلَّا تُسْقِكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾^(٢)، من المطالب الآتية :

(١) سورة النحل الآية ٦٦.

(٢) سورة النحل الآية ٦٦.

المطلب الأول

معاني الألفاظ في اللغة

• أولاً: الأنعام في اللغة:

النَّعْم، مختص بالإبل، وجمعه أنعام، وسمى بذلك لأن الإبل عندهم أعظم نعمة، لكن الأنعام تقال للإبل والبقر والغنم، ولا يقال لها أنعام حتى يكون في جملتها الإبل^(١)، قال تعالى ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾^(٢).

وقيل النعم الإبل خاصة^(٣)، والأنعام ذوات الخف والظلف وهي الإبل والبقر والغنم، وقيل تطلق الأنعام على هذه الثلاثة، فإذا انفردت الإبل فهي نعم وان انفردت البقر والغنم لم تسم نعماً^(٤).

• ثانياً: العبرة في اللغة:

هي الاعتبار بما مضى أي الاتعاظ والتذكير، وجمع العبرة عبر مثل سدره و سدر^(٥). والاعتبار بمعنى الاعتداد في التقديم بالعقب، ومنه قول بعضهم ولا عبرة بعبرة مستعبر ما لم تكن عبرة معتبر وهو حسن العبارة أي البيان بكسر العين، وحكي بفتحها^(٦).

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ م الأنجلو، القاهرة، مادة (نعم) ص ٧٦١.

(٢) الزخرف الآية ١٢.

(٣) المصباح المنير، العلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي، تحقيق يحيى مراد، م المختار، ط ١، القاهرة ١٤٢٩ هـ ص ٣٧٣، مختار الصحاح، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، م بابل بغداد، ص ٦٦٩.

(٤) المصباح المنير ٣٧٣.

(٥) المصدر نفسه ٣٧٣.

(٦) المصدر نفسه ٢٣٣.

والاعتبار والعبرة بالحالة التي يتوصل بها معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد^(١) لقوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾^(٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾^(٣).

• ثالثاً: البطون في اللغة

بطن: أصل البطن - الجارحة، وجمعه بطون^(٤)، قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾^(٥) والبطن خلاف الظهر في كل شيء^(٦)، ويقال للجهة السفلى بطن، وللجهة العليا ظهر^(٧)، ويقال لكل غامض بطن ولكل ظاهر ظهر، ويقال لما تدركه الحاسة ظاهر، ولما يخفي عنها باطن^(٨) لقوله تعالى ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْأَثَمِ وَبَاطِنَهُ﴾^(٩) وقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾^(١٠).

• رابعاً: معنى السقي في اللغة.

السقي والسقيا: أن يعطيه ما يشرب، والاسقاء: أن يجعل له ذلك حتى يتناوله كيف يشاء^(١١) والاسقاء أبلغ من السقي، لأن الاسقاء هو أن تجعل له ما يسقي منه ويشرب^(١٢)

(١) المفردات ٤٨٠.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣.

(٣) سورة الحشر الآية ٢.

(٤) المفردات: ٦٧.

(٥) سورة النجم الآية ٣٢.

(٦) المفردات: ٦٧ والمصباح المنير مادة (بطن) ٣٧.

(٧) المفردات ٦٧.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) سورة الأنعام الآية ١٢٠.

(١٠) سورة الأنعام الآية ١٥١.

(١١) المفردات ٣٤٤.

(١٢) المفردات ٣٤٤ والمصباح المنير ١٦٩.

لقوله تعالى ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾^(١) وقوله تعالى ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا ﴾^(٢)
وقال تعالى في الإسقاء^(٣) ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾^(٤) ويقال للنصيب من السقي: سقى
والاستسقاء طلب السقي والإسقاء^(٥) لقوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ﴾^(٦)،
والسقاء ما يجعل فيه ما يسقى واسقيتك جلدا أعطيتكه لتجعله سقاء^(٧)

• خامساً: معنى الفرث في اللغة والاصطلاح:

• معنى الفرث في اللغة:

الفرث بوزن الفللس السرجين ما دام في الكرش والجمع فروث كفلوس، وأفرث الكرش
شقها والقي ما فيها^(٨)، وأفرث فلان أصحابه أوقعهم في بلية جارئة مجرى الفرث^(٩).

• معنى الفرث في اصطلاح المفسرين:

أ- الفرث: كثيف ما يبقى من المأكول في الكرش أو المعى^(١٠).

ب- فضالة ما يبقى من العلف في الكرش المنهضمة بعض الانهضام، وكثيف ما يبقى
في الأمعاء^(١١).

(١) سورة الإنسان الآية ٢١ .

(٢) سورة محمد الآية ١٥ .

(٣) المفردات ٣٤٥ .

(٤) سورة المرسلات الآية ٢٧ .

(٥) المفردات ٣٤٥ .

(٦) سورة البقرة الآية ٦٠ .

(٧) المفردات ٣٤٥ .

(٨) مختار الصحاح ٤٩٥ .

(٩) المفردات ٥٦٤ .

(١٠) البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابن حيان الأندلسي، ت ٧٥٤هـ م دار الفكر، بيروت

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ٧/٢٦٥ .

(١١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، ت ٩٥١هـ م دار إحياء التراث

العربي، بيروت، ط ٤، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ٤/١٣٣ .

تكوين اللبن من بين فرث ودم -دراسة تحليلية موضوعية-

ج- الفرث ما في الكرش من الروث^(١) و الفرث هو ما بقي من الفضلات في كرش الحيوان وأمعائه من الروث

• سادساً معنى اللبن في اللغة :

اللبن : هو ما يشرب من الآدمي والحيوانات^(٢) وجمعه البان^(٣) مثل سبب أسباب^(٤) واللبنون : من الشاة والإبل ذات اللبن، غزيرة كانت أم بكيفة^(٥) والغزيرة (لبنه) وقد لبنت من باب طرب^(٦) ولابن :كثر عنده اللبن، وألبن فلان : كثر لبنه فهو ملبن^(٧). وابن لبون : ولد الناقة يدخل في السنة الثالثة والأثني بنت لبون، سمي بذلك لأن أمه ولدت غيره فصار لها لبن^(٨)، وجمع الذكور كالإناث بنات اللبن^(٩) وإذا انزل اللبن في ضرع الناقة فهي ملبن، ولهذا يقال في ولدها أيضا ابن ملبن^(١٠).

* * *

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي، ت ٧٤١ هـ م دار الأرقم، بيروت، ٨٤٨/١.

(٢) المصباح المنير ٣٣١.

(٣) المصدر نفسه والمفردات ٦٧٥ ومختار الصحاح ٥٩٠ .

(٤) المصباح المنير ٣٣١.

(٥) مختار الصحاح ٥٩٠ ومصباح المنير ٣٣١.

(٦) مختار الصحاح ٥٩٠ .

(٧) المفردات ٦٧٥.

(٨) المصباح المنير ٣٣٢ ومختار الصحاح ٥٩٠.

(٩) المصباح المنير ٣٣٢.

(١٠) المصدر نفسه .

تكوين اللبن من بين فرث ودم -دراسة تحليلية موضوعية-

المطلب الثاني

مناسبة الآية لما قبلها وبعدها

• أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

لما ذكر الله تعالى إحياء الأرض بعد موتها ذكر ما ينشأ عن المطر وهو حياة الأنعام التي هي مألوف العرب بما يتناوله من النبات الناشئ عن المطر^(١)، في قوله ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^(٢).

نبه على أن العبرة العظيمة خروج اللبن من بين فرث ودم^(٣) فقال تعالى ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسْقُوا مِنْهَا فِي بَطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾^(٤).

• ثانياً: مناسبة الآية لما بعدها .

بعد أن بين الله تعالى أن اللبن لا دخل لأحد في صنعه^(٥) بين الله تعالى ما يستطيعون أن يتخذونه من ثمرات النخل والأعناب من ما هو محرم من خمر أو ما هو حلال من الخل والدبس^(٦) فقال تعالى ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٧).

(١) البحر المحيط ٥٥٦/٦.

(٢) سورة النحل الآية ٦٥.

(٣) البحر المحيط ٥٥٣/٦.

(٤) سورة النحل الآية ٦٦.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ت

٨٨٥ هـ دار الكتب العلمية، لبنان، ط ٢، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٢ م، ٤/ ٢٨٥.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) سورة النحل الآية ٦٧.

المطلب الثالث

وجوه القراءات في الآية

لقد ورد في الآية الكريمة عدة قراءات وهي :

- أولاً قوله تعالى (نسقيكم) .

وفيها عدة أوجه منها:

(نَسقيكم) بفتح النون، قرأها نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب وكذلك في سورة المؤمنين^(١) الآية (٢١) وقراءة الفتح لغة قريش^(٢) وهذه القراءة بمعنى من سقاه الله وهو يسقيه والعرب قد تدخل الألف فيما كان من السقي غير دائم وتنزعها فيما كان دائماً^(٣) .

(١) السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، تحقيق شوقي ضيف، م دار المعارف، القاهرة، ط ١٤٠٠هـ، ١/ ٤٤٥، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٠٤، وجامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، ت ٣١١هـ تحقيق أحمد محمد شاكر، م الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١٧/ ٢٣٧، وتحبير التيسير في القراءات العشر، لابن الجزري، ت ٨٣٣هـ تحقيق أحمد محمد مفلح القضاة، م دار الفرقان، الأردن، ط ١٤٢١هـ، ١ - ٢٠٠٠م، ٤٣٢، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكي ابن أبي طالب القيسي ت ٤٣٧، تحقيق د. محيي الدين رمضان، م الرسالة، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٢/ ٣٩، وإعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس، ت ٣٣٨هـ م دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٦م، ٥٠٤ .

(٢) الجامع لإحكام القرآن ن لأبي عبدالله بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧١هـ تحقيق سالم مصطفى

البدر، م دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١٠/ ٨٢.

(٣) جامع البيان ١٧/ ٢٣٧ .

تكوين اللبن من بين فرث ودم -دراسة تحليلية موضوعية-

وحجة من فتح النون، أنه جعله ثلاثياً، فبناه على سقيت أسقى^(١) كما قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَسَقَّيْنَهُمْ زُبُوبًا ﴾^(٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ﴾^(٣).

ومنه ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجَدٍ ﴾^(٤).

ومنه ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾^(٥).

ومنه ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا ﴾^(٦).

وكله من سقى يسقي إجماع^(٧).

(نُسْقِيكُمْ) بضم النون، قرأها الباقون ما عدا جعفر^(٨) وعاصم^(٩) وقراءة الضم لغة حمير^(١٠)

وهذه القراءة بمعنى: أنه أسقاهم شرباً دائماً^(١١) والكسائي يقول: العرب تقول أسقيناهم

نهاراً وأسقيناهم لينا: إذا جعلته شرباً دائماً^(١٢) وحجة من ضم النون، بناه على (أسقيت فلاناً

) بمعنى: جعلت له شرباً يشربه، فالمعنى في الضم، جعل لكم شرباً مما في بطون الأنعام^(١٣).

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٣٩١٢.

(٢) سورة الإنسان ٢١.

(٣) سورة الشعراء الآية ٧٩.

(٤) سورة الرعد الآية ٤.

(٥) سورة إبراهيم الآية ١٦.

(٦) سورة محمد الآية ١٥.

(٧) الكشف عن وجوه القراءات ٣٩/٢.

(٨) السبعة في القراءات العشر ٤٤٥/١، والنشر في القراءات العشر ٣٠٤/٢ وجامع البيان ٢٣٧/١٧

والكشف عن وجوه القراءات ٣٩١٢ وتحبير التيسير ٤٣٢

(٩) جامع البيان ٢٣٧/١٧ وإعراب القرآن للنحاس ٥٠٤.

(١٠) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٨٢.

(١١) جامع البيان ١٧/٢٣٧.

(١٢) جامع البيان ١٧/٢٣٧.

(١٣) الكشف عن وجوه القراءات ٣٩/٢.

لقوله تعالى (واسقاهم ماءً فراتاً) ^(١) أي: جعلنا لكم شرباً، ليس هو من سقى الفم، لرفع العطش، فالمعنى: جعلنا لكم شرباً لا ينقطع كالسقيا ^(٢) وقد جمع لبيد بين اللغتين في معنى واحد ^(٣).

فقال سقى قومي بني مجد وأسقى نميراً والقبائل من هلال ^(٤) وتوجيه البيت الشعري، فليس يريد بـ(سقى قومي) ما يروي عطاشهم، لم يدع لهم لأجل عطش بهم، وإنما دعا لهم بخصب وسقي، يريد رزقهم الله سقيا لبلدهم تخبصون منها، ويبعد أن يسأل لقومه ما يروي عطاشهم، ويسأل لغيرهم ما يخبصون منه، لأنه قال: وأسقى نميراً أي جعل لهم سقيا وخصباً ^(٥) فجمع اللغتين كلتيهما في معنى واحد، فإذا كان ذلك، فبأي القراءتين قرأ القارئ فهو مصيب ^(٦)

٣- (يُسقيكم) بضم الياء من أسفل وقرأه أبي رجاء ^(٧) وفي فاعله وجهان ^(٨)

(١) سورة المرسلات الآية ٢٧.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٣٩/٢.

(٣) جامع البيان ٢٣٧/١٧ والكشف عن وجوه القراءات ٣٩/٢ وتحبير التيسير ٤٣٢

(٤) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، م عالم الكتب، بيروت، ٣٧/١.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات ٣٩/٢

(٦) جامع البيان ٢٣٧/١٧ والكشف عن وجوه القراءات ٣٩/٢ وتحبير التيسير ٤٣٢

(٧) المحرر الوجيز، في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي،

تحقيق عبدالسلام عبدالشافى محمد، م دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ٣/٤٠٧

والدرالمصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسامين الحلبي، ت ٧٥٦هـ

تحقيق د. أحمد محمد الخراط، م دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ١/٢٨٦٧، واللباب، في

علوم الكتاب، الإمام عمر بن علي بن عادل، ت ٨٨٠هـ تحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ

علي محمد معوض، م دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م : ١٢/٩٩، وفتح القدير

الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٠هـ

تحقيق عبد الرحمن عميرة، م دار الوفاء، مصر، ط ٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م : ٣/٢٤١.

(٨) الدرالمصون ٢٨٦٧/١ واللباب ١٢/١٠٠.

الأول: هو الله تعالى .

الثاني: انه ضمير النعم المدلول عليه بالأنعام أي : نعماً يجعل لكم سقياً.

٤ - (تسقيكم) بفتح التاء، قرأها أبو جعفر^(١)، وهي قراءة ضعيفة قاله ابن عطية^(٢) وقال شهاب الدين، ضعفها عنده من حيث المعنى، وهو أن المقصود الامتنان على الخلق، فنسبة السقي إلى الله هو الملائم لا نسبته الى الأنعام^(٣) وقال أبو حيان : وضعفها عنده والله اعلم أنه أنث في (نسقيكم) وذكر في قوله (مما في بطونه) ولا ضعف من هذه الجهة، لأن التذكير والتأنيث باعتبارين^(٤) والذي يبدو لي أن لكل من المخطئ والمصوب حجة، فإن ابن عطية نظر إلى القراءة من جهة المعنى إذ الامتنان من الله على الخلق لا من الأنعام، أما المصوب فإنه نظر إلى القراءة من جهة السند والرواية وأن لها وجه في اللغة. ثانياً: قوله تعالى (سائغاً) قرأت على عدة وجوه منها : قرأت فرقة : سَيِّغاً بتشديد الياء، بزنة (سَيِّد)^(٥) .

(١) النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد بن محمد بن يوسف شمس الدين بن الجزري ت ٨٣٣هـ تحقيق علي محمد الصباغ، م المطبعة التجارية الكبرى ٣٠٤/٢ وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة العشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، تحقيق: أنس نهره، م دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ٣٥٢/١.

(٢) المحرر الوجيز ٤٠٧/٣ الدرالمصون ٢٨٦٧/١ واللباب ١٢/١٠٠.

(٣) اللباب ١٢/١٠٠

(٤) البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ت ٧٥٤هـ م دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م : ٤٩٢/٥، واللباب ١٢/٩٩- ١٠٠.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت ٥٢٨هـ تحقيق عبدالرزاق مهدي، م دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ٥٧٥/٢ واللباب ١٢/ ١٧٩ وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، ٩٥١هـ م دار إحياء التراث العربي، ط ٤، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، ١٢٥/٥، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود آلوسي البغدادي، ت ١٢٧٠هـ م دار التراث العربي، بيروت، ١٧٩/١٤ والمحرر الوجيز ٤٠٧/٣

تكوين اللبن من بين فرث ودم -دراسة تحليلية موضوعية-

وقرأ عيسى بن عمر (سَيِّغاً) بالتخفيف من سَيِّغ، كَهَيِّنِ المخفف من هَيِّنِ ولا يجوز أن يكون فعلاً، إذ كان يجب أن يكون سوغاً ك (قول) ^(١)

سَائِغاً ^(٢) ويبدو لي أن قراءة سَيِّغاً بالتشديد أولى من قراءة سَائِغاً وسَيِّغاً، لأن سَائِغاً اسم فاعل من ساغ الثلاثي وزنه فاعل، وفيه قلب حرف العلة همزة لمجيئها بعد ألف فاعل شأن كل فعل معتل أجوف ^(٣)، وسَيِّغاً بالتشديد صفة مشبهة بإسم الفاعل، وسَيِّغاً بالتخفيف صيغة مبالغة، واسم الفاعل وصيغة المبالغة أقل درجة من الصفة المشبهة من حيث الثبوت وعدم التغيير، واسم الفاعل يدل على التغيير والصفة المشبهة تدل على الدوام، وصيغة المبالغة تدل على المبالغة في الوصف كما في فاعل وفَعَّال ومثله ضارب وضَرَّاب.



(١) اللباب ١٢ / ١٠٣ و الكشف ٢ / ٥٧٥، وإرشاد العقل السليم ١٢٥/٥ وروح المعاني ١٤ / ١٧٩ والمحرر الوجيز ٣ / ٤٠٧

(٢) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات، لأبي الفتح عثمان بن جني، ت ٣٩٢هـ تحقيق محمد عبدالقادر عطا، م دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٢ / ٥٤

(٣) الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبدالرحيم صافي ت ١٣٧٦هـ م دار رشيد، دمشق، ط ٤، ١٤١٨ هـ / ١٤٥٠.

المطلب الرابع

وجوه الإعراب في الآية

وردت في الآية الكريمة عدة وجوه إعرابية وهي :

أولاً:- قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّئَلَّا تُسْقِطُوا ﴾ فيها عدة وجوه منها :

١- هذه الجملة مفسرة للعبرة، كأنه قيل : كيف العبارة ؟ فقيل : نسقيكم من بين فرث ودم لبنا خالصاً^(١).

٢- يجوز أن يكون خبراً لمبتدأ مضمراً، والجملة جواب لذلك السؤال، أي هي، أي نسقيكم، ويكون كقوله (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه)^(٢).

٣- جملة (وان لكم في الأنعام لعبرة) معطوفة على جملة (إن في ذلك لآية لقوم يسمعون) أي كما كان لقوم يسمعون عبره في إنزال المطر من السماء لكم عبارة أيضاً إذ كان المخاطبون وهم المؤمنون القوم الذين يسمعون^(٣).

ثانياً: قوله تعالى (مما في بطونها) فذكر النحويين عدة أقوال منها:

١- مذهب سيبويه : إن العرب تخبر عن الأنعام بخبر الواحد، ثم ذكر الآية كأنه ذهب إلى أن الأنعام تذكر وتؤنث وهذا القول أحسنها^(٤).

(١) اللباب ١٢ / ٩٩

(٢) المصدر نفسه

(٣) التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، م دار سحنون، تونس، ٧ / ١٩٩٠.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥٠٤ و التبيان في إعراب القرآن، لمحب الدين أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، ٦١٦ هـ م بيت الأفكار الدولية، السعودية، ٢٣١، وأحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، ت ٥٤٣ هـ م دار الفكر، القاهرة، ٣ / ١١٥١، مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. حاتم الضامن، م دار البشائر، دمشق، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

- ٢- حكاه أبو عبيد عن أبي عبيده قال المعنى نستقيكم مما في بطون أيها كان له لبن لأنه ليست كلها لها لبن^(١)
- ٣- أن الأنعام جنس، فعاد الضمير إليه إلى المعنى^(٢)
- ٤- أن واحد الأنعام نعم، والضمير عائذ على واحده^(٣)
- ٥- ان الضمير عائذ على المذكور، فتقديره: مما في بطون الذكور^(٤) كما قال الخطيئة: لزغب كأولاد القطارات خلفها على عاجزات النهض حمر حواصله^(٥)
- ٦- ان الضمير يعود على الفحل، لان اللبن يكون من طرق الفحل الناقه، فاصل اللبن ماء الفحل، وهذا ضعيف، لان البن وان نسب إلى الفحل فقد جمع البطون، وليس فحل الأنعام واحداً، ولا للواحد بطون، فان قال أراد الجنس فقد ذكر^(٦)
- ثالثاً: قوله تعالى (من بين فرث ودم) يجوز فيه عدة أوجه منها:
- ١- أن (من) لابتداء الغاية^(٧) ويتعلق بالسقي، فإن جعلنا ما قبلها كذلك، تعين أن

٤٥٤ زهرة التفاسير، للإمام أبي زهرة، دار الفكر الإسلامي، مصر، ٨ / ٤٢١١.

(١) جامع البيان ٨ / ١٦٢، إعراب القرآن للنحاس ٥٠٤، وزاد المسير في علم التفسير، عبدالرحمن بن علي ابن محمد الجوزي، م المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤، وأحكام القرآن لابن العربي ٣ / ١١٥١ و مشكل إعراب القرآن ٤٥٤

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢٣١

(٣) المصدر نفسه، ومشكل إعراب القرآن ١ / ٤٥٤

(٤) جامع البيان ٨ / ١٦٢ التبيان في إعراب القرآن ٢٣١ ومشكل إعراب القرآن ١ / ٤٥٤

(٥) المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، تحقيق خليل إبراهيم جفال، م دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ٢ / ٤٦٢٢.

(٦) التبيان في إعراب القرآن ١ / ٢٣١ واللباب ٢ / ١٠٣ ومشكل إعراب القرآن ١ / ٤٥٥ وأحكام القرآن لأبن العربي ١ / ١١٥١

(٧) البحر المحيط ٦ / ٥٥٦ - ٥٥٧ ومدارك التنزيل، الإمام أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، م فيصل عيسى الباب الحلبي، مصر، ١ / ٢٩١ زهرة التفاسير ٨ / ٤٢١٢ .

يكون مجرورها بدلاً من مجرور (من الأولى) لثلاثا يتعلق عاملان لفظاً ومعنى بمعمول واحد، وهو ممتنع إلا في بدل الاشتمال، لأن المكان مشتمل على حل فيه، وان جعل للتبعيض هان الأمر^(١).

٢ - أنها في محل نصب على الحال من (لبناً) إذ لو تأخرت لكانت مع مجرورها نعتاً^(٢).

٣ - أنها مع مجرورها حال من الضمير الموصول قبلها^(٣)

٤ - يجوز أن يكون (من بين فرث) بدلاً من (ما في بطونه)^(٤)

* * *

(١) اللباب ١٢ / ١٠٣

(٢) المصدر نفسه، والبحر المحيط ٦ / ٥٥٦

(٣) اللباب ١٢ / ١٠٣

(٤) البحر المحيط ٦ / ٥٥٦

المطلب الخامس

العبرة في خلق الأنعام

قال تعالى ﴿وان لكم في الأنعام لعبرة﴾ وفي عبرة عدة معان منها :

- ١- الدلالة على قدرة الله و وحدانيته^(١).
 - ٢- دلالة قوية يعبر بها من الجهل إلى العلم لأن العبرة من العبور^(٢).
 - ٣- العظة^(٣) والاعتبار والانتقال من الجهل إلى العلم، ومن الغفلة إلى اليقظة^(٤).
 - ٤- العبرة الشيء الذي تعتبرون به، وتستنجون منه ما يدلکم على قدره الصانع سبحانه وتعالى، وتأخذون من هذه الأشياء دليلاً على صدق منهجه سبحانه فتصدقونه^(٥).
 - ٥- آية ودلالة على قدرة الخالق وحكمته ولطفه ورحمته^(٦).
 - ٦- العبرة في خلق النعم من نواح كثيرة، في خلقها وجمالها وتذللها للإنسان، وخضوعها واستكانتها بحرث الأرض، وحمل الاثقال، ومن أرواثها يكون السماد الصالح، ويتخذ الدفء والغطاء من أصوافها وأوبارها وأشعارها وهي المتاع إلى حين^(٧).
- جعل الله تعالى العبرة والعظة في خلق الأنعام دلالة واضحة وقوية على قدره الله تعالى

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ٤٢٧، وتفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي، ت ٧٥٤هـ تحقيق سامي بن سلامة، م دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ -

١٩٩٩م/٤/٥٨٠

(٢) أيسر التفاسير ٢/ ٣٠٧

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٠/ ١٤٨

(٤) تفسير الشعراوي، الإمام محمد متولي الشعراوي، م أخبار اليوم، القاهرة، ١/ ٤٩٥٥

(٥) المصدر نفسه ١/ ٤٩٥٥

(٦) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٨٠

(٧) زهرة التفاسير ٨/ ٤٢١٠

تكوين اللبن من بين فرث ودم -دراسة تحليلية موضوعية-

ووجدانيته وحكمته ولطفه ورحمته، فأخرج من بين فرث ودم، وذلل الأنعام للإنسان للانتفاع بها في الأكل والشرب، والجمال حين تغدو وتروح، والانتفاع بأصوافها وأشعارها فهذه الأنعام فيها العبرة لمن اعتبر، والعظة لمن اتعظ.

* * *

المطلب السادس

خروج اللبن من بين فرث ودم

إن قدرة الله واضحة لمن كان له مسكة من عقل، يقر ويذعن، ويعترف ويؤمن لهذه القدرة في إخراج اللبن من بين الفرث والدم، لا الطبيعة هي التي فعلت كما يدعي الملحدون قال ابن عباس رضي الله عنها: إن البهيمة إذا أعتلفت و أنطبخ العلف في كرشها كان أسفله فرثاً، وأوسطه لبناً وأعلاه دماً^(١).

والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة نفسها، فيجري الدم في العروق، واللبن في الضرع، ويبقى الفرث حتى ينحدر^(٢) وسئل شفيق عن الإخلاص فقال: تميز العمل من العيوب كتميز اللبن من بين فرث ودم^(٣).

وقال ابن العربي: نبه الله على عظيم القدرة يخرج اللبن خالصاً من بين الفرث والدم بين حمرة الدم وقذارة الفرث، وقد جمعها وعاء واحد، وجرى الكل على سبيل متحدة، فإذا نظرت إلى لونه وجدته أبيضاً ناصعاً خالصاً من شائبة الجار، وإذا شربته وجدته سائغاً عن بشاعة الفرث^(٤).

* * *

(١) أرشاد العقل السليم ٥ / ١٢٤ وزهره التفاسير ٨ / ٤٢١٢ .

(٢) الكشف ٣ / ٣٧١ ومدارك التنزيل ١٦٦ \ ٢ .

(٣) المصدران أنفسهما.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٣ / ١١٥٢

المطلب السابع

مقارنة بين خروج اللين والمنى

لقد أخطأ بعض المتسورين في علوم الدين: فقالوا إن الآية تدل على بطلان قول من يقول إن المنى نجس، لأنه خارج من المخرج الذي يخرج منه البول، والله يقول في اللين يخرج ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرِيبِينَ﴾^(١) فكما يخرج اللين من بين الفرث والدم سائغاً طاهراً خالصاً، فكذلك يخرج المنى من مخرج البول طاهراً، ورد عليهم أن اللين جاء الخبر عنه مجيء النعمة والمنة الصادرة عن القدرة، ليكون عبرة، فاقضى ذلك كله له وصف الخلوص واللذة والطهارة، وأين المنى من هذه الحالة حتى يلحق به، أو يقاس عليه، وهذا جهل عظيم.^(١)

والذي يبدو لي أن القياس باطل فشتان بين خروج اللين وتصفيته من الفرث والدم وخروجه من مكان طاهر وهو الثدي، وبين خروج المنى الذي يخرج من مكان البول بلذة وشهوة، ويجب الغسل بعد خروجه.

* * *

(١) أحكام القرآن ٣ / ١١٥٢ وينظر الكشاف ٢ / ٥٧٥ والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٨٣ وروح المعاني

المطلب الثامن

تكوين اللبن والدم

اللبن والدم لا يتكونان في الكرش، والدليل عليه الحس، فان الحيوانات تذبح ذبحاً متوالياً، وما رأى أحد في الكرش دماً، ولا لبناً، ولو كان تكوين الدم، واللبن في الكرش، لوجب أن يشاهد في بعض الأحوال، والشيء الذي دلت المشاهدة على فساده، لم يجز المصير إليه، بل الحق أن الحيوان إذا تناول الغذاء، ووصل العلف إلى معدته إن كان إنساناً، والى كرشه إن كان من الأنعام، فهذا هو الطبخ الأول فيه، فما كان صافياً انجذب إلى الكبد، وما كان كثيباً نزل إلى الأمعاء، ثم ذلك الذي يحصل منه في الكبد ينطبخ فيها ويصير دماً، وذلك هو الهضم الثاني، ويكون ذلك الدم مخلوطاً بالصفراء، والسوداء، وزيادة المادة المائية، أما الصفراء فتذهب إلى المرارة، والسوداء إلى الطحال، والماء إلى الكلية، ومنها إلى المثانة، وأما الدم فيدخل في الأوردة، وهي العروق النابتة من الكبد، وهناك يحصل الهضم الثالث، وبين الكبد، وبين الضرع عروق كثيرة، فينصب الدم من تلك العروق إلى الضرع، والضرع لحم غددي رخو أبيض، فيقلب الله تعالى الدم عند انصبابه إلى ذلك اللحم الغددي الرخو الأبيض، من صورته الدم إلى صورة اللبن فهذا هو القول الصحيح في كيفية تكوين اللبن^(١).

فإن قيل: هذه معانٍ حاصلة في الحيوان الذكر، فلم لم يحصل منه اللبن؟ قلنا: الحكمة الإلهية قد اقتضت تدبير كل شيء على الوجه اللائق به الموافق لمصلحته، فمزاج الذكر من كل حيوان يجب أن يكون حاراً يابساً، ومزاج الأنثى يجب أن يكون بارداً رطباً،

(١) التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، ت ٦٠٤ هـ تحقيق عمار زكي البارودي، م التوفيقية، مصر، ٢٠٠٣، واللباب ١٢\ ١٠٤١.

والحكمة فيه أن الولد إنما يتكون في داخل بدن الأنثى، فوجب أن يكون بدون الأنثى مختصاً بمزيد الرطوبات لوجهين :

الأول : أن الولد إنما يتولد من رطوبات كثيرة، فوجب أن يحصل في بدن الأنثى رطوبات، كثيرة لتصير مادة لتولد الولد .

الثاني : أن الولد إذا كبر، وجب أن يكون بدن الأم قابلاً للتمدد، حتى يتسع لذلك الولد، فإذا كانت الرطوبات غالبية على بدن الأم، وكان بدنهما قابلاً للتمدد، فيتسع للولد، فثبت أنه تعالى خص بدن الأنثى من كل حيوان بمزيد الرطوبات لهذه الحكمة، ثم إن تلك الرطوبات التي كانت تصير مادة، لازدياد بدن الجنين حين كان في رحم الام، فعند انفصال الجنين، تنصب الى الثدي، والضرع ليصير مادة لغذاء ذلك الطفل الصغير، فظهر أن السبب الذي لأجله يتولد اللبن من الدم في حق الأنثى غير حاصل في حق الذكر، فظهر الفرق^(١).

والذي يبدو لي أن الله تعالى خلق الأنثى بهذه الأوصاف لأجل احتواء الوليد في بطنها، وتكوين اللبن بقدره الله تعالى لولدها .

* * *

(١) التفسير الكبير ٢٠ / ٥٤ واللباب ١٢ / ١٠٤

المطلب التاسع

وجوه تكوين اللبن في الثدي لتغذية الطفل

إن حدوث اللبن في الثدي، واتصافه بالصفات الموافقة لتغذية الطفل مشتمل على حكم عجيبة يشهد لها العقل ولا تحصل إلا بتدبير الفاعل الحكيم القادر المدبر، وبيانه في وجوه كثيرة منها^(١):

الأول: خلق الله تعالى في أسفل المعدة منفذا يخرج منه ثقل الغذاء، فإذا تناول الإنسان غذاء، أو شربة رقيقة، انطبق ذلك المنفذ انطباقاً كلياً، لا يخرج منه شيء من ذلك المأكول، والمشروب إلى أن يكمل انهضامه في المعدة، وينجذب ما صفا منه إلى الكبد، ويبقى الثقل هناك، فحينئذ ينفث ذلك المنفذ، وينزل منه ذلك الثقل، وهذا من العجائب التي لا يمكن حصولها إلا بتدبير الفاعل الحكيم، لأنه متى كانت الحاجة إلى خروج ذلك الجسم من المعدة انفتح فحصل الانطباق تارة، والانفتاح أخرى بحسب الحاجة، وتقدير المنفعة مما لا يتأتى إلا بتدبير الفاعل الحكيم.

الثاني: أودع الله تعالى في الكبد قوة، تجذب الأجزاء اللطيفة الحاصلة في ذلك المأكول، والمشروب، ولا تجذب الأجزاء الكثيفة، وخلق في الأمعاء قوة تجذب تلك الأجزاء الكثيفة التي هي الثقل، ولا تجذب الأشياء اللطيفة البتة، ولو كان الأمر بالعكس، لاختلقت مصلحة البدن، ولفسد نظام هذا التركيب.

الثالث: أودع الله تعالى في الكبد قوة هاضمة طابخة حتى إن تلك الأجزاء اللطيفة، تنطبخ في الكبد، وتنقلب دماً، و أودع الله تعالى في المرارة قوة جاذبة للصفراء، وفي الطحال قوة جاذبة للسوداء، وفي الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية، حتى يبقى الدم الصافي

(١) التفسير الكبير ٢٠/٥٤-٥٥/١٢ واللباب ١٢/١٠٤-١٠٥-١٠٦

الموافق لتغذية البدن وتخصيص كل واحد من هذه الأعضاء بتلك القوة الحاصلة ولا يمكن كل ذلك إلا بتدبير الحكيم العليم .

الرابع : أن في الوقت الذي يكون الجنين في رحم الأم ينصب من ذلك الدم نصيب وافر إليه حتى يصير مادة تنمي أعضاء ذلك الولد وازدياده، فإذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب إلى جانب الثدي ليتولد منه اللبن الذي يكون غذاء له، فإذا كبر ذلك الولد لم ينصب ذلك النصيب لا إلى الرحم، ولا إلى الثدي، بل ينصب على مجموع بدن المتغذي، فانصباب ذلك الدم في كل وقت إلى عضو آخر انصباباً موافقاً للمصلحة، والحكمة لا تأت إلا بتدبير الفاعل المختار .

الخامس : عند تكوين اللبن في الضرع أحدث تعالى في الحلمة ثقباً صغيراً ومساماً ضيقة، وجعلها بحيث إذا اتصل المص، أو الحلب بتلك الحلمة انفصل اللبن عنها من تلك المسام الضيقة، ولما كانت تلك المسام الضيقة جداً، فحينئذ لا يخرج منها إلا ما كان في غاية الصفاء واللطافة، وأما الأجزاء الكثيفة فإنه لا يمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى في الداخل، والحكمة في إحداث الثقوب الضيقة في رأس الحلمة، لكي تكون كالمصفاة، فكل ما كان لطيفاً خرج، وما كان كثيفاً احتبس في الداخل، وبهذه الطريقة يصير اللبن خالصاً موافقاً لبدن الصبي سائغاً للشاربين .

السادس : ألهم الله تعالى الصبي المص، فان الأم إذا ألتقت حلمة الثدي في فم الصبي، فذلك الصبي في الحال يأخذ في المص، ولولا أن الفاعل المختار الرحيم قد ألهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل المخصوص، وإلا لم يحصل تخليق ذلك اللبن في الثدي .

السابع : خلق الله تعالى اللبن من فضلة الدم، وخلق الدم من الغذاء الذي يتناوله الحيوان، فالشاة لما تناولت العشب تولد منه الدم وتولد اللبن من بعض أجزاء ذلك الدم، ثم إن اللبن حصلت فيه أجزاء ثلاثة على طبائع متضادة، فما فيه من الدهن يكون حاراً رطباً، وما فيه من المائية يكون بارداً رطباً، وما كان فيه من الجينية يكون بارداً يابساً، وهذه الطبائع ما كانت حاصلة في العشب الذي تناولته الشاة، فظهر أن هذه الأجسام لا تزال

تكوين اللبن من بين فرث ودم -دراسة تحليلية موضوعية-

تنقلب من صفة إلى صفة، ومن حالة إلى حالة، مع أنه لا يناسب بعضه بعضاً، ولا يشاكل بعضه بعضاً، وهذه الأصول إنما تحدث بتدبير فاعل مختار حكيم رحيم، يدبر أحوال العالم على وفق مصالح الناس .

* * *

المطلب العاشر

وصف اللبن

لقد وصف الله تعالى اللبن بوصفين فقال ﴿لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرِيبِينَ﴾ وفي قوله تعالى خالصاً عدة معان منها:

١- خالصاً من الفرث والدم من الأوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة الحاجزة عن بغي أحدهما عليه^(١).

٢- أنه خالص ليس فيه اعتكار بدم، ولا بقية من روث، بل هو صاف نقى لا عكرة فيه^(٢)

٣- الخالص الأبيض قاله ابن بحر^(٣).

٤- الخالص المجرد مما يكدر صفاءه^(٤).

٥- نزاهته مما اشتمل عليه البول والثفل^(٥).

٦- يريد من حمرة الدم وقذارة الفرث وقد جمعها وعاء واحد^(٦).

والذي يبدو لي من هذه المعاني أن الله تعالى وصف اللبن بأنه خالص، من الفرث والدم، بذلك البرزخ الذي جعله الله تعالى حاجزا لإخراج اللبن في غاية البياض والصفاء مما يدل على قدرة الواحد الأحد، ذي الجلال والإكرام.

(١) إرشاد العقل السليم ٥/ ١٢٥ وجامع البيان ١٧/ ٢٤٠

(٢) زهرة التفاسير ٨/ ٤٢١٢

(٣) النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، ت ٤٥٠ هـ م دار الكتب

العلمية، بيروت، ٢/ ٣٨٠

(٤) التحرير والتنوير ٧/ ٢٠٢

(٥) المصدر نفسه ٧/ ٢٠١

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٨٣

وفي قوله تعالى ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ عدة معان منها :
كونه لذيداً هينا لا يغص به من شربه يقال: ساغ الشراب يسوغ سوغاً تسهل مدخل
في الحلق^(١)

كونه سهلاً في الشرب لا يشجي به شاربه ولا يغص^(٢).
كونه لا تعافه النفس وإن كان قد خرج من بين فرث ودم^(٣).
كونه حلال للشاربين^(٤).

كونه سائغاً للشاربين، أي يستسيغونه ولا يمجونه، وفيه إشارة إلى أنه طعام سهل سريع
الهضم والتمثيل، وكل طعام تقبله معدات بعض الأشخاص وتعافه الأخرى إلا اللبن فإنه
سائغ للجميع^(٥)
كونه شهياً^(٦).

كونه سهل المرور في الحلق^(٧).
كونه يسوغ لمن شربه فلا يغص به كما يغص الغاص ببعض ما يأكل من الأطعمة وقيل
إنه لم يغص أحد باللبن قط^(٨).
كونه لا يشرق باللبن ولا يغص به^(٩).

(١) المصدر نفسه ١٠ / ٨٤

(٢) زاد المسير ٤ / ١٠٧ والتسهيل ١ / ٤٣٠

(٣) زاد المسير ٤ / ١٠٧ والنكت والعيون ٢ / ٣٨٠

(٤) النكت والعيون ٢ / ٣٨٠

(٥) زهرة التفاسير ٨ / ٢٤١

(٦) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت ٨١٧ هـ م
المشهد الحسيني، القاهرة، ١٩٨

(٧) نظم الدر ٤ / ٢٨٤ البحر المحيط ٦ / ٥٥٧ ومدارك التنزيل ١ / ٢٩١ ومحاسن التأويل ٦ / ٢٨٣
والتحرير والتنوير ٧ / ٢٠٢

(٨) جامع البيان ١٧ / ٢٤١

(٩) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت ٢٠٧ هـ تحقيق محمد علي النجار، ١٠٩ / ٢

تكوين اللبن من بين فرث ودم - دراسة تحليلية موضوعية -

كونه جارياً في حلقومهم، يقال ساغ الشراب في الحلق واساغه صاحبه^(١)، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾^(٢) والذي يبدولي من هذه المعاني أن الله تعالى ميز اللبن عن غيره من سائر الأطعمة فجعله سهلاً في الشرب، والنفس تهواه ولا تعافه، وسهل المرور في حلق الناس وهو الطعام الوحيد الذي تقبله جميع المعدات ولا يشرق أحد باللبن ولا يغص فيه، فسبحان الله الخالق البارئ المصور

* * *

(١) التفسير الكبير ٢٠ / ٥٥

(٢) سورة إبراهيم آية ١٧

المطلب الحادي عشر

توجيه التكرار بين الآية وبين آية المؤمنين

قَالَ تَعَالَى: ﴿سُقِّيْكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾^(١) وقوله تعالى ﴿سُقِّيْكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾^(٢) لان الضمير في هذه السورة يعود إلى البعض وهو الإناث، لان اللبن لا يكون للكل، فصار تقدير الآية: وان لكم في بعض الأنعام، بخلاف ما في سورة المؤمنين، فإنه عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض، وهو قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ مَاءً وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾^(٣) ثم يحتمل أن يكون المراد البعض فأنت حملا على الأنعام، وما قيل (من) إن الأنعام هاهنا بمعنى النعم، لأن الألف واللام تلحق الأحاد بالجمع، وفي إلحاق الجمع بالأحاد حسن لكن الكلام وقع في التخصيص^(٤).

ويقول الإمام الشعراوي (رحمه الله) في سورة النحل ركزت على مسألة تصفية اللبن من بين فرث ودم، أما في سورة المؤمنين فقد ركزت على منافع أخرى للأنعام، فكل آية أخذت جانبا من الموضوع، وتناولته من زاوية خاصة، توضح ذلك لمن يقولون بالتكرار في القرآن الكريم، فالآيتان في موضوع واحد وليست تكرارا، إنما هو تأسيس لقطات مختلفة، كل لقطة تؤدي في مكانها موقفاً من العظة والعبرة، وإذا جمعت كل هذه المكررات الظاهرة تعطيك الصورة الكاملة للشيء^(٥).

(١) سورة النحل الآية ٦٦

(٢) سورة المؤمنون آية ٢١

(٣) سورة المؤمنون الآيتان ٢١-٢٢.

(٤) ينظر أسرار التكرار في القرآن، لتاج القرآن محمد بن حمزة بن نصر الكرمانى، تحقيق عبدالقادر

أحمد عطا، م دار بو سلامة، تونس: ١٢٥

(٥) تفسير الشعراوي ١٦/٩٩٩٤

والذي يبدو أن الآيات التي في موضوعها تكرر، ما هي إلا لإكمال الموضوع من كافة جوانبه، هناك صورة وهنا صورة وهناك مشهد وهنا مشهد، لتكتمل جميع الصور واللقطات لإكمال جميع جوانب الموضوع .

* * *

المبحث الثاني

تحليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرُوا مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(١).

• وفيه ستة مطالب :

١. المطلب الأول : مناسبة الآية لما قبلها وبعدها

٢. المطلب الثاني : وجوه الإعراب في الآية

٣. المطلب الثالث : وجوه البلاغة في الآية

٤. المطلب الرابع : منافع الأنعام في الآية

٥. المطلب الخامس : الانتفاع بالألبان

٦. المطلب السادس : منافع اللبن الطبية

بيّن الله تعالى المنافع الكثيرة من الأنعام في شرب لبنها، وأصوافها وأشعارها وأوبارها، وبيعها وشراءها، وأكل لحومها وحمل الأثقال عليها، وفي تذللها وتسخيرها، كل ذلك عبرة وعظة للناس وسأتكلم في هذا المبحث عن تحليل قوله تعالى ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرُوا مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(٢) من المطالب الآتية:

* * *

(١) سورة المؤمنون آية ٢١.

(٢) سورة المؤمنون آية ٢١.

المطلب الأول

مناسبة الآية لما قبلها و بعدها

• أولاً : مناسبة الآية لما قبلها :

لما ذكر الله تعالى إنشاء هذه الشجرة بهذا الجيل البعيد عن مياه البحار^(١) في قوله تعالى ﴿ وَشَجْرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبِغٍ لِلْأَكْلِينَ ﴾^(٢) اتبعه بما يدل على كمال قدرته في خلق الأنعام والعبدة بما يخرج من بطونها^(٣) فقال تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِيُنظُرُوا مِمَّا فِي بَطُونِهَا وَلَكُمُ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾^(٤).

• ثانياً : مناسبة الآية لما بعدها :

بعد أن بين الله تعالى منافع الأنعام وما فيها من المفاتوة بينها في القوى وسهولة الانقياد في البر بين الله تعالى ما تحمله الفلك من البحر^(٥) فقال تعالى ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾^(٦).

* * *

(١) نظم الدرر/٥/١٩٣

(٢) سورة المؤمنون الآية ٢٠

(٣) نظم الدرر ٥/١٩٣

(٤) سورة المؤمنون الآية ٢١

(٥) نظم الدرر ٥/١٩٤

(٦) سورة المؤمنون الآية ٢٢

المطلب الثاني

وجوه الإعراب في الآية

جملة ﴿سُقِّيَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ بيان لجملة ﴿وَلِئَلَّكُمْ فِي الْآنَعَامِ لَعِبْرَةٌ﴾ ﴿٢٢﴾ فلذلك لم تعطف لأنها في موقع المعطوف عطف بيان^(١).
 وجملة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَفَعٌ كَثِيرَةٌ﴾ ﴿٢٢﴾ وما بعدها معطوفة على جملة ﴿سُقِّيَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ وفيه بيان العبرة^(٢) ﴿الْفَالِكِ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ تقدم المعمول للفاصلة أو للحصر الإضافي بالنسبة إلى الحمير ونحوها أو الحصر باعتبار ما في تأكلون، والظاهر أن الأكل على معناه الحقيقي ومن تبعيضه لان من أجزاء الأنعام ما لا يؤكل^(٣).

* * *

(١) التحرير والتنوير ٣٩/٩

(٢) المصدر نفسه ، وروح المعاني ٣٥/ ١٨

(٣) روح المعاني ٣٦/ ١٨

المطلب الثالث

وجوه البلاغة في الآية

قال الشهاب: وجعل الإبل سفائن البر، وهي استعارة لطيفة^(١) قال الزمخشري: والقصد بالأنعام أي الإبل، لأنها هي المحمول عليها في العادة، وقرنها بالفلك التي هي السفائن، لأنها سفائن البر^(٢) واعترض على الزمخشري حيث خص الأنعام بالإبل هو لا يناسب مقام الامتنان ولا سياق الكلام، وما جنح إليه من اقتضاء الحمل إنما يقتضي تخصص الضمير^(٣).

التخصص بعد الإجمال في قوله تعالى ﴿وَلَكْرٍ فِيهَا مَنَفِعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿ فقد ذكر المنافع ثم يخص منها منفعتين^(٤) (تأكلون) فيها من الدلالة على العادة المستمرة^(٥).

* * *

(١) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على البيضاوي، م دار صادر، بيروت، ٦ / ٣٢٧ ومحاسن التأويل، للإمام محمد جمال الدين القاسمي، ت ١٩١٤م، م دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ٧ / ٢٨٦

(٢) الكشف ٣ / ٧٦٧

(٣) حاشية الشهاب ٦ / ٣٢٧

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ٣، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ٤ / ٢٤٦٢

(٥) روح المعاني ١٨ / ٣٦

المطلب الرابع

منافع الأنعام

إن في الأنعام منافعاً كثيرة إضافة إلى اللبن قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ منها :

- ١- بيعها والانتفاع بأثمانها^(١).
- ٢- أصوافها وأشعارها^(٢) وصناعة الملابس والفرش، قبل أن تعرف المنسوجات الحديثة والآن يصنع من الصوف ملابس ناعمة كالحرير^(٣).
- ٣- الجلود^(٤) لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَتَعًا إِلَى حِينٍ﴾^(٥).
- ٤- الوبر^(٦).

٥- أكل لحومها^(٧) وذكر أن اللحم هو آخر المنافع، لأنه آخر ما يمكن الانتفاع به من الحيوان، والحيوان الذي أحله الله لنا إذا تعرض بما يزهق روحه يرفع رقبته ويكشف عن

(١) اللباب ١٤/ ١٩٤

(٢) إرشاد العقل السليم ٦/ ١٢٩ وأنوار التنزيل ٢/ ٥٦ وزهرة التفاسير ١٠/ ٥٠٦١/ زاد المسير ٤/ ٤٠٩

(٣) تفسير الشعراوي ١٦/ ٩٩٩٤

(٤) المصدر نفسه

(٥) سورة النحل الآية ٨٠

(٦) تفسير الشعراوي ١٦/ ٩٩٩٤، التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، م دار التفسير، مصر، ط ١٠٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م، ٢/ ٦٢٠

(٧) زاد المسير ٤/ ٤٠٩ وتفسير الشعراوي ١٦/ ٩٩٩٤ زهرة التفاسير ١٠/ ٥٠٦١ واللباب ١٤/ ١٩٤

تكوين اللبن من بين فرث ودم -دراسة تحليلية موضوعية-

موضع ذبحة كأنه يقول أسرع واستفد مني قبل أن أموت^(١)
 ٦- الحمل على الإبل في البر وعلى السفن في البحر^(٢)، وذكر الرازي: أن وجه الانتفاع
 بالإبل في المحمولات على البر بمنزلة الانتفاع بالفلك في البحر ولذلك جمع بين
 الوجهين في أنعامه لكي يشكر على ذلك ويستدل به^(٣).
 ويبدو لي أن الأنعام فوائدها كثيرة، ومنافعها عظيمة، فمن أصوافها وأشعارها
 وأوبارها نلبس، ومن لحومها نأكل، ومن جلودها نستفيد، ومن روثها نزرع، وعلى
 ظهورها نحمل متاعنا، فسبحان الله الذي جعل في الأنعام الكثير من المنافع لتتذكر
 عظمة الخالق المنعم .

* * *

(١) تفسير الشعراوي ١٦ / ٩٩٩٥

(٢) ينظر معالم التنزيل ٥ / ٤١٥

(٣) التفسير الكبير ١١ / ١٧٦

المطلب الخامس

الإنتفاع بالألبان

دل قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾^(١).

على جواز الانتفاع بالألبان من الشرب وغيره^(٢) وخروج اللبن من حيوان حي فهو تابع للحمه في أباحة تناول وكرهيته وتحريمه، ويستثنى من المحرم: الأدمي، فلبنه مباح وان كان لحمه محرماً، لأن تحريمه للتكريم لا للاستخبات، وعلى هذا اتفق الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة^(٣).

واستثنى أبو حنيفة من المحرم أو المكروه الخيل، وفي لبنها عند أبي حنيفة رأيان:

أنه تابع للحم فيكون حراماً أو مكروهاً.

أنه مباح، وهو الصحيح لأن تحريم الخيل أو كراهيتها لكونها آلة الجهاد لا لاستخبات

(١) سورة النحل الآية ٦٦

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٨٤ و أضواء البيان في إيضاح القرآن، محمد الأمين بن محمد المختار

الشنقيطي، ١٣٩٣ هـ م دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ٢ / ٤٠٣

(٣) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي

ت ٤٧٣ هـ م دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٣١٣ هـ: ١٠/٦، والخلاصة الفقهية على مذهب السادة

المالكية، محمد العربي القروي، م دار الكتب العلمية ٢٩٠/١، وبلغة السالك لأقرب المسالك، أحمد

الصاوي، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، م دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م: ١١٨/٢،

والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، محمد الخطيب الشربيني، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، م دار

الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ: ٣٠/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف، الكويت، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

لحمها واللبن ليس آلة الجهاد^(١) ونقل عن عطاء و طاووس والزهري أنهم رخصوا في لبن الحمر الأهلية، بينما هي نجسة محرمة عند المالكية والشافعية والحنابلة وهي مكروهة عند الحنفية^(٢).

واتفق الفقهاء في خروج اللبن من حيوان مأكول بعد تذكّيته فهو مأكول^(٣) وأما لبن الميته فلا يجوز الانتفاع به لأنه طاهر موجود في وعاء نجس، وضرع الميته نجس، واللبن طاهر فإذا حلب صار مأخوذاً من وعاء نجس^(٤) وهذا عند صاحبي أبي حنيفة والمالكية

(١) الدر المختار شرح تنوير الأبصار، ابن عابدين، م دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ٢١٦/٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني، م دار الفكر بيروت ٨٠/١، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة بن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير ت ١٠٠٤هـ م دار الفكر، بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م: ٢٢٧/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق هلال مصلحي مصطفى هلال، م دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ - ٥٨٧/٨، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد عرفة الدسوقي، م دار الفكر، بيروت ٥٠١-٥١، والموسوعة الفقهية ٥/١٥٤

(٢) تحفة الحبيب على شرح الخطيب، سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي، م دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م: ٤٨٤/١، وحاشية قليوبي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين ت، شهاب الدين أحمد بن سلامة القليوبي ت ١٠٦٩هـ تحقيق مكتب البحوث والدراسات، م دار الفكر، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م: ٨١/١، والموسوعة الفقهية ٥/١٥٥

(٣) حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، لشرح قرّة العين بمهمات الدين، لأبي بكر ابن السيد محمد شطا الدمياطي، م دار الفكر، بيروت ٨٥/١، وتحفة الحبيب على شرح الخطيب، سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي، م دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م: ٢٨٤/١، وفتح العزيز بشرح الوجيز، عبد الكريم بن محمد الرافي القزويني ت ٦٢٣هـ م دار الفكر، بيروت، ١٨٦/١ والموسوعة الفقهية ٥/١٥٥

(٤) كشاف القناع عن متن الإقناع،: ٤٤٦/٥، وتبين الحقائق ٦/١، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين ابن نجيم الحنفي ت ٩٧٠هـ م دار المعرفة، بيروت ٢٤٥/٣، وحاشية الدسوقي: ٥٠٢/٢، ومغني المحتاج ٤٢٥/٣، والجامع لأحكام القرآن ٨٤/١٠، وأضواء البيان ٤٠٣/٢

تكوين اللبن من بين فرث ودم -دراسة تحليلية موضوعية-

والشافعية^(١).

وبيّن أبو حنيفة أن خروج اللبن من ميتة المأكول كالنعمة مثلاً فهو طاهر وحجته القائلين بطهارته وإباحته^(٢) قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِطُونَهُ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾^(٣) لأن الله وصفه بكونه خالصاً فلا يتنجس بنجاسة مجراه، ووصفه بكونه سائغاً وهذا يقتضي الحل، وامتن علينا به، والمنة بالحلال لا بالحرام^(٤).

وحجة أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد القائلون بنجاسته، ولا يحل تناوله^(٥) قوله تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِئَةُ ﴾^(٦) حيث إن تحريم الميتة تحريم جميع أجزائها ومنها اللبن لأنه مائع في وعاء نجس فتنجس به .

• أما لبن المرأة الميتة فقد اختلف فيه على قولين :

- الأول طاهر، لأن الإنسان طاهر حيا وميتا .
- الثاني نجس، ينجس بالموت وعلى القولين تثبت الحرمة لأن الصبي قد يتغذى به كما يتغذى من الحية^(٧).

(١) تبين الحقائق ٢٦/١، كشاف القناع عن متن الإقناع ٤٤٦/٥، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق ٢٤٥/٣،

وحاشية الدسوقي ٥٠٢/٢، ومغني المحتاج ٤٢٥/٣، والموسوعة الفقهية ١٥٥٧٥

(٢) تبين الحقائق ٢٦/١، و الموسوعة الفقهية ١٥٥٧٥

(٣) سورة النحل الآية ٦٦

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ن علاء الدين الكاساني ت ٥٨٧ هـ م دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢ م: ٤٣/٥ وحاشية ابن عابدين ١٣٥/١، والمغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، م دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥ هـ: ٦٦/١١، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي الرحباني ت ١٢٤٣ هـ م المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٦١/١٢٣٣ تبين الحقائق ٢٦/١، والموسوعة الفقهية ١٥٥/٥

(٥) تبين الحقائق ١٥٦/٥، والموسوعة الفقهية ١٥٥٧٥

(٦) سورة المائدة الآية ٣

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٨٤ وأضواء البيان ٤٠٣/٢

تكوين اللبن من بين فرث ودم -دراسة تحليلية موضوعية-

المطلب السادس

منافع اللبن الطبية

قيمة اللبن الغذائية كبيرة من محتوياته ومنافعه الطبية وكما يأتي :

أولاً: محتوياته : ظهر من تحليل اللبن الرائب أن فيه ٨٢٪ ماء و ٦،٨٠٪ من سكر اللبن، و ٠،٢٨٪ من حامض اللبن و ٦٪ من المادة الدسمة و ٤،٥٠٪ من البروتين و ٠،٦٪ من الأملاح المعدنية وفيه فيتامين (أ ب ج د) ^(١).

ثانياً : منافعه الطبية :لقد أجريت دراسات على اللبن فظهر أنه يتلف جراثيم العصبات القالونية في المعدة والأمعاء، فيفيد التهاب الكبد والكلى وضعفها، وفي تصلب الشرايين، والوهن ومخمرات المعدة، ويدر البول، ويكافح الحصى من المثانة وفي الكلى، ويذيب الرمال، وينظم عمل أجهزة الهضم، ويلين ويرطب ويهدئ الأعصاب ويحارب الأرق، ويجمل الوجه، ويطري الجلد^(٢).

ويحتوي اللتر من الحليب على ٣٠ غرام من البروتين و ٣٥ غرام من المواد الدسمة و ٥٤ غرام من سكر الحليب و ٧ غرامات من الأملاح المعدنية كالسيوم والفسفور والصوديوم و ١٥ غرام من الفيتامينات منها (ا، ب، د)، واللتر الواحد من الحليب يعادل ٥٠٠ غرام من اللحم^(٣).

(١) الطب النبوي في نسيجه الجديد، الأستاذ الدكتور عبد الباسط خليل الدرويش ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٢) قاموس الغذاء والتداوي بالأعشاب، أحمد قدامة، م دار النفائس، بيروت، ط ١٤٠١، هـ - ١٩٨١ م، ٦١٦ والإعجاز الطبي في القرآن، د. السيد الجميلي، م دار الهلال، بيروت، ط ٣، ١٩٦٨ م، ١٨٩ .

(٣) قاموس الغذاء ١٨٠

تكوين اللبن من بين فرث ودم -دراسة تحليلية موضوعية-

• فائدة:

لبن المرأة فهو غذاء متكامل لوليدها ولغيره يتداوى به في الطب القديم، لوجع الرأس، والعينين، ويجلو القروح، وإذا قطر في العين المريضة سكن الألم، ويجلو البصر، ويفش أورام العين إذا قطر مراراً كثيرة^(١).

ولبن الأم لطفلها فقد أثبت الطب الحديث أنه يحتوي على ٢٪ من بروتينات و ٣٪ دهون و ٧٪ سكريات و ٢٥٪ رماد معادن، والباقي يعال ٧٨- ٨٨ من البروتينات فمنها ٦٠٪ لا كالتاليومين و ٤٠٪ من الكازينوجين^(٢)، ويبدو أن للبن قيمته الغذائية، وغذاء متكامل وله أثره الكبير في صحة الإنسان صغيراً أم كبيراً.



(١) تسهيل المنافع في الطب والحكمة، إبراهيم الأزرق، م النهضة، بغداد، ١٣

(٢) الآفاق العلمية في القرآن، عبد الزهرة تركي فريح، م النجف العراق، ١٩٤٤م، ١٦٥-١٦٦، والتداوي في القرآن ٧٩، والطب النبوي في نسيجه الجديد ٢٨٨ - ٢٨٩ .

الخاتمة

* يمكن أن نستخلص أهم النتائج التي توصلت إليها من البحث:
كمال قدرة الله وسعة إحسانه في إخراج اللبن من بين الفرث والدم .
جعل الله تعالى برزخا بين اللبن وبين الفرث والدم، فلا يبغى أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة .

إباحة شرب ما في بطون الأنعام، وعبر عن الإباحة بالسقي.
الآية الكريمة من معجزات القرآن العلمية، فلم يكن لأحد يومئذ أن يعرف دقائق تكوينه ولا أن يوصف اللبن بوصف أجمع من هذا .

يربط السياق بين حمل الإنسان على الأنعام وحملة على الفلك بوصفهما مسخرين بنظام الله الكوني الذي ينظم وظائف الخلائق جميعاً .

تكوين اللبن كما يدل على وجود الصانع المختار، فكذلك يدل على إمكان الحشر والنشر لان العشب الذي يأكله الحيوان إنما يتولد من الماء والأرض، فخالق العالم دبر تدبيراً آخر فغلب ذلك الدم لبناً خالصاً، ثم أحدث من ذلك اللبن الدهن والجبن فالله تعالى قادر على قلب الأقسام من صفة إلى صفة، ومن حالة إلى حالة، والله قادر على قلب أجزاء أبدان الأموات إلى صفة الحياة فدل على البعث والقيامة .

يعرج القرآن الكريم على عالم الحيوان .

دلت آية سورة النحل ٦٦ على استعمال الحلاوة و الأطعمة اللذيذة وتناولها من غير سرف ولا إكثار، ولا يقال أن ذلك يناقض الزهد أو يباعده.

قياس خرج المنى على حدوث اللبن من بين فرث ودم قياس باطل .

الآيتان رد على الملحدين الذين يؤمنون بالطبيعة .

التكرار في القرآن يدل على إكمال الموضوع من كل جوانبه وصورة ومشاهدة ولقطاته .

تكوين اللبن من بين فرث ودم -دراسة تحليلية موضوعية-

كثرة منافع الأنعام، ودخولها في الكثير من شؤون الحياة ومرافقتها.
هذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث المتواضع اسأل الله تعالى أن
يوفقنا إلى مرضاته والى خدمة ديننا العظيم وكتاب ربنا الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله
رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ت ٥٤٣هـ دار الفكر، القاهرة.

أرشاد العقل السليم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي ت ٩٥١هـ م دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤، ١٤١٤هـ-١٩٩٤ م

أسرار التكرار في القرآن، لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، تحقيق عبد القادر احمد عطا، م دار بو سلامة، تونس .

أضواء البيان في إيضاح القرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ت ١٣٩٣، م دار الفكر بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥ م

الإعجاز الطبي في القرآن، د. السيد الجميلي، م دار الهلال، بيروت، ط ٣، ١٩٦٨ .
إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس ت ٣٣٨هـ م دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦ م.

الآفاق العلمية في القرآن، عبد الزهرة تركي فريح، م النجف، العراق، ١٩٤٤ م.
البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم الحنفي، ت ٩٧٠هـ م دار المعرفة، بيروت.

البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي، ت ٧٥٤هـ دار الفكر، بيروت ١٤١٢هـ-١٩٩٢ م.

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، ت ٥٨٧هـ م دار الكتاب العربي بيروت، ١٩٨٢.

بُلغة السالك لأقرب المسالك، أحمد الصاوي، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين، م دار

تكوين اللبن من بين فرث ودم -دراسة تحليلية موضوعية-

الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

التبيان في إعراب القرآن، لمحب الدين أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ت ٦١٦ هـ م بيت الأفكار الدولية السعودية .

تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، عثمان بن علي بن مجن البارعي فخر الدين الزيلعي الحنفي، ت ٤٧٣ هـ م دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٣١٣ هـ

تحبير التيسير في القراءات العشر لأبن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف ت ٨٣٣ هـ تحقيق احمد محمد مفلح القضاة، م دار الفرقان، الأردن ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، م دار سحنون، تونس .

تحفة الحبيب على شرح الخطيب البجيرمي على الخطيب، سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

التداوي في القرآن، عبد المنعم قنديل، م الراية، بغداد، ١٩٨٨ م

التسهيل لعلوم التنزيل، للعلامة محمد بن احمد بن جزى الغرناطي ت ٧٤١ هـ م دار الأرقم، بيروت .

تسهيل المنافع في الطب والحكمة، إبراهيم الأزرق، م النهضة، بغداد

التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسين الرازي ت ٦٠٤ هـ تحقيق عمار زكي البارودي، م التوفيقية، مصر.

التفسير الواضح، د- محمد محمود حجازي، م دار التفسير، مصر، ط ١٠، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

تفسير الشعراوي، الإمام محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم، القاهرة

تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٥٤ هـ تحقيق سامي بن سلامة، م دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ م .

تنوير المقباس من تفسير أبن عباس، لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي

تكوين اللبن من بين فرث ودم -دراسة تحليلية موضوعية-

ت ٨١٧هـ المشهد الحسيني، القاهرة .

تسهيل المنافع في الطب والحكمة، إبراهيم الأزرق، م النهضة، بغداد .

تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ت ١٣٧٦، تحقيق

عبد الرحمن بن معلى اللويحق، م الرسالة ط ١، ١٤٢٠، ٢٠٠٠ م .

الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١هـ تحقيق

سالم مصطفى البدري، م دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

جامع البيان في تأويل القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب

الأملي الطبري ٣١٠ هـ تحقيق أحمد محمد شاكر، م الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

الجدول في إعراب القرآن، محمود عبد الرحيم صافي، ت ١٣٧٦هـ م دار الرشيد، دمشق،

ط ٤، ١٤١٨هـ

حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرّة العين بمهمات الدين،

لأبي بكر بن السيد محمد شطه الدمياطي، دار الفكر، بيروت.

حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد عرفة الدسوقي، تحقيق محمد عليش، م

دار الفكر، بيروت.

حاشية الشهاب، المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على البيضاوي، م دار صادر،

بيروت .

حاشية قليوبي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين، ت ١٠٦٩هـ

شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، م

دار الفكر بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية، تأليف محمد العربي القروي، م دار

الكتب العلمية، بيروت.

الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار ، م عالم الكتب،

بيروت .

تكوين اللبن من بين فرث ودم -دراسة تحليلية موضوعية-

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي
ت ٧٥٦هـ، تحقيق د- أحمد محمد الخراط، م دار القلم ودمشق، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
رد المحتار على الدر المختار، شرح تنوير الأبصار، حاشية ابن عابدين، م دار الفكر،
بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين
محمود الآلوسي البغدادي، ت ١٢٧٠هـ م دار التراث العربي، بيروت.

زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، م المكتب
الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ

زهرة التفاسير، الإمام أبو زهرة، دار الفكر الإسلامي، مصر.

السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي
البغدادي، تحقيق شوقي ضيف، م دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٠هـ.

الطب النبوي في نسجه الجديد، د. عبد الباسط خليل الدرويش، رسالة دكتوراه،
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

فتح العزيز بشرح الوجيز، عبد الكريم بن محمد الراجحي القزويني، ت ٦٢٣هـ دار الفكر
بيروت.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد
الشوكاني ت ١٢٥٠هـ تحقيق عبد الرحمن عميرة، م دار الوفاء، مصر، ط ٣، ١٤٢٦هـ
٢٠٠٥م.

في ظلال القرآن، سيد قطب دار الشروق، القاهرة، ط ٣٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
قاموس الغذاء والتداوي بالإعشاب، احمد قدامة، م دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ
١٩٨١م.

كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: هلال
مصلحي مصطفى هلال، م دار الكتب، بيروت ١٤٠٢هـ

تكوين اللبن من بين فرث ودم -دراسة تحليلية موضوعية-

الكشاف عن الحقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت ٥٢٨، تحقيق عبد الرزاق مهدي م دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

كشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت ٤٣٧ هـ تحقيق د- محيي الدين رمضان، م الرسالة بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م

اللباب في علوم الكتاب، الإمام عمر بن علي بن عادل، ت ٨٨٠ هـ تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، م دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

محاسن التأويل، الإمام محمد جمال الدين القاسمي ت ١٩١٤ م، م دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات وإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢ هـ تحقيق محمد عبد القادر عطا، م دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، م دار الكتب العلمية لبنان، ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق خليل إبراهيم جفال، م دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م.

مختار الصحاح الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، م بابل، بغداد .

مدارك التنزيل، الإمام أبو بركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، م . فيصل عيسى البابي الحلبي، مصر .

- المصباح المنير، العلامة احمد بن محمد بن علي الفيومي، تحقيق يحيى مراد، م المختار، ط ١، القاهرة، ١٤٢٩ هـ .
- مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي م تحقيق د-حاتم صالح الضامن، م دار البشائر، دمشق، ط ١، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م
- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي الرحباني، ت ١٢٤٣ هـ م المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٦١ م.
- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني . ت ٥٠٢ هـم الأنجلو - القاهرة.
- معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت ٥١٠ هـ تحقيق محمد عبد النمر وعثمان جمعة، وسليمان مسلم، م دار طيبة، ط ٤ ١٤١٧ هـ-١٩٩٧ م.
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ٢٠٧ هـ تحقيق محمد علي النجار . مغني المحتاج في معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني، م دار الفكر، بيروت.
- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، م دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥ هـ
- الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويت، ط ١، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٤ م.
- النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد بن يوسف شمس الدين بن الجزري ت ٨٣٣ هـ تحقيق محمد علي الصباغ، المطبعة التجارية الكبرى.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ٨٨٥ هـ م دار الكتب العلمية، لبنان، ط ٢ ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٢ م.
- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ت ٤٥٠ هـ م دار الكتب العلمية، بيروت.

نهاية المحتاج الى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة بن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير، ت ١٠٠٤ هـ م دار الفكر، بيروت ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

* * *

النسخ في القرآن الكريم

المدرس المساعد

خنساء فالح حسين

كلية الإمام الأعظم «رحمه الله» الجامعة/ بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك الديان خلق الإنسان علمه البيان . وأرسل الرسل هداية للبشر وانزل كتبه وعلم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على علم الهدى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
وبعد:

فإن من نعمه عزوجل علينا أن يسر لنا طريق العلم وهدانا للنظر وتدبر كتابه العزيز وفتح لنا خزائن علمه كل على قدر طاقته وجهده واني لأرجو من الله - عزوجل- بهذا الجهد المتواضع ان يوفقني للصواب، في دراسة الآيات التي وردت فيها مفردة النسخ، دراسة موضوعية تحليلية بعد حصر الآيات التي وردت فيها المفردة وهي: الآية: ١٠٦ سورة البقرة ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الآية: ٥٢ سورة الحج ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.
الآية: ٢٩ سورة الجاثية ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وبيان معاني هذه المفردة في معجمات اللغة ثم ملاحظة ما يطرأ على معنى المفردة ودلالاتها في كل آية من الآيات الثلاث التي وردت فيها وعلاقة ذلك بالمعنى الاصطلاحي للمفردة ... وعليه فإن البحث سيتضمن هذه المقدمة الموجزة بين يديك .. وأربعة مطالب: الأول: النسخ في اللغة والاصطلاح .

والثاني دلالة النسخ في الآية ١٠٦ سورة البقرة .

والثالث دلالة النسخ في الآية ٥٢ سورة الحج .

النسخ في القرآن الكريم

والرابع دلالة النسخ في الآية ٢٩ سورة الجاثية .
ثم خاتمة فيها ملخص للمستفاد من البحث
ثم فهرست للمصادر.

* * *

المطلب الأول

النسخ في اللغة و الإصطلاح

• النسخ: النَّسخ: إزالة شيء بشيء يتعقبه^(١).

نسخه: كمنعه، أزاله، وغيره، إبطاله، وأقام شيئاً مقامه ونسخ الشيء مسخه^(٢).
قال ابن فارس: وكل شيء خلف شيئاً فقد انتسخه فيقال: انتسخت الشمس الظل والشيب الشباب أي أزاله^(٣).

ويقال نسخ القاضي الحكم أو القانون أبطله^(٤).

فالنسخ من الناحية اللغوية بمعنى الإزالة .

والناسخ: اسم فاعل بمعنى المزيل .

والمنسوخ: اسم مفعول بمعنى المزال .

والنسخ في القرآن إزالة حكم آية بآية أخرى^(٥).

(١) الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هـ): مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي ص: ١٠٨ دار القلم / دمشق، الدار الشامية / بيروت، ط ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

(٢) العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت ٨١٧ هـ) القاموس المحيط، ص ٢٦١ .

(٣) العلامة: احمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) المصباح المنير، ٣٩٢، تحقيق: مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي طبعة (٨) ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط الجزء الثاني، الصفحة ٩٢٤، دار احياء التراث بيروت - لبنان، المكتبة العلمية، طهران، قام بإخراجه، ابراهيم مصطفى، احمد حسن الزيات - حامد عبد القادر - محمد علي النجار بإشراف عبد السلام هارون .

(٥) د. محمد التونجي المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم صفحة ٤٧٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

أو هو إزالة حكم بحكم بتعقبه^(١).

ونسخ الكتاب: نقل صورته المجردة إلى كتاب آخر، وذلك لا يقتضي إزالة الصورة الأولى بل يقتضي إثبات مثلها في مادة أخرى^(٢).

وقالوا: نسخ الكتاب نقله وكتبه حرفاً بحرف^(٣).

ونسخ ما في الخلية: حوله إلى غيرها^(٤).

تناسخ الشيطان: نسخ أحدهما الآخر.

وتناسخت الأشياء وتداولت فكان بعضها مكان بعض.

وتناسخ الأزمنة: تداولها، أو انقراض قرن بعد قرن آخر^(٥) على معنى الإزالة.

ومما تقدم عرضه يمكن إرجاع المعنى اللغوي للنسخ إلى معنيين رئيسين:

الأول: الإزالة والإبطال أو الإعدام. وينقسم إلى قسمين: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه كقولنا نسخت الشمس الظل، والآخر: إزالة الشيء دون ان يقوم آخر مقامه، كقولنا نسخت الريح الأثر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٦).

وثانيهما: النقل وهو نقل الشيء وتحويله من موضع إلى موضع مع بقائه في نفسه. وفيه يقول السجستاني من أئمة اللغة: ((النسخ ان تحول ما في الخلية من النحل والعسل إلى أخرى، ومنه تناسخ الموارث لانتقال المال من قوم إلى قوم، ومنه نسخ الكتاب))^(٧).

(١) الراغب الأصفهاني ١٠٨.

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٨.

(٣) معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط الجزء الثاني / الصفحة ٩٢٤.

(٤) الفيروزابادي، القاموس المحيط، الصفحة / ٢٦١.

(٥) المعجم الوسيط الجزء الثاني / صفحة / ٩٢٤، القاموس المحيط / ٢٦١.

(٦) سورة الحج الآية: ٥٢.

(٧) الشيخ علي حسن العريض: فتح المنان في نسخ القرآن، الطبعة الأولى، ١٩٧٣، الناشر مكتبة

((وقد اختلف العلماء بعد ذلك، في تعيين المعنى الذي وضع له لفظ النسخ، فقال بعضهم انه حقيقة في الإزالة مجاز في النقل: وهو رأي ابن سلامة، والحسن البصري والبيضاوي، والرازي، وابن همام)).

وقال القفال: ((انه مجاز في الإزالة حقيقة في النقل))، وقيل: مشترك بين الإزالة والنقل اي حقيقة في كل منهما، وانه وضع للدلالة على كل منهما أي وضعاً مستقلاً، واليه ذهب الغزالي والآمدي وأبو بكر الباقلاني وقيل: انه مجاز في الإزالة والنقل الإبطال، واليه ذهب السرخسي .

والراجح انه وضع ليدل على معنى الإبطال والإزالة وقال القرطبي: الإبطال والإزالة هو المقصود من اللفظ هنا^(١) .

• النسخ في الاصطلاح:

النسخ في القرآن: إزالة حكم آية بآية أخرى^(٢) أو هو إزالة حكم بحكم يتعقبه^(٣). والنسخ الشرعي: إزالة ما كان ثابتاً بنص شرعي ويكون في اللفظ والحكم في احدهما سواء فعل كما في أكثر الأحكام أو لم يفعل كنسخ ذبح إسماعيل (عز وجل) بالغداء لان الخليل أمر بذبحه ثم نسخ قيل وقوع الفعل^(٤).

وقال الجرجاني: ((وفي الشرع هو أن يرد دليل شرعي متراخياً عن دليل شرعي، مقتضياً خلاف حكمه، فهو تبديل بالنظر إلى علمنا، وبيان لمدة الحكم بالنظر الى علم الله تعالى)).

الخانجي بمصر ص: ١١ .

(١) ينظر: الأستاذ الشيخ علي حسن العريض: فتح المنان في نسخ القرآن، ص ١١ - ١٢، الطبعة الاولى ١٩٧٣، الناشر مكتبة الخانجي بمصر .

(٢) محمد التونجي، المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم، ص: ٤٧٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

(٣) الراغب الاصفهاني: مفردات الفاظ القرآن: ١٠٨ .

(٤) ينظر: العلامة: احمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، المصباح المنير ص ٣٩٢ اعتنى به وراجعته عزت زينهم عبد الواحد، مكتبة الايمان بالمنصورة / مصر، رقم الايداع / ٦٧٦٥ / ٢ / ٢٠٠٨ .

النسخ في القرآن الكريم

وقال: ((وفي الشريعة: هو بيان انتهاء الحكم الشرعي في حق صاحب الشرع وكان انتهاءه عند الله معلوماً ألا أن في علمنا كان استمراره ودوامه وبالناسخ علمنا انتهاءه وكان في حقنا تبديلاً وتعكيراً))^(١).

النسخ عند الأصوليين: وهو رفع الشارع حكماً شرعياً بدليل شرعي وهو جائز عقلاً واقع سمعاً في شرائع ينسخ اللاحق منها السابق وفي شريعة واحدة^(٢).

قال العلامة الدكتور مصطفى الزلمي: ((النسخ في اصطلاح السلف: هو كل ما يطرأ على ظاهر النص من تخصيص عمومه، أو تقييد مطلقه، أو بيان مجمله أو تدريج حكمه، أو تخفيفه، أو إلغاء الحكم أو نحو ذلك... أما عن النسخ في اصطلاح الخلف، قال: وردت تعريفات أصولية وتفسيرية في المراجع الأصولية للنسخ بمعناه الخاص عند التأخير وهي متعددة في التعابير ومختلفة أو متقاربة في المعاني كلها تدور حول معنى واحد، وهو أن النسخ إلغاء حكم شرعي سابق بدليل شرعي لاحق^(٣).

وهذا المعنى الخاص هو الذي يعيننا في البحث، ألا إن التعريف الذي أورده الدكتور الزلمي يدخل فيه النسخ بجميع أنواعه سواء كان في القرآن أو في السنة ومجال بحثنا هو القرآن حصراً.

* * *

(١) علي بن محمد الجرجاني كتاب التعريفات صفحة (١٩٤)، ط الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م دار احياء التراث العربي: بيروت - لبنان .

(٢) الشيخ محمد الخضري: اصول الفقه صفحة (٣٢٠) ط (١) ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، دار ابن رجب .

(٣) الدكتور مصطفى ابراهيم الزلمي - في (التبيان لرفع غموض النسخ في القرآن) صفحة ١٧ و ٢١ الطبعة الثانية منشورات مكتب التفسير / اربيل .

المطلب الثاني

دلالة النسخ في الآية ١٠٦ سورة البقرة

قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

سبب نزول الآية قال الواحدي^(٢): قال المفسرون: ان المشركين قالوا أترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً ما هذا في القرآن الكلام محمد يقول من تلقاء نفسه وهو كلام يناقض بعضه بعضاً فأنزل الله ﴿آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾^(٣)، وانزل أيضاً ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾^(٤).

قال ابن حجر^(٥)، بعد أن ذكر رواية الواحدي: تبع فيه الثعلبي، فانه أورده هكذا، وتبعهما الزمخشري^(٦) فلخصه، فذكر أنهم طعنوا في النسخ، وكذلك القرطبي^(٧) وزاد: أنهم أنكروا شأن القبلة وغيره المنسوخ.

(١) سورة البقرة الآية: ١٠٦ .

(٢) الشيخ الإمام الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ): اسباب النزول (٣١)، نقلاً تفسير عبد الرزاق تحقيق: خيرى سعيد المكتبة التوفيقية القاهرة، مصر (٧٤/١) الطبري (١ / ٣٧٧)، الدر المنثور (١٠٥/١) .

(٣) سورة النحل الآية: ١٠١ .

(٤) سورة البقرة الآية: ١٠٦ .

(٥) شيخ الإسلام احمد بن علي محمد بن حجر العسقلاني ت (٧٧٣- ٨٠٢) هـ العجائب في بيان الأسباب/١٦٤.

(٦) الزمخشري، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع راجعه وعلق عليه الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي، وخرج أحاديثه الدكتور محمود حامد عثمان دار الحديث / القاهرة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

(٧) القرطبي الجامع لأحكام القرآن: ٦١/٢.

النسخ في القرآن الكريم

ووجدت في المنقول عن السلف، ما أخرجه عبد بن حميد، قال: كانت الآية تنسخ الآية، وكان نبي الله ﷺ يقرأ الآية من المنسوخ ثم ترفع، فَيُنَسَّهَا اللهُ تَعَالَى نَبِيَهُ .
فقال الله تعالى - يقص على نبيه-: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ﴾ الآية^(١)

قال ابن حجر: ((وقد أورد الثعلبي في آخر كلامه هنا حديثاً يستأنس به في سبب لنزول: وهو ما أخرجه أبو عبيد من طريق الليث، عن عقيل ويونس، عن ابن شهاب، قال: اخبرنا أبو إمامة بن سهل بن حنيف - في مجلس سعيد بن المسيب- ان رجلاً كانت معه سورة، فقام يقرأها من الليل، فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرأها فلم يقدر عليها. فأصبحوا فأتوا النبي ﷺ فقال بعضهم قمت البارحة فذكر حاله فقال الآخر: ما جئت إلا لذلك .

فقال آخر: وأنا يا رسول الله

فقال رسول الله ﷺ (إنها نسخت البارحة)^(٢) .

القراءات ومعاني المفردات في الآية

ما ننسخ: قرأه ابن عامر بضم النون وكسر السين (نُنسخ)^(٣) قال مكّي بن أبي طالب القيسي: من قرأه بالضم جعله رباعياً من (انسخت الكتاب) بمعنى وجدته منسوخاً مثل: أحمدت الرجل، وجدته محموداً، وابخلت الرجل، وجدته بخيلاً^(٤) وقرأ الباقون بفتح النون

(١) رواه الطبري في تفسيره: ٥٢٢/١، ابو داوود في ناسخه، عبد بن حميد، عن قتادة، كما في الدر المنثور: ١٠٥/١ .

(٢) ابن حجر: العجاف في معرفة الاسباب، ص ١٦٥ .

(٣) الشيخ الإمام العلامة أبي منصور محمد بن احمد الازهري (ت ٣٧٠هـ): كتاب معاني القراءات / ٦٠، حققه وعلق عليه احمد فريد المزيدي منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط(١) ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩ م، ابي محمد مكّي بن ابي طالب القيسي (٣٥٥-٤٣٧ هـ): كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها / ٢٥٨ تحقيق: الدكتور محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة / بيروت / لبنان الطبعة الرابعة ١٤٧٠ هـ- ١٩٨٧ م . عبد العزيز رباح وبشير الجويجاتي: كتاب الكافي في تفسير الآيات ويضاح القراءات: ٣٠ الطبعة الأولى دار المأمون للتراث / سوريا الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م .

(٤) ابن أبي طالب القيسي: الكشف عن وجوه القراءات ٢٥٧ .

النسخ في القرآن الكريم

والسين (نَنْسَخُ)^(١).

قال مكّي بن أبي طالب القيسي، فأما من قرأه، بفتح النون فهو المعنى الظاهر المستعمل، على معنى: ما نرفع من حكم آية، ونبقى تلاوتها، نأت بخير منها لكم أو مثلها ويحتمل ان يكون المعنى: ما نرفع من حكم آية وتلاوتها أو ننسكها يا محمد، فلا تحفظ تلاوتها، نأت بخير منها أو مثلها، أي: نأت بأصلح منها لكم، وأصلح في التعبد أو نأت بمثلها في التعبد^(٢).

أو ننسها: قرأه ابن كثير وأبو عمرو بفتح النون وفتح السين والهمز (ننسهأ)^(٣) قال مكّي ابن أبي طالب القيسي: جعلاه من التأخير على معنى: أو نؤخر نسخ لفظها نأتي بخير منها، فهو من نسأ الله في أجلك: أي آخر فيه .

وتأخير النسخ على وجهين: أحدهما يؤخر التنزيل للآية، فلا ينزل من اللوح المحفوظ، والثاني أن ينزل القرآن فيتلئ، ويعمل به ثم يؤخر؛ فينسخ العمل به دون اللفظ أو ينسخ العمل به واللفظ، أو ينسخ اللفظ ويبقى العمل وبه قرأ عمر وابن عباس وعطاء . مجاهد وأبي بن كعب وعبيد بن عمير والنخعي وعطاء بن أبي رباح . وابن المحيضي^(٤) .

وقرأ الباقر بضم النون الأولى وكسر السين من غير همز (ننسهأ)^(٥) قال ابن أبي طالب: جعلوه من النسيان الذي هو ضد الذكر، على معنى: أو ننسكها يا محمد فلا تذكرها، فهو من النسيان الذي هو ضد الذكر

(١) أبو منصور الأزهرى: معاني القراءات / ٦٠، ابن ابى طالب: الكشف عن وجوه القراءات ٢٥٨، عبد العزيز رباح وجويجاتي: الكافي في تفسير الآيات / ٣٠ .

(٢) ابن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات، ج ١/ ٢٥٨ .

(٣) أبو منصور الأزهرى: معاني القراءات / ٦٠، ابن ابى طالب: الكشف عن وجوه القراءات (٢٥٨) عبد العزيز رباح و الجويجاتي: الكافي في تفسير الآيات / ٣٠ .

(٤) ابن أبي طالب: الكشف عن وجود القراءات / ٢٥٨ .

(٥) أبو منصور الأزهرى: معاني القراءات / ٦٠، ابن ابى طالب القيسي: الكشف عن وجوه القراءات:

٢٥٩ عبد العزيز رباح والجويجاتي: ٣٠

نقل بالهمزة فتعدى الفعل إلى مفعولين، وهما (النبي) والهاء. لكن اسم النبي مقدر محذوف، ويجوز أن تكون هذه القراءة من الترك لا من النسيان فيكون معنى ننسها بتركها فلا ننسخها على أن تكون باللفظين عما في اللوح المحفوظ، فإن كان الإخبار عما نزل وتلي من القرآن فلا يصلح لقوله: (نأت بخير منها) والأقوى البين أن يكون من النسيان الذي ضد الذكر، فيكون المعنى إذا رفعنا (آية) بـ (نسخ) أو (نسيان) نقدره عليك يا محمد، أتينا بخير منها في الصلاح لكم أو بمثلها في التعبد، ويدل على انه من النسيان قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(١) فقد أعلمه الله أن لا ينسى شيئاً مما نزل عليه، إلا ما شاء الله أن ينساه. مما قدر أن يبدله بأصلح منه للعبادة، أو يمثله، ويدل على انه من النسيان أن الضحاك قرأ: (تنسها) بتاء مضمومة، وفتح السين، فهو من النسيان لا يحوز غيره .

وقد قرأ ابن مسعود: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾^(٢) فهذا أيضا من النسيان لا غيره^(٣). (آية): وزنها فعلة أصلها آية، فاستثقلوا التشديد في الآية فأبدلوا من الياء ألفاً لانفتاح

ما قبلها

والآية الحجة والعلامة: وآية الرجل، شخصه .

وخرج القوم بأيتهم: جماعتهم . وسميت آية القرآن بذلك لأنها جماعة من الحروف . لأنها علامة على انقطاع الكلام بعدها .

لأنها دالة على انقطاع عن المخلوقين وأنها ليست إلا من كلام الله^(٤) وتفسير الآية

(١) سورة الأعلى الآية: ٦ - ٧ .

(٢) سورة البقرة الآية: ١٠٦ .

(٣) ابن أبي طالب القيسي: الكشف عن وجوه القراءات ج ١/٢٥٩ .

(٤) الرازي: التفسير الكبير ٢/١٤٠ الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين المشتهر بخطيب الريّ ٥٤٤ - ٦٠٤ هـ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان . ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ .

بالآية في القرآن بلا خلاف، أفاد أن النسخ المراد، هو الواقع في القرآن الكريم^(١).

• إعراب الآية:

(ما) اسم شرط جازم في محل مفعول به مقدم للنسخ . (نسخ) فعل الشرط مجزوم علامة جزمه السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن يعود على لفظ الجلالة (من آية) الجار المجرور متعلقان بمحذوف صفة لاسم الشرط .

واسم الشرط ليس معرفة فلا يجوز أن يكون الجار والمجرور حالاً منه والمعنى أي شيء ننسخ من الآيات، فهو مفرد وقع موقع الجمع. وهذا الأمر مطرد بعد الشرط لما فيه من معنى العموم. وعلى هذا يخرج كل ما جاء من هذا التركيب. كقوله ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾^(٢).

وأجاز بعضهم أن تكون آية في موضع نصب على التمييز والمميز ما، وليس ببعيد، وإعرابها ابن هشام في موضع نفسها على الحال وليس ببعيد أيضاً .
(أو) حرف عطف .

(ننسخها) معطوف على ننسخ مجزوم بحذف الياء والفاعل مستتر تقديره نحن وقد سهلت الهمزة ولم يظهر السكون والأصل ننسخها: اي: نرجئها . والهاء مفعول به .
(نأت) جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره نحن .

(بخير) الجار والمجرور متعلقان بـ (نأت) .

(منها) جار ومجرور متعلقان بخير لأنه اسم تفضيل

(١) ابن الجوزي: زاد المسير، ٨١ الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (٥٠٨ - ٥٩٧هـ): زاد المسير في علم التفسير المكتب الإسلامي - دار ابن حزم / بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٣٠ - ٢٠٠٢م .

(٢) سورة فاطر: ٢ .

(أو مثلها) عطف على آية

(ألم) الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي قلب وجزم

(تعلم): فعل مضارع مجزوم بـ (لم) علامة جزمه السكون والفاعل مستتر تقديره انت.

(ان الله): ان واسمها .

(على كل شيء) جار ومجرور متعلقان بـ (قدير)، وهو خبر (ان) .

وان واسمها وخبرها: سدت مسد مفعولي تعلم^(١).

و (ما) في ما ننسخ تدل على جواز وقوع ما بعدها إذا الأصل فيها ان تدل على الأمور

المحتملة^(٢).

شأنها شان باقي حروف الجزاء، خلا (إذا) فلاصل فيها ان تكون للمقطع بحصوله،

نحو قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾^(٣) فان كل واحد منا سيحضره

الموت، وكذا في الكثير الوقوع، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي

الْأَرْضِ﴾^(٤) فان الصلاة لابد أن تقتضي والنحاة يغرقون بين (ان) و (إذا) بما ذكرنا. فيقولون

إن الأصل في (أن) أن تستعمل للمشكوك فيه و(إذا) للمقطع بوجوده. وذكر سيوييه أن

(إذا) تعجىء وقتاء معلوماً ألا ترى انك لو قلت: (آتيك إذا احمر البسر) كان حسناً ولو قلت

(آتيك إذا احمر البسر) كان قبيحاً، فلان) ابداءً مبهمه، وكذلك حروف الجزاء.

وجاء في (المقتضب): ((وإنما منع (إذا) من ان يجازي بها - أي يجزم بها- لأنها مؤقته

وحروف الجزاء مبهمه ... الا ترى إلى قوله عزوجل: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾^(٥) و﴿إِذَا الشَّمْسُ

(١) محي الدين درويش: اعراب القرآن الكريم وبيانه: ١ / ١٥٥ الناشر كمال مركز التوزيع العراق النجف

الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ وينظر أ. د محمد الطيب الابراهيم اعراب القران الكريم الميسر، ص ١٧، دار

النفائس بيروت- لبنان .

(٢) الشيخ علي حسن العريض، فتح المنان / ٩٤ .

(٣) سورة البقرة الاية: ١٨٠ .

(٤) سورة الجمعة الاية: ١٠ .

(٥) سورة الانفطار الاية: ١ .

كُورَتْ ﴿١﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ﴿٢﴾ ان هذا واقع لا محالة ؟
ولا يجوز ان يكون في موضع هذا (ان) لان الله عزوجل يعلم، و (ان) انما مخرجها الظن
والتوقع فيما يخبر به المخبر، وليس هذا مثل قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا
قَدْ سَلَفَ﴾ ﴿٣﴾ لان هذا راجع اليهم وتقول: (اتيك اذا احمر البسر) ولو قلت (اتيك اذا احمر
البسر) كان محالاً لانه واقع لا محالة ﴿٤﴾ .

لذا فان الله عزوجل استعمل (اذا) في الآية (١٠١) سورة النحل ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥﴾ ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ
مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٦﴾ ليخبر الناس ان التبديل
وهو النسخ واقع من عند الله لا محالة ويقيناً قال الشيخ: علي العريض ((وبعد هذا الحلف
نقول ان العلماء ذكروا في الآية نفسها دليلاً اشد وأقوى مما ذكرنا لا يستطيع احد أن
ينكره، ولا يؤوله لأنه صريح في أن النسخ واقع في القران الكريم إلا فيما يتأكد وقوعه
وهي لفظ (اذا) ﴿٧﴾).

فالآية في سورة النحل: المراد منها تقرير وقوع النسخ في القران الكريم في حين
استعمل أداة الشرط التي هي للأمر المحتملة في سورة البقرة الآية ١٠٦ لبيان اقتران
زمان وقوع جواب الشرط بفعل الشرط .

جاء في شرح الرضي على الكافية: ((قد لا يكون مضمون الشرط والجزاء متعقبا
لمضمون الشرط . بل يكون مقارباً له في الزمان نحو ((ان كان هناك نار كان احتراقاً))

(١) سورة التكوير الآية: ١ .

(٢) سورة الانشقاق الآية: ١ .

(٣) سورة الانفال الآية: ٣٨ .

(٤) ينظر: د. فاضل صالح السامرائي: معاني النحو: ص ٦١ - ٦٢: دار السلاطين، الاردن - عمان .

(٥) سورة النحل الآية: ١٠١ .

(٦) سورة النحل الآية: ١٠٢ .

(٧) علي العريض فتح المناع: ص ٨٩ - ٩٠ .

وقال صاحب المستوفي ((ولا ان تكون نسبة الشرط دائماً الى الجزاء نسبة السبب إلى المسبب، بل الواجب فيها أن يكون الشرط بحيث إذا فرض حاصلًا لزم مع حصوله حصول الجزاء))^(١).

فالمراد في الآية بيان هذا التلازم وهو الإتيان بآية أخرى مثلها أو خير منها للأمة حال نسخ الآية السابقة مشيراً بذلك إلى الحكمة من النسخ الذي سبق ان قرره في اية سورة النحل: ١٠١ - ١٠٢ لذا ذيل الآية الكريمة بذكر صفة القدرة الإلهيه .

وجاء فعل الشرط وجوابه في الآية ١٠٦ من سورة البقرة (نسخ، نأت) بصيغة المضارعة إشارة إلى قلة وقوعه في القرآن الكريم ا والى احتمال تكرار حدوثه وتجده . قال الدكتور مصطفى جواد: ((إن الفعل المعبر عنه بلفظ الشرطين إذا كثر حدوثه استعمل الماضي، وإذا قل حدوثه استعمل المضارع))^(٢).

وقال الدكتور فاضل السامرائي: ((ويبدو أن استعمال الشرط بصيغة الماضي أو المضارع قد يكون لغير ذلك فان التعبير بالفعل الماضي قد يفيد افتراض حصول الحدث مرة . في حين أن المضارع قد يفيد افتراض تكرار الحدث وتجده))^(٣)

• المعنى العام للآية:

وينظر لتعدد القراءات والمعاني في كل من لفظتي (نسخ) و (نسخها) اختلف المفسرون في تعيين المراد من قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ فذكر المفسرون أوجهاً لذلك: فقال ابن الجوزي^(٤) في المراد بالنسخ ثلاثة أقوال:

احدهما: رفع اللفظ والحكم.

الثاني: تبديل الآية بغيرها^(٥).

(١) ينظر: د . فاضل السامرائي معاني النحو: ص ٤٦ .

(٢) ينظر: د . فاضل السامرائي معاني النحو: ص ٤٨، وينظر: المباحث اللغوية في العراق: ص ٤٨ .

(٣) ينظر: د . فاضل السامرائي معاني النحو: ص ٤٨ .

(٤) ابن الجوزي في زاد المسير: ٨١ .

(٥) واليه ذهب ابن جرير الطبري .

النسخ في القرآن الكريم

رويا عن ابن عباس رضي الله عنهما والأول قول السدي والثاني قول مقاتل الثالث: رفع الحكم مع بقاء اللفظ رواه مجاهد عن أصحاب ابن مسعود وبه قال أبو العالية^(١).

أما أقوال المفسرين في المراد بـ (أو ننسها): وفيها قراءتان: الأولى نُنسِها: من النسيان: أي أن النسخ قد يقع بالنسيان^(٢) تنسى بعد ان يقضي الله بنسخها، لان إنساء الناس آية لم تنسخ إضاعة شيء من القرآن، والله يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٣).

قال قتادة: كان الله (عزوجل) ينسي نبيه ﷺ ما يشاء^(٤).

قال ابن عباس: ننسها أي نتركها لا نبدلها ولا ننسخها^(٥).

وعلق الزجاج على هذا القول بقوله: لا يقال أنسى بمعنى ترك وان الذي عليه أكثر أهل اللغة والنظر أن معنى (نُنسِها) نبخ لكم تركها، من نسي إذا ترك ثم تعديده^(٦). وعلق الرازي^(٧) قائلاً: ((والأظهر أن حمل النسيان على الترك مجاز لان المنسي يكون متروكاً، فلما كان الترك من لوازم النسيان أطلقوا إسم الملزوم على اللازم)). أما القراءة الثانية (ننساها) قال ابن جوزي في معنى نؤخرها، وفيها ثلاثة أقوال:

(١) وزاد ابن كثير، محمد بن كعب القرظي، ينظر تفسير القرآن العظيم: ٥٠/١، واليه ذهب الواحدي، ينظر: ١٨٧/١ الوسيط في تفسير القرآن المجيد تأليف: ابي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري المتوفي ٤٦٨ هـ تحقيق وتعليق نخبة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة الأولى .
(٢) الواحدي في الوسيط: ١٨٨/١، د محمد سيد الطنطاوي: في بنو اسرائيل في القرآن والسنة الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م: ٢٠٩/١ .

(٣) سورة الحجر: الآية (٩) .

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ١٠٥/١، الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن فيصل آل مبارك : توفيق الرحمن في دروس القرآن، ١/١٧٩ دار العاصمة، الرياض الطبعة الأولى ١٤١٦ - ١٩٩٦ .

(٥) القرظي: الجامع لأحكام القرآن: ١/٢٨٦ .

(٦) المصدر السابق، ١/٤٨٦، الشوكاني، فتح القدير، ١/٢٢٦ .

(٧) الرازي: مفتاح الغيب: ٢/٢٤٦ .

أحدها: نُؤخرها عن النسخ فلا ننسخها: قاله الفراء
والثاني: نُؤخر إنزالها فلا ننزلها البتة - وهو ما يذكره الواحد في الوسيط
الثالث: نُؤخرها عن العمل بها بنسخنا إياها، حكاهما أبو علي الفارسي^(١)
والقول الثالث هو ما عبر عنه القرطبي^(٢) بقوله: نذهبها عنكم حتى لا تقرأ ولا تذكر
وهو قريب من معنى القراءة الأولى .

وهو الراجح عندي كما اشرنا انه معنى النسيان هو ما رجحه مكّي بن أبي طالب
في (الكشف^(٣)) وكذلك الدكتور مصطفى زيد^(٤).

وحاصل أقوال المفسرون ما لخصه الرازي بقوله^(٥) اختلف المفسرون في قوله تعالى:
﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ فمنهم من فسّر النسخ بإزالة ومنهم من فسّر النسخ بمعنى
نسخت الكتاب وهو قول عطاء وسعيد بن المسيب ومن قال بالقول الأول ذكر فيه وجوهاً:
احدهما: ما ننسخ من آية (وانتم تقرءونه) أو ننسخها ((أي من القرآن ما قرء بينكم
ثم نسيت))^(٦) وهو قول الحسن والأصم وأكثر المتكلمين فحملوه على نسخ الحكم
دون التلاوة ونسخها على نسخ الحكم والتلاوة معاً .

الوجه الثاني: ما ننسخ من آية اي: نبدل حكمها فقط أو تلاوتها فقط أو نبدلها معاً-
أما قوله تعالى (أو ننسخها) فالمراد نتركها كما كانت فلا نبدلها وقد بينا ان النسيان بمعنى

(١) الجوزي: ٨٠ - ٨١، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٦/١ .

(٢) القرطبي: الجامع: ٤٨٦/١ .

(٣) مكّي بن أبي طالب في الكشف عن وجوه القراءات ج ١ / ٢٥٨ .

(٤) د. مصطفى زيد، النسخ في القرآن الكريم / ٢٥٣ .

(٥) ينظر: الرازي: مفتاح الغيب: ٢/٢٤٦ - ٢٥١ .

(٦) وهذا ما ذهب إليه الشيخ محمد علي الصابوني في صفوة التفاسير: ج ١/٧٦، قوله: أي ما تبدل من
حكم آية فنغيره بآخر أو ننسخها يا محمد أي نمحها من قلبك، انظر محمد بن كعب القرظي وأثره في
التفسير/ ٢٨٣ تأليف أكرم عبد خليفة حمد الدليمي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان الطبعة الأولى
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

الترك قد جاء فيصير حاصل الآية ان الذي نبدله فإننا نأتي بخير منه أو مثله .
الوجه الثالث: ما ننسخ من آية: أي نرفعها بعد إنزالها. أو ننسها على قراءة الهمزة. أي
نؤخر إنزالها من اللوح المحفوظ، أو يكون المراد نؤخر نسخها، فلا ننسخها في الحال.
الوجه الرابع: ما ننسخ من آية وهي الآية صارت منسوخة في الحكم والتلاوة معاً. أو
ننسها اي نتركها وفي الآية صارت منسوخة في الحكم ولكنها غير منسوخة في التلاوة
بل هي باقية في التلاوة .
وعلى ما تقدم فإن الاختلاف في القراءات الواردة للمفردتين (ننسخُ ننسخ) (ننسها،
ننساها) واختلاف معاني ألفاظها جعل هذه الآية حاملة لكل معاني النسخ وأقسامه في
القرآن، منه تفسير النسخ، إلى بدل، وإلى غير بدل .
والأول هو نسخ بمعنى الإزالة أو الرفع والإثبات .
والثاني ننسها وهو بمعنى النسيان .
والتفسير الآخر: إلى ثلاثة أقسام. وهو نسخ الحكم والتلاوة. ونسخ التلاوة وبقاء
الحكم. ونسخ الحكم وبقاء التلاوة .
وهذا ما أشار إليه الشيخ علي حسن العريض^(١) بقوله: (فسر بعضهم النسخ بإزالة
الحكم سواء ثبت اللفظ أم لا. وفسر بعضهم النسخ بالإذهاب إلى بدل للحكم السابق،
والانساء- بالإذهاب لا إلى البدل) .
أما النسخ بمعنى النقل فليس للآية دلالة عليه لأنه على هذا المعنى يكون القرآن كله
منسوخ عن اللوح المحفوظ .
ثم هو لا يتلائم مع جواب الشرط، أي الإتيان بخير من الآية المنسوخة أو بمثلها لأنه
لا إزالة فيه.

(١) الشيخ علي حسن العريض: فتح المنان / ٩٥، وينظر محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير
والتنوير ٦٣٨-٦٣٩ مؤسسة التاريخ، بيروت - لبنان الطبعة الأولى .

وكون النسخ قد ورد في القرآن بمعنى النقل لا يسوغ تفسيره بالنقل في كل موضع^(١).

• **المراد بلفظ (آية)**

ذكرنا أن لفظة آية في اللغة بمعنى العلامة والحجة وترد بمعنى الطائفة من القرآن، سمي بها لأنها علامة على انقطاع الكلام الذي بعدها أو لأنها دالة على انقطاع عن المخلوقين وإنها من كلام الله المعجز .

ولابد من تعيين احد المعنيين في المراد بالآية من قوله عزوجل: ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ﴾ لان منكري النسخ وهم قلة على مدار التاريخ لم يستطيعوا إنكار معنى النسخ فصبو جهدهم على تأويل معنى (آية) والذي ذهب إليه جمهور المفسرين إن معنى (آية) هي الآية القرآنية بل نجد أن أكثر علماء التفسير اجمعوا على السير في تفاسيرهم على فهم السلف الصالح في تفسير كلمة آية بأنها الآية القرآنية التي تشرع حكماً، والتبديل المراد به النسخ وكل من الناسخ والمنسوخ قد شرعه الله (عزوجل) في شريعة الإسلام بعلمه وحكمته ليحقق مصلحة تعلقت به فأصبح النسخ هو الحق في زمانه. وكذلك فسر الآية بهذا المعنى الإمام أبو الحسن الماوردي وجار الله الزمخشري مع انه في المعتزلة كأبي مسلم^(٢) والإمام الرازي، مع انه من أئمة المفسرين بالرأي، وأبو عبد الله القرطبي وأبو حيان الغرناطي والحافظ الدمشقي أبو الحسن برهان الدين والنيسابوري وشهاب الدين الالوسي وغيرهم من علماء التفسير.

• **ومن الأدلة على صحة مذهب جمهور المفسرين ما يأتي:**

اجمع الصحابة وعلماء اللغة وعلماء التفسير وعلى إجراء ألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية على عمومها حتى يقوم دليل على الخصوص فطلب الدليل على الخصوص، لا على العموم، وقد أورد الإمام الطبري في تفسيره روايات كثيرة تزيد عن ثلاثين أثر عن

(١) د. مصطفى زيد: النسخ في القرآن الكريم ٢٥٦ .

(٢) هو الحافظ أبو مسلم بن بحر، وقيل: محمد بن عمر، وقيل هو عمر بن بحر الأصفهاني ولد سنة ٢٥٤هـ وتوفي سنة ٣٢٢هـ اشتهر عنه انه خالف جماعة المسلمين وجهر بإنكار النسخ سمعاً .

الصحابة والتابعين ومن بعدهم، تلتقي كلها عند هذا التفسير لمعنى لفظ (آية) أنها الآية القرآنية المنزلة على رسول الله ﷺ وان المراد بالنسخ في آية البقرة نسخ الآية القرآنية^(١) ونقل إحدى تلك الروايات فقد فسر الطبري الآية بهذا المعنى المتبادر إلى الذهن فقال: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ﴾ ما ننقل من حكم آية إلى غيره فنبدله أو غيره وذلك ان يحول الحلال حراماً والحرام حلالاً، والمباح محظوراً والمحظور مباحاً^(٢).

وقد يشهد لهذا التفسير ما أخرجه البخاري في صحيحه، عن عمر رضي الله عنه ((أقرؤنا أبي، وأقضاننا علي. إنا لندع من قول أبي، وذلك ان ابياً يقول: ((لا ادع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ)) وقد قال الله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾^(٣) فقد قرر عمر رضي الله عنه - وهو من هو - انه يدع بعض قول أبي وعلل لهذا بأن أبياً لا يدع شيئاً مما سمعه من الرسول ﷺ، مع ان بعض ما سمعه منه قد نسخ، أو انسيه المسلمون، فلم يعد قرآناً يتلى: ولسنا نشك في ان أبياً إنما عنى بقوله: لا ادع شيئاً سمعته - آيات القرآن - لا أحاديث الرسول، فقد حكى عمر رضي الله عنه كلمته، بعد أن وصفه بأنه أقرأ الصحابة. وعلل لتركه بعض ما سمعه بأنه قد نسخ، لا بأن خلطاً بينه وبين الحديث وقع من أبي، على انه لو وقع شيء من هذا الخلط ما تردد عمر ترك قول أبي كله. جملةً وتفصيلاً وما شهد له بأنه أقرؤهم وشجاعة عمر في الحق واقع تاريخي لا يجمله احد، فهل كان يخشى أن يخالف أبياً وهو الذي لم يكن يخشى أن يخالف الرسول ﷺ وأبا بكر، حتى يجتمعون ليتشاوروا في بعض الأمور وقد أيده الوحي أكثر من مرة^(٤) وهذا يكفي في أن بيان إن لفظ آية يراد بها الآية القرآنية .

أما ما ذهب إليه أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني من تفسير لفظ آية بالشريعة

(١) الشيخ علي حسن العريض: فتح المنان ١٠٢٠ - ١٠٣ ينظر ابن جوزي: زاد المسير: ٨١، د. مصطفى زيد: النسخ في القرآن: ٢٥٢ .

(٢) الطبري: جامع البيان: ج ١/٣٧٨ .

(٣) كتاب التفسير في صحيح البخاري، سورة البقرة باب قوله: (ما ننسخ من آية) ص ٩٩ ج ٣ .

(٤) د. مصطفى زيد: النسخ في القرآن ٢٥٤ .

لإبطال النسخ في القرآن، بقوله ان المراد من الآيات المنسوخة هي الشرائع التي في الكتب السماوية القديمة التوراة والإنجيل كالسبت والصلاة إلى المشرق والمغرب معاً مما وضعه الله تعالى عنا وتعبدنا بغيره .

فإن اليهود والنصارى كانوا يقولون: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم فأبطل الله عليهم ذلك بهذه الآية، قلنا: إن العرب لم يستعملوا كلمة (آية) بمعنى الشريعة وأنّ القرآن الكريم أيضاً لم يستعملها في أداء هذا المعنى بدليل خلو معجم القرآن ومعاجم اللغة العربية منه^(١).

وما ذهب إليه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (رحمه الله) ومن قبله الشيخ الصوفي محي الدين بن عربي نقله السيد محمد رشيد رضى في هامش ص ٤١٨ ج ١ من تفسيره إلى تفسير الآية بالمعجزة .

استناداً إلى فاصلة الآية معلل ذلك بقوله ((فان ذكر القدرة والتقرير بها لا يناسب موضوع الأحكام ونسخها، وإنما يناسب هذا ذكر العلم والحكمة)).

واستناداً إلى انه ((قد تحير العلماء في فهم معنى الانساء على الوجه الذي ذكروه، حتى قال لبعضهم ان معنى ننسها: نتركها على ما هي عليه من غير نسخ وأنت ترى أن هذا إن صح لغة لا يلتأم مع تفسيرهم إذ لا معنى لإتيان بخير منها مع تركها على حالها غير منسوخة))^(٢) وغير ذلك، وللرد على هذا المذهب نقول: إن الظواهر التي اعتبرها أدلة على مذهبه لا تكفي لاعتباره هو المعنى الصحيح للآية وبخاصة أن الآية خطاب للمؤمنين بعد الهجرة وهم بوصفهم مؤمنين -سواء أكانوا مهاجرين أم من الأنصار- ما كانوا ليطلبوا معجزة غير القرآن ثم أن الآيات التي سبقتها تتحدث عن عداوة اليهود لجبريل وكيف أن جبريل هو الذي نزل بالقرآن على قلب محمد بإذن الله، وان تلك العداوة دليل كفر، وتلتفت إلى الرسول ﷺ

(١) د. مصطفى زيد: النسخ في القرآن الكريم: ٢٥٦ - ٢٥٧ ينظر: الشيخ علي العريض: فتح المنان: ٢٠٣.

(٢) د. مصطفى زيد: النسخ في القرآن الكريم: ٢٥٤ ينظر: الشيخ علي العريض: فتح المنان: ٢٠٨.

لتؤكد له ان ما انزل عليه من آيات القرآن الكريم فيه كل الدلالة الواضحة على انه رسول من عند الله . ولا يكفر بذلك إلا المنحرفون الضالون. ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾^(١) ثم يمضي السياق في قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٢) هل كان ينزل عليهم أعظم من القرآن، فإذا كرهوا أن ينزل على المؤمنين أي خير من ربهم فهل يرضيهم ان ينزل عليه جبريل بالقرآن آية تلو آية. إن معنى هذا عند أهل الكتاب انتقال النبوة منهم إلى العرب. إذا لينكروا أن القرآن من عند الله، وليتخذوا كل وسيلة إلى هذه الغاية.

وفي هذا السياق يجيء قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ فإنه يعني أن المشركين وأهل الكتاب لما عجزوا عن منع الوحي من النزول على محمد راحوا يشككون في كون القرآن من عند الله وقد استغلوا في هذا التشكيك ظاهرة النسخ، لبعض آيات الأحكام ببعضها الآخر ولم يكن بدأ من الرد عليهم فكانت هذه الآية^(٣).

وقال محمد الطاهر بن عاشور والمقصد الأصلي من هذا هو تعليم المسلمين أصلاً من أصول الشرائع وهو أصل النسخ الذي يطرأ على الشريعة بشرعية، ولكون هذا هو المقصد الأصلي عدل عن مخاطبة اليهود بالرد عليهم ووجه الخطاب إلى المسلمين كما في قوله ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾^(٤) أما ما يخص الفاصلة في الآية ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. الجواب على ذلك إن تبديل الآية بغيرها ليس أقل من تبديل المعجزة بغيرها في الحاجة إلى العلم والحكمة وقدرة الله وعظمته لان الكل من عند الله. ولا يقدر عليه سواه.

الناحية الأخرى تفسير الانساء بالترك واعتراض الشيخ محمد عبده عليه لا يصلح دليل

(١) سورة البقرة الآية: ٩٩ .

(٢) سورة البقرة الآية: ١٠٥ .

(٣) د. مصطفى زيد: النسخ في القرآن الكريم: ٢٥٧ انظر الشيخ علي العريض: ٢١٠ .

(٤) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير: ٦٣٧، وانظر المصدر السابق .

على خطأ رأي جمهور علماء المسلمين لأنهم لم يجمعوا على تفسير الانساء بالترك، وإنما هو رأي بعضهم وأن لغيرهم من العلماء تفسيراً غيره، فلا يصلح دليلاً على نقض مذهبهم ثم أن هذا الاعتراض يرد على تفسير الآية بالمعجزة بصورة أوضح فإن النسخ إنما يرد على أمر موجود فعلاً والانساء لا يرد إلا على مذكور. ولم تكن معجزة من معجزات الأنبياء السابقين موجودة حين بعث محمد حتى يرد عليها النسخ ولا كان مذكور للناس حتى يرد عليه الانساء إنما هذه المعجزات ذهبت بذهاب هؤلاء الأنبياء فلا يصح القول أن المعجزات لم تنزل على محمد إلا بعد أنساهم معجزات الأنبياء السابقين^(١).

المستفاد من الآية: أن الآية دالة على جواز النسخ في آيات القرآن الكريم ووقوعه وكيف لا وتنزيل الآيات التي عليها يدور فلك الأحكام الشرعية إنما هو بحسب ما تقتضيه من الحكم والمصالح، وذلك يختلف باختلاف الأحوال، ويتبدل حسب تبدل الأشخاص والأزمان، فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال، تقتضي في حال أخرى نقيضه، فلو لم يجر النسخ لاختل ما بين الحكمة والأحكام من النظام والله اعلم بمراده.

وحتى من أنكر وقوع النسخ في القرآن -أبو مسلم- فإنه قد تشبث بشرطية الجملة وأنها لا تدل على وقوع النسخ بل على أنه لو وقع النسخ لوقع إلى خير منه، فهو يلتقي -على هذا- مع جمهور العلماء كما هو واضح في تفسير (النسخ، والآية) فافتضى هذا أن يسلم بجواز النسخ شرعاً.

* * *

(١) د. مصطفى زيد: ٢٦١ - ٢٦٢، النسخ على العريض: ٢١٢.

المطلب الثالث

دلالة النسخ في الآية ٥٢ سورة الحج

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

• سبب نزول الآية:

عن سعيد بن جبیر قال: قرأ النبي ﷺ بمكة: [وَالنَّجْمِ] فلما بلغ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾^(٢) ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرائق العلاء، وان شفاعتهن لترتجي، فقال المشركين: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجدوا، فنزلت: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾^(٣).

وقال السيوطي: وأخرجه البزار وابن مردويه ومن وجه آخر عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما احسبه، وقال البزار لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد، وتفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور.

وأخرجه البخاري عن ابن عباس بسند فيه الواقدي.

وأخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

(١) سورة الحج: الآية ٥٢ .

(٢) سورة النجم الآية: ١٩ - ٢٠ .

(٣) سورة الحج الآية: ٥٢، الواحدي: في اسباب النزول / ٢٥٩، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي في لباب النقول أسباب النزول (ص / ٢٠١) دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٨ وخالد عبد الرحمن العك في تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول / ٢٢٨، وعزاه السيوطي إلى ابن حاتم الطبري وابن منذر انظر: حسن بن عبد المنعم شلبي: الجامع في اسباب النزول / ٣٥٦ وعلق انه حديث باطل وهو مرسل بهذا السياق وانظر ما بعده .

وابن جرير أيضاً من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وأورده ابن إسحاق في (السيرة) عن محمد بن كعب، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب،
وابن جرير عن محمد بن قيس، وابن أبي حاتم عن السدي.
كلهم بمعنى واحد وكلها أما ضعيفة، أو منقطعة سوى طريق سعيد بن جبيرة الأولى^(١).
قال ابن كثير^(٢): ((قد ذكر كثير من المفسرين^(٣) ههنا، قصة الغرائق وما كان من رجوع
كثير من المهاجرة إلى ارض الحبشة ظناً منهم ان مشركي قريش قد اسلموا. ولكنها من
طرق كلها مرسله. ولم أرها مسندة من وجه صحيح)).

قال القرطبي بعد ان ساق بعض تلك الروايات: ((فيكفيك ان هذا الحديث لم يخرج
احد من أهل الصحة، ولا رواه بسند سليم متصل ثقة وإنما أولع به وبمثله المفسرون
والمؤرخون، المولعون بكل غريب والمتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم، قال أبو
بكر البزار: وهذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل يجوز ذكره إلا ما
رواه شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) فيما احسب.
الشك في الحديث ان النبي ﷺ كان بمكة وذكر القصة، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية
بن خالد . وغيره يرسله عن سعيد بن جبيرة ... والذي منه في الصحيح^(٤): ان النبي ﷺ قرأ
(والنجم) بمكة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس^(٥))).

والقصة ضعفها كثير من المشتغلين بالعلم كابن العربي والقاضي عياض والرازي

(١) السيوطي: لباب النقول / ٢٠١ ورواية البخاري لم يخرجها في الصحيح ولم يذكر السيوطي أين
أخرجها البخاري .

(٢) الشيخ صفى الرحمن المباركفوري: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير / ٩٠١ دار السلام
للنشر والتوزيع - الرياض طبعة (٢) ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٣ م .

(٣) عند الحديث عن تفسير الآية ٥٢ سورة الحج وقد ذكرها بعضهم بروايات موجزة وبعضهم ذكر
الروايات بطولها .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، ٣ / ١٩٤ .

(٥) القرطبي الجامع لأحكام القرآن: ج ٦ / ٣٩٥ .

والقرطبي والعيني والشوكاني والآلوسي. وصديق حسن خان والالباني ومنهم الحافظ ابن حجر في فتح الباري^(١). وقال بعد ان ساق له عدة طرق منتقداً لها: قال عياض: ((هذا الحديث لم يخرج له احد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل . مع ضعف نقله واضطراب روايته وانقطاع إسناده)). وكذا قوله ((ومن حملت عنه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها احد منهم. ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية)).

ومما ذكره القاضي عياض قوله: ((كما انه مما يقلل الثقة بالحديث المروي هنا، اضطراب الروايات اضطراباً فاحشاً فقائل يقول، انه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في الصلاة، وقائل يقول: قالها في نادي قومه، وثالث يقول: قالها وقد أصابته سنة، ورابع يقول: بل حدث نفسه فيها . ومن قائل: ان الشيطان قالها على لسانه . وكل هذا الاضطراب مما يوهن الرواية ويضعفها))^(٢) وقد حكمت الصنعة والقواعد الاصطلاحية على الحافظ ابن حجر . فصحح القصة وجعل لها أصلاً حيث ذكر في فتح الباري طرقاً كثيرة وقال: وكلها سوى طريق سعيد ابن جبير اما ضعيفة اما منقطع، ولكن كثرة الطرق تدل على ان لها أصلاً مع أنها لها طريقين مرسلين آخرين رجالهما على شرط الصحيح، وبعد ذكرهما ارتضى لتصحيح القصة هذا التأويل وهو أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يرتل القرآن ترتيباً فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمة محاكياً نغمته بحيث سمعها من دنا فظننها من قوله . وأشاعها بين الناس^(٣) وسنناقش هذا التأويل فيما بعد .

قال الرازي: بعد ذكر القصة:^(٤) ((هذه رواية عامة المفسرين الظاهريين. اما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول)).

(١) ابن حجر: فتح الباري: ٢٩٣/٨ سورة الحج .

(٢) القرطبي الجامع لأحكام القرآن: ج ٦ / ٣٩٥ . .

(٣) هامش تفسير القرطبي: ج ٦ / ٣٩٥ : راجعه وعلق عليه: الدكتور محمد ابراهيم الحفناوي .

(٤) محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الربيع في تفسيره مفتاح

الغيب ج ١٢ / ٥١ .

اما القرآن فلاوجه: (احدها) قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾^(١).
وثانيها: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^(٢).

وثالثها: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٣) فلو انه أعقب هذه الآية (أفرايتم اللات والعزة) ب(تلك الفرائيق العلا) لكان قد ظهر كذب الله تعالى في الحال وذلك لا يقوله مسلم .

ورابعها: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حَلِيلًا﴾^(٤) وكلمة (كاد) عند بعضهم معناها: قرب ان يكون الأمر كذلك مع انه لم يحصل.

وخامسها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾^(٥) وكلمة (لولا) انتفاء الشيء لانتفاء غيره فدل على ان ذلك الركون القليل لم يحصل.
وسادسها: قوله: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾^(٦).
وسابعها: قوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾^(٧).

واما السنة فهي ما روي عن محمد ابن إسحاق بن خزيمة انه سُئل عن هذه القصة، فقال: هذا وضع من الزنادقة، وصنف فيه كتاباً. وقال الإمام أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم اخذ يتكلم في ان رواة هذه القصة مطعون فيهم.

(١) الحاققة الآية ٤٦ .

(٢) يونس آية ١٥ .

(٣) النجم آية ٣ .

(٤) الإسراء آية ٧٣ .

(٥) الإسراء آية ٧٤ .

(٦) الفرقان الآية ٣٢ .

(٧) الأعلى الآية ٥ .

وأيضاً فقد روى البخاري في صحيحه ان النبي ﷺ قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس عليه حديث الغرائيق. روى هذا من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرائيق.

• وأما المعقول فمن أوجه:

(أحدها): ان من جوّز على الرسول ﷺ تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة إن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان .

(وثانيها): انه عليه السلام ما كان يمكنه في أول الأمر أن يصلى ويقرأ القرآن عند الكعبة آمناً أذى المشركين له حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه، وإنما كان يصلي إذا لم يحظروها ليلاً أو في أوقات خلوة وذلك يبطل قولهم .

(وثالثها): ان معاداتهم للرسول ﷺ كانت أعظم من أن يقولوا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر فكيف أجمعوا على إنه عظّم آلهتهم حتى خروا سجداً مع انه لم يظهر عندهم موافقته لهم .

(ورابعها): قوله: ﴿فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ وذلك لان أحكام الآيات بإزالة ما يلقيه الشيطان على الرسول أقوى من نسخه بهذه الآيات التي تبقى الشبهة معها، فإذا أراد الله أحكام لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآناً . فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلاً أولى .

(وخامسها): وهو أقوى الوجوه: إنا لو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ويبطل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) فإنه لا فرق في العمل بين النقصان عن الوحي وبين الزيادة فيه، فبهذه الأوجه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة^(٢).

(١) المائدة الآية ٦٧ .

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب ج ١٢ / ٥٢ .

• معاني المفردات في الآية :

تحدثنا عن معنى النسخ في المطلب الأول ولا بأس ان نذكر بأن النسخ: إزالة الشيء بشيء يتعقبه^(١).

ونسخه كمنعه: أزاله وأبطال غيره وأقام شيئاً مقامه .
ونسخ الشيء مسخه^(٢).

تمنى: منى الله الشيء من باب رَمَى: قَدَّره. والاسم المَنَا مثل العصا وتمنيت كذا وقيل مأخوذ من المنا وهو القدر لان صاحبه يقدر حصوله والاسم المُنِيَّة والأُمْنِيَّة وجمع الأولى مُنَى مثل مِدْيَة: مُدَى وجمع الثانية الأمانى^(٣).

المنى: التقدير يقال: منى لك الماني، اي: قدر لك المُقَدَّر. ومنه المنا الذي يزن به.
والمُنِيَّة: هو الأجل المقدر/ للحيوان . وجمعه: منايا.

والتمني: تقدير الشيء في النفس وتصويره فيها، وذلك قد يكون عن تخمين وظن ويكون عن روية وبناء على أصل ولكن لما كان أكثر عن تخمين صار الكذب له املك.
فأكثر التمني تصور ما لا حقيقة له.

قال تعالى: ﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾^(٤).

والأمنية: الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء . ولما كان الكذب تصور ما لا حقيقة له وإرادته باللفظ صار التمني كالمبدأ للكذب فصح ان يعبر عن الكذب بالتمني.

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾^(٥)

قال مجاهد: معناه إلا كذباً .

وقال غيره: إلا تلاوة مجردة عن المعرفة . من حيث ان التلاوة بلا معرفة المعنى تجري

(١) الراغب الاصبهاني: مفردات الفاظ القرآن: ص ٨٠١ .

(٢) الفيروز ابادي: القاموس المحيط ٢٦١ .

(٣) الفيومي: المصباح المنير ٣٧٩ .

(٤) سورة النجم الاية: ٢٤ .

(٥) سورة البقرة الاية: ٨٧ .

عن صاحبها مجرى أمنية تمنائها على التخمين .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾^(١) أي تلاوته. فقد تقدم ان التمني كما يكون عن تخمين وذن فقد يكون عن روية وبناء على أصل، ولما كان النبي ﷺ كثيراً ما كان يبادر إلى ما نزل به الروح الأمين على قلبه حتى قيل له: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾^(٢) ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(٣).

سمى تلاوته على ذلك تمنياً ونبه ان للشيطان تسلطاً على مثله في أمنيته وذلك من حيث بين ان (العجلة من الشيطان)^(٤) والعجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه وهو من مقتضى الشهوة فلذلك صارت مذمومة في القرآن، قال تعالى: ﴿وَمَا أَغْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثْرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(٥)، فذكر ان عجلته وان كانت مذمومة فالذي دعا إليها أمر محمود . وهو طلب رضى الله تعالى .

• ما نقل في تفسير معاني مفردات الآية:

اخرج الطبري بسنده الحسن، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله: ((إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، يقول: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه أي يسمع الكفار ما ألقى الشيطان ولا يسمعه المؤمنون لأنه ليس للشيطان على المؤمنين من سلطان)). اخرج الطبري: بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ فيبطل الله ما ألقى الشيطان^(٦) قال المجاهد (إذا تمنى)

(١) سورة الحج الآية: ٥٢ .

(٢) سورة طه الآية: ١١٤ .

(٣) سورة القيامة الآية: ١٦ .

(٤) الراغب: مفردات الفاظ القرآن، ٧٧٩ / ٢٥ المصدر السابق / ٥٤٨ .

(٥) سورة طه الآية: ٨٣ - ٨٤ .

(٦) د. حكمت بن بشير بن ياسين استاذ التفسير في الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة: في التفسير الصحيح موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: ج٣/٤٢١، دار المآثر / المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤٢٠ - ١٩٩٩ م .

يعني إذا قال^(١).

(إذا تمنى): أي: قرأ القرآن، ألقى الشيطان في أمنيته: أي قراءته^(٢): وقال الضحاك إذا تمنى: إذا تلا^(٣). وقال البغوي: ((وأكثر المفسرين قالوا: معنى قوله: (تمنى) تلا وقرأ كتاب الله ألقى الشيطان في أمنيته أي: في تلاوته))^(٤).

انه من الأمنية: وذلك ان الرسول ﷺ تمنى يوماً ان لا يأتيه من الله شيء ينفر عنه قومه. فألقى الشيطان على لسانه لما كان قد تمناه، قاله محمد بن كعب القرظي^(٥).

• المعنى العام في الآية: (٥٢ الحج).

بناءً على ما تقدم من أمور تعددت تأويلات المفسرين للآية الكريمة:

فمن رد القصة في رواية الغرائيق وضعفها، وتأول معنى (تمنى: قرأ وتلا) تأول إلقاء الشيطان على أقوال:

(احدها): أنه أراد بذلك ما يجوز ان يسهو الرسول فيه . ويشتهه على القارئ دون ماروه من قوله (تلك الغرائيق العلى) وهذا منقول عن الرازي^(٦)، قال الإمام ابن القيم ((ان الله عزوجل اخبر انه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته))^(٧) ثم قال: والسلف كلهم على ان معنى: إلا إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته، ثم قال: فإذا كان هذا فعلة مع الرسل (صلوات الله عليهم) فكيف بغيرهم؟ ولهذا يغلط القارئ

(١) القرطبي: ج ٦/٣٩٨ المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ٩٠١ .

(٢) الإمام قاسم بن قطلوبغا الحنفي . (ت ٨٧٩ هـ) معجم غريب القرآن، تحقيق: عبد الحميد محمد درويش / ١٣٨ .

(٣) الطبري: جامع البيان ١٨ / ٦٦٨ انظر المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ١٠٩ .

(٤) البغوي: ٣/٢٩٣ . انظر المصباح المنير للمباركفوري: (٩٠١)، القرطبي: في الجامع ج ٦ / ٣٩٧ . والجوزي: في زاد المسير في علم التفسير: ٩٦٢ .

(٥) الجوزي: زاد المسير في علم التفسير: ٩٦٢ . وينظر الشيخ فيصل آل مبارك: في توفيق الرحمن / ج ٣ / ١٧٧، وهي رواية أخرجه ابن جريد مرسله (١٧ / ١٨٦ / ١٨٧) وقد تكلم فيها العلماء .

(٦) الرازي: التفسير الكبير: الجزء ١٢ / ٥٢ .

(٧) الإمام ابن القيم، في إغاثة اللهفان: ٩٣/١ .

النسخ في القرآن الكريم

تارة، ويخلط عليه القراءة. ويشوشها عليه فيخبط على لسانه. أو يشوش عليه ذهنه وقلبه. فإذا حضر عند القراءة لم يعد منه القارئ هذا أو هذا. وربما جمعها له. فكان من الأمور الاستعاذة بالله منه .

وقال الإمام الطبري: ((بعد ما ذكر عن الضحاك (ان معنى قوله (إذا تمنى) التلاوة والقراءة وهذا القول أشبه بتأويل الكلام . بدلالة قوله تعالى ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ على ذلك لان الآيات التي اخبر الله عزوجل انه يحكمها لا شك أنها آيات تنزيله فمعلوم ان الذي ألقى فيه الشيطان هو ما اخبر الله عزوجل انه نسخ ذلك منه وأبطله. ثم احكمه بنسخه ذلك منه، فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله وقرأ أو حدث وتكلم، القلى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه أو في حديثه الذي حدث وتكلم ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ يقول تعالى: ((فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله))^(١).

فهذا هو المعنى المراد من الآية الكريمة: وليس فيها إلا ان الشيطان يلقي عند تلاوة النبي ﷺ. للقرآن ما يفتتن به الذين في قلوبهم مرض ولكن أعداء الإسلام ما فتئوا دائماً يدسون في هذا الدين ما ليس منه. وما لم يقله رسول الإسلام محمد ﷺ. فيذكرون، ما لا يليق بمقام النبوة والرسالة، كما فعلوا في كثير من الآيات الواردة في غير نبينا محمد ﷺ كيوסף وأيوب وداود وسليمان عليهم السلام . فيذكرون في تفسيرها من الإسرائيليات التي لا يجوز نسبتها لأحد الناس، فضلاً عن النبي مرسل. أو رسول مقدم. فلينتبه المسلمون لذلك. وليأخذوا التفسير من العلماء المحققين حتى لا يرموا الأنبياء والمرسلين فيما هم منه معصومون .

(والثاني): ولمن رد هذه الروايات. وتأول التمنى بالقراءة والتلاوة، تأويل آخر في معنى الآية. ننقله عن تفسير محمد عبده، ان التمنى بمعنى القراءة إلا ان إلقاء لا بالمعنى الذي ذكره المبطلون. بل بمعنى إلقاء الشبه، والأباطيل مما يحتمله الكلام. ولا يكون مراداً

(١) الطبري جامع البيان: ١٧ / ١٩٠ .

للمتكلم، أو لا يحتمله ويدعي ان ذلك يؤدي إليه . وذلك من عمل المعاجزين الذين دأبهم محاربة الحق ونسبة الإلقاء إلى الشيطان حينئذ لأنه مثير الشبهات بوساوسه .
 فيكون المعنى: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا حدث قومه عن ربه أو تلا وحياً أنزل الله فيه هداية لهم . قام في وجهه أناس مشاغبون يقولون عليه ما لم يقله . ويحرفون الكلم عن مواضعه . وينشرون ذلك بين الناس ولا يزال الأنبياء يجادلونهم . ويجاهدون في سبيل الحق حتى ينتصروا فينسخ الله ما يلقي الشيطان من شبه ويثبت الحق وقد وضع الله هذه السنة في الخلق ليتميز الخبيث من الطيب فيفتن ضعفاء الإيمان الذين في قلوبهم مرض . ثم يتمحص الحق عند أهله وهم الذين أوتوا العلم فيعلمون انه الحق من ربهم^(١).

ومن قبل هذه الروايات . وبوقوع هذه الكلمة (الغرانيق العلى) في قراءته ﷺ تأول وقوعها على وجوه .

(الوجه الأول) ان النبي ﷺ لم يتكلم به ولا احد يتكلم به ولكنه عليه السلام لما قرأ السورة (النجم) أشتبه الأمر على الكفار فحسبوا بعض ألفاظه ما رووه من قولهم تلك الغرانيق العلاء، وذلك على حسب ما جرت العادة به من توهم بعض الكلمات على غير ما يقال^(٢).

وقد قال سليمان بن حرب ((ان (في) بمعنى (عند) أي ألقى الشيطان في قلوب الكفار عند تلاوة النبي ﷺ كقوله تعالى ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا﴾^(٣) أي عندنا)).

وهذا المعنى حكاه ابن عطية عن أبيه من علماء المشرق واليه أشار القاضي أبو بكر العربي^(٤)، حيث قال قبله: ((ان هذه الآية نص في غرضنا، دليل على صحة مذهبنا أصل في

(١) انظر هامش القرطبي في تفسيره الجامع ج ٦ / ٣٩٦، تعليق، إبراهيم الحفناوي .

(٢) الرازي: التفسير الكبير: ج ١٢ / ٥٢ .

(٣) الشعراء الآية ١٨ .

(٤) راجع: احكام القرآن لابن العربي ١٣٠٢/٣ .

براءة النبي ﷺ مما ينسب إليه انه قاله. وذلك ان الله تعالى قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾^(١) أي في تلاوته فأخبر الله تعالى ان من سنته في رسله وسيرته في أنبيائه إذا قالوا عن الله تعالى قولاً. زاد الشيطان فيه من قبل نفسه. كما يفعل سائر المعاصي)).

تقول: ألقيت في الدار كذا . وألقيت في الكيس كذا . فهذا نص في الشيطان انه زاد في الذي قاله النبي ﷺ، لا ان النبي ﷺ تكلم به ثم ذكر معنى كلام القاضي عياض إلى ان قال: وما هدى لهذا إلا الطبري^(٢) لجلالة قدره وصفاء فكره وسعة باعه في العلم وشدة ساعده في النظر . وكأنه أشار إلى هذا الغرض وصوب هذا المرمى^(٣) واحسب انه يريد الإشارة إلى ما أخرجه الطبري عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قوله: ﴿إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾^(٤) يقول: ((إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه، اي يسمع الكفار ما ألقى الشيطان ولا يسمعه المؤمنون لأنه ليس للشيطان على المؤمنين من سلطان))^(٥).

وضعف الرازي هذا الوجه لأسباب هي: ان التوهم في مثل ذلك إنما يصح فيما جرت العادة بسماعه فأما غير المسموع فلا يقع ذلك فيه، وانه لو كان ذلك لوقع هذا التوهم لبعض السامعين دون البعض فإن العادة مانعة من اتفاق الجرم العظيم في الساعة الواحدة على خيال واحد فاسد في المحسوسات ولو كان كذلك لو يكن مضاف إلى الشيطان .

(الوجه الثاني): قالوا ذلك الكلام كلام شيطان الجن وذلك بأن تلفظ كلام من تلقاء نفسه أوقعه في درج تلك التلاوة في بعض وقفاته ﷺ ليظن انه من جنس الكلام المسموع

(١) سورة الحج الآية: ٥٢ .

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن .:

(٣) المصدر نفسه ج ٦ / ٣٩٧ .

(٤) سورة الحج الآية: ٥٢ .

(٥) د. حكمت بن بشير: التفسير الصحيح ج ٣ / ٤٢١ .

من الرسول ﷺ قالوا: والذي يؤكد أنه لا خلاف أن الجن والشياطين متكلمون فلا يمتنع ان يأتي الشيطان مثل صوت الرسول ﷺ فيتكلم بهذه الكلمات في إثناء كلام الرسول ﷺ وعند سكوته، فإذا سمع الحاضرون تلك الكلمة بصوت الرسول وما رأوا شخصاً آخر ظن الحاضرون انه كلام الرسول، ثم هذا لا يكون قادحاً في النبوة لما لم يكن فعلاً له ﷺ. وهذا أيضاً ضعيف .

فإنك إذا جوزت ان يتكلم الشيطان في أثناء كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بما يشتهه على كل السامعين كونه كلام للرسول بقى هذا الاحتمال في كل ما يتكلم به الرسول، فيفضي ذلك إلى ارتفاع الوثوق عن كل الشرع فان قيل هذا الاحتمال قائم في الكل ولكن، لو وقع لوجب في حكمه الله تعالى ان يشرح الحال فيه كما في هذه الواقعة إزالة للتلبيس قلنا: لا يجب على الله إزالة الاحتمالات كما في المتشبهات وإذا لم يجب على الله ذلك تمكن الاحتمال من الكل^(١).

وارى ان تعميم هذه الحالة على كل الاحتمالات ومقارنتها بالمتشبهات تحكم من الرازي لا مسوغ له. كما انه قال بما يشتهه على كل السامعين ورواية الطبري عن ابن عباس انه اشتبه على الكفار دون المؤمنين. وهذا الوجه رجحه القرطبي^(٢) وابن حجر كما أسلفنا .

(الوجه الثالث): أن يقال المتكلم بذلك بعض شياطين الإنس وهم الكفرة فإنه عليه السلام لما انتهى من قراءته هذه السورة إلى هذا الموضع وذكر أسماء آلهتهم وقد علموا من عادته انه يعيبها فقال بعض من حضر تلك الغرائق العلى . فاشتبه الأمر على القوم لكثرة لغط القوم وكثرة صياحهم وطلبهم تغليطه وإخفاء قراءته ولعل ذلك كان في صلاته لأنهم كانوا يقربون منه في حال صلاته ويسمعون قراءته . ويلغون فيها . وقيل انه عليه السلام كان إذا تلا القرآن على قريش توقف في فصول الآيات فألقى بعض الحاضرين

(١) الرازي: في تفسير الكبير: ج ١٢ / ٥٢ .

(٢) القرطبي: الجامع ج ٦ / ٣٩٦ .

ذلك الكلام في تلك الوقفات فتوهم القوم من قراءة الرسول ﷺ ثم أضاف الله تعالى ذلك إلى الشيطان لأنه بوسوسته يحصل أولاً ولأنه سبحانه جعل ذلك المتكلم في نفسه شيطاناً . وهذا ضعيف من وجهين انه لو كان كذلك لكان يجب على الرسول ﷺ إزالة الشبهة والتصريح بالحق . وتبكيك ذلك القائل وبإظهار ان هذه الكلمة منه صدرت، ولو فعل ذلك لكان أولى بالنقل . فان قيل إنما لم يفعل ذلك لأنه كان قد أدى السورة بكاملها إلى الأمة من دون هذه الزيادة فلم يكن ذلك مؤدياً إلى التلبيس . كما يؤدي سهوه في الصلاة بعد ان وصفها إلى اللبس .

قلنا: ان القرآن لم يكن مستقراً على حالة واحدة في زمان حياته لأنه . كان تأتيه الآيات فيلحقتها بالسور فلم يكن تأدية تلك السورة بدون هذه الزيادة سبباً لزوال اللبس وأيضا لو كان كذلك لما استحق العتاب من الله تعالى على ما رواه القوم^(١).

(الوجه الرابع): هو ان المتكلم بهذه الكلمة هو الرسول ﷺ، ثم يحتمل ذلك ثلاثة أوجه فانه اما ان يكون قال هذه الكلمة سهواً أو قسراً أو اختياراً.

اما الأول: وهو انه عليه السلام قال هذه الكلمة سهواً فكما يروى عن قتادة ومقاتل إنهما قالوا: انه ﷺ كان يصلي عند المقام فنعس وجرى على لسانه هاتان الكلمتان فلما فرغ من السورة سجد وسجد كل من في المسجد وفرح المشركون بما سمعوه واتاه جبريل عليه السلام فاستقرأه . فلما انتهى إلى الغرائيق قال لم آتكَ بهذا فحزن رسول الله ﷺ إلى ان نزلت هذه الآية في سورة الحج وهذا ضعيف أيضاً، انه لو جاز هذا السهو لجاز في سائر المواضع وحينئذ تزول الثقة عن الشرع . وان الساهي لا يجوز ان يقع منه مثل هذه الألفاظ المطابقة لوزن السورة وطريقتها ومعناها فإننا نعلم بالضرورة ان واحداً لو انشد قصيدة لما جاز ان يسهو حتى يتفق منه بيت شعر في وزنها ومعناها وطريقتها . ثم هب انه تكلم بها سهواً فكيف لم ينتبه لذلك حين قرأها على جبريل

(١) الرازي: التفسير الكبير ج ١٢ / ٥٣ .

عليه السلام . وذلك ظاهر^(١)

وأود أن أشير هنا إلى ما أوردته من كلام الإمام الراغب الأصفهاني في شأن استعجال الرسول ﷺ لكلام الوحي . وان سورة النجم نزلت قبل قوله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ من سورة القيامة والله اعلم بالصواب .

واما الثاني: وهو انه عزوجل تكلم بهذا قسراً وهو الذي قال قوم ان الشيطان اجبر النبي ﷺ على ان يتكلم بهذا فهذا أيضاً فاسد . ذلك لان الشيطان لو قدر على ذلك في حق النبي ﷺ لكان اقتداره علينا أكثر فوجب ان يزيل الشيطان الناس عن الدين ولجاز في أكثر ما يتكلم به الواحد منا ان يكون من إجبار الشياطين . وان الشيطان لو قدر على هذا الإجبار لارتفع الأمان عن الوحي لقيام هذا الاحتمال .

وهو أمر باطل بدلالة قوله تعالى حاكياً عن الشيطان ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَكُلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾^(٣) .

أما الثالث: وهو انه عزوجل تكلم بذلك اختياراً، فيها وجهان احدهما: أنها كلمة باطلة، والثاني: أن يقول إنها ليست باطلة فعلى الأول إنها كلمة باطلة ذكروا طريقين الأول: قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء إن شيطاناً يقال له الأبيض أتاه في صورة جبريل عزوجل وألقى عليه هذه الكلمة فقرأها فلما سمع المشركون ذلك أعجبهم فجاء جبريل عزوجل فاستعرضه فقرأها فلما بلغ إلى تلك الكلمة قال جبريل عزوجل أنا ما جئتك بهذه قال رسول الله ﷺ أنه أتاني آت على صورتك فآلقها على لساني^(٤) .

(١) الرازي: التفسير الكبير ج ١٢/٥٣، وانظر القرطبي ج ٦/٣٩٧ . مشيراً الى احتمال انه كان قد سمع هاتان الكلمتان من المشركين وكانتا على حفظه فجرى عند قراءة السورة ما كان من حفظه سهواً .

(٢) سورة ابراهيم الاية : ٢٢ .

(٣) سورة النحل : الآية ٩٩ .

(٤) المصدر السابق نفسه .

الطريق الثاني: قال بعض الجهال انه عزوجل لشدة حرصه على الإيمان القوم ادخل هذه الكلمة من عند نفسه ثم رجع عنها. وهذان القولان لا يرغب فيهما مسلم البتة لأن الأول يقتضي أنه عزوجل ما كان يميز بين الملك المعصوم والشيطان الخبيث. الثاني، يقتضي أنه كان خائناً في الوحي وكل واحداً منهما خروج عن الدين .

وإما الوجه الثاني: من الاحتمال الثالث من أنه تكلم بها من اختياره وان هذه الكلمة ليست باطلة فهنا أيضاً طرق: الطريق الأول: أن يقال إن الغرائق هم الملائكة وقد كان ذلك قرآن منزلاً في وصف الملائكة فلما توهم المشركون انه يريد آلهتهم نسخ الله تلاوته^(٥) ونقل القرطبي هذا القول عن النحاس^(٦) بقوله قال النحاس: ((لو صح الحديث واتصل إسناده، لكان المعنى فيه صحيحاً. ويكون معنى سهى: أسقط ويكون تقديره ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾^(٧) وتم الكلام ثم اسقط (الغرائق العلا) يعني الملائكة (فان شفاعتهم) يعود الضمير على الملائكة وأما من روى فإنهن الغرائق العلا .

ففي الرواية أجوبة منها: أن يكون القول محذوفاً كما تستعمل العرب في أشياء كثيرة. ويجوز أن يكون بغير حذف ويكون الكلام توبيخاً. لان قبله (أفرايتم) ويكون هذا الاحتجاج عليهم (...))^(٨).

الطريق الثاني: أن يقال المراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار فكأنه قال: أشفاعتهن

ترتجي؟

الطريق الثالث: أن يقال انه ذكر الإثبات وأورد النفي كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾^(٩) والمعنى: أن تشركوا.

(٥) الرازي في تفسير الكبير ج ١٢/٥٤ .

(٦) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج ٦/٣٩٩ .

(٧) سورة النجم الآية: ١٩ .

(٨) راجع إعراب القرآن: ١٠٣/٣ للنحاس .

(٩) سورة الانعام الآية: ١٥١ .

وهذا كله إذا فسرنا التمني بالتلاوة والقراءة:

أما إذا فسرناها بالخاطر وتمني القلب فالمعنى: أن النبي ﷺ . متى تمنى بعض ما يتمناه من الأمور وسوس الشيطان إليه بالباطل يدعوهُ إلى ما لا ينبغي ثم إن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه إلى ترك الالتفات إلى وسوسته^(١) .

وفي جميع ما تقدم من الوجوه يكون معنى ينسخ: يبطل ويزيل وهو احد معاني النسخ في اللغة . ويكون المراد ب﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾^(٢) المعنى الاصطلاحي على تأويل النحاس في إعراب القرآن .

* * *

(١) الرازي في تفسير الكبير ج ١٢ / ٥٥.

(٢) سورة الحج الآية: ٥٢ .

المطلب الرابع

دلالة النسخ في الآية ٢٩ سورة الجاثية

قال تعالى ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).
 الاستنساخ: التقدم بنسخ الشيء. والترشح للنسخ وقد يعبر بالنسخ عن الاستنساخ،
 قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).
 نستنسخ: نأمر الحفظلة بالنسخ^(٣).

والنسخ: النقل. فنسخ الكتاب: نقل صورته المجردة إلى كتاب آخر، وذلك لا يقتضي
 إزالة الصورة الأولى، بل يقتضي إثبات مثلها في مادة أخرى^(٤).
 مناسبة الآية لما قبلها: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
 يُومِئِدِ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٥) لما بين الله تعالى إمكان القول بالحشر والنشر فيما سبق
 من سياق سورة الجاثية وعمم الدليل في قوله ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٦) ذكر
 تفاصيل أحوال القيامة .

(١) سورة الجاثية الآية: ٢٩ .

(٢) الراغب الأصفهاني في مفردات الفاظ القرآن . صفحة ٨٠١ .

(٣) الإمام قاسم بن قطلوبغا الحنفي (ت ٨٧٩هـ) معجم غريب القرآن: تحقيق عبد الحميد محمد
 درويش: ١٨٠ دار النوادر، الكويت - الطبعة الأولى ١٤٣٣ - ٢٠١٢ م .

(٤) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: ج ٢ / ٩٢٤ .

(٥) سورة الجاثية الآية: ٢٧ - ٢٨ .

(٦) سورة الفتح الآية: ١٤ .

فأولها قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾^(١) اي يوم القيامة^(٢) ثم بين حال الأمم في ذلك اليوم بعد ان بين حال المبطلون بالخسران، وما تلاقيه الأمم من الشدائد انتظاراً لفصل القضاء. فقال (وَتَرَى) أيها المخاطب في ذلك اليوم رؤية عين (كُلُّ أُمَّةٍ) من الأمم المجموعة مؤمنينهم وكافريهم حال كونها (جَائِيَةً). اي: باركة حال على الركب من هول ذلك اليوم غير مطمئنة لأنها خائفة^(٣).

معاني مفردات الآية:

جائية: قال الليث الجثو الجلوس على الركب كما يجيء بين أيدي الحاكم . قال الزجاج: ومثله جدا يجذوا^(٤).

قال صاحب الكشاف وقرئ جاذية . والجذو أشد استيفازاً من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على أطراف أصابعه^(٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما . جائية مجتمعة، اي: كل امة لا تختلط بأمة أخرى - وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثي^(٦)

قال القرطبي: الأول قال مجاهد: مستوفزة: وقال سفيان . المستوفز الذي لا يصيب الأرض منه إلا ركبته وأطراف أنامله.

الضحاك: ذلك عند الحساب .

الثاني: مجتمعة قاله ابن عباس . الفراء: المعنى: وترى أهل كل دين مجتمعين.

(١) سورة الجاثية الاية: ٢٧، الرازي تفسير الكبير ج ١٤/٢٧٢ .

(٢) المباركفوري: المصباح المنير: ١٢٦٤ .

(٣) محمد الأمين بن عبد الله الارمني العلوي الهروي في تفسير حدائق الروح والريحان في رواي علوم القرآن: ج ٢٦/ ٤٦٨ دار طوق النجاة بيروت - لبنان .

(٤) الرازي: التفسير الكبير: ج ١٤/ ٢٧٣

(٥) الزمخشري الكشاف: ج ٣/ ٥١٢ . وينظر أبو السعود إرشاد العقل السليم ج ٥/ ٥٦٨، والرازي ج ١٤/ ٢٧٣ .

(٦) القرطبي: الجامع/ ج ٨/ ٤٧٠

الثالث: متميزة: قاله عكرعة.

الرابع: خاضعة بلغة قريش قاله مؤرج.

الخامس: باركة على ركب قاله الحسن. والجتو الجلوس على الركب^(١)

ولا خلاف بين تلك الأقوال المروية عن المفسرين لأن كل واحد ذكر احد معاني الجتو ولا ينافي وجود المعنى الآخر بل ان كل تلك المعاني مرادة وهي مجتمعة تمثل حال الأمم يوم القيام وهي تنتظر الحساب .

كتاب: في قوله ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾^(٢) فيه ثلاثة أقوال :

احدها: انه كتابها الذي فيه حسناتها وسيئاتها، قاله أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهم، وهو في معنى ما قاله مقاتل ومجاهد. واليه ذهب ابن كثير، وكذلك الزمخشري والرازي وأبو السعود ... بقولهم: اي صحائف أعمالهم .

ثانيها: انه حسابها، قاله الشعبي، والفراء، وابن قتيبة ويحيى بن سلام .

ثالثها: كتابها الذي انزل على رسوله .حكاها الماوردي^(٣) وهو الراجح عندي لإضافته

إلى ضمير العائد إلى الأمة. والإضافة تفيد التخصيص

كتابنا في قوله (هَذَا كِتَابُنَا) وفيه ثلاثة أقوال :

احدها: انه كتاب الأعمال الذي تكتبه الحفظة، قاله ابن السائب.

الثاني: اللوح المحفوظ . قاله مقاتل .

الثالث: القران والمعنى انهم يقرؤونه فيدلهم ويذكرهم. فكأنه ينطق عليهم. قاله ابن

قتيبة.

والراجح عندي القول الأول: لقوله تعالى ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة الجاثية الاية: ٢٨ .

(٣) الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) زاد المسير في علم التفسير ١٢٩٦ . وينظر القرطبي: الجامع : ج ٨ / ٤٧٢ .

نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ .

المعنى العام: (اليوم تجزون) قال الزمخشري محمول على القول^(٢)، اي: يقال لهم حال دعائهم إلى كتابهم: اليوم تجازون بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا خيرها وشرها .
وقوله تعالى ﴿ هَذَا كِتَابُنَا ﴾ هو من تمام ما يقال لهم حينئذ^(٣) .
وقوله تعالى ﴿ يَنْطِقُ عَلَيْنِكُمْ ﴾ يشهد عليكم. بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان^(٤) .

قال القرطبي: ((وهو استعارة، ويقال: نطق الكتاب بكذا، اي: بين وقيل أنهم يقرءونه. على تأويل ان الكتاب هو المنزل على رسولهم - فيذكرهم الكتاب ما عملوا فكأنه ينطق عليهم))^(٥) .

ومثله قوله تعالى ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾^(٦) .
وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾^(٧) .

﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ قال الطبري: انا كنا نستكتب حفظتنا اعمالكم فتثبتها في الكتب وتكتبها^(٨) .

قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: ((ان لله ملائكة ينزلون كل يوم بشيء يكتبون

(١) سورة الجاثية الاية: ٢٩، الجوزي: زاد المسير ١٢٩٦ .

(٢) الزمخشري: الكشاف، ج٣/٥١٣ .

(٣) محمد الأمين: حقائق الروح والريحان: ج٢٦/٤٦٩، وينظر: الرازي: ج١٤/٢٧٣، وابو السعود: في

ارشاد العقل السليم: ٥٦٨/٢

(٤) الزمخشري: الكشاف ج٣/٢٧٣، وينظر المصادر السابقة اعلاه

(٥) القرطبي: الجامع ج٨/٤٧٢ .

(٦) المؤمنون: الآية ٦٢، ينظر: ابن كثير: في المصباح / ١٢٦٤ .

(٧) سورة الكهف: الآية: ٤٩، والرازي: ج١٤/٤٧٣ .

(٨) الطبري جامع البيان: ج١١/٩٤ - ٩٥، والقرطبي ج٨/٤٧٢ وابو مسعود: ج٥/٥٦٨ .

فيه اعمال بني آدم))^(١)

قال أبو السعود: ((تعلييل لنطقه عليهم بأعمالهم من غير اخلال بشيء منها، اي: انا كنا فيما قبل سنكتب -نأمر بالكتابة- الملائكة. ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من الاعمال حسنة او كانت سيئة))^(٢)

قال الواحدي: ((واكثر المفسرين: على ان هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ قال الملائكة تكتب منه كل عام ما يكون. من اعمال بني آدم فيجدون ذلك موافقاً لما يعملونه، قالوا: لان الاستنساخ لا يكون الا من أصل))^(٣) قال ابن كثير: ((قال ابن عباس رضي الله عنه، وغيره، تكتب الملائكة: اعمال العباد ثم تصعد بها الى السماء، فيقابلون الملائكة التي في الديوان الاعمال على ما بأيدي الكتبة مما قد ابرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر. مما كتبه الله في القدم على العباد قبل خلقهم فلا يزيد حرفاً ثم قرأ ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾^(٤)).

قال الفراء: ((يرفع الملكان العمل كله فيثبت الله منه ما فيه ثواب او عقاب ويطرح منه اللغو)) وقال الزجاج: ((نستنسخ ما تكتبه الحفظة، ويثبت عند الله سبحانه وتعالى^(٥)).

والشاهد في الآية الكريمة ان الفعل (يستنسخ) بزيادة السين التي تفيد الطلب ويعني النقل وهو احد معاني النسخ في اللغة . ولا يرد به المعنى الآخر (الازالة والإبطال) كما انه لا يقع عليه المعنى الاصطلاحي للنسخ .

(١) الطبري: ج ١١ / ٩٤ - ٩٥ القرطبي: الجامع ج ٨ / ٤٧٢ .

(٢) أبو السعود: ج ٥ / ٥٦٨ .

(٣) الجوزي: زاد المسير: ١٢٩٦ .

(٤) ابن كثير: المصباح المنير: ١٢٦٤، القرطبي ج ٨ / ٤٧٢، وينظر الرواية التي اخرجها الطبري عن ابن عباس ج ١١ - ٩٥ وفيها (الست معربا ... وهل يكون الاستنساخ الا من اصل).

(٥) الجوزي: ١٢٩٦ .

الخاتمة

في نهاية هذه الجولة مع الآيات التي وردت فيها مفردة النسخ تبين لي ان هذه المفردة التي تقرر انها مشترك لفظي بين الازالة، والنقل، دارت في دلالاتها القرآنية بين تلك المعاني، والمعنى الاصطلاحي للمفردة الذي قرره العلماء .

في الآية (١٠٦) سورة البقرة يظهر لنا دلالة المعنى الاصطلاحي المسند الى المعنى اللغوي وهو الازالة والرفع . ذلك ان (ما) الشرطية دالة على جواز وقوع ما بعدها وهو المحل (نسخ، ننسخ) لان الاصل فيها انها تدل على الامور المحتملة . فالاية الكريمة حجة في وقوع النسخ في القرآن استند اليها القائلون بالنسخ الذي اجمعت عليه الامة منذ القرون الخيرية الاولى الا شواذ تأولوا النسخ بمعاني اخرى ويؤيد هذه الآية قوله تعالى ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) فقد اخرج الطبري عن ابن جريج عن مجاهد في معنى: (بدلنا آية) نسخناها ... ورفعناها واثبتنا غيرها . واخرج الطبري بسنده عن قتادة قوله ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ هو قوله ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا﴾^(٢) وغيرها من الأقوال المنقولة عن السلف الصالح وائمة المفسرين تتفق على ان المراد بالتبديل هو النسخ . وهما يؤيدان معنى واحد وهو الازالة والرفع، رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر عنه . فإن النسخ يرفع المنسوخ ليحل محله . كالبديل لا يجتمع مع المبدل منه ولكنه يخلفه في مكانه . وهذه الآية في سورة النحل دليل واضح على وقوع النسخ فضلاً عن جواز وقوعه وإمكانه. لافتتاح الاية بـ (اذا) الشرطية التي لم يستعملها الله في كتابه الا فيما يتأكد وقوعه، قال تعالى ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾^(٣) .

(١) سورة النحل الاية: ١٠١ .

(٢) سورة البقرة الاية: ١٠٦ .

(٣) الواقعة الآية ١ .

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(١) ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٢).

ففيها دليل واضح على ان الله تعالى نسخ بعض الاحكام الثابتة في شريعته الاسلامية واثبت احكاماً غيرها. ونزل القرآن باحكام منسوخة ثم نزل بنواسخه بعد ذلك .

اما قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾^(٣).

فقد ورد فيها مفردة النسخ باحد معانيها اللغوية وهو الازالة والرفع ذلك ان الله تعهد في الاية الكريمة عصمة نبيه وحفظ كتابه واحكام اياته .

وردت المفردة في الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤) بأحد معانيها اللغوية وهو النقل والاثبات .

وذلك ما اخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، فيها (ألستم قوماً عربا تسمعون الحفظة يقولون (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ) وهل يكون الاستنساخ الا من أصل^(٥)

قال الزركشي في البرهان (ويأتي - اي النسخ - بمعنى النقل من موضع الى موضع: ومنه (نسخت الكتاب) اذا نقلت ما فيه حاكياً للفظه وخطه .

قال مكّي: وهذا الوجه لا يصح ان يكون في القرآن . وانكر على النحاس اجازته ذلك. محتجاً بأن النسخ فيه لا يأتي بلفظ المنسوخ . وانما يأتي بلفظ آخر وقال الامام ابو عبد الله بن بركات السعدي: يسشهد لما قاله النحاس قوله تعالى ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وردت المفردة (ن س خ) في الاية ١٥٤ سورة الاعراف قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاخَ وَفِي نُسْحَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ ذكر

(١) التكوير الآية ١ .

(٢) النصر الآية ١ .

(٣) الحج الآية: ٥٢ .

(٤) الجاثية: الآية ٢٩ .

(٥) الطبري جامع البيان ج ١١ / ٩٥ .

المفسرون في المراد من قوله (وَفِي نُسخَتِهَا) .
 اي في المكتوب فيها من اللوح المحفوظ^(١).
 وقيل: فيما كتب له فيها . فلا يحتاج الى اصل ينقل عنه .
 وقيل: وفيما نسخ من اللوح المتكسر ونقل الى الواح جديدة .
 قال ابن عباس وعمرو بن دينار: لما القى موسى اللوح فتكسرت .. صام أربعين يوماً
 فردت عليه في لوحين . وفيهما ما في الاولى بعينها فيكون نسخها نقلها .
 وقال عطاء: في نسختها: في معناها: وفيما بقي منها. وذلك انه لم يبق منها الا سبعها.
 وذهب ستة اسباعها ولكن لم يذهب من الحدود والاحكام شيء.
 والقولين الأول والثالث: ارجح لانهما يتفقان مع المعنى اللغوي للكلمة (نسخة) وهي
 من النسخ بمعنى النقل قال: الفيروز ابادي: ونسخ الكتاب: كتبه عن معارضة انتسخه
 واستنسخه والمنقول منه: النسخة^(٢).



(١) الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج ٢ / ٤٣ - ٣٥ - دار الفكر - لبنان ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

(٢) القرطبي الجامع: ج ٤ / ٢٥٣، محمد الامين: الروح والريحان: ج ١٠ / ١٦٣ الفيروز ابادي: القاموس المحيط: ٢٦١ .

المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم . تفسير العلامة أبي السعود دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- أسباب النزول . للشيخ الإمام الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ) تحقيق خيرى سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر .
- إعراب القرآن الكريم وبيانه: تأليف محي الدين درويش الناشر كمال الملك مركز التوزيع العراق - النجف الأشرف - سوق الحويش الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ .
- البرهان في علوم القرآن . للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٢١ هـ .
- بنو إسرائيل في القرآن والسنة: تأليف الدكتور محمد سيد الطنطاوي . ط ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- التحرير والتنوير تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور مؤسسة التاريخ. بيروت - لبنان الطبعة الأولى .
- تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول تأليف خالد عبد الرحمن العك .
- التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح الميسور من التفسير بالمأثور . الدكتور حكمت بن بشير بن ياسين . دار المآثر / المدينة النبوية . الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب تأليف الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتھر بخطيب الريّ (٥٤٤ - ٦٠٤ هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .
- توفيق الرحمن في دروس القرآن: تأليف: الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن فيصل آل مبارك (١٣١٣ - ١٣٦٦ هـ) دار العاصمة للطباعة والنشر، الرياض الطبعة الأولى

النسخ في القرآن الكريم

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

الجامع لأحكام القرآن تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي راجعه وعلق عليه الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي وخرج أحاديثه محمود حامد عثمان دار الحديث القاهرة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

جامع البيان في تفسير القرآن تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري . دار المعرفة بيروت - لبنان، الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الأميرية بولاق مصر سنة ١٣٢٣ هـ . وأعيد طبعة بالأوفست الطبعة الرابعة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

الجامع في أسباب النزول . جمعه ورتبه وحققه حسن عبد المنعم شلبي وخرج أحاديثه موفق منصور . مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى: ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م .

حدائق الروح والريحان . في روايي علوم القرآن تأليف الشيخ العلامة: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهروي الشافعي دار المنهاج ودار طوق النجاة . بيروت لبنان .
الدر المنثور في التفسير بالمأثور: تأليف عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) دار الفكر للطباعة والنشر . بيروت - لبنان (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

زاد المسير في علم التفسير تأليف الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ): المكتب الإسلامي دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

صحيح البخاري: لأبي: عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) دار الفكر بيروت - لبنان (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) .

صفوة التفاسير: تأليف محمد علي الصابوني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

العجاب بيان الأسباب تأليف شيخ وخاتمة الحفاظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه أبو عبد الرحمن فواز زملي دار ابن حزم الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .

فتح القدير الجامع بين فني الرواية في علم التفسير: تأليف محمد علي بن محمد الشوكاني (وفاته بصنعاء ١٢٥٠هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .

فتح المنان في نسخ القرآن . الأستاذ الشيخ علي حسن العريض الطبعة الأولى ١٩٧٣ ، الناشر مكتبة . الخانجي بمصر .

القاموس المحيط للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) تحقيق . مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م .

الكافي في تفسير الآيات وإيضاح القراءات، إعداد: عبد العزيز رباح وبشير جويجاتي . دار المأمون للتراث - دمشق شارع الجمهورية الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمؤلفه أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥ - ٤٣٧هـ) تحقيق الدكتور محي الدين رمضان مؤسسة الرسالة - بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م .

كتاب معاني القراءات تصنيف الشيخ الإمام العلامة أبي منصور محمد بن احمد الأزهرى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ حققه وعلق عليه الشيخ احمد فريد المزيدي منشورات محمد بيضون دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

الكشاف عن وجوه التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف أبي القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

لباب النقول في أسباب النزول: تأليف دلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: دار إحياء العلوم / بيروت / الطبعة الأولى ١٩٧٨ م .

محمد بن كعب القرظي وأثره في التفسير، تأليف: الدكتور أكرم عبد خليفة حمد الدليمي دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ -

٢٠٠٩ م .

المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير إعداد جماعة من العلماء بإشراف صفى الرحمن المبارك فوري دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض، ط ١ ١٤٢٠ هـ - ١٤٢١ هـ - ١٩٩١ - ٢٠٠٠ م .

المصباح المنير للعلامة: احمد بن محمد بن علي الفيومي ت ٧٧٠ هـ اعتنى به وراجعته عزت زينهم عبد الواحد، مكتبة الإيمان بالمنصورة / مصر ت / ٢٢٥٧٨٨٢ / ٥٠، رقم الإيداع / ٢٦٧٦٥ / ٢٠٠٨ .

المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم إعداد الدكتور محمد التونجي دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية . دار إحياء التراث بيروت - لبنان . المكتبة العلمية، طهران، قام بإخراجه، إبراهيم مصطفى، احمد حسن الزيات - حامد عبد القادر، محمد علي النجار . بإشراف عبد السلام هارون .

معجم غريب القرآن تأليف الإمام قاسم بن قطلوبغا الحنفي (ت ٨٠٢ - ٨٧٩ هـ) تحقيق: عبد الحميد محمد الدرويش، دار النوادر - الكويت الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ هـ م .

مفردات ألفاظ القرآن . للراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هـ) تحقيق: صفوان عدنان داودي . دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ .
النسخ في القرآن الكريم تأليف الدكتور مصطفى زيد ١٩٦٤ . ملاحظة الكتاب مسحوب على الانترنت

الوسيط في تفسير القرآن المجيد تأليف أبي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري (المتوفي ٤٦٨ هـ) تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض . والدكتور احمد محمد صبرة والدكتور احمد عبد الغني الجمل والدكتور عبد الرحمن عويس دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

كفاية القرآن في الرد على
من إستهزأ بالنبى ﷺ العذنان

الدكتور

علي عبد الله أحمد

كلية الإمام الأعظم « رحمه الله » الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله دائما ابدا على الدوام، والصلاة والسلام على قدوة الانام ما دارت الايام، وعلى آله وصحبه مصابيح الهدى في كل زمان، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .
وبعد:

فإن التطاول على حبيب الله نبينا محمد ﷺ بلغ غايته هذه الايام، وبلغ السيل الزبي من الصبر عن رد هؤلاء المستهزين بحضرتة عليه الصلاة والسلام ن بل بلغوا من حقدهم عليه ان ينصرفوا لانتاج الأفلام ورسم الصور المسيئة لشخصه ﷺ وحاشاه، فأظهر الله عورتهم، وفضح امرهم للمسلمين، فكان ما كان من شأنهم، وكنت من جملة المنتصرين لحبيب القلب محمد ﷺ، جمعني الله به واهلي والمسلمين وهوراض عنا امين .

فابتدرت الى القلم املي عليه ما يخالجنني من مشاعر، فأخذ بدوره للورق ما في نفسي، فما رأيت اولى من تقديم كتاب الله في الدفاع عنه عليه الصلاة والسلام ن فإن البيان به أوضح، والحجة به اقوى، والبدء به افضل، ولم أجد من سبق الى ذلك من الفضلاء بالجمع والترتيب والعرض الى الامة المسلمة، فرأيت ان اسبق الناس الى كتاب الله لأنصر نبي الرسالة الخاتمة بما جاء فيه، وحين نزلت ضيفاً بتلاوة كتاب الله وجدت فيه ضالتي، ورحت أمضي تحت ظلاله، فامسكت بجواهر ودرر ثمينة من معاني كلامه سبحانه، ورأيت ان اتناول الجانب الموضوعي للآيات حتى خرجت بهذا البحث الوجيز من الكتاب العزيز.

وقد اقتضت طبيعة البحث ان اقسمه على مبحثين يسبقهما تمهيد في تعريف الاستهزاء، اما المبحث الاول فقد بينت به المستهزئين دواعيهم واساليبهم والفاظهم، وقد وقع في ثلاثة مطالب، ذكرت في الاول: اصناف المستهزئين، وفي الثاني: دواعي الاستهزاء، وفي الثالث: اساليب المستهزئين والفاظهم، واما المبحث الثاني فقد بينت فيه كفاية

كفاية القرآن في الرد على من استهزأ بالنبي ﷺ العدنان

القرآن فيما يخصه عليه الصلاة والسلام، وقد وقع على مطلبين، ذكرت في الأول مكانته واخلقه وصفاته ﷺ، وفي الثاني، تسليته وحفظه ووصية الله له، اما المبحث الثالث فقد بينت فيه كفاية القرين بذكر جزاء المستهزين وحكمهم في الدنيا والآخرة، وقد وقع في ثلاثة مطالب، ذكرت في الأول: جزاء المستهزين في الدنيا والآخرة، وفي الثاني: حكمهم في القرين الكريم، وفي الثالث: نماذج من المستهزين، وكل هذه التقسيمات كانت بناء على استقراء كتاب الله سبحانه وتعالى، ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها النتائج التي توصلت اليها.

واسأل الله تعالى ان اكون وفقته منه الى اتمام هذا البحث، ووفيت بما قمت بهن وتداركت امرا منسياً، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من هفوة وزلل فمن نفسي ومن الشيطان، وارجو من الله الغفران عما صدر مني وكان، واخر دعوانا ان الحمد لله الملك الحليم ذي الجلال والاکرام، والصلاة والسلام على النبي الكريم محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

* * *

تمهيد

الإستهزاء لغةً واصطلاحاً

• الإستهزاء لغةً:

إن مادة (هزأ) في المعاجم اللغوية تدل على معان عدة، منها: السخرية، والقتل، والخفة، والسرعة، وشدة البرد، وعدم الحركة^(١).
وتستعمل مادة (هزأ) في السخرية غالباً، قالابنفراس(ت/٣٩٥هـ): ((هزأ: الهاء والزاء والهمزة كلمة واحدة. يقال: هزأ واستهزأ، إذا سخر)).^(٢)
قال ابو هلال العسكري (ت/ ٣٩٥هـ): ((والهزء يجري مجرى العبث، ولهذا جاز هزأت مثل عبثت، فلا يقتضي معنى التسخير فالفرق بينهما بيّن)).^(٣)
ويقول ابن منظور (١٧١١هـ): ((هزأ: الهزء، والهزؤ: السخرية. وهزأ يهزأ فيهما هزءاً وهزواً ومهزأة، وتهزأ واستهزأ به: سخر)).^(٤)

(١) ينظر: تهذيب اللغة/ محمد بن أحمد، أبو منصور الأزهرى، (ت/ ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/١، ٢٠٠١م: ٦/١٩٦، والمحيط في اللغة/ إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس، أبو القاسم الطالقاني، (٣٢٦-٣٨٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت، ط/١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م: ٤/٣٧.
(٢) مقاييس اللغة/ الحسين بن أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين، (ت/ ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٦/٥٢.
(٣) الفروق اللغوية/ للإمام الأديب اللغوي أبي الهلال العسكري، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة- القاهرة: ٢٥٥.

(٤) لسان العرب/ محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الافريقي، (ت/ ٧١١هـ)، تحقيق: عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف - القاهرة: ٦/٤٦٥٩.

• الإستهزاء اصطلاحاً:

لقد حاولت كثيراً ومرارا العثور على تعريف للاستهزاء عند المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين في جميع العلوم، وبعد البحث والاستقراء المتواصل لم أجد تعريفاً خاصاً به؛ لذا آثرت تعريفه من خلال الربط بين المعنى اللغوي والأصل الاشتقاقي، وما ورد في القرآن الكريم من معنى حين استعمل هذه اللفظة.

فيمكن القول إن الاستهزاء هو: قول أو عمل مفترى يصطنعه أحد الخصوم تجاه الآخر استخفافاً به، عند ضعف حجة الأول مع عجزه عن الغلبة، موهما الآخرين بقدرته، ومحاولاً إظهار عجز خصمه بأساليب شتى، سواء أكان حاضراً أم غائباً، سرا أو جهراً، قولاً أو فعلاً. أما وضعي لهذا التعريف فقد تم استخراجاً من المعاني اللغوية والصرفية، وما جاء من معاني الآيات الكريمة عند المفسرين؛ فالمعاني اللغوية فيها معنى الاستخفاف والقتل والخفة والحركة وغيرها، أما المعاني الصرفية فإن الأفعال الثلاثية المزيدة بألف وسين وتاء على وزن (استفعل)، منها: أفعال مشتقة من اسم معنى لحدث مصدرى يفيد (الحركة والعمل والصنع)، والذي منه (استهزأ)، كما أن هذه المادة (هزأ) تتعدى، فالمعنى الصرفي أفاد لهذه اللفظة الحركة والتصنع والعمل من المعتدي وهو المستهزئ، وتعدى بالباء؛ أي: بفعل الاستهزاء على المستهزأ به^(١).

يقول أبو الهلال العسكري: ((وذلك أنك تقول: استهزأت به فتعدى الفعل منك بالباء، والباء للإصاق، كأنك ألصقت به استهزاء من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله))^(٢). أما معنى الكفاية: فهي من كفى الرجل كفاية، فهو كاف، وكفاه ما أهمه كفاية، وكفأك الشيء يكفئك، والكفاية: ما فيه سد الخلة وبلوغ المراد في الأمر^(٣).

(١) ينظر: الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية/ سليمان فياض، دار الميرخ- الرياض، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م: ٩٣-٩٥، والمعجم المفصل في علم الصرف/ راجي الأسمر، مراجعة: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م: ٣١٩.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية: ٢٥٤.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٤٣/٣٩٠٧.

المبحث الأول

المستهزئون دواعيهم وأساليبهم وألفاظهم

إن الاستهزاء منهج اتخذته المستهزئون حرباً على الرسول ﷺ، وتضليلاً للناس عن دين الحق، وهذا المنهج لم يستعملوه حصراً مع خاتم الانبياء والمرسلين، بل الامم استعملته ضد الانبياء والمرسلين من قبل، واستعمله أبناء الأمم السابقة - بني اسرائيل - وغيرهم مع نبينا أيضاً إلى يومنا هذا، فهو سنة كونية تجري على مر الزمان حتى مع المصلحين استعمل ضدهم هذا المنهج، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ بِرُسُلِ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١)، وقد أحببت أن أشير إلى قول مستفهم: إن بعض الآيات لا تفيد معنى الاستهزاء، فلم ضمنتها هذا المعنى قسراً؟

والجواب عن ذلك: إن تفسير القرآن بالقرآن دال عليه: فبعض الآيات يفسر معنى البعض الآخر، ويبين المراد منه، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ﴾^(٣)، فقد بين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَنْخٰذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(٤) أنهم قالوه استهزاء المعنى اللغوي والاصطلاحي للاستهزاء قد تضمن ذلك كما ذكرت في أوامه، إذ التعدي بالسخرية، والقتل، والخفة، والعبث وغيرها يتناول صور أفعالهم المذكورة في القرآن تجاه النبي ﷺ، ودلالة السياق شاهدة على ذلك، ولا حاجة لتكرار الكلام، والله موفق .

(١) سورة الأنبياء/ الآية: ٤١ .

(٢) سورة الإسراء/ الآية: ٩٤ .

(٣) سورة ص/ الآية: ٤ .

(٤) سورة الفرقان/ الآية: ٤١ .

المطلب الأول

أصناف المستهزئين

لقد أحاطت العناية الربانية بالنبي -عليه الصلاة والسلام- أيما إحاطة، إذ توجهت إلى بيان أصناف المستهزئين، وتمحيصهم، وإيراد شبههم ثم العلاج بالرد عليهم ودحض حججهم، وقد انقسم المستهزئون به عليه الصلاة والسلام على أربعة أصناف:

• الصنف الأول: الكفار والمشركون:

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام أن يجهر بالدعوة إلى دين الاسلام والإشهار بتعاليمه بعد إن كان سرا، فما كان من أهل مكة إلا أن يدافعوا عما كان يعبد آباؤهم بما أوتوا من قوة، وقد صاحبت ظاهرة الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام أول لحظة جهر فيها النبي ﷺ بالدعوة إلى الله، ومن أقرب الناس إليه، وهو أبو لهب الذي كان عدوا للرسول الله ﷺ منذ أول لحظة جهر النبي ﷺ بدعوة الإسلام^(١).

وقد نزلت آيات كثيرة تبين استهزاء المشركين به عليه الصلاة والسلام، من ذلك ما ورد عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَرْفُؤُنَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾^(٢)، وكان رسول الله ﷺ يلقي منهم أنواع الاستهزاء والأذى في حملات دفاعهم عن آلهتهم التي يعبدونها، سواء أكان بالقول أم بالفعل، ورد عليهم القرآن الكريم جميع تقولاتهم وأفعالهم، وزادهم تكبيتا وحسرة، من ذلك ما ورد عند قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَسْتَفْتُونَ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرٍ وَقَالَ

(١) ينظر: الجامع الصحيح المختصر/ محمد بن إسماعيل الجعفي، أبو عبد الله البخاري، تحقيق وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - وبيروت، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م: ٤/ ١٧٨٧، رقم: (٤٤٩٢).

(٢) سورة القلم/ الآية: ٥١.

كفاية القرآن في الرد على من استهزأ بالنبي ﷺ العدنان

الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿١﴾، وقوله: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ﴾ ﴿٢﴾.

• الصنف الثاني: المنافقون:

وهذا الصنف يراه الناظر مسلماً، إذ لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، فهم الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، وقد نبه الله سبحانه رسوله ﷺ عليهم، وهؤلاء لهم أثر كبير في إثارة الشبهات حول الرسول عليه الصلاة والسلام، ليشككوا المؤمنين به وبرسالته، فكانت المعالجات الربانية تنزل على قلب رسول الله ﷺ للرد عليهم، وليزكي المؤمنين من درن شبهاتهم المثارة، حتى فضحهم الله لرسوله وللمؤمنين في كتابه، يقول الله تعالى: ﴿يَحٰذِرُ الْمُنٰفِقِينَ اَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُوْرَةٌ نُنٰيَهُمْ بِمَا فِيْ قُلُوْبِهِمْ قُلْ اَسْتَهْزِءُ اِنْ اَبٰللهٖ مَخْرٰجٌ مَّا تَحٰذِرُوْنَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَاَلْتَهُمْ لَيَقُوْلُنَّ اِنَّمَا كُنَّا نَخُوْضُ وَنَلْعَبُ قُلْ اِبٰللهٖ وَاَيْنٰهٖ وَّرَسُوْلُهٗ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُوْنَ ﴿٣﴾.

وسبب نزول هذه الآيات ما ورد عن قتادة، إذ يقول: ((بينما رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين إذ قالوا: يرجو هذا الرج لأن يفتح قصور الشام وحصونها! هيهات له ذلك، فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال نبي الله: «احبسوا علي الركب» فاتاهم فقال: «قلتم كذا وكذا؟» فقالوا: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى هذه الآية.))^(٤).

وقال زيد بن أسلم ومحمد بن وهب: ((الرجل من المنافقين في غزوة تبوك: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ

(١) سورة سبأ/ الآية: ٤٣ - ٤٤ .

(٢) سورة ص/ الآية: ٤ .

(٣) سورة التوبة/ الآية: ٦٤ - ٦٥ .

(٤) أسباب النزول/ علي بن أحمد بن محمد بن علي، أبو الحسن الواحدي، (ت/ ٦٨٤ هـ)، دار الباز للنشر والتوزيع- مكة المكرمة، ١٣٨٨هـ = ١٩٨٦م: ١/ ١٦٨ .

وأصحابه، فقال عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحلوا ركب ناقته، فقال: يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث بحديث الركب نقطع به عنا الطريق.))^(١).

• الصنف الثالث: اليهود:

وهؤلاء أشد الناس مكرًا برسول الله ﷺ، إذ كانوا يعلمون صدقه فيما جاء به، ويعلمون دلائل النبوة المذكورة عندهم في التوراة؛ لكنهم حسداً من عند أنفسهم على رسول الله وعلى المؤمنين أخذوا بخيوط المكر والخديعة ينسجونها ليقوعوا برسول الله ﷺ وبالمؤمنين، ويؤذوه بالسنتهم مستهزئين، خوفاً على متاع قليل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)، فرد الله عليهم استهزاءهم ومكرهم وتدبيرهم، إذ فضحهم بما أنزل من آيات كريمة حتى وقعوا فيما نصبوا من شرك الاستهزاء، وظهر أمر الله وأمر رسوله وبطل ما كانوا يصنعون، ومن استهزاءهم ما ورد عند قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لِيَأْ بِالسِّنِّهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣)، فهم حرفوا صفات النبي ﷺ في التوراة، واتهموه بالرعونة حاشاه، وطعنوا في دينه، ولا يؤمن به إلا قليل منهم.

• الصنف الرابع: النصارى:

وهؤلاء صنف اتخذوا أسلوب الجدل العقيم والمرء غالباً؛ لينكروا نبوة رسول الله

(١) المصدر نفسه: ١/ ١٦٨.

(٢) سورة البقرة/ الآية: ١٠٩.

(٣) سورة النساء/ الآية: ٤٦.

ﷺ ويستهزءوا به، فأخذوا طريقهم في ذلك حتى قطعه الله عليهم بقوله: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (٦٠) فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ... ﴿٦٣﴾، إلى غيرها من الآيات الواردة في سورة آل عمران.

وقد قال الله تعالى فيهم على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام، مخبراً عن استهزائهم حين أرسله الله إليهم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾؛ أي: فلما جاءهم محمد عليه الصلاة والسلام بالبينات في زمانه: ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، فقولهم عن البينات سحر، والسحر لا يأتي به إلا ساحر، أفاد أنهم قالوا عن أحمد عليه الصلاة والسلام ساحر، والآية تخص النصارى فعندهم اسم النبي (أحمد)، لذا ورد هذا اللفظ في القرآن تنبيهاً على أن النصارى هم الذين قالوا فيه ساحر أيضاً، وقالوا للبينات لما جاءهم بها سحر مبين، كما أنهم حاجوا النبي ﷺ بربوبية عيسى، وقد وردت آيات كثيرة بهذا الخصوص ليس موطنها في هذا البحث^(٣).

* * *

(١) سورة آل عمران: الآيات: ٦٠-٦٣.

(٢) سورة الصف/ الآية: ٦ .

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / برهان الدين إبراهيم بن عمر، أبو الحسن البقاعي، (ت/

١٤٠٨هـ)، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة: ٢٠ / ١٤ - ٢٨ .

المطلب الثاني

دواعي الإستهزاء

ذكرت فيما مضى أن الاستهزاء لا يسبقه علم من المستهزأ به، ولا يقف على سبب فعل، يكون الاستهزاء نتيجة له، إذ المستهزأ به لم يصدر منه أمر يكون استخفاف المستهزئين تبعاً له، كما ذكرت في التعريف أن العلة فيه: (ضعف حجة المستهزئ مع عجزه عن الغلبة)، فهذا هو أساس استهزائهم به عليه الصلاة والسلام خوفاً من ظهور عجزهم أمام أتباعهم، لذا كانت لهم دواعي ذكرها القرآن هي نتيجة عدم قدرتهم وتمكنهم في حججهم، جعلتهم متمسكين بها ليوهموا الناس أنهم على الحق، ويرتكزوا عليها في حربهم على رسول الله ﷺ، ويدفعوا بها أتباعهم بعيداً عن الحق الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام.

وقد ذكر القرآن الكريم جملة من الدواعي التي تمسكت بها الأصناف الأربعة المذكورة سابقاً، منها:

• أولاً: دواعي مشتركة بين جميع أصناف المستهزئين؛ وهي:

عدم الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ جملة وتفصيلاً، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلَهُ، بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١)، يقول سيد قطب (ت/ ١٣٨٧هـ) في تفسير هذه الآية: ((كأن هذه الكلمة لا يمكن أن تقال. فهو يسأل عنها في استنكار: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلَهُ﴾ ويبادر ببيان علة هذا القول الغريب: ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فعدم استشعار قلوبهم للإيمان هو الذي ينطقهم بهذا القول، بعد أن يحجبهم عن إدراك حقيقة هذا القرآن، ولو أدركوها لعلموا أنها ليست من صنع البشر؛ وأنه لا يحمله إلا صادق أمين. وما دامت قلوبهم لا تستشعر

(١) سورة الطور/ الآية: ٣٣.

حقيقة هذا التنزيل فهو يتحداهم إذن ببرهان الواقع الذي لا يقبل المراء: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (١).

ويقول سبحانه: ﴿... وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٣)، وهذه الآية تتحدث عن اليهود، فمما دعاهم إلى الاستهزاء عدم الإيمان، يقول محمد أمين الشافعي: ﴿... فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: فهم لا يؤمنون إلا إيمانا قليلا غير نافع لهم، لا يعتد به، فهو لا يصلح عملا، ولا يظهر نفسا، ولا يرقى عقلا، ولو كان إيمانهم بنبيهم وكتابهم إيمانا كاملا.. لهداهم إلى التصديق بمن جاء مصداقا لما معهم من الكتاب، وبين لهم ما نسوا منه، وما حرفوا فيه. (٤).

عدم التفكير والتدبر فيما يخبرهم به، وما يطلبه منهم في النظر إلى ملكوت السماوات والأرض، كما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۗ ۝١٨٥ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَن عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥)، فالذي دعاهم إلى الاستهزاء عدم تفكيرهم وعدم النظر في شأن النبي ﷺ، واتهامه بالجنون، وهم أعرف الناس به، يقول ابن عاشور (ت/ ١٣٩٣ هـ): ((لأنهم إذا تفكروا في أن صاحبهم ليس بمجنون حصل لهم العلم بأنه من العقلاء، فما كان العاقل بالذي يحدث لقومه حادثا عظيما مثل هذا، ويحدث لنفسه عناء كهذا العناء لغير أمر عظيم جاء به، وما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله، وإذا نظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء علموا أن الله الملك

(١) سورة الطور/الآية: ٣٤.

(٢) في ظلال القرآن/ سيد قطب، دار الشروق، القاهرة- بيروت، ط/٣٤، ١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م: ٦/٣٣٩٨.

(٣) سورة النساء/ الآية: ٤٦.

(٤) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن/ للعلامة محمد أمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي، دار طوق النجاة - بيروت، ط/١، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م: ٦/١٢٥-١٢٦.

(٥) سورة الأعراف/ الآية: ١٨٤-١٨٥.

الأعظم، وأنه خالق المخلوقات، أيقنوا بأنه الإله الواحد، فآل ذلك إلى تصديق الرسول عليه الصلاة والسلام))^(١).

كراهية الحق، كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كِرْهُونَ﴾^(٢)، والمعنى: أن وجوه الطعن فيه عليه الصلاة والسلام من الجنون وغيره منفية، فإنهم أعرف الناس به عليه الصلاة والسلام، فإنه أكملهم خلقاً، وأشرفهم خلقاً، وأرجحهم عقلاً، وأصوبهم فعلاً؛ وإنما فعلوا ذلك لأنه جاءهم بالحق، والحال أن أكثرهم يكرهون متابعة الحق^(٣).

الاعتزاز بالرئاسة والملا، والتمتع بما عندهم من الغنى والترف، يقول الله تعالى: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾^(٤) إِذَا تَتَلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ^(٥)، يقول الرازي (ت/ ٦٠٤ هـ): (فتقديره: لأجل أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين؛ والمعنى: لأجل أن كان ذا مال وبنين جعل مجازاة هذه النعم التي خولها الله له الكفر بآياته))^(٦)، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾^(٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ^(٨) كَلَّا لَا نُطِيعُ مَا نَسُوا وَآسَجَدُوا لِأَقْتَرَبَ^(٩)، وقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(١٠) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ^(١١).

وهؤلاء موجودون في كل زمان يستهزءون برسلمهم ودعاة الحق، وذلك أنهم يملكون

(١) التحرير والتنوير/ سماحة الأستاذ محمد بن الطاهر بن عاشور، (ت/ ١٩٧٣ م)، الدار التونسية - تونس، ١٩٨٤ م: ٩/ ١٩٧.

(٢) سورة المؤمنون/ الآية: ٧٠.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٦٦ - ١٦٧.

(٤) سورة القلم/ الآية: ١٤ - ١٥.

(٥) مفاتيح الغيب/ فخر الدين محمد بن العلامة ضياء الدين عمر الرازي، الشهير بخطيب الري، (٥٤٤ هـ - ٦٠٤ هـ)، دار الفكر - بيروت، ط/ ١، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م: ٣٠ / ٨٥.

(٦) سورة العلق/ الآية: ١٧ - ١٩.

(٧) سورة المسد/ الآية: ١ - ٢.

أموالا ومنافع دنيوية يظنون المنعة بها من عذاب الله، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٣٤) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١١﴾، قال أبو حيان الاندلسي (ت/ ٧٤٥هـ): ((ونص على المترفين؛ لأنهم أول المكذبين للرسول لما اشتغلوا به من زخرفة الدنيا، وما غلب على عقولهم منها، فقلوبهم أبدا مشغولة منهمكة، بخلاف الفقراء فإنهم خالون من مستلذات الدنيا، فقلوبهم أقبل للخير.)) (٢).

تنفير الناس من حوله، وذلك أنهم يقولون مجنون وساحر، ويريد أن يغير دينكم ويظهر في الأرض الفساد، ومن أساليبهم في هذا الداعي الإعراض كما سيأتي في محله .

• ثانيا: دواعي اختص بها صنف بعينه.

• المشركون: دعاهم إلى الاستهزاء به:

التمسك بالهتهم والدفاع عنها.

لقد اعتاد المشركون عبادة آلهتهم المزعومة حتى انشغلوا بها عن خالقهم، فلما جاءهم رسول الله ﷺ لينهاهم عن عبادتها ويأمرهم بتوحيد الله تعالى في العبادة، فزعوا عنه وأخذوا يدافعون عنها، وتمسكوا بما اعتادوا عليه، واستهزأوا به، وأمروا أتباعهم بالصبر على عبادة هذه الأصنام، يقول الله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَحٰدًا اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ مُّجٰبٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلٰٓءِ الْهٰتِكُرُ اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٣﴾، يقول ابن عاشور (ت/ ١٣٩٣هـ): ((والأمر بالمشي يحتمل أن يكون على الحقيقة؛ أي: انصرفوا عن هذا المكان مكان المجادلة، واشتغلوا بالثبات على آلهتكم. ويجوز أن يكون مجازا في الاستمرار

(١) سورة سبأ/ الآية: ٣٤- ٣٥ .

(٢) البحر المحيط/ لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الاندلسي، (ت/ ٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد، والشيخ علي محمد، وغيرهم، تقيظ: د. عبدالحى الفرماوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م : ٧/ ٢٧٢ .

(٣) سورة ص/ الآيات: ٤- ٦ .

كفاية القرآن في الرد على من استهزأ بالنبي ﷺ العدنان

على دينهم، كما يقال: كما سار الكرام؛ أي: اعملوا كما عملوا، ومنه سميت الأخلاق والأعمال المعتادة سيرة^(١).

عدم إمكانية تصور هذه المنزلة لبشر منهم؛ لأنهم لم يسمعوا بهذا عند آبائهم وأجدادهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذٰبٌ﴾^(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٤) وهم وإن وقع عندهم التصور أن يكون من البشر رسولا فلا يمكن أن يكون هذا الرسول هو النبي محمد ﷺ، لذا تكرر منهم السؤال هذا لشدة وقعه في أنفسهم، يقول سبحانه: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾^(٣) أءَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوِّقُوا عَذَابِي ﴿٣﴾، يقول الرازي (ت/٦٠٤هـ): ((ومعناه: أن محمدا كان من رهطهم وعشيرتهم وكان مساويا لهم في الأسباب الدنيوية، فاستنكفوا من الدخول تحت طاعته ومن الانقياد لتكاليفه، وعجبوا أن يختص هو من بينهم برسالة الله وأن يتميز عنهم بهذه الخاصية الشريفة))^(٤).

فقد تعجبوا من اختيار النبي ﷺ نبيا ورسولا من بينهم، وهو مساو لهم في الخلقة الظاهرة والنسب والشكل والصورة، حتى قالوا فيما ذكر الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٥)، وهذا من كمال جهالتهم؛ لأن الله يختار من يشاء ليجعله رسولا، وليس لهم تقسيم رحمة الله على العباد.

ومن ذلك ما ورد عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾^(٦) أَوْ يُنَزَّلُ إِلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا

(١) التحرير والتنوير: ٢٣ / ٢١١ .

(٢) سورة ص/ الآية: ٤ .

(٣) سورة ص/ الآيات: ٧-٨ .

(٤) مفاتيح الغيب: ٢٦ / ١٧٧ .

(٥) سورة الزخرف/ الآية: ٣١ .

﴿٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿١﴾، فقد أنكروا عليه فعل ما يفعلون من أكل الطعام والمشى في الأسواق وغيرهما، فلماذا يمتاز علينا بالنبوة وهو مثلنا في ذلك، وليس معه ملك يشهد له بالصدق، أو يأتيه كنز من السماء لئلا يتردد للأسواق لطلب المعاش، وليس بملك لأن الملك لا يتسوق ولا يتنذل، فرد الله عليهم أقوالهم الباطلة التي تدل على ضلالهم وحيرتهم في الرد عليه، وذلك أن البشر يأكلون الطعام ولا غنى لهم عنه وهو منهم، ومشيه في الأسواق لتواضعه، والأولى أن يردوا على تحدي القرآن لهم بأن يأتوا بمثله أو غيره من التحديات، فلما لم يجدوا لذلك التحدي سبيلا أخذوا جانب الاستهزاء ليشغلوا أنفسهم عن التحدي الحقيقي الموجه لهم من القرآن الكريم (٢).

المنافقون: الخشية من نزول ما يفضحهم، كما قال الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ نُنزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً نُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزَؤْا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ﴾ (٣)، فأنهم بما في باطنهم من كفر ونفاق كانوا أشد الناس حذرا من نزول ما يفضح سرهم ونجواهم، وسيأتي بيان ذلك في موضعه .

• اليهود. ومن الدواعي التي انفردوا بها:

إن النبي ﷺ من الأميين، وهم لا يراعون عهدا مع هؤلاء الأميين، وكما قال الله تعالى على لسانهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٤)، فإذا كانت في الأميين النبوة والرسالة الخاتمة، فإن المنازل العلى والرفعة والشرف قائمة فيهم، فحسدوهم على ذلك، ودعاهم إلى ثورة العداوة في نفوسهم،

(١) سورة الفرقان/ الآية : ٧- ٩ .

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب/ عمر بن علي بن عادل، أبو حفص الدمشقي الحنبلي، (ت/ ٥٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وآخرين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/ ١، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م : ١٤ / ٤٧٧- ٤٨٣ .

(٣) سورة التوبة / الآية: ٦٤ .

(٤) سورة آل عمران/ الآية: ٧٥ .

كفاية القرآن في الرد على من استهزأ بالنبي ﷺ العدنان

كما قال الله تعالى فيهم: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

الخشية على أنفسهم من الجلاء عن المدينة إذا كثر أتباعه، لذا ظاهرها المشركين على رسول الله ﷺ، فجزاهم الله على مشاققتهم لله ورسوله ما كانوا يخشونه من الجلاء، قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا أَن كُنِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾^(٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ^(٣).

* * *

(١) سورة البقرة/ الآية: ١٠٩ .

(٢) سورة الحشر/ الآية: 3- 4 .

المطلب الثالث

ألفاظ المستهزئين وأساليبهم

ذكر القرآن الكريم ألفاظ المستهزئين وأساليبهم، وما كانوا يستجمعون به آراءهم في نواديهم ليؤذوا رسول الله ﷺ نفسياً وبدنياً، علماً أنه سبحانه واجههم بجنس ما كانوا يدبرونه من أساليب لرسوله كما سيتضح فيما بعد، ولنذكر ألفاظهم ثم أساليبهم على هذا النحو:

• أولاً: ألفاظ المستهزئين المذكورة في القرآن الكريم .

لقد اتخذ المستهزؤون أشد الألفاظ قسوة تجاه رسول الله ﷺ؛ ليعتزل دعوته ورسالته التي أمره الله سبحانه وتعالى بها، وهم أشد الناس معرفة واتصالاً به، فإن أهل مكة يعلمون صدقه وأمانته، فأنكر الله تعالى عليهم ما يقولونه عنه في آيات كثيرة منها قوله: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾^(١)، واليهود والنصارى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(٢)، والمنافقون يدركون حقيقة علمه بما نفوسهم وهذا مما أطلعه الله تعالى عليه، حتى إنهم يحذرون من نزول شيء من القرآن فيهم، وقد ذكر في كتابه الكريم بعض هذه الألفاظ التي ترددت على ألسنتهم، أو ذكرها في معرض الرد عليهم:

١- الاتهام بالكذب .

لقد انقلب المشركون والذين معهم فجأة من القول بصفة الصدق الملازمة لرسول

(١) سورة المؤمنون/ آية: 69 .

(٢) سورة الأعراف/ الآية: 157 .

الله ﷺ إلى الاتهام بالكذب والافتراء، يقول الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(١)، يقول الشيخ زاده (ت/ ٩٥١هـ): ((قوله: ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ والمعنى: أيقولون أنه عليه الصلاة والسلام كاذب في دعوى أن تعالى أرسله نبيا ودعوى أن القرآن كلام الله تعالى أوحى إليه بواسطة الملك وأنه مفتر عليه تعالى في ذلك؛ لأنه تعالى لم يجعله نبيا ولم يوح إليه شيئا، وإنما يدعي ذلك من تلقاء نفسه...))^(٢).

٢- الاتهام بالجنون .

الجنون هو الخبال الذي يعتري الإنسان من أثر مس الجن إياه في عرف الناس، يقول الراغب (ت/ ٥٠٢هـ): ((والجنون حائل بين النفس والعقل، وجنّ فلان قيل أصابه الجن...))^(٣).

وقد ذكر الله تعالى وصفهم النبي ﷺ حاشاه بهذه الصفة، من ذلك ما ورد عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾^(٤)، قال أبو حيان الأندلسي (ت/ ٧٤٥هـ): ((وهذا الوصف بأنه الذي نزل عليه الذكر قالوه على جهة الاستهزاء والاستخفاف؛ لأنهم لا يقرون بتنزيل الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون))^(٥).

٣- الاتهام بالسحر .

وقد اتهموا النبي ﷺ بالسحر، من ذلك ما ورد عند قوله تعالى: ﴿...وَقَالَ

(١) سورة الشورى/ الآية: ٢٤ .

(٢) حاشية شيخ زاده على أنوار التنزيل للبيضاوي/ محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي، محيي الدين الحنفي، المعروف بشيخ زاده، المدرس الرومي، (ت/ ٩٥١هـ)، مكتبة الحقيقة- استانبول، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م: ٤/ ١٨٢ . وينظر: التحرير والتنوير: ١٤/ ١٦- ١٧ .

(٣) المفردات في غريب القرآن/ للحسين بن محمد، أبي القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت/ ٥٠٢هـ)، مكتبة نزار مصطفى: ١/ ١٢٩ . وينظر: التحرير والتنوير: ٩/ ١٩٤ .

(٤) سورة الحجر/ الآية: ٦ .

(٥) البحر المحيط: ٥/ ٤٣٤ .

الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿١﴾، يقول المراغي: ((أي: وقال الكافرون الظالمون لأنفسهم بنسبتهم الى رسول الله ﷺ ما هو منه براء، ويدل العقل والمشاهدة على نفيه عنه: ما تتبعون إلا رجلا سحر فاختل عقله فهو لا يعي ما يقول، ومثله لا يطاع له رأي، وهذا منهم ترق في انتقاصه، وأنه لا يصلح للنبوة بحال.))^(١).

٤- الاتهام بالكهانة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَكَرْنَاكَ أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾^(٢)، قال ابن كثير (ت/ ٧٧٤هـ): ((أي: لست بحمد الله بكاهن كما تقوله الجهلة من كفار قريش. والكاهن: الذي يأتيه الرُّئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء.))^(٣)، ويقول المظهري (ت/ ١٢٥هـ): ((فإن قوله ما أنت بكاهن ولا مجنون في معنى انتفى كونك كاهنا أو مجنونا، والمراد بنعمة ربك النبوة والعقل السليم.))^(٤).

٥- الاتهام بالشعر .

لقد حاول المستهزئون صرف النبي عن دعوته فأعجزهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك، فأخذوا البحث بشتى الوسائل عما يصرف الناس عن قبول دعوته، حتى بما لم يرتضوه هم عليه، فاتهموه بالشعر وهو أبعد الناس عن قول الشعر قبل الدعوة وبعدها، يقول الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَرِئِصٌ بِهِ رَبِّبَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آيَاتُنَا

(١) سورة الفرقان/ الآية: ٨ .

(٢) تفسير المراغي/ أحمد مصطفى المراغي، (ت/ ١٩٥٩م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، ط/ ١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م: ١٨/ ١٥٥ .

(٣) سورة الطور/ الآية: ٢٩ .

(٤) تفسير القرآن العظيم/ للإمام الحافظ اسماعيل بن كثير، أبي الفداء الدمشقي، (ت/ ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، ونخبة من الباحثين، مؤسسة - مصر، ط/ ١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م: ١٣/ ٢٣٧ .

(٥) التفسير المظهري/ للقاضي محمد ثناء الله العثماني الحنفي المظهري النقشبندي، (١٢٥هـ)، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/ ١، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م: ٩/ ٧١ .

(٦) سورة الطور/ الآية: ٣٠ .

كفاية القرآن في الرد على من استهزأ بالنبي ﷺ العدنان

لَتَارِكُوا ءَالِهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿١﴾، يقول محمد أمين الشافعي: ((أي: أنترك عبادة الآلهة التي ورثناها عن آبائنا كابرا عن كابر، ونستمع لقول شاعر يخلط ويهذي. فمثله لا يستمع لكلامه، ولا يصغى لقوله.))^(٢).

٦- الاتهام بالضلالة والغواية.

لقد اتهم المشركون النبي ﷺ بتهم جمّة، منها اتهامه بالضلال والغواية، إذ خرج عن المألوف عندهم من عبادة الأصنام، بل سفه أحلامهم وما كانوا يدعون من غير الله، لذا رد الله عليهم دعواهم عليه بقوله: ﴿وَالنَّجْرَ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾^(٣)، يقول محمد أمين الشافعي: ((والمعنى: ما عدل صاحبكم عن طريق الحق من الأقوال، والأفعال، والاعتقاد، وغيرها. وما اعتقد باطلا قط؛ أي: هو في غاية الهدى والرشد، وليس مما تتهمونه من الضلال والغواية في شيء أصلا. وكانوا يقولون: ضل محمد عن دين آباءه، وخرج عن الطريق، وتقول شيئا من تلقاء نفسه. فرد الله عليهم بنفسه بتنزيل هذه السورة تعظيما له.))^(٤).

• ثانيا: أساليب المستهزئين المذكورة في القرآن الكريم:

إن الاستهزاء والدعاوى الكاذبة التي وصفوا بها رسول ﷺ، لم يلقوها مجردة عن الحيلة والمكر والخديعة والأذى، وإنما كانت بأسلوب مدروس يتبع بعضه بعضا، فالاجتماعات المستمرة من المشركين في مكة، والاتصال المستمر مع المنافقين واليهود والنصارى في المدينة وغيرها، كان له الدور الكبير في أسلوب طرح القول وتجسيد العمل ضده عليه الصلاة والسلام، وقد أخبرنا الله في كتابه عن أساليبهم والتي فضحها سبحانه في آيات كثيرة؛ أهمها:

-
- (١) سورة الصافات/ الآية: ٣٦ .
 - (٢) حدائق الروح والريحان: ٢٤ / ١٦٠ .
 - (٣) سورة النجم/ الآيات: ١ - ٤ .
 - (٤) حدائق الروح والريحان: ١٠٦ / ٢٨ .

كفاية القرآن في الرد على من استهزأ بالنبي ﷺ العدنان

١٢٧٠هـ): ((أي: إذا تتلى عليهم بلسان الرسول ﷺ آياتنا الناطقة بحقيقة التوحيد وبطلان الشرك ﴿قَالُوا مَا هَذَا﴾ يعنون رسول الله ﷺ التالي للآيات، والإشارة للتحقير قاتلهم الله تعالى ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ﴾ فيجعلكم من أتباعه من غير أن يكون له دين إلهي، وإضافة الآباء إلى المخاطبين لا إلى أنفسهم؛ لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك، وتنفيرهم عن التوحيد)).^(١)

٣- الإعراض عن دعوته .

اتبع المستهزون أسلوباً يؤذون به رسول الله ﷺ، وهو الإعراض عنه كلما دعاهم إلى الحق الذي أرسله الله تعالى به، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢)، يقول البقاعي (ت/ ٨٨٥هـ): ((﴿فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ أي: مما اقترحوا عليك فافعل لتشاهد أنهم لا يزدادون عند إتيانك بها إلا إعراضاً كما أخبرناك؛ لأن الله قد شاء ضلال بعضهم، والمراد بهذا شدة حرصه ﷺ على هدايتهم، بأنه لو قدر على أن يتكلف النزول إلى تحت الأرض أو فوق السماء فيأتيهم بما يؤمنون به لفعل)).^(٣)

٤- إنكار ذكره في التوراة والإنجيل .

لقد حاول المشركون في مكة معرفة حقيقة ما نادى به رسول الله ﷺ وأمرهم به من الإيمان بالله وحده ونبذ ما دونه من الأوثان التي اتخذوها أندادا من دون الله، فأعيتهم الحيل إلى اللجوء لأهل الكتاب ليستفهموا منهم هذه الحقيقة، لكن اليهود عدلوا عما ذكره الله في كتابهم، وأنكروا ما تحققت المعرفة به عندهم، وطمسوا معالم نبينا في التوراة،

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ علامة العراق ومفتي بغداد أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، (ت/ ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت: ٢٢/ ١٥٢ .

(٢) سورة الأنعام/ الآية: ٣٥ .

(٣) نظم الدرر: ٧/ ٩٩- ١٠٠ .

والسام الموت، وهم يوهمونه أنهم يقولون السلام عليكم ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ يعني: فيما بينهم إذا خرجوا من عند النبي ﷺ أو يقولون في قلوبهم ﴿ لَوْلَا ﴾ هلا ﴿ لَوْلَا يَعِدُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ من التحية وأنه ليس نبي، إن كان نبيا عذبنا الله به. (١).

٦- النجوى .

يقول الله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ التَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلَكُم أَتَاتُوا السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿ (٣) ، والنجوى: المحادثة خفية، ومنه: ناجيته؛ أي: ساررته، فهم أسروا النجوى جعلوها مقصودة الكتمان، وبالغوا في إخفائها، لأن شأن التشاور في المهم الكتمان لثلا يطلع عليه المخالف فيفسده (٣).

ويقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ التَّجْوَى ثُمَّ يُعَادُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّجْوَى وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُهَا فَالْمَصِيرُ ﴾ (٤)، فإن اليهود ومن معهم من المنافقين في المدينة كانوا يتناجون بما يحزن المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ عن فعلهم، فلم ينتهوا وعادوا إليها، ففضحهم الله تعالى وبين ما كانوا يتناجون فيه من الإثم بالعودة إلى النجوى، وعداوة المسلمين ليحزنوهم، وليتواصوا على معصية الرسول ﷺ والاستهزاء به (٥)، وكما فضح الله تعالى قولهم حين يستمعون القرآن: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ (٦)، يقول الرازي (ت/ ٦٠٤ هـ) في معنى الآية الأخيرة: ((أي: نحن أعلم

(١) تفسير المظهرى: ٢٠٧/٩ - ٢٠٨ .

(٢) سورة الأنبياء/ الآيات: ٢ - ٣ .

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٢/ ٦٢٦، والتحرير والتنوير: ١٧/ ١٣ .

(٤) سورة المجادلة/ الآية: ٨ .

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٩/ ٢٦٧، وحدائق الروح والريحان: ٢٩/ ٣٥ .

(٦) سورة الإسراء/ الآية ٤٧ .

كفاية القرآن في الرد على من استهزأ بالنبي ﷺ العبدان

بالوجه الذي يستمعون به وهو الهزؤ والتكذيب. ﴿يَهَىٰ﴾ في موضع حال، كما تقول: مستمعين بالهزؤ، و﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ﴾ نصب بأعلم؛ أي: أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ أي: وبما يتناجون به إذ هم نجوى ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ بدل من قوله: إذ هم نجوى إن تتبعون إلا رجلا مسحورا. (١).

* * *

(١) مفاتيح الغيب: ٢٠ / ٢٢٤ .

المبحث الثاني

كفاية القرآن فيما يخصه عليه الصلاة والسلام

المطلب الأول

مكانته وأخلاقه، وصفاته ﷺ

إن الذي يطالع الآيات القرآنية التي تعنى بالنبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، تتجلى له من خلالها مدى العناية الربانية به عليه الصلاة والسلام، وهي واضحة المعالم، وبما تتضمنه من معاني جميلة تبرز فيها سمته وأخلاقه، ومقامه عند الله تعالى، وهي تكفي في الرد على صنوف المستهزئين، وسيظهر ذلك جلياً من خلال ما سيأتي:

• أولاً: مكانته ﷺ:

لقد اختار الله تعالى نبيه محمداً ﷺ ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين، وجعل بين يديه المعجزة الخالدة، يتداولها المسلمون جيلاً بعد جيل، يلمسونها ويتدبرون معانيها، ويتحدون الخلق بما فيها، دليلاً على صدقهم بما يؤمنون به، وهذه المعجزة هي كلام الله تعالى، والتي سيتبين آياتها مكانة النبي ﷺ، لذا فمكانته دائمة باقية بقاء المعجزة الخالدة .

• صلاة الله وسلامه عليه:

إن الله تعالى صلى وسلم على نبيه في كتابه، ومن بعده الملائكة جميعاً، وأمر المؤمنين بدوام الصلاة والسلام عليه، وذلك عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، وفي هذا تمييز للنبي ﷺ بميزة اختصاصها الله به دون الخلق، يقول الألوسي (ت/ ١٢٧٠هـ): ((والتعبير

كفاية القرآن في الرد على من استهزأ بالنبي ﷺ العدنان

بالجملة الإسمية للدلالة على الدوام والاستمرار، وذكر أن الجملة تفيد الدوام نظرا إلى صدرها من حيث أنها جملة إسمية، وتفيد التجدد نظرا إلى عجزها من حيث أنها جملة فعلية مفادها استمرار الصلاة وتجدها وقتا فوقتا، وتأكيدها بياناً للاعتناء بشأن الخير؛ وقيل لوقوعها في جواب سؤال مقدر هو: ما سبب هذا التشريف العظيم؟ وعبر بالنبى دون اسمه ﷺ على خلاف الغالب في حكايته تعالى عن أنبيائه عليهم السلام إشعارا بما اختص به ﷺ من مزيد الفخامة والكرامة وعلو القدر، وأكد ذلك الإشعار بأل التي للغلبة إشارة إلى أنه ﷺ المعروف الحقيقي بذلك الوصف. (١).

• وجوب محبته وطاعته /

إن الله تعالى فرض طاعة الرسول ﷺ؛ ليتسنى لهم الوصول إلى ما يرضيه، فهو المبلغ عن رب العالمين، المبين لأحكام الدين، الهادي بإذن ربه إلى الصراط المستقيم، ونهى سبحانه عن مخالفته، وتوعد المخالفين بالعذاب الأليم، وقد وردت آيات كثيرة تدل على هذا المعنى وتعضده، منها ما ورد عند قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (٢)، وقوله سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (٣)، ففي هذه الآيات الأمر بالطاعة، والتحذير من التولي، كما أفادت أن مهمة الرسول أداء التبليغ، ومكافحة الناس بالرسالة، وإعمال الجهد في إنذارهم، وهذا هو ما يتحمله الرسول ﷺ بأمر الله تعالى، وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة واتباع الحق، ثم علق الهداية بطاعته ﷺ (٤).

(١) روح المعاني: ٢٢/٧٥-٧٦.

(٢) سورة النور/ الآية: ٥٤.

(٣) سورة المائدة/ الآية: ٩٢.

(٤) ينظر: البحر المحیط: ٦/٤٣٠، والتحرير والتنوير: ١٨/٢٨٠-٢٨١.

• التأدب معه قدر المستطاع:

حثنا القرآن الكريم كثيرا وأوصانا بمحبة رسول الله ﷺ، وطلب رضاه، والأدب بين يديه، يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢١﴾﴾^(١)، نهى الله سبحانه عن رفع الصوت حين التخاطب مع رسول الله ﷺ، أو التقدم عليه في شيء من الأفعال، بل امتدح الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ، فبين أن التقوى متغلغلة في قلوبهم، متحكمة في مشاعرهم، ولهم من الله مغفرة جزاء تأدبهم عنده عليه الصلاة والسلام، كما وعدهم الله تعالى بأجر عظيم، لم نعرف جنسه لعظمته، والاجر على قدر توقير النبي ﷺ والتأدب بين يديه^(٢)، والله أعلم.

قال الضحاك بن مزاحم (ت/ ١٠٢ هـ): ((نهاهم الله أن ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا، وأمرهم أن يشرفوه ويعظموه، ويدعوه إذا دعوه باسم النبوة.))^(٣).
قال ابن عطية (ت/ ٥٤٦ هـ): ((وكره العلماء رفع الصوت عند قبر النبي ﷺ. وبحضرة العالم وفي المساجد، وفي هذه كلها آثار.))^(٤).

• استغفار الرسول يمنع العذاب/

لقد أكرم الله تعالى نبيه ﷺ غاية الأكرم وأرقاه، ونبه إلى عظيم فضله غاية البيان، حتى أخبر المشركين بوقف العذاب العام لهم لوجود رسول الله ﷺ وأتباعه بينهم، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٥﴾﴾، فقولته: ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ فوجوده ﷺ بينهم مانع للعذاب أن يقع

(١) سورة الحجرات/ الآيات: ٢-٣ .

(٢) ينظر: جامع البيان: ٢١/ ٣٣٨-٣٤١، والمحرم الوجيز: ٥/ ١٤٥ .

(٣) جامع البيان: ٢١/ ٣٣٩ .

(٤) المحرم الوجيز: ٥/ ١٤٥ .

(٥) سورة الأنفال / الآية: ٣٣ .

كفاية القرآن في الرد على من استهزأ بالنبي ﷺ العدنان

على الكافرين من قريش وغيرهم؛ لأنه الرحمة المهداة للعالم أجمع، فلا تجتمع الرحمة والعذاب في مكان وأن واحد بإذن الله، بل حتى ما يقع من البأس بين المؤمنين لم يقع زمن رسول الله ﷺ لوجوده بينهم، وكذا استغفارهم الله تعالى، كما أن الله تعالى لم يعذب قرية حتى يخرج الرسول والذين آمنوا معه منها، وقوله: ﴿وَمَا كَانُوا اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾؛ أي: وما كان الله معذب الكافرين في مكة حين خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وأولئك البقية من المسلمين في مكة يستغفرون، وإسناد الاستغفار إلى ضمير الجمع لوقوعه فيما بينهم، وهذا أحد الأقوال في معنى الآية، والله أعلم^(١).

• ثانياً: أخلاقه وصفاته ﷺ:

لقد تشرفت أمتنا بخير قدوة، فلا يرتقي لمرتبتة سائر البشر في المكانة والخلق والعبادة والخشية لله، فهو أشد الناس ورعاً وأتقاهم وأخشاهم وأبرهم وأكثرهم محبة لله تعالى، وأرحم عباد الله تعالى بالناس جميعاً، لذا يستحيل عليه ما يسطرونه من الكذب والافتراء عليه بقولهم إنه مجنون وساحر إلى غير ذلك، يقول الله تعالى في حقه: ﴿تَوَلَّى أَوَّلَ مَا يَسْطُرُونَ﴾^(١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ^(٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ^(٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ^(٤)، فهو سبحانه يصف النبي عليه الصلاة والسلام بثلاث صفات، هي: نفي الجنون عنه ثم قرن بهذه الدعوى ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها؛ لأن قوله: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ يدل على أن نعم الله تعالى ظاهرة في حقه من الفصاحة والبيان، وكمال العقل، وسلامة الهيئة، والسيرة المرضية، ومكارم الأخلاق، وكل ذلك معارض لعاهة الجنون^(٥).

الصفة الثانية: الصبر، وأشار إلى ذلك من خلال ذكر الأجر، والأجر هو جزاء الصبر كما

(١) ينظر: زاد المسير: ٣/٣٤٩-٣٥١، وروح المعاني: ٩/٢٠٠-٢٠١، وتفسير المراغي: ٩/٢٠٢-

٢٠٣.

(٢) سورة القلم/ الآيات: ١-٤.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٩/٢٦٨.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١)، والمجنون لا عقل له ولا صبر على من يؤديه، وهذا في قمة الرد عليهم بما يتهمونه ﷺ من الجنون، يقول الطبري: ((يقول تعالى ذكره: وإن لك يا محمد لثوابا من الله عظيما على صبرك على أذى المشركين إياك، غير منقوص ولا مقطوع. من قولهم: حبل منين، إذا كان ضعيفا.))^(٢).

ذو خلق عظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣)، فقد أثنى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية على رسوله الكريم بأنه عظيم الخلق، وكان ﷺ معروفا بالصدق والأمانة وصلة الرحم وإعانة الناس في حوائجهم وقضائهم، والجود والكرم وحسن الجوار، وكان يسمى في مكة الصادق الأمين، فإذا قالوا: الصادق الأمين ذهبت عقولهم وأناملهم تشير إلى رسول الله ﷺ، ولما جاءه الوحي وأخبر أم المؤمنين خديجة بخبره، لم تستغرب من ذلك وقالت: ((إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ))^(٤).

وقد ورد تفصيل وصفه بالتنزيل؛ ليدفع عنه وصف المستهزئين، إذ يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٥)، فهذه الآية جاءت تبين لنا صفات النبي ﷺ؛ وهي^(٦): ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: من أنسابكم؛ فهل يعز عليكم هجره وتركه وما

(١) سورة الزمر/ الآية: ١٠.

(٢) جامع البيان: ٢٣/ ١٤٩.

(٣) سورة القلم/ الآية: ٤.

(٤) الجامع الصحيح (صحيح البخاري): ١/ ٤. وينظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان/ محمد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبد الله القرطبي، (ت/ ٦٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في تحقيق هذا الجزء: محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/ ١، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م: ٢١/ ٢١ - ١٤١ - ١٤٤.

(٥) سورة التوبة/ الآية: ١٢٨.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١١/ ٧٠ - ٧٣، تفسير المراغي: ١١/ ٥٤ - ٥٥.

دعاكم إليه، وما دعوته لكم إلا لعلائق الرحم التي تربطكم به، كما أوصاه بهم في قوله سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤) ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١). ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ فاختار الله سبحانه وتعالى هذه اللفظة ﴿عَزِيزٌ﴾ أي: ذو منعة لا يغلب بأمر الله، فهو لا يلحقه الضرر مهما آذيتموه، وإنما لمحبتته إياكم ورأفته بكم يتأذى مما يضركم ويؤذيكم، أو تجتاحكم المشقة والشدة فتؤذيه شفقة عليكم وهذا من فرط محبته، لذا أوصانا الله تعالى أن نقابله بالمثل فقال في آية أخرى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ...﴾ (٢)؛ أي: نعينه ونقويه وننصره فيما يريد ﷺ .

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ من المعلوم أن الإنسان شديد الحرص لنيل المنافع لنفسه، وهذه قضية موجودة في تركيبة النفس البشرية، ونادرا ما يبتعد حرص الانسان عن ذاته ليحرص على الناس، محاولا إيصال الخير لهم ليحصلوا على سعادة الدنيا والآخرة، وكان ذلك بشخص رسول الله ﷺ، فقال الله تعالى فيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣)، والرحمة هنا المقصود بها العامة، فشملت للمؤمن والكافر على السواء.

٤، ٥- ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وهنا الرأفة والرحمة مخصوصة من عنده عليه الصلاة والسلام للمؤمنين دون غيرهم، فقدم المؤمنين على عامليه، للتوجه إليهم بصفتي رأفته ورحمته عليه الصلاة والسلام .

* * *

(١) سورة الشعراء/ الآيات: ٢١٤- ٢١٥ .

(٢) سورة الفتح/ الآية: ٩ .

(٣) سورة الأنبياء/ الآية: ١٠٧ .

المطلب الثاني

تسلية وحفظه ووصية الله له

لقد كان من عناية الله تعالى بنبيه ﷺ أن تكفل بحفظه ورعايته، فلم يكن لأعدائه النيل منه، وكان سبحانه يسليه عن أذاهم، وبين هذا وذاك يوصيه سبحانه بوصايا نزلت في القرآن الكريم، وقد اقتضى توضيح ذلك التفصيل، فأقول:

• أولاً: تسلية ﷺ:

توجهت الآيات الكريمة إلى تسلية النبي ﷺ، وصرفه عن أقوال المستهزئين وأفعالهم، وما يحاولون من إيقاع النبي ﷺ في شرك استهزائهم؛ ليصبيه الهم والحزن وينصرف عن الدعوة إلى الله تعالى، ومن الطبيعة البشرية أن الضغوط التي تواجهه في أمر ما لتصرفه عنه قد تجعله ينثني لهذه الضغوط، أو يفتر عن المضي في أمره لمدة من الزمن، ولكن رسول الله ﷺ لم يتوان لحظة في أمر دينه، واستمر في دعوته، وجاءه التوجيه الرباني في أكثر من آية يأمره بالمضي في الدعوة، كما سلاه سبحانه عن تفاهات المستهزئين، وكلما زاد استهزاؤهم جاء القرآن ليشغل النبي عليه الصلاة والسلام عنهم، وتسلية الله تعالى لنبيه بأمر: منها:

• لزوم الصبر.

فقد أمره الله تعالى بالصبر وعدم الالتفات لمكرهم، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا ۚ وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾، وكما قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ

(١) سورة الأنعام/ الآية: ٣٤ .

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١﴾، وقال سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ ﴿٢﴾، وقال سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿٣﴾، وقال سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ﴿٤﴾، فقد أوصى الله تعالى نبيه بالصبر في هذه الآيات الكريمة؛ لأن الصبر علاج لما يرمونه بك من الاستهزاء، ونتيجة صبر الأنبياء على إيذاء أقوامهم هو النصر، يقول محمد الأمين الشافعي في تفسير الآية (٣٤) من سورة الأنعام: ((وفي الآية تسليية للرسول ﷺ بعد تسليية، وإرشاد إلى سننه تعالى في الرسل والأمم، وقد صرح بوجوب الصبر على هذا الإيذاء في قوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَأُولُوا الْعُرُوفِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ ﴿٥﴾، وفي قوله: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ ﴿٦﴾. وقد دلت التجارب على أن التأسي يهون المصاب، ويفيد شيئاً من السلوى، ومن هذا تعلم حكمة تكرار التسليية بمثل هذه الآية مع الأمر بالصبر المرة بعد المرة؛ لأن الحزن والأسف اللذين كانا يعرضان له ﷺ من شأنهما أن يتكررا بتكرر سببهما وتذكره. وفي الآية بشارة للرسول ﷺ مؤكدة للتسليية بأن الله سينصره على المكذبين الظالمين من قومه.)) ﴿٧﴾.

• التكذيب سنة ماضية عند الأمم.

إن الأمم السابقة كذبت رسلها، فهي سنة جارية على هذه الأرض، فأهل الباطل دوماً يستهزئون بالأنبياء والرسل والذين آمنوا، وتقابلها سنة ثانية أن الله تعالى دوماً يمحق الباطل وأهله، فإن الله تعالى يمهلهم حتى ترسو الحجج عليهم، ويستهزؤوا بالأنبياء

(١) سورة النحل/ الآية: ١٢٧ .

(٢) سورة الانسان/ الآية: ٢٤ .

(٣) سورة ص/ الآية: ١٧ .

(٤) سورة ق/ الآية: ٣٩ .

(٥) سورة الاحقاف/ الآية: ٣٥ .

(٦) سورة المزمل/ الآية: ١٠ .

(٧) حدائق الروح والريحان: ٨ / ٢٨٢-٢٨٣ .

ومن معهم، ثم يأتي النصر للمرسلين، ويحق العذاب على الكافرين، وقد أخبر الله نبيه ﷺ عن ذلك في كتابه كثيرا، منه ما ورد عند قوله تعالى: ﴿اللَّهُ كَثِيرٌ وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٨﴾.

• عدم الأسى على الكافرين.

إن التسلية لها أثر عميق في النفوس، فكما أن الاستهزاء غالبا ما يكون أثره نفسيا، والحالة النفسية لها أثر في تحقيق ما يروم إليه الإنسان، والنبى ﷺ من البشر يطرأ عليه من الحزن والألم ما يصيب كل إنسان، خصوصا إذا استمر المستهزئون في اعتراضه بأساليبهم الماكرة، لذا كان القرآن يسليه ويمسح عنه ما يصيبه من الهم والحزن، وينهاه عن الاهتمام باستهزائهم، وأن لا يبالي بهم وما يؤول إليه مصيرهم، يقول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٩﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٠﴾.

• ثانيا: حفظ الله ورعايته للنبي ﷺ.

تكفل الله تعالى بحفظ نبيه في آيات كثيرة منها ما ورد عند قوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٣٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٣٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿١١﴾، فإن الله تعالى ارتضى لرسوله ﷺ أن يكون مرسلا للناس كافة، وارتضاه أن يطلع على الغيب مما شاء سبحانه أن يطلعه عليه، كما أنه سبحانه أظهر من غيبه للناس

(٨) سورة الحج/ الآيات: ٤٢ - ٤٤ .

(٩) -سورة فاطر/ الآية : ٨ .

(١٠) سورة النمل/ الآية: ٧٠ .

(١١) سورة الجن/ الآيات: ٢٦ - ٢٨ .

حفظ نبيه من بين يديه ومن خلفه، وأن يدفع عنه كيد شياطين الانس والجان، يقول الرازي (ت/ ٦٠٤هـ): ((حفظه يحفظونه من شر مردة الإنس والجن؛ لأنه تعالى إنما ذكر هذا الكلام جواباً لسؤال من سأل عن وقت وقوع القيامة على سبيل الاستهزاء به، والاستحقار لدينه ومقاتته.))^(١).

قال القرطبي (ت/ ٦٧١هـ): ((يعني: ملائكة يحفظونه عن أن يقرب منه شيطان، فيحفظ الوحي من استراق الشياطين والإلقاء الى الكهنة. قال الضحاك: ما بعث الله نبيا إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين عن أن يتشبهوا بصورة الملك، فإذا جاءه شيطان في صورة الملك، قالوا: هذا شيطان فاحذره. وإن جاءه الملك قالوا: هذا رسول ربك.))^(٢).

لقد دفع عن نبيه ﷺ كل ما ابتلي بها من قومه، فالله يكفيه استهزاؤهم، ويكفيه خداعهم، ويكفيه قتلهم، ويكفيه صدودهم، وقد تكررت كفاية الله له عليه الصلاة والسلام في القرآن، إذ يقول سبحانه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(٣)، ويقول سبحانه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤)، ويقول سبحانه: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٥)، فإن التعبير القرآني جاءنا بلفظ: ﴿كَفَيْنَاكَ﴾^(٦) ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾^(٧) ﴿بِكَافٍ﴾^(٨)؛ أي: بالفعل الماضي، والمستقبل، والاسم، ومن المعلوم أن الاسم يفيد الثبوت، والفعل يفيد التجدد والحدوث^(٩)، فكلما حاولوا إيذاءه بالاستهزاء أو غيره كفاه الله أن يؤذوه، فكفاية الله لرسوله ﷺ دائمة باقية إلى يوم القيامة، وكلما تجدد استهزاؤهم تجددت الكفاية الربانية له عليه الصلاة والسلام وما يتناسب من الزمان والمكان والحال، والقرآن هو الذي تصدى لهجوم المشركين والكافرين في كل زمان على رسول الله ﷺ، ففيه الكفاية

(١) مفاتيح الغيب: ١٦٨/٣٠ - ١٦٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٣١٠/٢١.

(٣) سورة الحجر/ الآية: ٩٥.

(٤) سورة البقرة/ الآية: ١٣٧.

(٥) سورة الزمر/ الآية: ٣٦.

(٦) ينظر: التعبير القرآني/ د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار- عمان، ط/٥، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م: ٢٢.

وفصل الخطاب، وهذه الآيات ردت على جميع أصناف المستهزئين، قال ابن عطية عند تفسير آية البقرة: ((يعني به اليهود والنصارى))^(١)، وفي تفسير آية الحجر يقول: ((ثم أعلمه الله تعالى بأنه كفاه المستهزئين من كفار مكة ببوائق أصابتهم من الله تعالى لم يسع فيها محمد - عليه الصلاة والسلام - ولا تكلف فيها مشقة))^(٢).

ثالثاً: الوصية بالاستمرار في الدعوة وعدم الالتفات لأقوالهم وأعمالهم.

لقد أوصى الله تعالى نبيه بالاستمرار في الدعوة والتبليغ، وعدم الالتفات إلى استهزائهم به عليه الصلاة والسلام ما دام هو على الحق المبين، وتكفل الله سبحانه بالهداية لمن يشاء، وظهور دينه القويم، وغلبته على جميع الأديان المنتشرة في الأرض، إذ هو مأمور بالتبليغ للناس كافة، يبشر الذين آمنوا بالجنة، وينذر الذين كفروا من عذاب النار، وقد أوصى الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم في كثير من المواضع بالاستمرار على المنهج الذي أمره الله به، فإن أطاعوه فهم إلى الرشد والفلاح أقرب، وإن أعرضوا وتولوا واجههم بالإعراض عنهم والمضي إلى حيث أمره الله من الدعوة والتبليغ، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣)، يقول محمد الأمين الشافعي: ((أي: فاجهر بإبلاغ ما أمرت بتبليغه من الشرائع وأظهره، وافرق بين الحق والباطل؛ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: وأعرض عن الاهتمام باستهزائهم، ولا تبال بهم، ولا تلتفت إلى لومهم إياك على إظهار الدعوة وتبليغ الرسالة))^(٤). ويقول الله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٥) ذلك مبلاغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بمن أهتدى، والله تعالى في هذه الآية يأمر نبيه ﷺ بالإعراض عنهم لإعراضهم عنه وطلبهم الدنيا وقلة فهمهم وإدراكهم، وإعراضه عنهم ليصغرهم كما يفعلون به وبمن

(١) المحرر الوجيز: ١/ ٢١٦ .

(٢) المصدر نفسه: ٣/ ٣٧٥ .

(٣) سورة الحجر/ الآية: ٩٤ .

(٤) حدائق الروح والريحان: ١٥/ ١١٤ .

(٥) سورة النجم/ الآيات: ٢٩ - ٣٠ .

معهم، يقول الفراء (ت/ ٢٠٧هـ): ((صغر بهم يقول ذلك قدر عقولهم، ومبلغ علمهم حين آثروا الدنيا على الآخرة.))^(١).

مما سبق يتضح جليا عناية الله تعالى بنبيه الكريم ﷺ من كل جانب، وأنه سبحانه تولاه بالحفظ والرعاية، كما أحاطته العناية الإلهية بالتسلية والشغل بالذكر عما كانوا يفعلون، وبيان مكانته في كتاب الله تعالى، إذ هو الرحمة المهداة للبشرية عامة وللمسلمين خاصة، ووجوده كفاية للناس عن العذاب، وقد حذر الله تعالى من خالف أمره ورغب عن طاعته؛ فإنه حينئذ بمرصاد الله تعالى وتحت سهامه التي لا تخطيء، وهذا جزء من الرد على المستهزئين بالله وآياته ورسوله ﷺ .



(١) معاني القرآن/ يحيى بن زياد، أبو زكريا الفراء، (ت/ ٢٠٧هـ)، عالم الكتب- بيروت، ط/٣، ١٤٠٣هـ.
= ١٩٨٣م: ٣/ ١٠٠ .

المبحث الثالث

كفاية القرآن بذكر جزاء المستهزئين وحكمهم في الدنيا والآخرة

لقد وضح القرآن الكريم في آيات كثيرة حقيقة المواجهة بين المستهزئين بأصنافهم وبين النبي ﷺ، وقد وواجههم عليه الصلاة والسلام بالحكمة وما تحمله من معاني، وبالموعظة الحسنة وما تحمله من رفق، وهم يصدون ويتوعدون له بجميع أنواع الأذى، لذا توعد الله سبحانه بكل من يستهزئ بالنبي ﷺ، فيهلكه الله بما شاء، ويكفي نبيه بما يشاء، فبسطوته سبحانه يقضي كل مستهزئ برسول الله ﷺ حياته في مرصاد الله تعالى، كما سيتضح من الآيات وعيد الله لهم بأسلوب رهيب ومخيف، ولا بد أن يلقوا حتفهم خائفين قد أكلت منهم الآفات أكلتها، وأخذت منهم المنايا أخذتها، فربما تأكله آفة المرض أو غيرها، ورب خوف من أتباع رسول الله ﷺ يقتلهم، وتبين في آيات كثيرة جزاء المستهزئين في الدنيا والآخرة، وذكرت هذه الآيات حكم الله عليهم في كتابه، وكل ذلك سنتناوله إن شاء الله تعالى .

* * *

المطلب الأول

جزء المستهزئين في الدنيا والآخرة

إن الله تعالى يدافع عن نبيه ﷺ، وقد تنوع هذا الدفاع بأساليب متعددة كما مر سلفاً، وهنا خوفهم وتوعدهم سبحانه بالجزاء الذي يتناسب مع فعلهم وعداوتهم له عليه الصلاة والسلام، وقد انقسم الجزء على قسمين:

• الأول: جزاءهم في الدنيا .

١- المعاملة بالمثل .

لقد واجه القرآن الكريم المستهزئين بنفس الأسلوب، فإعراضهم واجهه بالإعراض كما قال تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ دِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾^(١)، واستهزاؤهم بالاستهزاء، وادعاء اليهود أنه أمي ردهم أن من مستهزئي اليهود أميون كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾^(٢)، فالله تعالى ينبههم أن فيكم أميين ومن جنسكم أيضاً، لذا عليهم أن يتأملوا فيما يقولون، وأن يرجعوا إلى الحق؛ ولكن أمية محمد عليه الصلاة والسلام هي عدم معرفة القراءة والكتابة، وأميته معجزة من معجزات الرسالة الخالدة، وهم أميون لم يتحروا الحق، وإنما اتبعوا كبراًؤهم من الذين حرفوا صفة النبي ﷺ في التوراة^(٣).

كما واجههم القرآن حين وصفوا رسول الله ﷺ بأنه شاعر، وكاهن، ومجنون، وهو عليه الصلاة والسلام يخالف في أفعاله وأقواله وصفاته ما يدعون عليه، فتبين كذبهم

(١) سورة النجم/ الآية: ٢٩ .

(٢) سورة البقرة/ الآية: ٧٨ .

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٤٨/٣ .

وافتراؤهم عليه، وقد جعل الله تعالى الرد عليهم بشيء مما اتهموا نبيه عليه الصلاة والسلام به، ووضح أن الافتراءات المدعاة منهم تنطبق غاية الانطباق عليهم، والأمثلة على ذلك كثيرة، من ذلك ما ورد عند قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١)، فحين استهزؤا به، ومن استهزأهم أنهم نعتوه بالجنون، فوصفهم الله بعدم السمع والعقل، بل شبههم بالبهايم، والجنون - زوال العقل، بل الأنعام ينتفع بها كما أنها تجيب صاحبها عند النداء، لذا فهم أردى من الأنعام والبهايم التي لا تعقل، قال أبو حيان: ((وجعلوا أضل من الأنعام؛ لأنها تنقاد لأربابها، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب منفعتها وتتجنب مضرتها، وتهتدي إلى مراعيها ومشاربها...))^(٢).

٢- افتضاح أمرهم .

ذكر الله سبحانه وتعالى للمستهزئين صفات في كتابه تفضحهم، وتوضح حقيقة ما هم عليه حال الاستهزاء، فكلما ذكر سبحانه استهزؤهم ذكر لهم وصفا واقعا ومنطبقا عليهم، والحقيقة أن للصفات التي يتمتع بها الإنسان أثر في رقيه أو رذالته، وينعكس ذلك إيجابا أو سلبا على سمعته، فوصفهم بالكذب والتخبط في مسيرهم، فهم من جهة يؤمنون بالحب والطاغوت، ومن جهة أخرى يزكون الذين كفروا واصفين إياهم بالهدى، كما في قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾^(٣)، فإن الناس كانوا يجلون أهل الكتاب ويحترمونهم، ويعدونهم من أهل الصدق والأمانة والديانة؛ لأنهم أصحاب رسالة سماوية، ولكن أهل مكة يخشون من اليهود إتباع النبي ﷺ والإيمان به، فأراد أهل الكتاب أن

(١) سورة الفرقان/ الآية: ٤٤ .

(٢) البحر المحيط: ٤٥٩ /٦ .

(٣) سورة النساء/ الآيات: ٥٠ - ٥١ .

يتخذوا احترام العرب وسيلة لتفريغ حقدهم وحسدكم على رسول الله بتضليل الناس عن الرسالة المحمدية، فذهب علماء اليهود إلى مكة ليعقدوا اتفاقاً مع المشركين ضد النبي ﷺ، فخاف المشركون منهم خشية اتباعهم للنبي ﷺ فسألوهم من أهدى نحن أم النبي ﷺ ومن معه؟ فأخبروهم: إنكم أهدى من النبي ﷺ وأتباعه، لذا فضح الله اجتماعهم واتفاقهم وكذبهم، ونبه على إن الذي عندهم في الكتب السماوية يدل على كذبهم وصدق النبي عليه الصلاة والسلام، لذا قال في وصفهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾، فزال صدقهم بالجملة عند الله وعند رسوله والمؤمنين والناس أجمعين، فلا يعتمد على قولهم في شيء بعده أبداً^(١).

٣- العذاب العاجل في الدنيا قبل الآخرة .

لقد ذكر القرآن الكريم أن للمستهزئ برسول الله ﷺ عقوبة في الدنيا قبل الآخرة، متضمنة لعنا من الله تعالى، منبها فيها المسلمين القرب من هؤلاء خشية أن يصيبهم ما أصابهم من استحقاق العقوبة واللعن، وهناك أمثلة سأوردها آخر البحث كنماذج توضح ما وقع عليهم في الدنيا من العذاب، وغالبا لا تحدد الآيات جزاء المستهزئ وترك العقول تائهة حائرة في ماهية العقوبة، فالله تعالى يأخذ المستهزئين بما شاء وكيفما يشاء ومتى يشاء؟ وذلك أدعى للإلقاء المهابة والزجر، من ذلك قوله تعالى: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾^(٤٠) وَلَقَدْ أُسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ^(٢)، فإن العقوبة إذا جاءتهم تبهتهم ولا يستطيعون ردها أو صدها أو الفرار منها، ولا ينظرهم الله حتى ينجوا بالتوبة إذا جاء أجلهم، فقد يأخذهم عند نومهم، أو يقظتهم، وليس هناك آلهة تمنع عنهم عذاب الله، لذا فهم محاطون من كل جانب ولا ناصر لهم، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ فهو ليس أول من استهزئ به، وهم ليسوا أول من استهزأ بالرسول،

(١) ينظر: روح المعاني: ٥٨ / ٥ - ٥٩ .

(٢) سورة الأنبياء/ الآيات: ٤٠ - ٤١ .

وسيحقيق بهم ما حاق بالذين من قبلهم من المستهزئين^(١).

الثاني: جزاءهم في الآخرة.

لقد توعد الله تعالى المستهزئين برسوله ﷺ أشد الوعيد، فكما جعلوا الحزن والهَمَّ ينازل قلب رسول الله ﷺ جعل الله تعالى الخوف والرعب يسكن في قلوبهم على الدوام في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة إلى النار مصيرهم بما كانوا يستهزئون برسول الله ﷺ، وفي وعيدهم وردت آيات كثيرة، من ذلك ما ورد عند قوله تعالى: ﴿إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٢)، يقول الزمخشري (ت/ ٥٣٨هـ): ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الإمهال، ولا بد للوعيد أن يلحقهم فلا يغرنبهم التأخير^(٣). ويقول الله تعالى متهددا متوعدا المستهزئين برسوله ﷺ: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾^(٤)، وهذه الآية توضح بين ثنانيا معانيها نوعا من العذاب الذي ينال المستهزئين، فحين استهزءوا بالنبي عليه الصلاة والسلام، وما يذكرهم به من أمر الآخرة، أخذوا يسألونه عن العذاب والساعة وموعدها، فرد الله عليهم بذلك، ثم سلى رسوله ﷺ بعدها بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرَسُولٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٥)، وهذا العذاب يقع على الوجوه والظهور، فأما الوجوه فذكرت لأنها أشرف الأماكن في الجسد، وإن نالها الأذى وقعت تحت سياط الذل، والشعور بغاية الحسرة عند الإنسان حين يجتمع عليه الذل والإهانة والحرق، وأما الظهر فيتقى به أذى سائر الجسد، فإذا وقع عليه الأذى أصالة ولم يمتنع به فلا طائل في أن يكف عن وجهه النار بالظهر؛ لأن الظهر يحترق ولا

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٢/ ٤٢٢- ٤٢٥.

(٢) سورة الفرقان / الآية: ٤٢.

(٣) الكشاف: ٤/ ٣٥٢.

(٤) سورة الأنبياء/ الآية: ٣٩.

(٥) سورة الأنبياء/ الآية: ٤١.

كفاية القرآن في الرد على من استهزأ بالنبي ﷺ العدنان

حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١)، ويستفاد من هذه الآيات تنبيهه للغافلين ليرجعوا عما هم فيه من غيٍّ، ولعل إنسانا ينفع فيه الوعيد فيتوب إلى الله تعالى؛ لأن الله تعالى يخوف عباده أو يذكرهم بموئل السابقين الذين جنوا مثل فعلتهم ووقع عليهم وزر فعلهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَإِنَّا ثُمَّ دَلُّوا الْفَاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (الإسراء: ٥٩)، لذا على كل إنسان أن يتجنب مواضع الزلل التي تؤدي به إلى الردى، وما التوبة إلا بتوفيق الله الغفور الحليم .

* * *

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٨٣/٤ .

المطلب الثاني

حُكمهم في كتاب الله

إن القرآن الكريم حكم على المستهزئين بحكمه الذي لا ريب فيه، فكما بين ما عليه حالهم من كره وتربص ومحاولة إلحاق الأذى بالنبي ﷺ بكل وجه، وترويح الاشاعات والأباطيل حوله، والفرح والسرور الذي يسعدون فيه برؤيا النبي ﷺ مهموما حزينا متألما باستهزائهم، لذا بين الله لنا حالهم ومصيرهم وحكمه فيهم؛ وذلك لأهمية بيان حكمهم، وليفهم خطر الكلام في هذا الموضوع على وجه الخصوص، ومن كفالة الله تعالى ونصرته سبحانه لنبيه عليه الصلاة والسلام إنزال الحكم عليهم، من ذلك ما ورد عند قولها تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(١)، قوله تعالى: ﴿...وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَرْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ...﴾^(٤)، يقول ابن عادل (ت/ ٨٨٠هـ): ((﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يدل على أن الاستهزاء بالدين كيف كان كفرا؛ لأنه استخفاف بالدين، والعمدة في الإيمان تعظيم الله تعالى، ويدل على أن القول الذي صدر منهم كان كفرا في الحقيقة))^(٥).

(١) سورة سبأ/ الآية: ٤٣ .

(٢) سورة الفرقان/ الآية: ٨ .

(٣) سورة القلم/ الآية: ٥١ .

(٤) سورة التوبة/ الآيات: ٦٥ - ٦٦ .

(٥) اللباب في علوم الكتاب: ١٠ / ١٣٨ .

يقول القاضي يحيى بن ابراهيم السلماسي (ت/ ٥٥٥٠هـ): ((فمن طعن في واحد منهم طعنا، أو رد عليه قولاً أو فعلاً، أو عاب عليه شيئاً، أو اتهمه تهمة، فقد خلع الاسلام خلعا، وانسلخ عن الدين انسلاخاً)).^(١)

وقد نقل ابن عابدين تفصيل القول عند العلماء فيمن طعن أو استخف بالنبي ﷺ والأنبياء والمرسلين من قبله، ذكرا الدليل من الكتاب والسنة والاجماع على كفر القائل به واستحقاقه القتل في الشريعة، يقول: ((وعن اسحاق بن راهويه أحد الأئمة الاعلام قال: أجمع المسلمون أن من سب الله تعالى أو سب رسوله ﷺ، أو دفع شيئاً مما أنزل الله تعالى، أو قتل نبياً من أنبياء الله عز وجل أنه كافر بذلك، وإن كان مقراً بما أنزل الله تعالى. وهذه نقول معتضدة بدليلها وهو الاجماع، ولا عبارة بما أشار إليه ابن حزم الظاهري من الخلاف في تكفير المستخف به، فإنه شيء لا يعرف من العلماء ومن استقرأ سير الصحابة تحقق إجماعهم على ذلك...))^(٢).

تبين في هذه الآيات شديد جرم المستهزئين ودخولهم في دائرة الكفر والخروج عن الإسلام، مما يسهم في ورودهم النار واستحقاقهم الخلود إن لم يتوبوا إلى الله ويستغفروا، وذلك حكمهم في كتاب الله تعالى، والله أعلم.



(١) كتاب فيه منازل الأئمة الاربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد/ للشيخ القاضي يحيى بن ابراهيم بن أحمد، الفقيه أبو زكريا السلماسي، (ت/ ٥٥٥٠هـ)، ضبط النص وعلق عليه: أبو يحيى عبدالله الكندري، دار ابن حزم- بيروت، ط/١، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م: ٦٣.

(٢) مجموعة رسائل ابن عابدين/ للعلامة المحقق المدقق السيد محمد أمين أفندي، الشهير بابن عابدين، (كتاب تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الانام أو أحد أصحابه الكرام)، عالم الكتب- بيروت/١/٣١٦.

المطلب الثالث

نماذج من المستهزئين

• أولاً: أبولهب .

واسمه عبد العزى بن عبدالمطلب، وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية، وهو عم النبي ﷺ، وكان من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ^(١)، وأول من بادر في عداوته حين أعلن دين الاسلام على الأرض، وأشدهم حرصاً لإيذائه، وهو الوحيد الذي ذكر بكنيته في القرآن، قال الله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ ۚ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۚ (٥) ﴾.

روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(٣). صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطن قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال (أ رأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي). قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد). فقال أبو لهب تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتمنا فنزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ ۚ (٢) ﴾^(٤).

(١) ينظر: البداية والنهاية/ اسماعيل بن عمر بن كثير، إيو الفداء القرشي، مكتبة المعارف بيروت : ٣/

٤١ .

(٢) سورة المسد/ الآيات: ١- ٥ .

(٣) سورة الشعراء/ الآية: ٢١٤ .

(٤) الجامع الصحيح: ٤/ ١٧٨٧، رقم الحديث: (٤٤٩٢) .

كفاية القرآن في الرد على من استهزأ بالنبي ﷺ العدنان

وكان أبو لهب عم النبي ﷺ قد آذى رسول الله ﷺ أشد الأذى، ولم يدع فعلة نكراء إلا أتى بها في وجه النبي ﷺ، فكان يسعى خلفه في الأسواق يرميه بالحجارة ويكذبه، ومنع الناس أن يبيعوا له ومن معه في شعاب مكة، وزوجته تنفق كرائم أموالها لتؤذي رسول الله ﷺ، ويسبق القوم في الاستهزاء والعداوة لابن أخيه، فكفى الله تعالى النبي ﷺ سوء أبي لهب ومكره وخديعته وعداوته هو وزوجه، روى الطبراني بسنده عن ربيعة بن عباد الديلي قال: ((رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية بسوق ذي المجاز وهو يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فلم يزل يرددها مرارا والناس متصفون عليه يتبعونه وإذا وراءه رجل أحول ذو غديرتين وضيء الوجه يقول: إنه صابئ كاذب مرتين فسألت: من هذا؟ فقالوا: هذا عمه أبو لهب))^(١).

وقد كفى الله تعالى النبي ﷺ مواجهة عمه أبي لهب، إذ قتله الله بغير سيف، ولا رمية قوس، وإنما بمرض سيء الصيت، فقد روى الطبراني بسنده عن ابن عباس عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: ((كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكنت قد أسلمت وأسلمت أم الفضل وأسلم العباس، وكان يكتم إسلامه مخافة قومه، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام وكان عليه دين فقال له: اكفني هذا الغزو وأترك لك ما عليك ففعل، فلما جاء الخبر وكبت الله أبا لهب وكنت رجلا ضعيفا أنحت هذه الاقداح في حجرة ومر بي فوالله إني لجالس في الحجرة أنحت أقداحي وعندني أم الفضل إذ الفاسق أبو لهب يجزر رجله أراه، قال: حتى جلس عند طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهري فقال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث. فقال أبو لهب: هلم إلي يا ابن أخي فجاء أبو سفيان حتى جلس عنده فجاء الناس فقاموا عليهما فقال: يا ابن أخي كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شيء والله ما هو إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شأؤوا، ويأسروننا كيف شأؤوا وأيم الله لِمَ لَمَّتْ الناس قال: ولم؟ فقال: رأيت رجلا

(١) المعجم الكبير/ سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم- الموصل، ط/٢، ١٤٠٤هـ= ١٩٨٣م: ٦١/٥.

بيضا على خيل بلق لا والله ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء قال : فرفعت طنب الحجرة فقلت : تلك والله الملائكة فرجع أبو لهب يده فلطم وجهي وثاورته فاحتملني فضرب بي الأرض حتى نزل عليّ، فقامت أم الفضل فاحتجرت فأخذت عمودا من عمد الحجرة فضربت به ففلقت في رأسه شجة منكرة وقالت : أي عدو الله استضعفته أن رأيت سيده غائبا عنه فقام ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى ضربه الله بالعدسة فقتلته فلقد تركه ابنه ليلتين أو ثلاثة ما يدفناه حتى أنتن فقال رجل من قريش لابنيه : ألا تستحيان ؟ إن أباكما قد أنتن في بيته فقالا : إنا نخشى هذه القرحة وكانت قريش يتقون العدسة كما يتقى الطاعون فقال رجل : انطلقا فأنا معكما قال : فوالله ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ثم احتملوه فخذفوه في أعلى مكة إلى جدار وقذفوا عليه بالحجارة^(١).

فإن أبا لهب حين آذى رسول الله ﷺ وحاربه واستهزأ به بين الناس وضربه بالحجارة، كان جزاءه العذاب في الدنيا بمرض العدسة، وخبر خسارة المشركين في بدر، ونتين ريحه قبل موته وبعده، وعدم تغسيله كعادة الناس في التغسيل، ولا دفنه كما يدفن الناس، إذ دفن رميا بالحجارة حتى أقبرته كما كان يرمي النبي ﷺ بالحجارة في أسواق مكة .

• ثانيا: النفر الخمسة :

كان هناك خمسة نفر من المستهزئين ذوي شرف عند قومهم يؤذون رسول الله ﷺ، ولم ينفكوا عن ذلك حتى دعا عليهم رسول الله ﷺ لما كان يبلغه من أذاهم واستهزائهم، وهم كما ذكرهم عروة بن الزبير وسعيد بن جبير^(٢):

من بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الأسود بن المطلب أبو زمعة- وكان رسول الله ﷺ فيما بلغني قد دعا عليه؛ لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه، فقال: ((اللهم أعم بصره، وأثكله ولده)).

من بني زهرة: الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة .

(١) المعجم الكبير/ للطبراني/ ١/ ٣٠٨ .

(٢) ينظر: جامع البيان: ١٤٦-١٤٩، والمحرر الوجيز: ٣/ ٣٧٥-٣٧٦ .

من بني مخزوم: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

من بني سهم: العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم.

من خزاعة: الحارث بن الطلائع بن عمرو بن الحارث بن عبد بن عمرو بن ملكان .

وهؤلاء حين كثر استهزاؤهم برسول الله ﷺ وتمادوا أنزل الله تعالى: ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١﴾، وقد روى الطبري (ت/ ٣١٠هـ) بسنده عن عروة بن الزبير قوله: ((إن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهم يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله ﷺ الى جنبه، فمر به الأسود بن المطلب، فرمى في وجهه ورقة خضراء فعمي، ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار الى بطنه فاستسقى بطنه، فمات منه حينا، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار الى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنين، وهو يجرب سبله - يعني إزاره- وذلك أنه مر برجل من خزاعة يريش نبلا له، فتعلق سهم من نبله بإزاره، فخدش رجله ذلك الخدش، وليس بشيء فانتقض به فقتله. ومر به العاص بن وائل السهمي فأشار الى أحمص رجله، فخرج على حمار له يريد الطائف، فربض على شبرقة فدخل في أحمص رجله منها شوكة فقتلته- قال أبو جعفر: الشبرقة : المعروف بالحسك. منه حينا، والحين: الماء الأصفر- ومر به الحارث بن الطلائع، فأشار إلى رأسه فامتخط قيحا فقتله)) (٢).

وتفيد هذه الرواية أن المستهزئين إذا نالتهم يد العذاب الإلهية، لا يقال بأنها أشياء جاءت لمحض الصدفة كما يسميها البعض، أو أن ما وقع بهم هو أمر طبيعي، فما حدث في الولايات المتحدة من الإعصار المسمى بـ (إعصار ساندي) بعد عرض الفلم المسيء لشخص النبي ﷺ، لم يكن أمرا عرضيا، وإنما غضب رباني على ما فعلوه، وقد خلف إعصار ساندي وراءه ما خلف، إذ بلغت سرعة الرياح المعذبة (١٣٠) كيلو متر في الساعة، تصاحبها أمطار غزيرة، وتحولت أغلب الشوارع إلى أنهار، واندلعت سلسلة حرائق

(١) سورة الحجر/ الآيات: ٩٤ - ٩٥ .

(٢) جامع البيان: ١٤٦/١٤ - ١٤٧ .

بحي (كوينز) أحد الأحياء الرئيسية في مدينة نيويورك، مما تسبب بانهيار ما يقرب من خمسين منزلاً بالكامل، وانقطع التيار الكهربائي عن (٨٠٠٠٠٠٠) ملايين منزل، وأجلى من السواحل الشرقية (٣٥٠٠٠٠) ألف شخص، ومات (١٤٠) آخرون، ولثلاثة أيام انقطعت جميع الاتصالات بما فيها النقل الجوي والبري والبحري وامترو الأنفاق، علماً أن الفلم المسمى عرض تقريبا في (١٢ / ٩ / ٢٠١٢م)، ثم بدأ غضب المسلمين يجتاح مدن العالم، ثم ظهر الإعصار إلى الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ (٢٩ / ١٠ / ٢٠١٢م)^(١).

• ثالثاً: رأس النفاق في المدينة (عبدالله بن أبي سلول):

فضح الله تعالى المنافين لرسوله ﷺ، وأنزل فيهم سورة تبين مثالهم وتنبئ رسوله عليه الصلاة والسلام بما يضمنون له، وما يستهزءون به من أقوال وما يمكرون به من أفعال، ورأس النفاق في المدينة هو ابن سلول، ومن أقواله في حق رسول الله ﷺ حاشاه: ((فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سَمَّنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ. أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزَّ منها الأذل))^(٢)؛ وقد أخبر الصحابي الجليل زيد بن أرقم رضي الله عنه النبي ﷺ بما قال ابن سلول، فجاء ابن سلول وحلف لرسول الله ﷺ بعدم صدور مثل هذا الكلام منه، فأنزل الله تعالى مصداقاً لزيد قوله: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْمُنَافِقِينَ أَلْأَعَزُّ مِمَّنْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، ففضحه الله بهذه الآية وذكر نفاقه وأذله، فلم يلبث أن أصابه المرض بعد مقولته هذه حتى مات^(٤).

(١) ينظر: موقع أخبار مكتوب، وموقع الاهرام (حول/ الفلم المسمى) نقلا عن مراكز الدراسات الأمريكية .

(٢) جامع البيان : ٦٦٤ / ٢٢ .

(٣) سورة المنافقون/ الآية: ٨ .

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٠٥ / ٢٠، تفسير المراغي: ١١١ / ٢٨ - ١١٢ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وأتم الصلاة وأشرف التسليم على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.
وبعد:

ففي نهاية بحثي أود أن أسجل أبرز النتائج التي توصلت إليها:

أن القرآن الكريم فيه كفاية للدفاع عن النبي ﷺ ورسالته التي أرسله الله بها، كما اتضحت مكانته وخلقه وإصراره على المضي في الدعوة، حتى أتاه نصر الله. يجب على صاحب الدعوة من المسلمين أن يكون قدوة لغيره في تحمل افتراءات المستهزئين، والمضي في الدعوة ليرضي رب العالمين، فإنها سنة من كان قبله من الأنبياء والمرسلين والدعاة والمصلحين .

الحذر من الاستهزاء بأي شيء من الدين، وعدم مجالسة المستهزئين، خشية أن تكون ساعة الإذن بوقوع العذاب على المستهزئين، وخشية أن يكون منهم ويحشر معهم . الإحساس بما كان يشعر به رسول الله ﷺ، فالآيات توضح الضيق الذي شعر به، والخوف الذي مر به، والحياة المريرة التي قاساها بين هؤلاء المستهزئين من قومه الذي حاربوه، واليهود والنصارى والمنافقين، فكلهم أعداؤه إلا رب العالمين ومن معه من المسلمين، فهذا البحث يصور لنا جانبا من حياته ﷺ .

الندب إلى قراءة هذا البحث لمن يريد الدفاع عن النبي عليه الصلاة والسلام، فإنه خير ما توصلت إليه؛ لاعتماده في الغالب على نصوص القرآن المتعلقة بهذا المجال، والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين .

كفاية القرآن في الرد على من استهزأ بالنبي ﷺ العدنان

المصادر

- القرآن الكريم.

أسباب النزول/علي بن أحمد بن محمد بن علي، أبو الحسن الواحدي، (ت/ ٤٦٨هـ)، دار الباز للنشر والتوزيع- مكة المكرمة، ١٣٨٨هـ = ١٩٨٦م .

البحر المحيط/ لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الاندلسي، (ت/ ٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد، والشيخ علي محمد، وغيرهم، تقريظ: د. عبدالحى الفرماوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.

البداية والنهاية/ اسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء القرشي، (ت/ ٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف بيروت.

التحرير والتنوير/ سماحة الاستاذ محمد بن الطاهر بن عاشور، الدار التونسية - تونس، ١٩٨٤م.

تهذيب اللغة/ محمد بن أحمد، أبو منصور الأزهرى، (ت/ ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/١، ٢٠٠١م .

التعبير القرآني/ د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار- عمان، ط/٥، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م. تفسير القرآن العزيز/ محمد بن عبد الله، أبو عبد الله بن أبي زمنين، (٣٢٤ - ٣٩٩هـ)، تحقيق: حسين بن عكاشة، ومحمد مصطفى الكنز، مطبعة الفاروق - القاهرة، ط/١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

تفسير القرآن العظيم/ للإمام الحافظ اسماعيل بن كثير، أبي الفداء دمشقي، (ت/ ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، ونخبة من الباحثين، مؤسسة - مصر، ط/١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

التفسير المظهرى/ للقاضي محمد ثناء الله العثماني الحنفي المظهرى النقشبندى،

كفاية القرآن في الرد على من استهزأ بالنبي ﷺ العدنان

(١١٢٥هـ)، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/١، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

تفسير المراغي/أحمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، ط/١، ١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر- القاهرة، ط/١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م. الجامع الصحيح المختصر/ محمد بن إسماعيل الجعفي، أبو عبدالله البخاري، تحقيق وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان/ محمد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبدالله القرطبي، (ت/ ٦٧١هـ)، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، شارك في تحقيق هذا الجزء: محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/١، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

حاشية شيخ زاده على أنوار التنزيل للبيضاوي/ محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي، محي الدين الحنفي، المعروف بشيخ زاده، المدرس الرومي، (ت/ ٩٥١هـ)، مكتبة الحقيقة- استانبول، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن/ للعلامة محمد أمين بن عبدالله الأرمي العلوي الهري الشافعي، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي، دار طوق النجاة - بيروت، ط/١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية/ سليمان فياض، دار الميرخ- الرياض، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ لعلامة العراق ومفتي بغداد أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، (ت/ ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

زاد المسير في علم التفسير / جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج الجوزي القرشي البغدادي، (٥٠٨ - ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط/٣، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

الفروق اللغوية/ للإمام الأديب اللغوي أبي الهلال العسكري، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة- القاهرة .

في ظلال القرآن/ سيد قطب، دار الشروق، القاهرة- بيروت، ط/٣٤، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م. كتاب فيه منازل الائمة الاربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد/ للشيخ القاضي يحيى بن ابراهيم بن أحمد، الفقيه أبو زكريا السلماسي، (ت/ ٥٥٠هـ)، ضبط النص وعلق عليه: أبو يحيى عبدالله الكندري، دار ابن حزم- بيروت، ط/١، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ للعلامة جار الله محمود بن عمر، أبي القاسم الزمخشري، (٤٦٧ - ٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد، والشيخ علي محمد، وشارك في تحقيقه: د. فتحي عبدالرحمن، مكتبة العبيكان- الرياض، ط/١، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

اللباب في علوم الكتاب/ عمر بن علي بن عادل، أبو حفص الدمشقي الحنبلي، (ت/ ٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وآخرين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/١، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

لسان العرب/ محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الافريقي، (ت/ ٧١١هـ)، تحقيق: عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف - القاهرة.

مجموعة رسائل ابن عابدين/ للعلامة المحقق المدقق السيد محمد أمين أفندي، الشهير بابن عابدين، (كتاب تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الانام أو أحد أصحابه الكرام)، عالم الكتب- بيروت.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ للقاضي عبدالحق بن غالب بن عطية، أبو

- محمد الأندلسي، (ت/ ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.
- المحيط في اللغة/ إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس، أبو القاسم الطالقاني، (٣٢٦-٣٨٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت، ط/١، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.
- المسند/ للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط/٢، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.
- معاني القرآن/ سعيد بن مسعدة، أبو الحسن الأخفش الأوسط، (ت/ ٢١٥هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط/١، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م : ١/ ٢٥٩.
- معاني القرآن/ يحيى بن زياد، أبو زكريا الفراء، (ت/ ٢٠٧هـ)، عالم الكتب- بيروت، ط/٣، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- المعجم الكبير/ سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم- الموصل، ط/٢، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م.
- المعجم المفصل في علم الصرف/ راجي الأسمر، مراجعة: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.
- مفاتيح الغيب/ فخر الدين محمد بن العلامة ضياء الدين عمر الرازي، الشهير بخطيب الري، (٥٤٤-٦٠٤هـ)، دار الفكر - بيروت، ط/١، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.
- المفردات في غريب القرآن/ للحسين بن محمد، أبي القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى .
- مقاييس اللغة/ الحسين بن أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين، (ت/ ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ برهان الدين إبراهيم بن عمر، أبو الحسن البقاعي، (ت/ ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة .

* مواقع الأنترنت:

- موقع أخبار مكتوب/ (البحث حول الفلم المسيء).
- موقع الأهرام/ (البحث حول الفلم المسيء).

* * *

ثقافة الحوار الهادئ محاوره
النبي ﷺ لأهل الكتاب أنموذجاً

المدرس المساعد

علي محمد صالح

كلية الإمام الأعظم «رحمه الله» الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أمر أنبيائه ان يحاوروا الناس بالحكمة والموعظة الحسنى، وأن يختاروا من الاساليب ما هو الين وأسمى، ونهاهم عن الحوار بالطرق والاساليب العرجاء، التي تهدف الى حصول التصادم، والوصول الى التخاصم فقال تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿ فَقُولْ لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾^(٢) والصلاة على نبينا محمد الذي حاور الامم بأسهل

الطرق وأرفقها فطبق مراد الله تعالى حتى وصل الى درجات الكمال؛ فكان رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وبعد: فثقافة الحوار واختيار الاساليب الايجابية؛ التي دعى الشارع الحنيف اليها، وقصدها؛ أمر من الاهمية بمكان لكل مسلم، وللشخصية المحاوره بالدرجة الاولى؛ وذلك لكثرة الصراعات، ووقوع الخلافات، في داخل الامة الاسلامية، وكذلك اليوم نسمع صيحات وصرخات من خارج الامة الاسلامية ترمي الى الطعن بالإسلام، والشتم برموزها حتى وصل الامر الى قصد نبينا ﷺ، الذي حياته تعتبر لدى المسلمين المصدر الثاني لدينهم الذي يعتقدونه.

وهذه المظاهر للعنف كما يصورها وقتنا الحاضر؛ لا يمكن معالجتها والدخول من أجل استصلاحها، وجعلها قاعدة للصالح ومنبعا للوحدة والالتئام الا بالتمسك بثقافة الحوار الهادئ الذي رسمه لنا القران الكريم وحثنا الى التحلي به النبي ﷺ؛ ذلك المنهج

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) طه: ٤٤.

المتماسك، الداعي الى سبيل الرشاد، والهادي الى الوحدة ونبذ العنف، وما نمربه اليوم من حدوث للصراعات بين أهل الأديان السماوية من جهة، وأهل الدين الإسلامي من جهة أخرى من أهم العوامل المؤثرة فيه هو غياب الحوار وعدم تطبيق الحوار بأصوله القويمة فأثرت الكتابة في هذا الموضوع بعنوان (ثقافة الحوار الهادئ لمحاورة النبي ﷺ لأهل الكتاب انموذجاً) لما رأيت ما له من حاجة ماسة؛ وذلك لكثرة الصراعات في واقعنا المرير؛ التي تتطلب الى اتخاذ أقرب وادق الطرق في معالجتها، واختيار اسهل والين اساليبها، ومما لاشك فيه أن على رأسها الحوار البناء الذي يهدف للإصلاح والتعايش على أساس المودة والرحمة.

واخترت محاورة النبي ﷺ لأهل الكتاب لما رأيت ما فيها من الأسس الرصينة للمنهج القويم للتداول مع أهل الأديان المختلفة، ومع أفراد الأمة الإسلامية ولما لها منه الأثر الحقيقي في نبذ العنف وترك التخاصم، والدوافع القوية للتعايش ضمن إطار الأصول المشتركة التي يجتمع تحتها أبنا الأديان المختلفة فضلا عن أبنا الدين الواحد. واقتضت طبيعة الدراسة في الموضوع أن يقسم الى مقدمة ومبحثين وخاتمة في أهم النتائج المتوصل اليها بعد البحث :

تناولت في المبحث الأول: مفهوم الحوار والثقافة في اللغة والاصطلاح، ثم بينت أهمية التحوار بطريقة الهدوء وما له من الأثر الواضح في نبذ العنف . والمبحث الثاني: كان عنوانه المنهج والتطبيق لمحاورة النبي ﷺ لأهل الكتاب من خلال القرآن والسنة.

ذكرت في المطلب الأول: المنهج القرآني لمحاورة النبي ﷺ لأهل الكتاب ذاكرا ابرز الأصول التي رسمها القرآن الكريم ودعى النبي ﷺ والأمة من بعده للأخذ بها كالقول الحسن والمحاورة على أساس العلم وتحكيم العقل السليم وغيرها ثنايا هذا البحث. وفي المطلب الثاني: تطرقت الى التطبيق الحقيقي لمحاورة أهل الكتاب من قبل النبي ﷺ لذلك المنهج وذلك من خلال بسط الصور لدعوته ﷺ لأهل الكتاب كإرسال الوفود

ثقافة الحوار الهادئ لمحاورة النبي ﷺ لأهل الكتاب أنموذجاً

بالكتب، وجوابه على الاسئلة المراد منها أثبات نبوته ﷺ وغير ذلك كما هو مبين في صفحات ثم ختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها .
هذا فما كان فيه من خطأ فمما سولت لي نفسي وأستغفر الله تعالى عليه وما كان فيه من صواب فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وأسأله تعالى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعني عند اللقاء إنه قريب مجيب.

* * *

المبحث الاول

مفهوم محددات العنوان وبيان أهمية الحوار الهادئ

* وفيه مطلبان:

١- المطلب الاول: مفهوم الحوار والثقافة

• مفهوم الحوار

الحوار في أصل اللغة مأخوذ من الحور، وقد دلت هذه اللفظة على أكثر من معنى قال ابن فارس (رحمه الله): ((الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دَوْرًا؛ فأما الأول: فالحوَرُ شدةُ بياض العين في شدة سوادها... ويقال لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريون؛ لأنهم كانوا يحورون الثياب، أي يبيضونها. هذا هو الأصل، ثم قيل لكل ناصر حواري. قال رسول الله ﷺ: "الزبير ابن عمّتي وحواري من أمّتي" ... وأما الثاني: الرجوع، فيقال حار، إذا رجع. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ يُظَنُّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾^(١) والعرب تقول: «الباطل في حور» أي رجع ونقص، ... والأصل الثالث المحور: الخشبة التي تدور فيها المحالة، ويقال حوّرت الخُبْرة تحويراً، إذا هيأتها وأدّرتّها لتضعها في الملة. ومما شدّد عن الباب حُور الناقة، وهو ولدّها))^(٢).

وبعد هذا البيان للمعاني المأخوذة من لفظ الحور؛ يتبين أن الحوار مبني على المعنى الثاني وهو الرجوع يقول ابن منظور (رحمه الله): ((الحَوْر: هو الرجوع عن الشيء إلى الشيء.. والمحاورة: المجاورة، والتحاور التجاوب، والمحاورة: مراجعة

(١) الانشقاق: ١٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٩٥/٥-٩٧، بتصرف يسير.

المنطق، والكلام في المخاطبة^(١)، وقال الراغب الأصفهاني (رحمه الله): ((المحاورة والحوار: المراد في الكلام، ومنه التحاور))^(٢).

وقد دلت الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ «الحوار» على هذا المعنى قال تعالى: ﴿لَإِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾^(٣)، قال القرطبي: ((أي لن يرجع حياً مبعوثاً.. فالحوار في كلام العرب الرجوع، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ﴾^(٤) أي: يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة: المجاوبة، والتحاوير: التجاوب))^(٥).

وجاء عن النبي ﷺ أنه كان يستعيد من: ((الحوار بعد الكور))^(٦) أي: من النقصان بعد الزيادة^(٧).

ومن خلال ما مضى يتبين أن الحوار في دلالته على الكلام مستعمل في مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين أو أكثر، وحصول التجاذب بينهما في الكلام والله اعلم.

• الحوار في الاصطلاح:

قد لا يختلف تعريف الحوار في الاصطلاح عن معناه في أصل اللغة وحاولت من خلال البحث في المعاجم الاصطلاحية مفهوم للحوار كمصطلح كما هو مشهور عند علماء العصر لذا فسأنتقل بعض التعاريف لبعض العلماء المعاصرين التي رأيت أنها تبين هذا المفهوم وما يشتمل عليه من أمور وهي:

- (١) لسان العرب، ابن منظور: ٢١٧/٤.
- (٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٢٦٢.
- (٣) الانشقاق: ١٤.
- (٤) الكهف: ٣٤.
- (٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٦ / ٤٥٥.
- (٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ٣٧٧-٣٧٦/٣٤، رقم الحديث، ٢٠٧٨١، إسناده صحيح على شرط مسلم.
- (٧) شرح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف ابن بطلان: ٣١٠/٥.

ثقافة الحوار الهادئ محاوره النبي ﷺ لأهل الكتاب أنموذجاً

الاول: ((أسلوب يجري بين طرفين، يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الآخر في منطق وفكره قاصداً بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره. الثاني: عرض لوجهتي نظر، أو هي نوع من توضيح خصائص مختلفة لأمرين))^(١). من خلال التعريفين يتبين أن مفهوم مصطلح الحوار كما هو شائع اليوم يشمل مراجعة الكلام بين الأطراف ولا ينحصر بطرف دون آخر ولا بقضية دون أخرى.

• مفهوم الثقافة :

لفظ الثقافة مأخوذ من مادة ثقف وهي أصل في معنى الحدق في الأشياء وقد تكون المحسوسة وغيرها تقول: ((ثَقِفَ الشَّيْءَ ثَقْفًا وَثِقَافًا وَثُقُوفَةً: حَدَقَهُ. وَرَجُلٌ ثَقِفٌ «٢» وَثَقِفْتُ وَثُقِفْتُ: حَازِقٌ فَهَمٌ، وَاتَّبَعُوهُ فَقَالُوا ثَقِفُوا لَقِفْ... ابْنُ السَّكَيْتِ: رَجُلٌ ثَقِفٌ لَقِفْتُ إِذَا كَانَ ضَابِطًا لِمَا يَحْوِيهِ قَائِمًا بِهِ، وَيُقَالُ: ثَقِفَ الشَّيْءَ وَهُوَ سُرْعَةُ التَّعَلُّمِ، ابْنُ دُرَيْدٍ: ثَقِفْتُ الشَّيْءَ حَدَقْتُهُ، وَثَقِفْتُهُ إِذَا ظَفَرْتَهُ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ثَقَفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهَمِّ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ﴾^(٢) وَثَقِفَ الرَّجُلُ ثِقَافَةً أَي صَارَ حَازِقًا خَفِيفًا))^(٣)، ومن هذا قيل: ((أهل الثقافة وهم أهل الحدق والبراعة))^(٤).

في الاصطلاح: لم أجد تعريفاً محدداً للثقافة كمصطلح شائع في يومنا الحاضر فيما اطلعت عليه من معاجم التعاريف الاصطلاحية وقد اطلعت في بعض المعاجم المعاصرة على عدة تعريفات ترجع في الحقيقة الى ارتباط هذا المصطلح بشتى الفنون، والعلوم فعرف بأنه:

أولاً: علوم ومعارف وفنون يدركها الفرد.

ثانياً: مجموع ما توصلت إليه أمة أو بلد في الحقول المختلفة من أدب وفكر وصناعة

(١) بحث الحوار مع الآخر: ٢.

(٢) الأنفال: ٥٧.

(٣) لسان العرب، ابن منظور: ١٩/٩، ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٣٤٣/٦.

(٤) تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه، محمد سليم النعيمي/

جمال الخياط: ٢، ١٠٢.

ثقافة الحوار الهادئ محاوره النبي ﷺ لأهل الكتاب أنموذجاً

وعلم وفن، ونحوها؛ بهدف استنارة الذهن وتهذيب الذوق وتنمية ملكة النقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع.

ثالثاً: بيئة خلفها الإنسان بما فيها من منتجات مادية وغير مادية تنتقل من جيل إلى آخر.

رابعاً: بصفة عامة، أسلوب حياة معين أو أعمال وممارسات النشاط الفكري ولاسيما النشاط الفني.^(١)

ويمكن القول أن معنى الثقافة في الاصطلاح: هو سرعة الانسان في حذق الاشياء مع سعتها وتنوعها وشمولها والله اعلم .



(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر: ٣١٨/١.

المطلب الثاني

أهمية الحوار بأسلوب هادئ

لا يمكن الاحاطة في جميع الامور الايجابية التي يكون الحوار من أهم الوسائل لتحقيقها فاليوم أصبحت الامم بأسرها على مختلف اتجاهاتها وتعدد طوائفها بحاجة ملحة الى التعامل بثقافة الحوار الهادئ الذي يمكن من خلاله أن يفهم بعضهم البعض، وأن يصلوا الى عوامل مشتركة، يتسنى لهم أن يتخذوها قواعد أصيلة يبنوا عليها الامور الفرعية التي في الحقيقة لا يمكن أن يحصل الخلاف من أجلها الحوار ركيزة أساسية في الدعوة إلى الله تعالى: «فالدعوة في الأساس حوار، والقرآن الكريم كما يقول الكثير من أهل العلم: كتاب حوار بين الحق والباطل، بين أهل الإيمان وأهل الضلال، بين الكلمة الصادقة النافعة والكلمة الخبيثة المنحرفة»...

الحوار هو السبيل الأسمى لضبط الاختلاف المذموم (اختلاف التضاد) وتفعيل قيم التعاون والتألف والتكاتف: وبدونه تدخل ساحتنا في أقوى النزاعات ودهاليز الفرقة والتفتت. والقمع والقهر لا ينهي فرقة وتجزئة وإنما يزيدا تأججاً واشتمالاً، والبديل المتوفر عن الحوار هو الحروب الأهلية وعمليات الإقصاء والتهميش والتمييز والتعصب الأعمى... الحوار ضروري لاكتساب العلم وتلقي المعرفة: وهو السبيل الوحيد لذلك في رحلة عمر الإنسان، إذ بدونه لا يمكن أن تنتقل الخبرات من جيل إلى جيل ومن أمة إلى أمة الحوار أداة للتفاهم مع الآخرين: ذلك أن الحوار يهدف إلى شرح وجهة نظر وتبيان المعطيات التي تقوم عليها، وفي الوقت نفسه الانفتاح على الآخر، لفهم وجهة نظره ثم للتفاهم معه^(١).

(١) ينظر: الحوار مع الآخر: ٧٦.

وقد نظر الاسلام لهذا الامر، واعتنى به اعتناء شديدا؛ فلم ينظر الى الطرف الخصم الذي يقع التحاور معه، بقيمة نظره الى أهمية اختيار الاسلوب الهادئ، الذي تنبعث من خلاله، دواعي الاطمئنان، والاسترخاء لدى المقابل، والتي هي في الحقيقة دافعا قويا لاستجابته، واعترافه بالحق، الذي سطع البرهان به.

فعلى سبيل الايضاح لا الحصر أن فرعون قد طغى في الارض واستكبر فيها كما قال تعالى ﴿ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾^(٢) غلى الرغم من حقيقة طغيانه إلا أن الله تعالى أمر موسى وهارون أن يخاطباه بأسلوب اللين، والهدوء بعيدا عن الشدة والعصبية فقال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾^(٣)

يقول سيد قطب (رحمه الله): ((فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان، اذها إلى غير يائسين من هدايته، راجيين أن يتذكر ويخشى. فالداعية الذي يئس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار، وإن الله ليعلم ما يكون من فرعون. ولكن الأخذ بالأسباب في الدعوات وغيرها لا بد منه. والله يحاسب الناس على ما يقع منهم بعد أن يقع في عالمهم. وهو عالم بأنه سيكون. فعلمه تعالى بمستقبل الحوادث كعلمه بالحاضر منها والماضي في درجة سواء))^(٤).

وهذا الحوار بهذا الاسلوب هو شأن الانبياء جميعا؛ فلوا تتبعنا الخطاب القرآني لمحاورة جميع الانبياء لأقوامهم سنلمس اسلوب اللين، والعطف، وترك الشدة، وجميع الصفات الدالة على الحرص الشديد لاستجابة كل قوم من تلك الاقوام، لدعوة ذلك الرسول الذي

(١) طه: ٤٣.

(٢) يونس: ٨٣.

(٣) سبق تخريجها ص ٩.

(٤) في ظلال القرآن الكريم، سيد قطب: ٤ / ٢٣٣٦.

بعث اليهم، ﴿فأمره تعالى بليين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون في قوله: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾ [طه: ٤٤] (١).

وقد تجلت الدعوة الالهية لاختيار اسلوب اللين والحوار بالحسنى بوضوح لا لبس فيه؛ فقال سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه ﷺ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٣).

((وسبيل الله هو الإسلام بالحكمة أي: بالمقالة المحكمة الصحيحة، قيل: وهي الحجج القطعية المفيدة لليقين والموعظة الحسنة وهي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها. قيل: وهي الحجج الظنية الإفناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة)) (٤).

والتوجيه لاعتماد هذا الاسلوب في المحاوره ودعوة الخصم الى الحق هو شامل، لكل الاصناف على اختلاف معتقداتهم، التي يحصل الحوار معهم، وهو خطاب أولا للنبي ﷺ ولكل داع ومحاور؛ من أجل إظهار الحق، يدعو الى ((الدعوة بالحكمة، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها. والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنوع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها. فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه، وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتعمق المشاعر بلطف، لا

(١) تفسير ابن كثير، ابن كثير الدمشقي: ٤/٥٢٦.

(٢) سبق تخريجها ص ١.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) فتح القدير، الشوكاني: ٣/٢٤٢.

بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية. فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ^(١).

ودعوة الآخر إذا كان من أهل الأديان الأخرى غير الإسلام، فإن الأمر ادعى للتداول معه بأسلوب اللين، والموعظة بالطريقة الحسنی وهذا ما قرره القرآن الكريم فعند دعوته لمحاورة أهل الكتاب، ورسم ذلك المنهج القويم في التحوار مع الآخر؛ نجد أن من أبرز أسس ذلك المنهج هو المحاوراة بالطريق الحسنی، قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

بل التشديد بعدم الخروج عن هذا الأسلوب وخاصة مع محاورة أهل الكتاب الذين ظلموا ولم يريدوا الاعتراف بالحق بعد ظهوره بثبوت البراهين التي لا تقبل الشك بقطعيتها فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

وقد اقتضت طبع الموضوع أن نفرّد مطلباً خاصاً بمنهجية القرآن الكريم، لمحاورة أهل الكتاب فتناول البحث أهم الأسس لذلك المنهج ثم تناول كيفية تطبيق النبي ﷺ لذلك المنهج، في دعوته لأهل الكتاب.

* * *

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب: ٢٢٠٢/٤.

(٢) آل عمران: ٦٤.

(٣) العنكبوت: ٤٦.

المبحث الثاني

المنهج والتطبيق لمحاورة النبي ﷺ لأهل الكتاب من خلال القرآن والسنة

• وفيه مطلبان:

المطلب الاول

منهج القرآن الكريم في محاورة النبي ﷺ لأهل الكتاب

إن ثقافة الحوار الموصل الى الاهداف تدعوا الى وضع منهجية قوية يمكن من خلالها الوصول الى عوامل مشتركة بين المتحاورين، وتكون كافية في الاحاطة في جميع الامور التي يراد التفاوض بها؛ وهذا أمر بديهي حتى في الامور الجزئية فضلا عن الامور والقضايا الكلية؛ وعندما نتدبر في الآيات القرآنية التي نصت على محاورة أهل الكتاب نلمس بقوة؛ أن القرآن الكريم قد رسم للنبي ﷺ وللأمة من بعده منهجاً مستقيماً في الحوار مبنياً على الاسس المتينة التي يتوصل من خلالها الى إقامة الحجة، واثبات الحق الذي ينبغي أن يكون مقصداً، وهدفاً لكل متحاور ويمكن أن نبين أهم الخطوات لهذا المنهج:

• الدعوة بأسلوب الوحدة ونبذ التفرقة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا

ثقافة الحوار الهادئ محاورة النبي ﷺ لأهل الكتاب أنموذجاً

أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١﴾ يعني بذلك جل ثناؤه: ((قل"، يا محمد، لأهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل "تعالوا" هلموا إلى كلمة سواء"، يعني: إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، والكلمة العدل، هي أن نوحّد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به شيئاً))^(١) وقريب من هذه الآية قوله تعالى ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾^(٢) ((فكان أهل الكتاب، يزعمون أنهم أولى بالله من المسلمين، وهذا مجرد دعوى، تفتقر إلى برهان ودليل. فإذا كان رب الجميع واحداً، ليس ربا لكم دوننا، وكل منا ومنكم له عمله، فاستويننا نحن وإياكم بذلك. فهذا لا يوجب أن يكون أحد الفريقين أولى بالله من غيره؛ لأن التفريق مع الاشتراك في الشيء، من غير فرق مؤثر، دعوى باطلة، وتفریق بين متماثلين، ومكابرة ظاهرة))^(٤).

وخلاصة المعنى- أنا وأنتم نعتقد أن العالم من صنع إله واحد هو خالقه والمدير له، وهو الذي يرسل إلينا أنبياءه ليبلغونا عنه ما يرضيه من العمل وما لا يرضيه فهلّم بنا نتفق على إقامة هذه الأصول، ونرفض الشبهات التي تعرض لها، فإذا جاءكم عن المسيح شيء فيه (ابن لله) أوّلناه على وجه لا يخالف الأصل الذي اتفق عليه الأنبياء، لأننا لا نجد المسيح فسر هذا القول بأنه إله يعبد، ولا دعا إلى عبادته وعبادة أمه، بل كان يدعو إلى عبادة الله وحده والإخلاص له^(٥).

هذه الآية الكريمة تعتبر القاعدة الأساسية التي تنطلق منها الأمور الفرعية التي تصب في إطار الحوار مع أهل الكتاب ونلاحظ في قوله تعالى «سواء بيننا وبينكم» أن التعبير في غاية الدقة بما يحمل من معان تدل على أن التحوار بأسلوب الوحدة، وأشعار المقابل

(١) سبق تخريجها ص ١١.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري: ٤٨٣/٦.

(٣) البقرة: ١٣٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ٦٩/١.

(٥) ينظر: تفسير المراغي، احمد مصطفى المراغي: ١٧٧/٣.

بما له من عناية واهتمام لدى المحاور هو الأسلوب الصحيح الذي يمكن من خلاله اقناع المقابل بأثبات الحق له قال الامام الرازي رحمه الله: ((وَأَعْلَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أُوْرِدَ عَلَى نَصَارَى نَجْرَانَ أَنْوَاعَ الدَّلَائِلِ وَأَنْقَطَعُوا، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ فَخَافُوا وَمَا شَرَعُوا فِيهَا وَقَبِلُوا الصَّغَارَ بِأَدَاءِ الْجَزِيَّةِ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَرِيصًا عَلَى إِيْمَانِهِمْ، فَكَانَهُ تَعَالَى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَتُرِكَ ذَلِكَ الْمُنْهَجَ مِنَ الْكَلَامِ وَأَعْدِلُ إِلَى مَنْهَجٍ آخَرَ يَشْهَدُ كُلُّ عَقْلٍ سَلِيمٍ وَطَبْعٍ مُسْتَقِيمٍ أَنَّهُ كَلَامٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِنْصَافِ وَتَرَكَ الْجِدَالَ، وَقُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَيْ هَلْمُوا إِلَى كَلِمَةٍ فِيهَا إِنْصَافٌ مِنْ بَعْضِنَا لِبَعْضٍ، وَلَا مَيْلَ فِيهِ لِأَحَدٍ عَلَى صَاحِبِهِ، وَهِيَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْعًا))^(١)

• الحوار بطريق العقل واقامة الحججة بالعلم والحكمة

بين القران الكريم أن المحاور لا بد أن تكون بعلم حقيقي في الامور التي يراد التحاور بها وكذلك الاقناع بطريق العقل من خلال إقامة البراهين التي تفضي بأن يسلم لها العقل السليم وذلك عندما عاب على أهل الكتاب محاورتهم في نبي الله ابراهيم عليه السلام هل هو يهودي أم نصراني قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢) ثم قال: ﴿هَاتِنْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

ورد عن ابن عباس رضي الله عنه في سبب نزول الآية قال: (اجْتَمَعَتْ نَصَارَى نَجْرَانَ وَأَحْبَارُ يَهُودَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَنَازَعُوا عِنْدَهُ، فَقَالَتِ الْأَحْبَارُ: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا يَهُودِيًّا، وَقَالَتِ النَّصَارَى مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا نَصْرَانِيًّا)^(٤).

(١) التفسير الكبير، الرازي: ٢٥١/٨.

(٢) آل عمران: ٦٥

(٣) آل عمران: ٦٦.

(٤) الدر المنثور، السيوطي: ٢٣٩/٢.

قال ابن كثير (رحمه الله): ((هَذَا إِنْكَارٌ عَلَى مَنْ يُحَاجُّ فِيمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، فَإِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى تَحَاجُّوا فِي إِبْرَاهِيمَ بِلَا عِلْمٍ، وَلَوْ تَحَاجُّوا فِيمَا بَأْيَدِيهِمْ مِنْهُ عِلْمٌ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِأَدْيَانِهِمُ الَّتِي شُرِعَتْ لَهُمْ إِلَى حِينِ بَعْتِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ لَكَانَ أَوْلَى بِهِمْ، وَإِنَّمَا تَكَلَّمُوا فِيمَا لَمْ يَعْلَمُوا بِهِ، فَانْكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَأَمَرَهُمْ بِرَدِّ مَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، الَّذِي يَعْلَمُ الْأُمُورَ عَلَى حَقَائِقِهَا وَجَلِيَّاتِهَا، وَلِهَذَا قَالَ: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}} (١).

• المحاوراة بالقول الحسن

محاورة الخصم بأسلوب الليونة والملاطفة واختيار الالفاظ الحسنة واطهار النوايا السليمة؛ كل هذه المعاني تجعل المقابل يتراجع ويفضي الى الحق ويسلم الى البرهان ويصغي الى الحجة وقد نهى القران الكريم عن محاورة اهل الكتاب الا بالطريقة الحسنى الا الذين ظلموا منهم فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٢).

((فَجَاءُوا بِكُلِّ حَسَنِ إِلَّا الْإِعْتِرَافَ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَحَدُوا وَآمَنُوا بِإِنزَالِ الْكِتَابِ وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَالْحَشْرِ، فَلِمُقَابَلَةِ إِحْسَانِهِمْ يُجَادِلُونَ أَوَّلًا بِالْأَحْسَنِ وَلَا تَسْتَخْفِ آرَائِهِمْ وَلَا يَنْسَبُ الضَّلَالَ لِبَائِهِمْ، بِخِلَافِ الْمُشْرِكِ، ثُمَّ عَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ: إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا تَبَيَّنَ لَهُ حُسْنٌ آخَرٌ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ إِلَّا الَّذِينَ أَشْرَكُوا مِنْهُمْ بِإِثْبَاتِ الْوَلَدِ لِلَّهِ وَالْقَوْلِ بِثَلَاثَةِ فَيَنْهَهُمْ ضَاهُوهُمْ فِي الْقَوْلِ الْمُنْكَرِ فَهُمْ الظَّالِمُونَ، لِأَنَّ الشَّرْكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ، فَيُجَادِلُونَ بِالْأَحْسَنِ مِنْ تَهْجِينِ مَقَالَتِهِمْ وَتَبَيِّنِ جَهَالَتِهِمْ)) (٣).

قال الامام النسفي (رحمه الله) في معنى القول الحسنى: ((بالخصلة التي هي أحسن للشواب وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم كما قال ادفع بالتي هي أحسن

(١) تفسير القران العظيم، ابن كثير: ٥٨/٢.

(٢) العنكبوت: ٤٦.

(٣) التفسير الكبير، الرازي: ٦٣/٢٥.

(إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) فأفراطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل إلا الذين آذوا رسول الله ﷺ أو إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة، وقوله ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ من جنس المجادلة بالأحسن، وقال عليه الصلاة والسلام: (ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلاً لم تصدقوهم وإن كان حقاً لم تكذبوهم)^(١).

فالآية الكريمة صريحة بأن التحاور مع أهل الكتاب ينبغي أن يكون بالخصلة الحسنى وَذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الدُّعَاءِ لَهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالتَّنْبِيهِ لَهُمْ عَلَى حُجَجِهِ وَبِرَاهِينِهِ رَجَاءً إِيَّابَتِّهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، لَا عَلَى طَرِيقِ الْإِعْلَاطِ وَالْمُحَاشَنَةِ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ بِأَنْ أَفْرَطُوا فِي الْمُجَادَلَةِ، وَلَمْ يَتَأَدَّبُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا بَأْسَ بِالْإِعْلَاطِ عَلَيْهِمْ، وَالتَّخْشِينِ فِي مُجَادَلَتِهِمْ^(٢) ولعل هذا الحرص من الشارع الحنيف بعدم وقوع الحوار والمجادلة مع أهل الكتاب إلا بالحسنى لكونه أولاً: دين شامل وجامع لجميع الأديان.

ثانياً: أن الشارع كان حريصاً على استجابة أهل الكتاب ودخولهم في دين الإسلام وذلك مبرهن من خلال أحكامه وتعاليمه من أهم ذلك التوجه في الصلاة إلى بيت المقدس قبله اليهود حيث مجيء الإسلام.

ثالثاً: أن من أهل الكتاب النصارى أصحاب عيسى عليه السلام وهم أقرب الناس مودة وقرباً للإسلام والمسلمين قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤﴾

(١) مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل: ٤٦٠/٢٨، رقم الحديث: ١٧٢٢٥.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي: ٦٨٠/٢.

(٣) ينظر: فتح القدير، الشوكاني: ٢٣٧/٤.

(٤) المائدة: ٨٢.

فهذه الجوانب وغيرها دعت الى التعامل مع أهل الكتاب بالحسنى، ونبذ المحاوره بأسلوب الشدة، الا الفئة المعاندة التي اتخذت الباطل مركبا لها.

• اختيار اسلوب الترغيب

اسلوب الترغيب واطهار المزاي، والصفات؛ التي تشتمل عليها القضية التي من اجلها يخوض المحاور في حوار مع الخصم؛ هو من أهم الاساليب المقنعة؛ التي تدع المقابل يسلم للحجة، وقد جاء القران الكريم بهذا الاسلوب في حديثه عن محاوره اكثر الانبياء لأقوامهم وقد يطيل الحديث بذكر تلك الآيات ومن بين تلك الاقوام محاوره أهل الكتاب فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي لِأَجْلِهِ حَصَلَتْ صِفَةُ الْخَيْرِيَّةِ لِأَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَحَصَلَتْ هَذِهِ الْخَيْرِيَّةُ أَيْضًا لَهُمْ، فَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ تَرْغِيبُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي هَذَا الدِّينِ، كما أننا نجد أن أهل الكتاب إنما آثروا دينهم على دين الإسلام حباً للرياسة واستتباع العلوم ولو آمنوا لحصلت لهم هذه الرياسة في الدنيا مع الثواب العظيم في الآخرة، فكان ذلك خيراً لهم مما قنعوا به^(٢) وفي معنى هذه الآيات جاء قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

((فسبحانه وتعالى بهذه الآية يقدم الفرصة لهؤلاء الناس حتى يدخلوا إلى حظيرة الإيمان ويستغفروا الله عن خطاياهم الماضية وليبدأوا حياة جيدة على نقاء وصفاء بدلاً من التحريف والتضليل. وليعرفوا معرفة حقة قوله تعالى في رسوله: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) التفسير الكبير، الرازي: ٣٣٤/٨.

(٣) المائدة: ٦٦.

إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»^(١).

يقول سيد قطب (رحمه الله) في معرضه عند تفسير الآية الكريمة: ((وهو ترغيب لأهل الكتاب في الإيمان، فهو خير لهم، خير لهم في هذه الدنيا، يستعصمون به من الفرقة والهليلة التي كانوا عليها في تصوراتهم الاعتقادية، والتي ما تزال تحرمهم تجمع الشخصية؛ إذ تعجز هذه التصورات عن أن تكون قاعدة للنظام الاجتماعي لحياتهم، فتقوم أنظمتهم الاجتماعية- من ثم- على غير أساس، عرجاء أو معلقة في الهواء ككل نظام اجتماعي لا يقوم على أساس اعتقادي شامل، وعلى تفسير كامل للوجود، ولغاية الوجود الإنساني، ومقام الإنسان في هذا الكون.. وخير لهم في الآخرة يقيهم ما ينتظر غير المؤمنين من مصير، ثم هو بيان كذلك لحالهم، لا يبخس الصالحين منهم حقهم: «مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ»، وقد آمن من أهل الكتاب جماعة وحسن إسلامهم. منهم عبد الله بن سلام، وأسد بن عبيد، وثعلبة بن شعبة، وكعب بن مالك (رضي الله عنهم))^(٢).

• الحوار بأسلوب التوبيخ والتقريب

لا غرابة في أن يسلك المحاور أسلوب التوبيخ ومجادلة الخصم بالحجج الدامغة، ومن أهمها هي التي يعترف بها في الحقيقة، أو هي من الأمور المسلم بها في معتقده؛ بل إن هذا الأسلوب قد تناوله القرآن الكريم وذلك أثناء الحوار مع أهل الكتاب ويمكن القول بأن اختيار المحاور لهذا الأسلوب لا يكون في المراحل الأولى للحوار بل لا بد من اختيار الطرق الأخرى التي تحمل طابع وصبغة الليونة واللطف، ومن ثم إذا أصر الخصم على غيه ولم يصغ للحق بعد ثبوته فلا حرج للحوار بطريق الشدة قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي: ٣٢٧٥/٦.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب: ٤٤٩/١، وينظر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد

الرحمن بن ناصر السعدي: ١٤٣/١.

ثقافة الحوار الهادئ محاوره النبي ﷺ لأهل الكتاب أنموذجاً

لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿١﴾ ﴿قُلْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَعُونَهَا عَوْجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢) ((يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ} مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، {لِمَ تَكْفُرُونَ} يَقُولُ: لِمَ تَجْحَدُونَ يَعْنِي: بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ، عَلَى أَلْسِنِ أَنْبِيَائِكُمْ مِنْ آيِهِ وَأَدَلَّتِيهِ، {وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، وَإِنَّمَا هَذَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَوْبِيخٌ لِأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ عَلَى كُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجُحُودِهِمْ نُبُوتَهُ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ فِي كُتُبِهِمْ مَعَ شَهَادَتِهِمْ أَنَّ مَا فِي كُتُبِهِمْ حَقٌّ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ (٣)

يقول الامام الرازي (رحمه الله) وَإِنَّمَا كَرَّرَ فِي الْآيَتَيْنِ قَوْلَهُ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ التَّوْبِيخُ عَلَى أَلْطَفِ الْوُجُوهِ، وَتَكَرُّرُ هَذَا الْخِطَابِ اللَّطِيفِ أَقْرَبُ إِلَى التَّلَطُّفِ فِي صَرْفِهِمْ عَن طَرِيقَتِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْإِضْلَالِ وَأَدْلُ عَلَى النُّصْحِ لَهُمْ فِي الدِّينِ وَالْإِشْفَاقِ (٤).

* * *

(١) آل عمران: ٧٠.

(٢) آل عمران: ٩٩.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري: ٤٩١/٥.

(٤) التفسير الكبير، الرازي: ٣٠٧/٨.

المطلب الثاني

تطبيق المنهج من قبل النبي ﷺ

مما هو معلوم أن خطاب الدين الاسلامي جاء شاملا لجميع الاديان؛ وهذا من أهم الخصائص التي جعلته صالحا لكل زمان ومكان قال تعالى على لسان رسوله الكريم ﷺ: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾** (١) ((فرسالته إنما هي إنسانية شاملة ليس لها طابع عنصرية أو قومية أو جماعة معينة، ولذلك اتجه ﷺ بدعوته يبلغها إلى كل حكام الأرض وملوكها، روي عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى)) (٢).

وعندما نظر الى دعوة النبي ﷺ نجدها مليئة بالمشاهد التطبيقية لدعوة أصحاب الاديان السماوية ومحاورتهم بالأسلوب اللين من أجل دخولهم في الاسلام، وقيامه ﷺ بالأساليب المشوقة ونبذه للعنف من أجل إقامة الحججة، واثبات الحق وقد حفلت السنة النبوية بصور كثيرة في حوارهِ ﷺ مع أهل الكتاب ومن أهم هذه الصور:

• أولاً: الاتفاق على العهود الضامنة للتعایش السلمي

الدين الاسلامي هو دين يقتضي أن يتعايش أفراد مع أفراد الديانات والقوميات الاخرى على أساس السلم والامان، وإعطاء كل ذي حق حقه من غير النظر الى معتقده وقوميته وهذا الامر جلياً تصوره أسس وعادات هذا الدين ومن أهم تلك المشاهد هو

(١) الأعراف: ١٥٨.

(٢) فقه السيرة، محمد الغزالي: ٢٥٤-٢٥٥، ينظر: حياة محمد ﷺ، محمد حسين هيكل: ٢٤٣.

معاهدة النبي ﷺ لليهود ((بعد أن هاجر إلى المدينة، ووثق من رسوخ قواعد المجتمع الإسلامي الجديد، بإقامة الوحدة العقائدية والسياسية والنظامية بين المسلمين، رأى أن يقوم بتنظيم علاقاته بغير المسلمين، وكان همه في ذلك هو توفير الأمن والسلام والسعادة والخير للبشرية جمعاء، مع تنظيم المنطقة في وفاق واحد، فسن في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تعهد في عالم مليء بالتعصب والتغالي... فعقد معهم رسول الله ﷺ معاهدة ترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال، ولم يتجه إلى سياسة الإبعاد أو المصادرة والخصام))^(١).

وهذه الوثيقة تنطق برغبة المسلمين في التعاون الخالص مع يهود المدينة؛ لنشر السكينة في ربوعها، والضرب على أيدي العاديين ومدبري الفتن أيا كان دينهم. وقد نصت بوضوح على أن حرية الدين مكفولة، فليس هناك أدنى تفكير في محاربة طائفة أو إكراه مستضعف؛ بل تكاتفت العبارات في هذه المعاهدة على نصرة المظلوم، وحماية الجار، ورعاية الحقوق الخاصة والعامّة^(٢).

• ثانياً: بعث الرسائل إلى ملوكهم ودعوتهم للإسلام.

بعد أن تم عقد الصلح في صلح الحديبية، بين النبي ﷺ واصحابه الكرام رضي الله عنهم وبين المشركين، اراد النبي ﷺ أن يعلم ملوك الارض آنذاك بقيام الدولة الاسلامية ومن ثم بأرادتها بنشر تعاليمه؛ فشرع ﷺ بإرسال الرسل الى أولئك الملوك؛ يطلب منهم الدخول بالإسلام، ويعلمهم أنه لا سلطة أقوى واعلى من سلطة الدين فقد أرسل ﷺ الى النجاشي ملك الحبشة، والى المقوقس ملك مصر، والى كسرى ملك فارس، والى قيصر ملك الروم، والى المنذر بن ساوى، والى هوزة بن علي صاحب اليمامة، والى الحارث بن ابي شمر الغساني صاحب دمشق، والى ملك عمان^(٣)؛ وقد يطول المقام عند ذكر جميع

(١) الرحيق المختوم، المباركفوري: ١٧٣.

(٢) فقه السيرة، محمد الغزالي: ١٩٤-١٩٥.

(٣) ينظر: الرحيق المختوم، المباركفوري: ٣٢٠-٣٢٥.

مضامين هذه الكتب لذا آثرنا أن نقف عند كتاب هرقل ونبين أهم الاساليب التي هي في الحقيقة منهجاً رسيخاً للحوار: ونص كتاب النبي ﷺ لهرقل هو: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلامٌ على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١) (٢).

ففي هذه الكلمات الموجزة الامثلة الحية لطرق واساليب الحوار المتنوعة التي ينبغي للمحاور أن يجعلها نصب عينيه في محاوراته وقد وقف العلماء متأملين في استنباط الاساليب من هذا الكتاب الموجز، وبينوا الدلالات والاشارات التي يدل عليها؛ فقال الامام البغوي (رحمه الله): ((وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الْكِتَابِ إِلَى الْكُفَّارِ، وَأَنَّ نَكْتَبَ إِلَيْهِمْ آيَةَ أَوْ آيَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ مِمَّا تَقَعُ بِهِ الدَّعْوَةُ، وَلَا يَدْخُلُ ذَلِكَ تَحْتَ النَّهْيِ عَنِ الْمَسَافَرَةِ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ، بَلِ النَّهْيُ رَاجِعٌ إِلَى حَمْلِ الْمُصْحَفِ إِلَيْهِمْ، وَفِيهِ تَقْدِيمُ اسْمِ الْكَاتِبِ عَلَى اسْمِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ)) (٣).

وتظهر بعض صور المنهج القرآني لمحاورة النبي ﷺ لأهل الكتاب جلية كاختيار اسلوب الترغيب، واطهار الفضل الذي سيناله الخصم عند استجابته واعترافه بالحق: قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله): ((وقد اشتملت هذه الجمل القليلة التي تضمَّنْها بعض هذا الكتاب على الأمر بقوله «أسلم»، والترغيب بقوله «تسلم، ويؤتك»، والزجر بقوله «فإن توليت»، والترهيب بقوله «فإن عليك» والدلالة بقوله «يا أهل الكتاب»)) (٤).

(١) سبق تخريجها ص ١١.

(٢) السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، -، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م، ٥٠١/٣.

(٣) شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد البغوي الشافعي: ٣٧٦/١٢.

(٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: ٣٩/١.

ثقافة الحوار الهادئ لمحاورة النبي ﷺ لأهل الكتاب أنموذجاً

وكذلك في قوله ﷺ «يؤتك الله أجرًا مرتين»، وذلك أن بإسلامه سيدخل السواد الأعظم من رعيته في الإسلام، وهذا أيضا ترغيب من النبي ﷺ لهرقل، لما سيناله من مضاعفة الأجر إذا أسلم، أجره وأجر من أسلم بإسلامه. يصدق ذلك ما رواه مسلم، عن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أودع بي فاحملني فقال: «ما عندي»، فقال رجل: يا رسول الله أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»^(١) ^(٢).

وفيه دلالة على أنه ينبغي للمتحاوّر أن يبين مكانة الخصم، وما له من مكانة بين أصحابه ومن ينتمون إليه، وأن يكتبه كما فعل النبي ﷺ حتى يكون أدعى لقبوله إلى الأمر الذي دعي إليه.

ومن خلال قوله ﷺ لهرقل "عظيم الروم" يظهر أسلوب التلطف واعتماده في التحاوّر مع من تدعوه إلى الإسلام، فلم يكتب اسمه مجردا من الألقاب، بل قال: عظيم الروم؛ لأنه إذا حقر أمره، قد يحقر المرسل إليه أمر الكتاب، وما جاء فيه، وقد يتعدى ويسب الإسلام وهذه مفسدة، وقد نهينا عن ذلك، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣) فإذا كان سب الكفار مصلحة، إلا أن سب الله - تبارك وتعالى - مفسدة عظيمة، وأي مفسدة أعظم منها! وعندنا قاعدة عظيمة، أن درأ المفساد أولى من جلب المنافع^(٤).

وكذلك في تقديمه ﷺ في بداية الخطاب هو من باب الترغيب له في دخول الإسلام، واتباع الهدى، فكأن النبي ﷺ يقول له، حرمت السلام في هذا الخطاب لعدم اتباعك

(١) صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج، كتاب الامارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير، ١٥٠٦/٣، رقم الحديث: ١٨٩٣.

(٢) شمائل الرسول ﷺ، أحمد بن عبد الفتاح زواوي: ١٧٠/٢.

(٣) الأنعام: ١٠٨.

(٤) ينظر: المصدر السابق: ١٦٧/٢.

ثقافة الحوار الهادئ محاوره النبي ﷺ لأهل الكتاب أنموذجا

الهدى، فإن اتبعت شرفت بإلقاء السلام، ويكون السلام هنا بمعنى الخبر، الذي يقصد به الترغيب، والله أعلم^(١)، ((ويدل أيضا عمله رضي الله عنه على أنه ينبغي على المسلمين أن يهيئوا للدعوة الإسلامية في كل أرجاء الأرض وسائلها وأسبابها. ومن أهم أسباب ذلك، المعرفة بلغة الأمم والأقوام الذين يقومون بدعوتهم إلى الإسلام، وتعريفهم بمبادئه وأحكامه؛ فقد رأينا أنه ﷺ بعث ستة رجال من أصحابه في يوم واحد ليتفرقوا إلى الملوك الذين أرسلهم النبي ﷺ إليهم وكان كل واحد منهم يتقن لغة القوم الذين بعثه إليهم))^(٢).

• ثالثا: استقبال وفودهم:

من ذلك استقبال وفد نجران النصراني، (عَنْ حُذَيْفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَا عَنَّا لَا نَفْلِحُ نَحْنُ، وَلَا عَقِبْنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالَ: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ «لَا تَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بَنَ الْجَرَّاحِ» فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ»^(٣).

فهذا الأسلوب الذي سلكه النبي ﷺ في التحوار مع الخصم؛ يجعله يرجع عن غيه وينتهي إلى الاعتراف بالحق، ﷺ قد اجاب وفد نجران على مرادهم، وقد هموا بالمباهلة ولكنهم قد تراجعوا، لما رأوا من اليقين والثبوت بالتحوار على الصدق، المبني على العلم والعقل.

وإذا أمعنا النظر في النتائج والامور الايجابية التي تحققت بعد قبول النبي ﷺ رجوعهم عن المباهلة؛ نجدها كثيرة تعم مصالحها الاسلام والمسلمين، فقالوا ((إننا لا

(١) نفس المصدر، ١٦٧/٢.

(٢) فقه السيرة، الغزالي: ٢٥٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ١٧١/٥، رقم الحديث ٤٣٨٠.

نباهلك فاحكم علينا بما أحببت ونصالحك فصالحهم على ألف حلة في رجب وألف حلة في صفر ومع كل حلة أوقية (إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً فقال)^(١).

وثمة فوائد ذكرها ابن حجر (رحمه الله) فقال عند ذكره لها ((وَفِيهَا مُصَالِحَةُ أَهْلِ الذِّمَّةِ عَلَى مَا يَرَاهُ الْإِمَامُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ وَيَجْرِي ذَلِكَ مَجْرَى ضَرْبِ الْجِزْيَةِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا مَالٌ يُؤْخَذُ مِنَ الْكُفَّارِ عَلَى وَجْهِ الصَّغَارِ فِي كُلِّ عَامٍ وَفِيهَا بَعَثَ الْإِمَامُ الرَّجُلَ الْعَالِمَ الْأَمِينَ إِلَى أَهْلِ الْهُدْنَةِ فِي مُصَلِحَةِ الْإِسْلَامِ))^(٢).

• رابعاً: جوابه على الاسئلة التي لا يعرفها الانبي

روى ابنُ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أنه: (حَضَرَتْ عِصَابَةُ مِنَ الْيَهُودِ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، حَدِّثْنَا عَنْ خِلَالٍ نَسَأَلُكَ عَنْهُنَّ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيُّ، قَالَ: " سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ، وَلَكِنْ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللَّهِ، وَمَا أَخَذَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى بَنِيهِ: لَعْنُ أَنَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا فَعَرَفْتُمُوهُ، لَتَتَابِعُنِي عَلَى الْإِسْلَامِ " قَالُوا: فَذَلِكَ لَكَ، قَالَ: «فَسَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ» قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ أَرْبَعٍ خِلَالٍ نَسَأَلُكَ عَنْهُنَّ: أَخْبِرْنَا أَيَّ الطَّعَامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزَلَ التَّوْرَةُ؟ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ مَاءُ الْمَرْأَةِ، وَمَاءُ الرَّجُلِ؟ كَيْفَ يَكُونُ الذِّكْرُ مِنْهُ؟ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ هَذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ فِي النَّوْمِ؟ وَمَنْ وَلِيَّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ قَالَ: «فَعَلَيْكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ لَعْنُ أَنَا أَخْبَرْتُكُمْ لَتَتَابِعُنِي؟» قَالَ: فَأَعْطُوهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، قَالَ: «فَأَنْشُدْكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَرِضٌ مَرَضًا شَدِيدًا، وَطَالَ سَقَمُهُ، فَذَرَّ لِلَّهِ نَذْرًا لَعْنُ شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ سَقَمِهِ، لِيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ، وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لُحْمَانُ الْإِبِلِ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني:

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار

إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا؟» قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ، فَأَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَاءَ الرَّجُلِ أَبْيَضُ غَلِيظٌ، وَأَنَّ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَضْفَرُ رَقِيقٌ، فَأَيُّهُمَا عَلَا كَانَ لَهُ الْوَلَدُ وَالشَّبَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ؟ إِنْ عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ عَلَى مَاءِ الْمَرْأَةِ كَانَ ذَكَرًا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِنْ عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ عَلَى مَاءِ الرَّجُلِ كَانَ أُنْثَى بِإِذْنِ اللَّهِ؟». قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ، فَأَنْشُدْكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ [ص: ٣١٢] التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ؟» قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» قَالُوا: وَأَنْتَ الْآنَ فَحَدِّثْنَا: مَنْ وَلَيْتُكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ فَعِنْدَهَا نُجَامِعُكَ أَوْ نَفَارِقُكَ؟ قَالَ: «فَإِنَّ وَلِيِّي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا وَهُوَ وَلِيُّهُ» قَالُوا: فَعِنْدَهَا نَفَارِقُكَ، لَوْ كَانَ وَلَيْتُكَ سِوَاهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَتَابَعْنَاكَ وَصَدَقْنَاكَ، قَالَ: «فَمَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تُصَدِّقُوهُ؟» قَالُوا: إِنَّهُ عَدُوْنَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَاتِبُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) فَعِنْدَ ذَلِكَ: بَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبِ الْآيَةِ^(٣)

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَرِبِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ مَتَكِّي عَلَى عَسِيبٍ فَمَرَّ بِقَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ فَسَأَلُوهُ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ مَا الرُّوحُ فَمَا زَالَ يَتَوَكَّأُ عَلَى الْعَسِيبِ وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلْيَهُودِ: أَعْطَوْنَا شَيْئًا نَسْأَلُ هَذَا

(١) البقرة: ٩٧.

(٢) البقرة: ١٠١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل، ٣١٠/٤، رقم الحديث: ٢٤٧١.

(٤) الإسراء: ٨٥.

الرجل فَقَالُوا: سلوه عَن الرُّوحِ فَسَأَلُوهُ فَنَزَلَتْ {ويسأَلونك عَن الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِن أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} قَالُوا: أوتينا علما كثيرا: أوتينا التَّورَةَ وَمَن أُوتِيَ التَّورَةَ فَفَدَّ أُوتِيَ خيرا كثيرا^(١).

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: نَزَلَتْ بِمَكَّةَ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى المَدِينَةِ، أَنَاهُ أَحْبَابُ يَهُودَ. وَقَالُوا يَا مُحَمَّد، أَلَمْ يَبْلُغْنَا عَنْكَ أَنَّكَ تَقُولُ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أَفَعَنَيْتَنَا أَمْ عَنَيْتَ قَوْمَكَ؟ فَقَالَ: «كُلًّا قَدْ عَنَيْتُ». قَالُوا: إِنَّكَ تَتْلُو أَنَا أُوتِينَا التَّورَةَ، وَفِيهَا تَبَيَانٌ كُلُّ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هِيَ فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ، وَقَدْ آتَاكُمْ مَا إِنْ عَمِلْتُمْ بِهِ اسْتَقَمْتُمْ"، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢)(٣).

ولا بد من الإشارة الى أن الصور والمشاهد الحية التي سلكها النبي ﷺ في تطبيق المنهج القرآني لمحاورة أهل الكتاب هي ليست محصورة فيما تناولناه بل ما توقفنا الا على النزر الهام؛ فحياة النبي ﷺ مليئة بتلك المشاهد في جميع احواله في السلم والحرب وفي الحل والسفر كلها ترسخ أصول المنهج الرباني في التحاور الذي يرمي الى اثبات الحق مع احترام الخصم، والى نبذ العنف، وقصد التعايش المبني على احترام النفس البشرية التي كرمها الله تعالى.

* * *

(١) الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور، السيوطي: ٣٣١/٥.

(٢) لقمان: ٢٧

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١١٤-١١٥.

ثقافة الحوار الهادئ محاورة النبي ﷺ لأهل الكتاب أنموذجاً

الخاتمة

بعد الخوض في موضوع الحوار والنظر في مضمون البحث ظهر للباحث النتائج

الآتية:

القران الكريم قد دعى إلى الاهتمام بثقافة الحوار الهادئ والاعتماد على المنهجية الحقيقية الموصلة أهداف الحوار.

معنى الحوار في الحقيقة مراجعة الكلام وتجاذبه بين الاطراف المتحاورة وثقافة الحوار الهادئ هي الحدق في اعتماد أدق الطرق من قبل المتحاور، وهذا المعنى ثابت وعمام في جميع أشكال الحوار مع اختلاف القضايا والاصناف.

ثقافة الحوار المبني على المنهجية التي دعى الإسلام إليها أمر ضروري لا بد منه سيما عند محاورة اهل الكتاب

وقد تناول القران الكريم الاصول الجذرية عند دعوته لمحاورة أهل الكتاب وطبقها النبي ﷺ بأنم وجهه من خلال محاورته العملية ودعوته لأهل الكتاب من جانب ولقومه من جانب آخر

حري بمن تصدى للحوار أن يكون مالكا لأدوات الحوار وان يستيقن أن أهم الأدوات التي دعى الدين الاسلامي اليها التحاور بأسلوب اللين واليسر، وعدم احراج الخصم الا إذا دعت المصلحة لذلك، والترغيب للخصم بما يحصل عليه من فضل عند استجابته للحق، واعتماد العقل في اقناع المقابل وغير ذلك كما هو مبين في ثنايا صفحات البحث؛ لكون هذه الأدوات تجعل الخصم اقرب إلى الاعتراف بالحق واقتناعه بإرادة المحاور وهي الاصول التي قام بها الانبياء عليهم السلام عند محاورة اقوامهم .

كثير من الصراعات وحدوث العنف في زماننا الحاضر من أهم اسبابه الاعراض عن الحوار في القضايا المختلف فيها، وعدم ادراك ثقافة الحوار والتحاور على اساس الهوى

ثقافة الحوار الهادئ محاورة النبي ﷺ لأهل الكتاب أنموذجاً

وما تمليه النفس البشرية وترك النور الساطع الذي جاء به القرآن الكريم وطبقه النبي ﷺ في دعوته للبشرية وخاصة لأهل الكتاب.

• التوصيات:

يوصي الباحث الاهتمام بقضية الحوار المبني على الاسس القويمه وذلك من خلال إقامة المؤتمرات العلمية بهذه القضية لكي يتسنى ايصال ثقافة الحوار إلى الافهام والحث على اعتمادها عند التهاور والدعوة إلى اعتماد الحوار في حل المشاكل والصراعات المستعصية وكذلك من خلال إقامة الندوات والمحاضرات التثقيفية. وصى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.



ثبت المصادر

- بعد القران الكريم.

تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

تفسير المراغي أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

تفسير النسفي موافق للمطبوع داخل الصفحات، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تح الشيخ: مروان محمد الشعار، دار النشر: دار النفائس - بيروت ٢٠٠٥.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

ثقافة الحوار الهادئ محاوره النبي ﷺ لأهل الكتاب أنموذجاً

الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١)، دار الفكر - بيروت .

الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، دار الهلال - بيروت ، الطبعة: الأولى.

السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) تح: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

شرح صحيح البخارى لابن بطلال، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أحمد بن عبد الفتاح زاوى، دار القمة - الإسكندرية.

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت.

فقه السيرة، محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ)، دار القلم - دمشق.

ثقافة الحوار الهادئ محاوره النبي ﷺ لأهل الكتاب أنموذجاً

- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ): دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ
- لسان العرب، المؤلف: ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ

* * *

ثقافة الحوار الهادئ محاوره النبي ﷺ لأهل الكتاب أنموذجاً

أسرار فواتح سُور القرآن

الدكتور

ماجد ياسين حميد

كلية التربية الجامعة العراقية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنَّ القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة أودع الله تعالى فيه أسراراً وحكماً وعجائب لا تنقضي إلى قيام الساعة، ومن هذه الأسرار التي أخفيت علينا وما زال العلماء والمفسرون يجتهدون في معرفتها، أوائل بعض سور القرآن وما يسمى بـ (الحروف المقطعة)، وقد كان تفسير هذه الحروف محل خلاف بين المفسرين السابقين واللاحقين، وممن تعرض لتفسير هذه الحروف من المتأخرين الشيخ محمد بن صالح بن ملوكة التونسي (ت ١٢٧٦هـ)، وقد انفرد بتفسير هذه الحروف بأنها أسماء وصفات للنبي ﷺ برسالة سماها «أسرار فواتح سور القرآن»، فارتأيت دراسة وتحقيق هذه الرسالة، خدمة لكتاب الله تعالى، وإظهاراً لجهود علم من أعلام المالكية المتأخرين في التفسير.

• واقتضت خطة البحث أن يشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الدراسة، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حياته وآثاره (اسمه ولقبه، ونشأته، مكانته العلمية وثناء العلماء عليه، شيوخه وتلاميذه، وفاته، آثاره).

المطلب الثاني: الرسالة ومنهجه (اسم الرسالة، نسبة الرسالة لمؤلفها، منهج المؤلف).

المطلب الثالث: بين يدي التحقيق: (نسخة الرسالة، وصف النسختين، منهج التحقيق،

نماذج من المخطوطتين).

أسرار فواتح سُور القرآن

المبحث الثاني

التحقيق

المبحث الأول

حياته وآثاره

- أولاً: اسمه:

هو محمد بن صالح بن مجدي بن ملوكة^(١) التونسي.

- ثانياً: لقبه:

لقب الشيخ محمد بن صالح بـ (ابن ملوكة) وبه اشتهر وعُرف^(٢).

- ثالثاً: نشأته:

نشأ هذا الفاضل في بركة أبيه، المزار بزاويته المعروفة خارج باب القرجاني^(٣)، وحفظ القرآن الكريم، واشتغل بتحصيل العلوم، ولم يلبث أن اقتحم على العويصات أغيالها، وطمح إلى الغايات فنالها، وأثمر روضه، وفاض بالعلوم حوضه، مع الفكر

(١) قال الزركلي: ضبطته في ترجمته مشدد اللام، ثم أفادني أكثر من واحد من فضلاء بلده (تونس) أنه بالتخفيف، وهم يلفظونه بسكون الميم وضم اللام مخففة. ينظر: الأعلام: ٦/١٦٤.

(٢) ينظر: طبقات المالكية: ص ٣٩٠، تراجم المؤلفين التونسيين: ٣٧٦/٤.

(٣) هو أحد أبواب المدينة العتيقة بتونس العاصمة. يقع على السور الشرقي للمدينة العتيقة. بني خلال الحكم التركي، يحمل اسم أحد تلامذة أبي الحسن الشاذلي وهو سيدي علي الغرجيني من القرن السابع الهجري وتحمل اسم هذا الباب اليوم مقبرة وحديقة عمومية. ينظر: موقع الموسوعة الحرة «ويكيبيديا» على شبكة الانترنت: ar.wikipedia.org

الحديد، والفهم السديد.

ثم تصدر التدريس ونشر الدر الفاخر، من البحر الزاخر، وأرى الناس مصداق قولهم: كم ترك الأول للآخر، حتى قيل: إن علمه وهبي لا كسبي^(١).

• رابعاً: مكانته وثناء العلماء عليه:

لما برز في ميادين المعارف وجلّى، واشتهر اشتهاً النهار إذا تجلّى، أقبل على نفع الناس، فكان يدرّب تلاميذه على اقتحام الأوجال، ولا ينفك عن التدريس تارة بجامع الزيتونة، وأخرى بغيره من المساجد القريبة من زاويته، وأخرى بزاويته نفسها، على حسب النفعات^(٢).

وقد وُصف الشيخ ابن ملوكة بأوصاف كثيرة فهو المفسر، الفقيه، الزاهد، شيخ الجماعة المتصوف، الفرضي، الحاسب، المجاب الدعوة ذو النفس الزكية، قال تلميذه ابن أبي الضياف^(٣): «له قدم راسخ في العلوم العقلية كالحساب والهندسة وله في معارف التصوف ذوق واطلاع، ورسوخ قدم، وطول باع»^(٤).

وانتفع به غالب من يشار إليه في هذه المملكة. وله قدم راسخ في الفرائض والعلوم العقلية، كالحساب والهندسة، وله في معارف التصوف ذوق واطلاع. قال تلميذه ابن أبي ضياف: وخوطب في القضاء والفتوى، فأعانه الله على الامتناع، وخوطب لإمامة الجامع فامتنع بظرف، وهو ألا يغير زي لبسه إلى زي الأئمة، لأنه كان يلتحف بالإحرام، ويلبس الخشن، ولا يعتم بعمامة الفقهاء^(٥).

(١) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: ١٠٩/٨.

(٢) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: ١٠٩/٨.

(٣) أحمد بن أبي الضياف بن عمر بن أحمد بن نصر حفيد المجذوب بن الباهي العوني، وزير تونسي، من الكتاب المؤرخين اشتهر بكتابه (اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، توفي بتونس سنة (١٢٩١هـ). ينظر: الأعلام: ١/١٣٨.

(٤) ينظر: طبقات المالكية: ص ٣٩٠، تراجم المؤلفين التونسيين: ٣٧٦/٤.

(٥) اتحاف أهل الزمان، ابن أبي ضياف: ص ١١٠.

وكان رحمه الله صبوراً سليم الصدر، يعفو ويصفح، بلغه أن العلامة القاضي إسماعيل التميمي^(١) ذكره في مجلسه، بما ينقص مقامه، فأتاه إلى داره وقال له: «بلغني ما ذكرتني به، وإني أفبح مما ذكرت، وأتيتك لتعلم أنني سامحتك في الدنيا والآخرة، فقل ما شئت، وأنت حلّ مني، لأنك من الأشراف، ولا أحب أن الله يعاتب شريفاً من أجلي، فحجل الشيخ، وتسامحا، غفر الله لهما، وصار الشيخ إسماعيل بعد ذلك يلقبه بالولي في لسان الشرع»^(٢).

• خامساً: شيوخه وتلاميذه:

أخذ عن الشيخ إبراهيم الرياحي، وعن الشيخ أحمد بوخريص الفرائض، ولازمه، والشيخ حسن الشريف، والشيخ محمد الطاهر بن مسعود وغيرهم. أخذ عنه غالب مشاهير القرن الثالث عشر منهم، أحمد بن أبي الضياف، ومحمد النيفر، وأخوه صالح، وسالم بو حاجب، وعمر بن الشيخ، وحسن شبيل، ومحمد الجدي، وبالإجازة الشيخ محمد عlish المصري الليبي الأصل. وكانت له عطايا وافرة لطلبة العلم ومحبة فيهم راسخة فتراه دائماً يسعى في مصالحهم وتنفيذ الكربات عنهم، وكان له جاه لم يشاركه فيه أحد^(٣).

وكان يعلم القرآن بزوايته، واختار تعليم القرآن على أسلوب لم يسبق إليه، فكان التلميذ يخرج من زوايته حافظاً للقرآن عارفاً بالرسم، عارفاً بضروريات دينه وتقويم لسانه بالعربية حافظاً لمتون علمية، ويروض أبدانهم خشية السامة بالمصارعة والرماية وتلقف الكرة وغير ذلك، والتلاميذ يسكنون بالزواية، وكان يجالس تلامذته ويذاكرهم في المسائل، ويباشر معهم الألعاب الرياضية كالرماية التي كان ماهراً فيها، وكان يدرّب

(١) إسماعيل بن محمد باشا التميمي: فقيه مالكي من دعاة الحكومة العثمانية وخصوم الدعوة الإصلاحية بنجد. استوطن تونس وتولى قضاءها والإفتاء بها وعزل، وأعيد إلى أن توفي سنة (١٢٤٨هـ). ينظر: الأعلام: ٣٢٦/١.

(٢) إتحاف أهل الزمان، ابن أبي ضياف: ص ١١٠.

(٣) ينظر: طبقات المالكية: ص ٣٩٠.

تلامذته على ممارسة الصلاة والمواظبة عليها في أوقاتها.

قال ابن أبي ضياف: وكنت من تلاميذه الساكنين بزوايته، وشاهدت من حسن أخلاقه وعبادته، ما يستوقف القلم، فكان يصلي بنا العشاء، ثم يدخل داره، ويخرج في جوف الليل إلى جهة القرجاني، في زي اختفاء، ليصلي، ويأتي قبل الفجر ليوقظنا للصلاة رافعا صوته: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء: ٧٨. «وزاويته منتزه العلماء والأتقياء، ومرتع الأدباء والأذكياء»^(١).

يتلو الفقراء بالزاوية الصلاة على النبي ﷺ، ويتصدق عليهم، وفي الزاوية مكتبة صغيرة حبس عليها مجموعة من الكتب، وكان حسن الأخلاق متواضعا جميل اللقاء^(٢).

• سادساً: وفاته:

توفي في منتصف نهار الجمعة الثامن والعشرين من شوال سنة (١٢٧٦هـ)، ودفن بزوايته الكائنة خارج باب القرجاني^(٣). وحضر جنازته صاحب القانون المشير أبو عبد الله محمد الصادق بباشا باي^(٤)، في آل بيته ورجال دولته، وصلى عليه بالجامع الأعظم أمام باب البهور،

• سابعاً: مؤلفاته:

للشيخ ابن ملوكة تصانيف عدة تنوعت بين رسائل في الفرائض والحساب وبين كيفية الصلاة على النبي ﷺ وبين التفسير الإشاري لبعض من نصوص التنزيل. وقد ألف الشيخ ابن ملوكة شرحاً نفيساً على «الدرة» في الفرائض لم ينقطع به عمله ولا اسمه، مع ما بثه من العلم في صدور الرجال، رحمه الله تعالى^(٥). وكذا ألف كتاباً

(١) ينظر: إتحاف أهل الزمان، ابن أبي ضياف: ص ١١٠.

(٢) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: ٣٧٧/٤.

(٣) ينظر: طبقات المالكية: ص ٣٩٠.

(٤) محمد بن حسين بن محمود بن محمد بن حسين: أمير تونس، توفي سنة (١٢٩٩هـ). الأعلام:

١٠٤/٦.

(٥) ينظر: إتحاف أهل الزمان، ابن أبي الضياف: ١١١/٨.

يحتوي صلوات على خير البشر ﷺ. وفيما يأتي أبرز مصنفاته التي عثرت عليها من كتب التراجم:

الأوراد السبعة، وهي بقدر أيام الأسبوع، في الصلاة على النبي ﷺ أولها ورد ليلة السبت وآخرها ورد ليلة الجمعة.

تفسير سورة الفاتحة وشيء من سورة البقرة^(١).

رسالة في مرجع اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ البقرة: ٥.

رسالة في أحكام التوأمين.

رسالة في النحو وضعها لولده حمدان، منها نسختان بالمكتبة الوطنية بتونس، وأصلهما من المكتبة العبدلية^(٢).

رسالة في المنطق.

أسرار فواتح سور القرآن شرحها شيخ الاسلام محمد معاوية شرحا سماه نزهة الفكر. وهي موضوع دراستنا.

رسالة في علم الخطاطين من فروع علم الحساب^(٣).

الشرح الصغير على الدرّة البيضاء في الحساب والفرائض، اختصره من شرحه الكبير، ولم يصدره بخطبه، منه نسختان بالمكتبة الوطنية وأصلهما من المكتبة العبدلية.

الدرر الملوكية في الصلاة على خير البرية، طبع في الاستانة^(٤).

لوامع الأسنة في الصلاة على عين الرحمة وهو مختصر صلواته، فرغ منه يوم الجمعة جمادى الأولى (١٢٦٤هـ)، طبع في الاستانة^(٥).

(١) ينظر: إيضاح المكنون: ٣٠٧/١. الذي يظهر لي والله أعلم أن غالب مصنفاته موجودة في تونس في مخطوطات جامع الزيتونة.

(٢) ينظر: الأعلام: ١٦٤/٦.

(٣) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: ٣٧٧/٤، ومعجم المؤلفين: ٨٨/١٠، هدية العارفين: ١٤٤/٢.

(٤) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: ٣٧٨/٤.

(٥) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: ٣٧٨/٤، وإيضاح المكنون: ٤١٣/٢.

مجموع صلوات، جمع تأليف أربعة مطولة ومختصره، أتى فيها بصلوات على النبي ﷺ مع أسماء الله الحسنی، وتتضمن حكايات ومرثي في بركتها، نسخ جميعها الشيخ مختار المحرزي للمترجم سنة (١٢٦٦هـ)، مخطوط بالمكتبة الوطنية، وأصله من المكتبة العبدلية.

فهرسة^(١).

مريح المعاني بتحرير اليماني وتحقيق المعاني، شرح لرسالة في النحو، ينتهي إلى اسم كان وأخواتها في (١٦) ورقة من القطع المتوسط، منه نسخة بخط مؤلفها في المكتبة الوطنية وأصله من المكتبة العبدلية.

تفسير الجوهرة للشيخ عبد القادر الجيلاني، يوجد ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية وأصله من المكتبة العبدلية^(٢).



(١) لم يتبين لي المقصود بالفهرسة سوى أنني وجدت لها من جملة مصنفاته التي ذكرها مترجموه.

(٢) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: ٣٧٨/٤. والذي يظهر لي -والله أعلم- أن أكثر كتبه ومصنفاته لا تزال مخطوطة لم يطبع منها إلا كتابين وهما الدرر الملوكية، ولوامع الأسنة، فقد طبعا في تركيا قديما.

المطلب الثاني

الرسالة ومنهجه

• أولاً: اسم الرسالة ونسبتها لمؤلفها:

تبين لي بعد التتبع لاسم الرسالة عن طريق تفحص نسختي المخطوط ومن ترجم له أن اسم الرسالة يدور بين ثلاثة عناوين: أولها: أسرار فواتح سور القرآن^(١).

ثانيها: أسرار فواتح السور، وقد سماها بذلك الشيخ محمد معاوية بن محمود التونسي الحنفي المعروف بـ«التركي» (ت ١٢٩٤ هـ) وشرحها باسم (نزهة الفكر في أسرار فواتح السور)^(٢).

ثالثها: أسرار حروف فواتح سور القرآن^(٣).

والراجح منها العنوان الأول، فقد نص على ذلك تلميذه ابن أبي الضياف في أثناء ترجمته^(٤)، وأوردها جل من ترجم له^(٥)، والله تعالى أعلم. وأما عن ثبوت نسبتها لابن ملوكة فلم يختلف في ذلك احد ممن ترجم له أو جاء بعده.

• ثانياً: منهج المصنف ومصادره في هذه الرسالة:

(١) ينظر: هدية العارفين: ٣٧٦/٢.

(٢) ينظر: إيضاح المكنون: ٦٤٠/٤، وهدية العارفين: ٣٨١/٢.

(٣) نص عليها مفهرسو مخطوطات مكتبة المسجد النبوي، وكتبوها على المخطوط. ينظر: فهرس مخطوطات المسجد النبوي: ٢٧/١.

(٤) ينظر: اتحاف أهل الزمان: ٣٧٧/٤.

(٥) ينظر: هدية العارفين: ٣٧٦/٢، والأعلام: ١٦٤/٦.

انتهج الشيخ ابن ملوكة منهجا خاصا في رسالته، وبنى تفسيره للحروف المقطعة في أوائل سور القرآن على القول بأنها أسماء وأوصاف للنبي ﷺ. وقد نحى منحنا صوفيا في رسالته كونه من كبار الصوفية في بلده.

ولم يذكر كتابا اعتمده في رسالته سوى إشارات عامة على قول المفسرين في الحروف المقطعة.

* * *

المطلب الثالث

بين يدي التحقيق

• أولاً: وصف نسختي المخطوط:

النسخة الأولى: عثرت عليها في مكتبة المسجد النبوي الشريف: كتب عليها المفهرسون: أسرار حروف فواتح سور القرآن، ابن ملوكة: أبو عبد الله محمد بن صالح بن مجدي التونسي المالكي (ت ١٢٧٦ هـ) بخط: مغربي جيد، وعدد أوراقها أربع ورقات: (١٦٤/ب - ١٦٧/أ). ١٨ س. ١٦×٢٢ سم، تأثرت أطرافها بالأرضة، عليها حواش. رقم الحفظ: ٨٠/١٠٨ (٤)، رقم الحاسب: ٣٦٥٩. رقم الفيلم: ١٦٨. واعتمدها في ضبط النص وجعلتها الأصل؛ لوضوحها وتامها ورمزت لها بـ(أ).

النسخة ثانية موجودة في مكتبة المسجد النبوي الشريف بخط: مغربي جيد، عدد أوراقها أربع ورقات: (٨١/ب - ٨٤/ب). ٢٢ س. ١٧×٢٢ سم، عليها بعض التعليقات، رقم الحفظ: ٨٠/٧٠ (٦)، رقم الحاسب: ٣٤٣٣. رقم الفيلم: ٢٤٣. وجعلتها نسخة مساعدة للنسخة الأصل ورمزت لها بـ(ب).

• ثانياً: منهجي في التحقيق

كان أول ما قمت به أن نسخت المخطوط، وقابلته بالنسخة الأخرى. وأثبتت بعض الكلمات التي سقطت أو صحفت. ثم شرعت بدراسة الرسالة بدءاً بالمصنف وحياته ونشأته ومكانته العلمية ومؤلفاته، ثم بينت الراجح من اسم الرسالة وثبوتها إلى مصنفها، ثم وصف النسخ الخطية التي اعتمدت عليها في التحقيق. ثم قمت بضبط النص على قواعد الإملاء الحديثة، وبينت بعض الكلمات الغامضة، ووقفت على بعض المسائل التي تحتاج إلى مزيد بيان.

• ثالثاً: نماذج من المخطوطتين:

الصفحة الأولى من النسخة الأصل

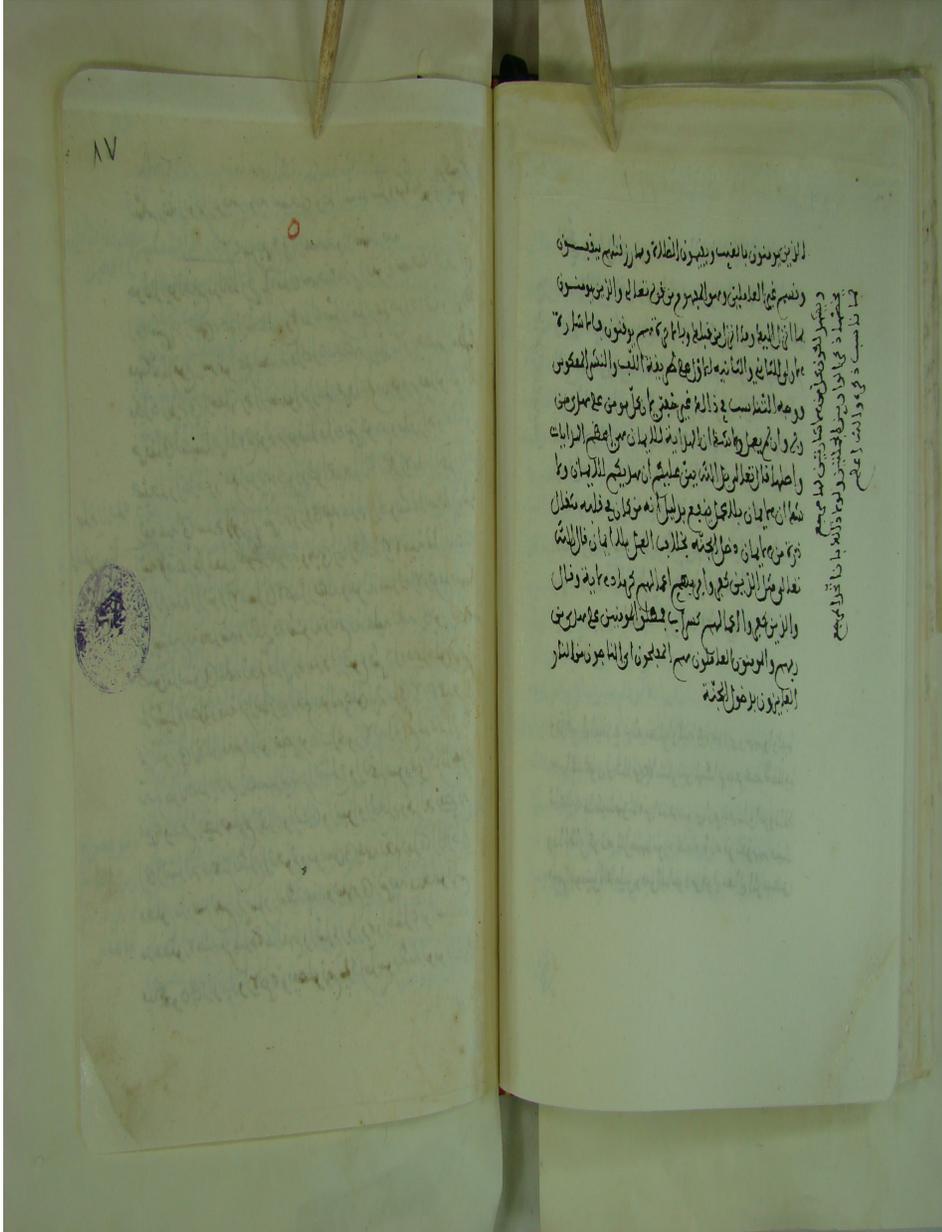


أسرار فواتح سُور القرآن

الصفحة الأخيرة من النسخة الأصل



الصفحة الأولى من النسخة (ب)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على أعز خلق الله ...
وبعد:

فأقول وأنا العبد الفقير [الحقير]^(١) حليف المخالفات والعجز والتقصير محمد بن صالح بن ملوكة عفا الله عنه وعن المؤمنين آمين: إنه قد ظهر لي أن كل حرف من حروف أوائل السور [المعلومة]^(٢) المفتحة بحروف الهجاء ك﴿الر﴾ البقرة: ١، منادى بحرف مفرد؛ بدليل ظهور ذلك الحرف في ﴿يس﴾ يس: ١، وكل حرف منها مكنى به عن جملة من أسمائه الكريمة عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم^(٣).

فالألف مُكْنَى به عن جملة أسمائه المفتحة به، كأحمد وأخيد^(٤) وأبي القاسم وأبي السعادة وأبي العز وأبي الكرم وأبي الوفاء وهكذا إلى ما لا نهاية له^(٥).

(١) ساقطة من (ب).

(٢) زيادة في (ب).

(٣) انفرد الشيخ ابن ملوكة في هذه الرسالة بتفسير الحروف المقطعة في أوائل السور بأنها أسماء رسول الله ﷺ وأوصافه، إذ لم يقل أحد من المفسرين بهذا القول. والذي عليه جمع من الصحابة والتابعين والمحدثين أن هذه الحروف من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى. ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي: ٢٦/١، والجامع لأحكام القرآن: ١٥٤/١ - ١٥٥.

(٤) ذكره الماوردي في التفسير وقال: روي عن النبي ﷺ أنه قال: (اسمي في التوراة أحييد لأنني أحييد أمتي عن النار، واسمي في الزبور الماحي محا الله بي عبادة الأصنام، واسمي في الإنجيل أحمد، واسمي في القرآن محمد لأنني محمود في أهل السماء والأرض). ينظر: النكت والعيون: ٥٢٩/٥، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨٤/١٨. وذكر نحوه العيني في عمدة القارئ: ٩٧/١٦.

(٥) رد الشيخ المفسر ابن عاشور على قول ابن ملوكة بأن هذه الحروف هي أسماؤه وصفاته عليه الصلاة والسلام فقال: إن ابن ملوكة لم يعز هذا القول لأحد من المفسرين. وعلق على هذه «الرسالة» تلميذه شيخ الإسلام محمد معاوية «تعليقة» أكثر فيها من التعداد، وليست مما ينشج لمباحثه الفؤاد. وتابع

واللام مُكْنَى به عن نحو لطف الله، ولب الوجود، ولب الجود [ولب الوفاء ولب العز ولب السيادة ولب السعادة]^(١) [ولب الكمال، ولب الجمال، ولب الجلال، ولب العناية، ولب الرعاية]^(٢)، [وهكذا]^(٣).

والميم مكنى به عن محمد ونحوه، كمحمود، وماح، ومصباح، ومبشر، ومجتبى، (والصاد) عن صادق، [وواصلح]^(٤)، وصبور، وصاحب التاج، وصاحب المعراج ونحوها، (والطاء)، كطاهر وطيب وطبيب، والهاء، كهاد وهمام، وهدية الله، (والياء) كيس، (والسين) كسر الوجود، وسيد الكونين، وسعد الله، وسعد الخلق، وسيف الله، وسيد المرسلين، وسليل الفضلاء، (والقاف) كَقَدَمِ صِدْقٍ، وقيم، وقوي، فإذا قلت: ﴿الْمَرْ ١﴾ ذَلِكَ أَلَكْتُبُ لَا رَبِّبَ ﴿البقرة: ١ - ٢﴾، تكون كأنك قلت: يا أحمد إلى آخر الأسماء المفتوحة بالألف، يا لبَّ الكمال إلخ، يا محمود إلخ، ذلك أي: هذا الكتاب لا ريب [فيه]^(٥).

وإذا قلت: ﴿الْمَصَّ﴾ الأعراف: ١، تكون كأنك [قد]^(٦) قلت: يا أحميد مثلاً إلخ، يا لب السعادة يا ماح يا صادق ﴿كَنْتَبُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ الأعراف: ٢. وإذا قلت: ﴿طه﴾ طه: ١، تكون كأنك قد قلت: يا طاهر إلخ، يا هادي إلخ^(٧)، ﴿مَا

ابن عاشور كلامه قائلاً: ويرد هذا القول التزام حذف حرف النداء وما قاله من ظهوره في يس مبني على قول من قال: إن يس بمعنى يا سيد وهو ضعيف لأن الياء فيه حرف من حروف الهجاء لأن الشيخ نفسه عد يس بعد ذلك من الحروف الدالة على الأسماء مدلولاً لنحو الياء من «كهيعص» مريم: ١. ينظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور: ٢٠٨/١.

(١) زيادة في (ب).

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) زيادة في (ب).

(٤) ساقطة من (ب).

(٥) ساقطة من (ب).

(٦) ساقطة من (ب).

(٧) اختلف في تفسيرها فقال أهل اللغة هي من فواتح السور نحو حم والم، ويروى أن النبي ﷺ كان

أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿ طه: ٢.

وإذا قلت: ((يس))^(١) تكون كأنك قد قلت: يا سيف الله^(٢) ﴿ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾

إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ يس: ٢ - ٣.

وإذا قلت: ﴿ ص ﴾ ص: ١، تكون كأنك قد قلت: يا صادق ﴿ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ ص: ١، أي: البيان أو الشرف ما الأمر، كما قال كفار مكة من (تعداد)^(٣) الآلهة ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ ص: ٢، أي: حمية وتكبر عن الإيمان [بك]^(٤)، وشقاق خلاف وعداوة لك بالإضراب (انتقال)^(٥)، وقولهم: (بتعداد)^(٦) الآلهة مأخوذ من إنكارهم [عليه]^(٧) عليه الصلاة والسلام حيث قالوا: ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَجِدًا ﴾ ص: ٥، أي: مع أنها متعددة، وخصه الله تعالى هنا بصاد القائمة مقام صادق حتى [يكون]^(٨) كأنه قد قال له: يا صادق ليقابل قولهم: ﴿ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴾ ص: ٤،

إذا صلى رفع رجلاً ووضع أخرى فأنزل الله عز وجل: (طاها) أَي طَأَّ الْأَرْضَ بِقَدَمَيْكَ جَمِيعاً. ينظر: معاني القرآن، للزجاج: ٣/٤٩٩.

(١) في (أ) (يا س).

(٢) اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى «يس» على أقوال منها: إنه اسم من أسماء الرسول ﷺ، وذكر الماوردي حديثاً عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله تعالى أسماني في القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله» والحديث لا يصح في كتب السنة، فقد بحثت عنه ولم أعثر عليه في كتب الصحاح. وممن ذهب إلى أن «يس» من أسمائه عليه الصلاة والسلام، الألوسي في التفسير. والصحيح فيها أنها من المكنون الذي لا يعلمه إلا الله. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٥، ينظر: روح المعاني: ١١/٣٨٤.

(٣) في (ب) (تعدد).

(٤) ساقطة من (ب).

(٥) في (ب) (انتقالي).

(٦) في (ب) (بتعدد).

(٧) زيادة في (ب).

(٨) ساقطة من (ب).

ويكون مبطلا له ولقولهم: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أُوخْلِقُ﴾ ص: ٧، أي: كذب، لأنه يلزم من كونه عليه الصلاة والسلام صادقا أن يكون قوله صادقا خلافا لهم.

وإذا قلت: ﴿قَف﴾ ق: ١، تكون كأنك قد قلت: يا قدم صدق ﴿وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ﴾ ق: ١، أي: الكريم ما آمن كفار مكة بك ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ ق: ٢، أي: من أنفسهم يندرهم ويخوفهم بالنار بعد البعث، إلى أن قال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ق: ٥، المقضي للتعبير عليه بالقاف الذي هو فاتحة اسمه قدم صدق، وهكذا لا بد وأن يقدر في كل مقام يحتاج إلى التقدير ما يناسبه كي تجري أوائل هذه السور [بأجمعها]^(١) على نمط واحد، ومن حيث إن كل تقدير إنما يؤخذ من سياق الكلام كان ذلك المفرد الذي لا يتم المعنى [المراد]^(٢) إلا به كأنه من القرآن بل هو من القرآن بالقوة؛ لأن الله تبارك وتعالى قد راعاه، وإلا لما كان الكلام في بعض الأماكن مرتبطا ببعضه حتى يكون مفيدا [انظر إلى قوله تعالى]^(٣): ﴿أَيُّجِبُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ الحجرات: ١٢.

وإذا قلت: ﴿تَ﴾ القلم: ١، تكون كأنك [قد]^(٤) قلت: يا نور يا ناصر يا نعمة الله ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿ القلم: ١ - ٢، ولا شك أن في هذه الخطابات أقر هذه الحروف دليل واضح على أنه عليه الصلاة والسلام هو المنادى [المراد]^(٥) بها؛ لأنه هو المخاطب بالقرآن من أوله إلى آخره، وإرادة الخطاب تستدعي نداء المخاطب وإيقاظه ليتلقى ما يلقي إليه وخصوصا إذا كان الملقى أمرا مهما كما هنا، إذ [لأنه]^(٦) لا أهم من القرآن العظيم، فإذا قال القائل: ألف يكون كأنه قد قال: يا ألف، وإذا

(١) في (ب): (كلها).

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) ساقطة من (ب).

(٥) زيادة في (ب).

(٦) زيادة في (ب).

قال: يا ألف يكون كأنه [قد]^(١) ناداه عليه الصلاة والسلام بجميع أسمائه المفتوحة بالألف وهكذا وعلى إرادة هذا الشمول ترتب العدول إلى الحروف؛ لأن استقصاء أسمائه الشريفة وكمالاته المنيفة عليه الصلاة والسلام لا يسعه زمان، وليس هو في طوق البشر، وإنما كان هذا الشمول مطلوباً هنا لما في نداء [الحبيب]^(٢) بأسماء متعددة من كمال التعظيم ونهاية التحقق والتعطف والتودد، وبهذا تعلم ما في أوائل السور من الأسرار مع كمال الاختصار. ولعله من هنا قال الصديق رضي الله عنه وأرضاه: «في كل كتاب سر، وسر الله في القرآن أوائل السور»^(٣) وقال ابن أبي طالب رضي الله عنه: «لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي»^(٤) وكيف لا مع أنه عليه الصلاة والسلام هو معدن الأسرار ومنبع الأنوار، قال سيد العارفين سيدي عبد السلام بن مشيش^(٥) رضي الله عنه عن مشاهدة عرضت له وهبَّ عليه نسيمها: «اللهم صلِّ على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار» إلى أن قال: «وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة».

وقد كان بعض الفضلاء إذا تعسر عليه أمر أو أصابته مصيبة يتوسل إلى الله تعالى بفواتح [أوائل]^(٦) السور فينجلي همه ويضمحل كربه، كيف لا وقد توسل إليه تعالى محمد لحبيبه عنده من الأسماء، وكان بعضهم لا يسافر إلا وهي معه فلا يرجع إلا

(١) ساقطة من (ب).

(٢) في (ب) (المحبوب).

(٣) لم أعثر على الأثر في كتب الحديث وأورده الثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١/١٣٦، والبغوي في معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١/٨٠.

(٤) ينظر معالم التنزيل: ١/٨٠، ومفاتيح الغيب، للرازي: ٢/٢٥٠.

(٥) عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر (منصور) بن علي (أو إبراهيم) الأديس الحسني، أبو محمد: ناسك مغربي، اشتهر برسالة له تدعى « الصلاة المشيشية » شرحها كثيرون، وأحد شروحيها مطبوع. ولد في جبل العلم، بثغر تطوان، وقتل فيه شهيداً، قتله جماعة بعثهم رجل يدعى ابن أبي الطواجين الكتامي (ساحر متنبئ) ودفن بقنة الجبل المذكور. ينظر: لوائح الأنوار في طبقات الأخيار، لعبد الوهاب الشعراني: ٦/٢، والأعلام، للزركلي، ٤/٩.

(٦) ساقطة من (ب).

سالمًا، هذا والتكنية بحرف من الكلمة عليها موجود في كلام العرب بكثرة، فمنه قوله: قلت لها قفي فقالت قاف أي وقفت، فالتكنية هنا عن فعل بحرف متوسط فيه ولا شك أن التكنية عن اسم بحرف متقدم فيه يكون أولى، قال الزجاج^(١): «في نحو هذا وهذا أحسن لأن العرب تذكر حرفًا من كلمة تريدها. هذا ولا يخفى ما في النداء في هذا المقام على هذا الوجه من كمال البلاغة والمطابقة لمقتضى الحال^(٢) وذلك لأن المتكلم عظيم والمخاطب عظيم والكلام المخاطب به عظيم فليكن نداء المخاطب على وجه عظيم والله أعلم»^(٣).

والظاهر أن هذا الكلام لا غبار عليه ولا يحتمل المقام خلافه بدليل [أنه]^(٤) لو [قيل]^(٥) يا محمد مثلاً بدل قولك (الم أو المص أو طه أو يس أو ص أو ق أو ن) لكان الكلام مرتبطاً ببعضه أتم ارتباط ولا تضح لك (الم)^(٦) أكمل اتضاح؛ لأنه (م) يكون كأنك قد قلت: يا محمد ذلك [أي هذا]^(٧) الكتاب لا ريب فيه، يا محمد «كتاب انزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه»، يا محمد «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى»، يا محمد «والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين»، يا محمد «والقرآن ذي الذكر» ما الأمر، كما قال كفار مكة من (تعداد)^(٨) الآلهة، يا محمد «والقرآن المجيد» ما آمن كفار مكة بك، يا محمد «والقلم وما يسطرون ما أنت

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج، البغدادي، نحوي زمانه، وكان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد. وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره، توفي (٣١١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣٦٠/١٤.

(٢) وهو تعريف البلاغة، قال الجرجاني: البلاغة في الكلام: مطابقتها لمقتضى الحال. ينظر: البيان والتبيين: ١/١٨، والتعريفات: ص ٤٦.

(٣) معالم التنزيل: ١/٨٠.

(٤) في (ب) (انك).

(٥) في (ب) (قلت).

(٦) في (ب) (المراد).

(٧) زيادة في (ب).

(٨) في (ب) (تعدد).

بنعمة ربك بمجنون»، وإذا فهمت هذا علمت ما في قول بعض المفسرين في كثير من أوائل هذه السور الله أعلم بمراده. وقال الشعبي^(١) وجماعة من المفسرين^(٢): «(الم) وسائر حروف [التهجي]^(٣) في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهو سر القرآن فنحن نؤمن بظاهره (ونوكل)^(٤) العلم فيها إلى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الإيمان»^(٥) هذا كلام الشعبي ومن معه، وقد قال الربيع بن أنس^(٦) رضي الله عنه: «الألف مفتاح الله، واللام مفتاح اسمه لطيف، والميم مفتاح اسمه مجيد»^(٧)، ولو قال: الألف مفتاح اسمه أحد، واللام مفتاح اسمه (لب الوجود)^(٨)، والميم مفتاح اسمه مجيد، وكل منها منادى بحذف حرف النداء لأصابع عين الصواب، وأما كونه يصير [بذلك]^(٩) في قوة قولك: الله لطيف مجيد، فإن السياق لا يلائمه، إذ لا ارتباط بين قولك: الله لطيف مجيد، وقولك: ذلك الكتاب لا ريب فيه، ولا بين قولك: الله لطيف مجيد صبور، وقولك: «كتاب انزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه» انتهى [والله اعلم]^(١٠).

(١) هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي، الامام، علامة العصر أبو عمرو الهمداني، كان مولده سنة (٢٨ هـ) من الفقهاء في الدين وجلة التابعين، مات سنة (١٠٤ هـ) وكان قد أدرك (١٥٠) من الصحابة. ينظر: سير اعلام النبلاء: ٢٩٤/٤.

(٢) منهم الإمام البغوي، والخازن، وأبي حيان، ينظر: معالم التنزيل، ٨٠/١، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ٢٢/١، والبحر المحيط: ٦٠/١.

(٣) في (ب) (الهجاء).

(٤) في (ب) (ونكل).

(٥) ينظر معالم التنزيل، ٨٠/١، واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل: ٢٥٣/١.

(٦) هو الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي البصري، توفي سنة (١٣٩ هـ). ينظر: طبقات ابن سعد، ٢٦١/٧، سير أعلام النبلاء: ١٧٠/٦.

(٧) ذكره العز بن عبد السلام ولم ينسبه للربيع بن أنس، ينظر: تفسير العز بن عبد السلام: ٩٣/١.

(٨) في (ب) (لطف الله).

(٩) ساقطة من (ب).

(١٠) ساقطة من (ب).

وقد ظهر لي أيضاً في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ٥، إن كلا من الإشارتين لها مرجع يخصه خلافاً لما عليه ما شاهدناه من التفاسير من أن مرجعهما واحد وذلك أي كونه لكل منهما مورد [يخصه]^(١)؛ لأنه قد تقدمها قسماً، قسم المؤمنين العاملين وهو المأخوذ من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقِيمُونَ﴾ البقرة: ٣، وقسم غير العاملين وهو المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ البقرة: ٤، فالإشارة الأولى للثانية، والثانية للأولى على طريقة اللف والنشر المعكوس^(٢)، ووجه التناسب في ذلك غير خفي؛ لأن كل مؤمن على هدى من ربه وإن لم يعمل، ولا شك أن الهداية للإيمان هي أعظم الهدايات وأصلها [وأكمل المنن]^(٣)، قال تعالى: ﴿بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَن هَدٰكُمْ لِلْإِيْمٰنِ﴾ الحجرات: ١٧، ولا شك أن الإيمان بلا عمل ينفع؛ بدليل أن من كان في قلبه مثقال ذرة من

(١) ساقطة من (ب).

(٢) اللف والنشر: هو أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كلا منهما على ما هو له كقوله عز وعلا ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ أَيْلًا وَاللَّيْلَ لَيْسَ لَكُمُ فِيهِ وَلَيْبَسُوا مِن فِضْلِهِ﴾ القصص: ٧٣، ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص ٤٢٥، واللف والنشر قسماً، الأول: اللف والنشر المرتب وهو الأشهر ومثاله الآية السابقة في الليل والنهار، والثاني: على العكس، وهو الذي لا يشترط فيه الترتيب، ثقة بأن السامع يرد كل شيء إلى موضعه، تقدم أو تأخر. ومثاله: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَغَاوًى﴾ ٦ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ ٧ ﴿وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ الضحى: ٦ - ٨. هذه الجمل الثلاث تضمنت أفكاراً ثلاثة مفصلة، فهي لفتٌ مفصل، وجاء بعدها نشرٌ غير مرتب على وفق ما جاء في هذا اللف: فجملة: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرَ﴾ الضحى: ٩ ملائمة للجملة الأولى ومتعلقة بها. وجملة: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ الضحى: ١٠ ملائمة للجملة الثالثة ومتعلقة بها. وجملة: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ الضحى: ١١ ملائمة للجملة الثانية ومتعلقة بها، لأن معنى: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ} ووجدك جاهلاً فعلمك مسائل الدين، ينظر: خزنة الأدب وغاية الأرب، ١٤٩/١، البلاغة العربية، عبد الرحمن حبنكة، ٤٠٦/٢.

(٣) (زيادة في (ب)).

الإيمان دخل الجنة^(١) بخلاف العمل بلا إيمان، قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أََعْمَلُهُمْ كَرَمًا﴾ إبراهيم: ١٨ الآية، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ النور: ٣٩، فمطلق المؤمنين على هدى من ربهم والمؤمنون العاملون هم المفلحون أي الناجون من النار الفائزون بدخول الجنة.

[والله اعلم]^(٢) ...

* * *

(١) وهو أصل حديث للنبي ﷺ فعن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان قال أبو سعيد: فمن شك فليقرأ: «إن الله لا يظلم مثقال ذرة». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، ينظر: سنن الترمذي: ٢٩٥/٤ برقم: ٢٥٩٨.
(٢) (زيادة في (ب)).

المصادر والمراجع

- اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، أحمد بن أبي الضياف، تحقيق: لجنة من وزارة الثقافة والإعلام، الدار العربي للكتاب، تونس، ١٩٩٩م.
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠م.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)، قابله وصححه محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د.ت).
- البحر المحيط: : أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.
- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَه الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي المعروف بـ«الجاحظ» (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ت).
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

تفسير العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسُلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزرازي (ت ٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، ٢٠٠٤م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل محمود شكري آلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الزراق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.

سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أستاذنا الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، (د.ت).

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري،

البغدادي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د.ت).

الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني توفي على الأرجح سنة (٧٧٥هـ)، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

لوائح الأنوار، أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، الشَّعْرَانِي (ت ٩٧٣هـ)، مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر، ١٣١٥هـ.

معالم التنزيل، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.

معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي
أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢،
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي،
الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب
العلمية، بيروت - لبنان، (د.ت).

هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا اللبناني البغدادي
(ت ١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول سنة ١٩٥١،
أعدت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

* * *

رکن القبول فی عقد الوكالة

الدكتور

عدنان نجم عبود

كلية الإمام الأعظم «رحمه الله» الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لكل عقد أركان وشروط لا يتم ولا ينعقد إلا بتحققها وأهم أركان العقد التراضي، والمراد من التراضي توافق إرادتي العاقدين، ومظهر هذا التوافق هو صيغة العقد المتمثلة بالإيجاب والقبول الدالين على تراضي العاقدين، أي تحرك إرادتيهما إلى شيء معين وتعلقهما به. ومجمل القول في ذلك أن التعبير عن الإرادة يكون إما صراحة وإما دلالة. ويكون التعبير عن الإرادة صريحاً إذا كان المظهر الذي إتخذه المتعاقد لفظاً أو كتابة أو إشارة أو نحو ذلك، موضوعاً في ذاته للكشف عن الإرادة حسب المؤلف بين الناس. ويكون التعبير عن الإرادة دلالة إذا كان المظهر الذي إتخذه المتعاقد ليس في ذاته موضوعاً للكشف عن الإرادة ولكنه مع ذلك لا يمكن تفسيره إلا على أساس وجود هذه الإرادة، كالوكيل الذي ينفذ عقد الوكالة فيعتبر تنفيذه للوكالة قبولاً وإن لم يكشف عن إرادته بالقبول لفظاً أو صراحةً.

وتكتسب أهمية ركن القبول في العقد عامة وبعقد الوكالة خاصة، إذ يعتبر السكوت قبولاً إذا احاطت به ظروف ملائمة من شأنها أن تجعله يدل على الرضا. ولا يصح مثل ذلك بالنسبة للإيجاب فلا يعتبر السكوت إيجاباً مطلقاً، وذلك بحسب عبارة الدكتور السنهوري (رحمه الله).

وقد تم تناول البحث من ناحية القوانين الوضعية ولاسيما القانون المدني العراقي والقانون المدني المصري وآراء علماء القانون ثم المقارنة فيما بينها من ناحية، وما بين الفقه الاسلامي ولاسيما مجلة الاحكام العدلية وشروحاتها، من ناحية أخرى. من أجل ذلك قسمتُ البحث إلى مبحث تمهيدي من ثلاثة مطالب: الاول يختص

ركن القبول في عقد الوكالة

بالركن في اللغة والاصطلاح، والمطلب الثاني يخص أركان العقد وشروط صحته في القانون، والثالث يشمل أركان عقد الوكالة.

ثم **المبحث الاول: القبول باللفظ وبغير اللفظ**، ويتكون من مطلبين، الاول يخص القبول باللفظ والثاني يخص القبول بغير اللفظ. **والمبحث الثاني: القبول دلالة**، ويتكون من مطلبين، الاول يخص القبول بالسكوت، والثاني يخص القبول ضمناً. ثم **المبحث الثالث: مجلس العقد بين العاقدين**، ويتكون من مطلبين، الاول يخص التعاقد بين الحاضرين، والثاني يخص التعاقد بين الغائبين.

ثم الخاتمة والتوصيات.

* * *

المبحث التمهيدي

وفيه نسلط الضوء على كل من الركن والشرط في العقد عامة وفي عقد الوكالة خاصة فكل عقد من العقود له أركان خاصة به، وأخرى مشتركة مع بقية العقود. من أجل ذلك قسمنا المبحث التمهيدي الى ثلاثة مطالب، الاول: يخص الركن في اللغة والاصطلاح، والثاني: يخص أركان العقد وشروط صحته في القانون، والثالث: يشمل أركان عقد الوكالة.

المطلب الأول

تعريف الركن

ركن الشيء في اللغة: هو الجانب القوي الذي يمسكه، وعليه اعتماده كأركان البيت، وهي زواياه التي تمسك ببناءه^(١). وعرفه الجرجاني بقوله "العقد: ربط أجزاء التصرف بالايجاب والقبول شرعاً"^(٢). وعرفه القانون المدني العراقي في المادة (٧٣) منه "العقد هو إرتباط الإيجاب الصادر من أحد العاقدين بقبول الآخر على وجه يثبت أثره في المعقود عليه". وقد اختلف الفقهاء في عدد أركان الوكالة فمنهم من عدّها أربعة هي موكل، وكيل،

(١) ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، (دار صادر، بيروت، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م)، ج١٣، ص١٨٥.

(٢) الجرجاني: علي بن محمد بن علي (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق عادل أنور خضر، التعريفات، (ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص١٣٩.

ركن القبول في عقد الوكالة

موكل فيه، وصيغة. وإلى هذا الرأي ذهب المالكية والشافعية والجعفرية والزيدية^(١).
 فيما ذهب الأحناف إلى خلاف ذلك باعتبار ركن الوكالة عندهم هو الايجاب والقبول
 فقط قال الكاساني في البدائع "وأما بيان ركن التوكيل فهو الايجاب من الموكل أن يقول:
 وكلتك بكذا، أو افعل كذا، أو أذنت لك أن تفعل كذا ونحوه، والقبول من الوكيل أن
 يقول: قبلت وما يجري مجراه، فما لم يوجد الايجاب والقبول لا يتم العقد"^(٢).
تعريف الركن اصطلاحاً: الركن في اصطلاح الفقهاء هو ما يكون به قوام الشيء
 ووجوده بحيث يعدّ جزءاً داخلاً في ماهيته^(٣).

وأما أركان العقد عامة، أي الاجزاء التي يتكون منها، فهي عند فقهاء الشريعة^(٤)، شيئان:
 الايجاب والقبول، وهما العوامل الانشائية في بناء العقد. فالايجاب والقبول هما العمل
 القانوني الذي يربط المتعاقدين، فتصير به إرادتهما شريعة ملزمة لهما في حدود حقوقهما.
 والايجاب والقبول بحسب الدكتور الزرقا، يسميان : صيغة العقد، أي العبارات
 المتقابلة الدالة على إتفاق الطرفين^(٥).

وركن العقد إذن هو ما يعبر عن اتفاق الإرادتين من إيجاب وقبول لأنهما العنصران
 الذاتيان في ماهية العقد ومعناه، فبارتباطهما الشرعي يقوم العقد ويتكون كما يتكون

(١) الخطيب: محمد الشربيني، مغني المحتاج الى معرفة الفاظ المنهاج، (مطبعة مصطفى الحلبي
 ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م)، ج٢، ص٢١٧، الحلبي: جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي (ت: ٥٧٢٦هـ)، تذكرة
 الفقهاء، (المكتبة المرتضوية لاهياء الاثار الجعفرية)، ج٢، ص١١٤، المرتضى: احمد بن يحيى
 (ت: ٨٤٠هـ)، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الامصار، (مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م)
 ج٥، ص٥٥.

(٢) الكاساني: علاء الدين ابو بكر بن مسعود (ت: ٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (ط، ١، مطبعة
 الجمالية، مصر، ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م)، ج٦، ص٢٠.

(٣) د. مصطفى احمد الزرقا، المدخل الفقهي العام، (ط٢، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٤م)، ج١، ص٣٨٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٠٣.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٠٣.

ركن القبول في عقد الوكالة

الماء من اتحاد عنصره الكيمائيين، الأوكسجين والهيدروجين^(١). وعلى العموم فلكل عقد أركان وشروط، والركن الاساسي لكل عقد هو رضى المتعاقدين المتمثل بإرتباط الايجاب بالقبول. وكل إرادة من إرادة المتعاقدين يتوقف وجود العقد على تحققها، وكل منهما يشكل جزءاً من مفهوم العقد. فالحنفية وهم الفريق الاول نظروا إلى الركن بإعتباره جزءاً من ماهية الشيء أو العقد ولا قيام له إلا به فقصروا اسم الركن على الإيجاب والقبول لتوفر هذين المعنيين فيه^(٢). فيما ذهب الفريق الآخر وهم جمهور الفقهاء^(٣) إلى أن الركن هو الجزء الذاتي الذي تتركب الماهية منه ومن غيره بحيث يتوقف تقومها عليه. أي أن ركن العقد هو ما توقف عليه وجود الشيء سواء كان جزءاً من ماهيته ام خارجاً عن هذه الماهية، وبالتالي اعتبروا الموجب والقابل ومحل العقد أركاناً في العقد^(٤).

ويرى المحدثون من الفقهاء^(٥) أن الخلاف بين الفريقين لا يعدو أن يكون لفظياً لا يترتب عليه أثر عملي، إذ لا بد من وجود الاركان أو العناصر التي ذكرها غير الاحناف لوجود عقد

(١) المصدر نفسه، ص ٣٩٠.

(٢) ابن عابدين: العلامة محمد امين (ت: ١٢٥٢هـ)، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الإبصار المسماة حاشية ابن عابدين، (المطبعة الاميرية، بولاق، ١٣٢٦هـ)، ج ١، ص ١٦١-١٦٤، الجرجاني، التعريفات، ص ١٠٥.

(٣) الخطيب، مغني المحتاج، ج ٢١، ص ٧-٥، الرملي: شمس الدين محمد بن شهاب الدين حاشية الشبراملسي لأبي الضياء نور الدين بن علي (ت: ١٠٧٨هـ)، نهاية المحتاج الى شرح المنهاج، (مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م)، ج ٣، ص ١٢، الحطاب: ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي (ت: ٥٩٤هـ)، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، (مكتبة النجاح في طرابلس-ليبيا)، ج ٣، ص ٤١٩.

(٤) د.عبد الكريم زيدان، الوجيز في اصول الفقه، (ط ٣، مطبعة سلمان الاعظمي، بغداد، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م)، ص ٤٨.

(٥) محمد رضا عبد الجبار العاني، الوكالة في الشريعة والقانون، (مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)، ص ٧٣.

ركن القبول في عقد الوكالة

الوكالة، وسواء إعتبرناها أركاناً جميعها أم إقتصرنا الركن على الايجاب والقبول، ذلك أن وجود الايجاب والقبول يستلزم وجود الموكل والوكيل لأن الموكل موجب والوكيل قابل، وهذا يستلزم وجود الموكل فيه لأنه المحل الذي يظهر فيه أثر التقاء الايجاب بالقبول. إذن فإن هذه الامور تعتبر كلها من مقومات عقد الوكالة الذي لا يقوم بدونها. وبحسب مفهوم عبارة الدكتور مصطفى الزرقا أستاذ الشريعة والقانون المدني "فإن المحل والعاقدين هما من مقومات العقد لا يقوم بدونهما، وبذلك تضعف شقة الاختلاف بين الفريقين من هذه الناحية"^(١).

* * *

(١) الزرقا، المدخل، ج١، ص ٣٩٠.

المطلب الثاني

أركان العقد وشروط صحته في القانون

• أولاً: أركان العقد في القانون

أما القانون المدني العراقي فقد نصت المادة (٧٣) منه على أن «العقد هو إرتباط الايجاب الصادر من أحد العاقدين بقبول الآخر على وجه يثبت أثره في المعقود عليه».

فلم يحدد القانون المدني أركان العقد في نص معين، على حد تعبير الدكتور عبدالمجيد الحكيم^(١) ولكن يمكن أن يفهم من نص المادة المذكورة أن أركان العقد هما الايجاب والقبول وحسب أما المحل فإن أثر التقاء الايجاب بالقبول إنما يظهر فيه، فهو خارج الماهية ولا يعد من أركان عقد الوكالة. هذا بخلاف القانون المدني المصري الذي جاء صريحاً بإعتبار الايجاب والقبول هما ركنا العقد بقوله في المادة (٨٩) منه: "يتم العقد بمجرد أن يتبادل طرفان التعبير عن إرادتين متطابقتين، مع مراعاة ما يقرره القانون فوق ذلك من اوضاع معينة لانعقاد العقد".

من أجل ذلك ذهب علماء القانون الى فريقين منهم من أعتبر أركان العقد ثلاثة: التراضي والمحل والسبب^(٢). ومنهم من قصر الاركان على الايجاب والقبول وسبب مشروع بقوله «فللعقد إذن ركنان : التراضي والسبب»^(٣). وفريق ثالث ذهب الى أن ركن

(١) عبد المجيد الحكيم، الموجز في شرح القانون المدني، (ط٤، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٤م)، ج ١، ص ٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(٣) د.عبد الرزاق احمد السنهوري، الوسيط في شرح القاون المدني، (ط٣، دار النهضة العربية، مصر، ١٩٨١م)، ج ١، ص ٢١٠.

ركن القبول في عقد الوكالة

العقد الوحيد هو التراضي، فكل إتفاق على إحداث أثر قانوني يسمى عقداً^(١).
والعقد يكون باطلاً إذا فقد ركناً من أركان إنعقاده^(٢).

• ثانياً: شروط صحة العقد

أما شروط الصحة فهي تلك الشروط التي يجب توافرها في الرضاء ليكون العقد صحيحاً. بمعنى إذا كان وجود إرادتين متطابقتين يكفي لوجود العقد، فإنه لا يكفي لصحته، بل يجب حتى يكون العقد صحيحاً أن يكون الرضاء صحيحاً، ولا يكون كذلك إلا بتوافر شرطين، أولهما أن يصدر الرضاء من شخص يتمتع بالأهلية^(٣) اللازمة لإجراء التصرفات القانونية، والثاني أن يكون الرضاء غير مشوب بعيب من عيوب الإرادة التي هي، الاكراه والغلط والتغيير المصحوب بالغبن.

فإذا كان المتعاقد ناقص الأهلية، أو عاب رضاءه أحد تلك العيوب كان العقد موقوفاً. وحكم العقد الموقوف، أن للعاقد بعد زوال سبب الوقف أن ينقض العقد فيصبح باطلاً منذ المبدأ، وله أن يجيزه فيصبح نافذاً منذ المبدأ بأثر رجعي^(٤).



(١) د.حسن علي الذنون، محاضرات في القانون المدني العراقي نظرية العقد، (جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالي، ١٩٥٦م)، ص ١٤.

(٢) كل شخص أهل للتعاقد مالم يقرر القانون عدم أهليته أو يحد منها (المادة ٩٣) مدني) ومناطق الأهلية التمييز فمن كان تمييزه كاملاً كانت أهليته كاملة ومن كان تمييزه ناقصاً كانت أهليته ناقصة ومن كان فاقد التمييز بسبب الصغر أو الجنون كان فاقد الأهلية. منير القاضي، ملتقى البحرين الشرح الموجز للقانون المدني العراقي، (مطبعة العاني، بغداد، ١٩٥١-١٩٥٢م)، ج ١، ص ١٦٤.

(٣) د. محمود سعدالدين الشريف، شرح القانون المدني العراقي، (مطبعة العاني، بغداد، ١٩٥٥م)، ج ١، ص ٨٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٧، د.مالك دوهان الحسن، شرح القانون المدني، (دار النشر، بغداد)، ج ١، ص ٢٦٥.

ركن القبول في عقد الوكالة

المطلب الثالث

أركان عقد الوكالة

الموكل: هو احد العاقدين في عقد الوكالة، وهو الذي يصدر منه الايجاب بالتوكيل ويكون ممن يملك التصرف بنفسه فيما وكل به غيره. بمعنى يملك أهلية التصرف^(٥).

الوكيل: هو الشخص الذي ينوب عن الموكل في القيام بإجراء التصرفات المنوطة به من قبل الموكل بموجب عقد الوكالة وأن يكون الوكيل عاقلاً، وأما البلوغ فليس بشرط لصحة الوكالة فتصح وكالة الصبي المميز^(٦).

الموكل فيه: ويسمى الموكل به ايضاً وهو التصرف الذي يتم اتفاق الموكل والوكيل على نيابة الوكيل في إجراءاته عن الموكل. ويشترط أن يكون الموكل به معلوماً. وأن يملكه الموكل حين التوكيل لانه إذا لم يملكه فكيف يأذن فيه^(٧).

الصيغة: العقد اتفاق إرادتين ينشأ عنه أثره الشرعي أو القانوني ومظهر هذا الاتفاق هو صيغة العقد التي تكشف عن إرادتي الموكل والوكيل الخفيتين. وتتكون الصيغة من إيجاب يصدر من احد المتعاقدين ثم يلاقيه قبول من العاقد الآخر^(٨).

(٥) المادة (٩٩٠) مدني: «١- يشترط لصحة الوكالة أن يكون الموكل ممن يملك التصرف بنفسه فيما وكل به»

(٦) ويشترط أن يكون الوكيل عاقلاً مميزاً، ولا يشترط أن يكون يالغاً، فيصح أن يكون الصبي المميز وكيلاً، وإن لم يكن مأذوناً.

(٧) منيرالقاضي، شرح المجلة، (ط١، مطبعةالعاني، ١٩٤٨م)، ج٣، ص٢٧٨، العاني، الوكالة في الشريعة، ص١٣٥.

(٨) العاني، الوكالة في الشريعة، ص٧٥، د.صلاح الدين الناهي الوجيز الوافي، (عمان - الاردن، ١٩٨٤-٥١٤٠٤م)، ص٤٢-٤٣.

ركن القبول في عقد الوكالة

المبحث الأول

القبول باللفظ وبغير اللفظ

إن التعبير عن الإرادة يكون إما صراحة وإما دلالة. ويكون التعبير عن الإرادة صريحاً إذا كان المظهر الذي أتخذه في التعبير عن الإرادة في ذاته واضحاً في الكشف والبيان عن هذه الإرادة حسب المؤلف بين الناس.

والصراحة تقع بالطرق التالية التي أشارت إليها المادة (٧٩) من القانون المدني: «كما يكون الإيجاب أو القبول بالمشافهة يكون بالمكاتبة وبالإشارة الشائعة الاستعمال ولو من غير الآخرس وبالمبادلة الفعلية الدالة على التراضي ويتخذ أي مسلك آخر لاتدع ظروف الحال شكاً في دلالة على التراضي».

وبذلك يتضح أن كل صيغ التعبير هذه سواء باللفظ أم بغير اللفظ، إنما هي من وسائل التعبير الصريحة.

وبناء عليه قسمنا المبحث إلى مطلبين، الأول: تناولنا فيه: القبول باللفظ، والثاني: القبول بغير اللفظ.

* * *

المطلب الأول

القبول باللفظ

القبول: هو ثاني كلام يصدر من احد العاقدين والإيجاب هو الكلام الأول ولا بد من انطباق وتعلق احدهما بالآخر كي يحصل الانعقاد ويتم عقد الوكالة. فكل كلام جاء بعد الإيجاب بقصد العقد وإتمامه، يسمى قبولاً^(١).

والغاية من القبول أن يكون مطابقاً للإيجاب وكما جاء في المادة (٧٧) من القانون المدني العراقي الفقرة "١- الإيجاب والقبول كل لفظين مستعملين عرفاً لإنشاء العقد. واي لفظ صدر أولاً فهو إيجاب والثاني قبول"^(٢).

فالقبول باللفظ يكون بلفظ يشعر بقبول الوكيل الوكالة كقوله قبلت أو رضيت أو سأفعل أو أنا وكيلك ونحوه، أما إذا قال رددت الوكالة أو لا أقبل أو لا أرضى ونحوه فإن الإيجاب حينئذٍ يكون لغواً ولا يصح ممن رد الوكالة قبولها إلا بإيجاب جديد^(٣).

ويرى بعض الفقه الشافعي بالنظر الى صيغة الإيجاب فإذا كانت لفظاً كقول الموجب وكلتك أو انت وكيلتي فإنه يشترط في القبول أن يكون هو الآخر لفظاً قياساً على الإيجاب باعتبار أن الموكل لما جعل الإيجاب لفظاً أراد أن يكون القبول كذلك لفظاً، أما إذا كان الإيجاب بصيغة الامر بالتصرف بأن قال بع كتابي بكذا فإنه لا يشترط القبول لفظاً وعندهم أيضاً يشترط القبول لفظاً مطلقاً لأن الوكالة تملك للتصرف فلا بد من القبول لفظاً.

(١) صبحي المحمصاني، النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية، (مطبعة الكشاف بيروت، ١٩٤٨م)، ج٢، ص٣٨-٤٠.

(٢) المادة ١٠٢ مجلة الأحكام العدلية «القبول ثاني كلام يصدر من احد العاقدين لأجل إنشاء التصرف وبه يتم العقد».

(٣) العاني، الوكالة في الشريعة، ص٨٠.

ركن القبول في عقد الوكالة

وعندهم كذلك لا يشترط القبول لفظاً إلا إذا كانت الوكالة بإجرة، وهنا صارت الوكالة من قبيل الإجارة وهي عقد تمليك لازم وفيه يشترط القبول لفظاً^(١).

والغاية من الإيجاب والقبول هي إظهار قصد المتعاقدين ورضاهم، لاسيما رضى الموكل الموجب، إذ بدون رضاه ليست ثمة وكالة وإنما هي حالة غضب.^(٢) ذلك أن كلا من الإيجاب والقبول يؤلف شرطاً من الرضى وبتطابقهما يكمل الرضى ويحصل الانعقاد على الوجه الصحيح. هذا ويجب أن يكون القابل شخصاً آخر غير الموجب أي غير من صدر عنه الإيجاب لأنه لا يجوز بصورة عامة أن يكون الشخص لوحده يمثل أرادة طرفي العقد أو بعبارة البدائع "لا يصلح الواحد عاقداً من الجانبين"^(٣).

وبهذا الاتجاه القانون المدني العراقي فقد نصت المادة (٥٩٢) منه على أنه "١- ليس للوكلاء أن يشتروا الاموال الموكلين هم ببيعها أو التي يكون بيعها على يدهم ...".

ولكن لهذا الاصل إستثناء تقرر لجهة الأب الذي له أن يشتري مال ولده الصغير أو أن يبيع ماله بمثل قيمته أو بما يتغابن فيه الناس عادة ويتم العقد في ذلك بإيجاب الأب فقط، ويقوم إيجابه مقام القبول ايضاً بإعتبار الأب أصيلاً عن نفسه ونائب عن ولده^(٤).

فقد نصت المادة (٥٨٨) على أنه "١- يجوز للأب الذي له ولاية على ولده أن يبيع ماله لولده وله أن يشتري مال ولده لنفسه بمثل قيمته وبغبن يسير لا فاحش. ٢- فإن باع مال نفسه لولده أو أشتري مال ولده لنفسه، يعتبر كل من الثمن والمبيع مقبوضين بمجرد العقد. ٣- والجد كالأب في الحكم.

هذا وإن الارادة أي ارادة العاقدين شيء كامن في النفس وغير ظاهر فهي من الأمور الباطنة، لذا يقتضي تلمس وسيلة للتعبير والكشف عن هذه الإرادة الباطنة

(١) النووي: الامام يحيى بن شرف (ت: ٥٦٧٦هـ)، تحقيق المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، روضة

الطالبين، دمشق، ج٤، ص٣٠٠، الرملي، نهاية المحتاج، ج٥، ص٢٨.

(٢) مراد شكري، المنخلة النونية، (مكتبة الحسن، عمان، بلا.ت.)، ص٢١٧.

(٣) الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص٢٣.

(٤) المحمصاني، ج٢، ص٤٢.

باستعمال مادة اللفظ ونحوه، فالأصل في التعبير عن الإرادة أن يكون بواسطة الألفاظ الموضوعية لها كما هو مقرر في الفقه الاسلامي الذي يجعل من اللفظ أداة طبيعية عامة للتعبير عن الإرادة^(١).

وجاء في المادة (٧٩) من القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١ قولها: كما يكون الايجاب او القبول بالمشافهة يكون بالمكاتبة ... إذ جعلت المشافهة باللفظ من أولويات التعبير عن الإرادة، لكن هذا التعبير لا يشترط ألفاظا معينة بذاتها فكل لفظ يدل على إرادة العاقد دون لبس أو أبهام يكفي كوسيلة للتعبير عن الإرادة التي ينعقد بها العقد^(٢). كأن يقول الموكل لشخص آخر وكتلتك بكذا أو أفعل كذا أو أذنت لك كذا أو أجزت لك أن تفعل كذا فيقول قبلت أو رضيت^(٣).

ومتى احتمل اللفظ المستعمل للتعبير عن الإرادة لأكثر من معنى فلا بد من قرينة تصرفه أو ترجح أن العاقد أراد أو قصد هذا العقد دون سواه^(٤). مثال ذلك أن يقول شخص لآخر أوصيتك ببيع داري في بغداد وأن يكون استلام بدل البيع من قبلي مباشرةً فالعبارة الاخيرة قرينة على أنها توكيل حال حياة الموكل وليست وصية لكون الوصية لا تنفذ الا بعد وفاة الموصي.

ومثلما يكون التعبير عن الإرادة أو القبول باللفظ أو المشافهة فانه يمكن أن يكون بغير اللفظ وهذا ما تناوله في المطلب الثاني.

* * *

(١) الذنون، محاضرات، ص ١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨.

(٣) القاضي، شرح المجلة، ج ٣، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٤) الزرقا، المدخل، ج ١، ص ٤٦.

المطلب الثاني

القبول بغير اللفظ

إن النطق باللسان أو اللفظ ليس هو الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الإرادة بصورة جازمة، وإن كان النطق هو الأصل في البيان، ولكن قد تقوم مقامه وسائل أخرى يمكن أن تعبر عن الإرادة الجازمة تعبيراً كافياً.

وعلى هذا النحو قرر الفقهاء أنه يمكن أن يقوم مقام النطق في كل من الإيجاب والقبول وسائل أخرى كالكتابة أو الإشارة وذلك في سائر العقود ومنها عقد الوكالة^(١). وذلك ما أكدته المادة (٧٩) من القانون المدني بقولها: كما يكون الإيجاب أو القبول بالمشافهة يكون بالمكاتبة وبالإشارة الشائعة وبالمبادلة الفعلية الدالة على التراضي وبإتخاذ أي مسلك آخر لاتدع ظروف الحال شكاً في دلالتها على التراضي.

فالكتابة بين الغائبين كالنطق بين الحاضرين، وعلى هذا الاعتبار وضعت القاعدة الفقهية "الكتاب كالخطاب"^(٢). وهذا يعني أن الكتابة تعد من قبيل التعبير الصريح عن الإرادة شأنها شأن عبارة اللفظ وفي ذلك يقول فقهاء القانون: التوكيل صريح وضماني والصريح هو كتحرير ورقة أو سند تظهر فيه إرادة المتعاقدين^(٣). بل الغالب في التوكيل حالياً أن يكون في ورقة رسمية مصدقة من جهة مختصة هي كاتب العدل أو الكاتب بالعدل تلك التسمية التي استمدتها بعض القوانين من آية المداينة قوله تعالى «وَأَلْيَكُتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ»^(٤).

(١) الزرقا، المدخل، ج ١، ص ٤١١.

(٢) القاضي، ملتمقى البحرين، ج ١، ص ٦٩، الزرقا، المدخل، ج ١، ص ٤١٢.

(٣) احمد فتحي زغلول، شرح القانون المدني، (المطبعة الأميرية، مصر، ١٩١٣م)، ص ٢٩٢.

(٤) سورة البقرة / من الآية ٢٨٢.

ركن القبول في عقد الوكالة

لكن حكم القبول والإيجاب هنا لا يظهر أثره وقت الكتابة، وإنما عقب وصول الكتاب إلى القابل بالفعل وقراءته من قبله وقبول الإيجاب فعندئذ تأخذ العبارة مفعولها وبالتالي يعتبر الموجب موجباً والقابل قابلاً^(١).

وقد بينت الفقرة (٢) من المادة (٨٧) من القانون المدني أن وصول القبول إلى الموجب قرينة على علم الموجب بالقبول بقولها: ويكون مفروضاً أن الموجب قد علم بالقبول في المكان والزمان اللذين وصل إليه فيها.

فالكثابة «تصلح تعبيراً عن الإرادة بين الغائبين والحاضرين، لا كما هو معروف في الفقه الإسلامي من إختصاصها بالتعبير عن الغائبين فقط»^(٢).

لكن التعبير عن الإرادة صراحة بغير اللفظ لا يقتصر على الكتابة وحدها وإنما يشمل الإشارة من الأخرس أو من غيره كما هو مفهوم من الإطلاق الذي جاءت به المادة (٧٩) فإشارة الأخرس غير المبهمة هي تعبير صريح عن إرادته فالأخرس يمكن أن يكون موجباً أو قابلاً أي موكلاً أو وكيلاً^(٣).

بل ويعتبر من قبيل التصريح عن الإرادة "أي مسلك آخر يسلكه الشخص للتصريح عن إرادته إذا قامت قرائن تنفي الشك عن دلالة على الرضاء"^(٤).

* * *

(١) الزرقا، المدخل، ج ١، ص ٤١٢.

(٢) القاضي، ملتنقى البحرين، ج ١، ص ١٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٨.

المبحث الثاني

القبول دلالة

كنا قد علمنا أن التعبير عن الإرادة إما صراحة وإما دلالة، وعلمنا معنى التعبير الصريح، بقي أن نعلم معنى التعبير عن الإرادة دلالة، وهو موضوع هذا المبحث. حيث يكون التعبير عن الإرادة دلالة متى كان المظهر الذي إتخذه المتعاقد ليس في ذاته موضوعاً للكشف عن إرادته، ولكن مع ذلك لا يمكن تفسيره إلا عن وجود هذه الإرادة وإنصرافها الى التعاقد. وذلك ما يعبر عنه : **القبول بالسكوت في مطلب أول، ثم القبول ضمناً في مطلب ثان.**

* * *

المطلب الاول

القبول بالسكوت

السكوت هو موقف سلبي محض لا يعبر عن إرادة المتعاقد، لأن الإرادة كما بينا شيء كامن في نفس الشخص لا يمكن معرفته إلا بمظهر خارجي يفصح عنه، والسكوت لم يعبر بطريق ايجابي عن أي إرادة لذلك جاء في الفقه الإسلامي «لا ينسب إلى الساكت قول» إذ من المقرر في هذا الفقه وكذلك في الفقه الغربي أن السكوت المجرد بحد ذاته أي دون أن يلابسه شيء أو يحيط به ظرف خارجي لا يصلح لان يكون قبولاً^(١).

ويمكن القول بوجه عام أن السكوت في ذاته مجرداً عن أي ظرف ملابس له، لا يكون تعبيراً عن الإرادة ولو قبولاً، لأن الإرادة عمل إيجابي والسكوت سلبي.

أما المادة (٨١) من القانون المدني فإنها تعرض للسكوت كوسيلة من وسائل التعبير عن الإرادة فهي تقرر أنه : ١- لا ينسب الى ساكت قول ولكن السكوت في معرض الحاجة الى البيان يعتبر قبولاً.

٢- ويعتبر السكوت قبولاً بوجه خاص إذا كان هناك تعامل سابق بين المتعاقدين و اتصل هذا التعامل أو إذا تمخض الإيجاب لمنفعة من وجه إليه. وكذلك يكون سكوت المشتري بعد أن يتسلم البضائع التي إشتراها قبولاً لما ورد في قائمة الثمن من شروط. فالسكوت بحد ذاته، ومستقلاً عن أي ظرف خارجي بصرفه إلى وجهة معينة، لا يصلح لأن يكون قبولاً^(٢).

(١) د.عبد الرزاق احمد السنهوري ،مصادر الحق في الفقه الاسلامي،(ط٢)، منشورات الحلبي

بيروت،(١٩٩٨م)، ج١، ص١٢٦.

(٢) الذنون، محاضرات، ص ٢٢.

على أن السكوت قد تحيط به ملابسات أو ظروف خارجية تصرفه الى ناحية القبول وهذا هو السكوت الملابس أو المسبب أو السكوت في معرض الحاجة كما يسميه فقهاء الشريعة^(١) وكما سماه المشرع العراقي في المادة (٨١) آتفة الذكر.

فسكوت القابل هنا يمكن استخلاصه من حالات معينة. ولكن متى يكون هذا السكوت قبولاً أو بعبارة ادق متى يعتبر من وُجَّه اليه الإيجاب قابلاً، ذلك ما اجاب عنه الدكتور السنهوري بقوله: (فالإيجاب لايمكن أن يستخلص من محض السكوت، أما القبول فيجوز استخلاصه من الظروف الملابسة)^(٢). ولذلك قيل تكملة للعبارة الاولى «ولكن السكوت في معرض الحاجة بيان» بمعنى إذا دعت الحاجة الى بيان ممن وجه إليه الإيجاب أو إستوجب منه الكلام فإن سكوته يعد رضا وقبولاً منه وليس رفضاً. كما إذا إعتاد عميل إستيراد البضائع التي يريدتها من تاجر بالكتابة إليه فيرسل له التاجر ما يريد دون أن يؤذنه بالقبول، فإذا طلب العميل شيئاً وظل التاجر ساكناً كعادته كان للعميل أن يعتبر هذا السكوت رضاء وأن التاجر سيرسل له ماطلب كما عوده^(٣). بل أن المحكمة المختصة أعتبرت سكوت التاجر هذا قبولاً^(٤). وكذا يصح لو كان وكيل العميل مكان التاجر في هذا المثال وطلب منه إرسال البضاعة بناء على التعامل السابق والعلاقات المستمرة بينهما أمداً طويلاً^(٥).

وكذلك أشارت الفقرة الثانية من المادة (٨١) إذا كان العرض نافعاً من كل الوجوه للمعروض عليه وسكت هذا الاخير فيعتبر سكوته رضاء كما في حالة الهبة إذا عرضت على الموهوب له أو وكيله فسكت. وبهذا المعنى جاء نص المادة (٩٨) من القانون المدني المصري^(٦) ١- إذا كانت طبيعة المعاملة أو العرف التجاري أو غير ذلك من الظروف تدل

(١) القاضي، ملتقى البحرين، ج ١، ص ١٤٠.

(٢) السنهوري، مصادر الحق، ج ٢، ص ١٢٦-١٢٧.

(٣) السنهوري، الوسيط، ج ١، ص ٢٨٥.

(٤) الذنون، محاضرات، ص ٢٣.

(٥) الناهي، الوجيز، ص ٤٦.

على أن الموجب لم يكن لينتظر تصريحاً بالقبول، فإن العقد يعتبر قد تم، إذا لم يرفض الإيجاب في وقت مناسب ٢- ويعتبر السكوت عن الرد قبولاً، إذا كان هناك تعامل سابق بين المتعاقدين و اتصل الإيجاب بهذا التعامل، أو إذا تمحض الإيجاب لمنفعة من وجه إليه». فكانت هذه المادة من الوضوح أكثر من المادة (٨١) عراقي لما نصت عليه أن العقد يعتبر قد تم إذا كانت طبيعة التعامل أو غير ذلك من الظروف تدل على أن الموجب لم يكن لينتظر تصريحاً بالقبول، وكذلك عبارة « ويعتبر السكوت عن الرد قبولاً» أي عند وجود تعامل سابق اتصل به الإيجاب أو تمحض الإيجاب لمنفعة من وجه إليه.

فكان يستحسن بالمشرع العراقي لو أورد مثل هذا النص.

فالإستثناء إذن من قاعدة لا ينسب لساكت قول هو أن يعتبر السكوت قبولاً إذا أحاطت به ظروف ملائمة من شأنها تجعله يدل على الرضا ولا يقتصر على ماتقدم من أمثلة فكل سكوت تلازمه ملابسات تدل على الرضا فهو سكوت ملابس ويعتبر قبولاً، كما إذا علم الموكل بمجاوزة الوكيل حدود الوكالة فسكت فإن سكوته يعتبر إجازة منه ومع ذلك لا يمكن أن يفهم أن السكوت الملابس هو بمثابة التعبير الضمني عن إرادة القابل، إذ لا يعتبر السكوت إرادة ضمنية لأن هذه الأخيرة تستخلص من ظروف إيجابية تدل عليها، فالتنفيذ الاختياري للإيجاب بصورة عامة أو تنفيذ الوكالة بصورة خاصة يقوم مقام القبول، فيتم به العقد ويعتبر قبولاً ضمناً، أما السكوت فهو بمثابة العدم لأنه مجرد وضع سلبي « فمن الممتنع على وجه الإطلاق أن يتضمن إيجاباً، وإنما يجوز في بعض الفروض الإستثنائية أن يعتبر قبولاً»^(١).

* * *

(١) السنهوري، الوسيط، ج ١، ص ٢٨١ - ٢٨٢.

المطلب الثاني

القبول الضمني

نصت الفقرة الأولى من المادة (٩٢٩) من القانون المدني العراقي على أن «تنفيذ الوكالة يعتبر قبولاً لها...» ويذهب علماء القانون^(١) الى أن التنفيذ الاختياري للإيجاب يقوم مقام القبول وينعقد به عقد الوكالة وقد يعتبر التنفيذ الاختياري قبولاً بحكم القانون، وذلك ما أشارت إليه الفقرة الأولى من المادة (٩٢٩) آنفة الذكر التي إعتبرت تنفيذ الوكالة قبولاً لها. وقد جرى القضاء المصري على إعتبرار التنفيذ الاختياري قبولاً ضمناً للإيجاب، ففي قرار لمحكمة الاسكندرية الأبتدائية المختلطة قولها «بأنه يجوز أن يستفاد الرضاء من القيام بعمل من أعمال التنفيذ لاسبيل معه إلى الشك في إنصراف نية العاقد الذي لم يوقع العقد إلى القبول»^(٢).

أما الزمان والمكان اللذان يتم فيهما عقد الوكالة فيتبع في شأن تحديدهما القواعد العامة إذ لا يوجد نص خاص في ذلك. وتقضي القواعد العامة أن العقد يتم وقت أن يعلم الموجب بهذا التنفيذ الاختياري وفي المكان الذي علم فيه ذلك، وذلك تطبيقاً للمادة (٨٧) من القانون المدني العراقي التي نصت "١- يعتبر التعاقد مابين الغائبين قد تم في المكان والزمان اللذين يعلم فيهما الموجب بالقبول مالم يوجد إتفاق صريح أو ضمني أو نص قانوني يقضي بغير ذلك. ٢- ويكون مفروضاً أن الموجب قد علم بالقبول في المكان والزمان اللذين وصل إليه فيهما" وبهذا المعنى بل بهذا النص مع إختلاف يسير جاء نص

(١) السنهوري، الوسيط، ج ١، ص ٢٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٨٧.

المادة (٩٧) من القانون المدني المصري^(١).

فإذا قام الموجب له عن طوع وإرادة بتنفيذ الموكل به دون أن يصدر منه قول بقبول الوكالة كما لو قال شخص لآخر وكلتك في بيع كتابي هذا فأخذه وباعه فإنه يدل على قبول الوكالة ضمناً وإن ما صدر منه من فعل إنما هو قبول معتبر ينعقد به عقد الوكالة وينتج أثره، فليس قبول الوكيل لفظاً أو صراحة شرطاً في صحة عقد الوكالة^(٢).

ورد في «صحيح البخاري» من حديث عروة البارقي رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَعْطَاهُ دِينَارًا يَشْتَرِي لَهُ بِهِ شَاةً، فَاشْتَرَى لَهُ بِهِ شَاتَيْنِ، فَبَاعَ إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ، وَجَاءَهُ بِدِينَارٍ وَشَاةٍ، فَدَعَا لَهُ بِالْبَرْكََةِ فِي بَيْعِهِ، وَكَانَ لَوْ اشْتَرَى التُّرَابَ لَرَبِحَ فِيهِ»^(٣). فالظاهر من التوكيل أن الوكيل كان قد خالف ما طلبه منه الموكل ﷺ ولكن الأمر عاد إلى رضاه بفعل ما قام به الوكيل من حسن تصرف ولو لم يأمره به «فإذا رضي الموكل فلا أعلم خلافاً في جوازه»^(٤). وعلى الرغم من أهمية القبول ورضى الوكيل في عقد الوكالة "فإن رضي الموكل هو المعتبر وهو رأس هذا الأمر، ولا بد من رضاه إذ بدون رضاه ليست وكالة وإنما غصب"^(٥).

(١) ١- يعتبر التعاقد ما بين الغائبين قد تم في المكان وفي الزمان اللذين يعلم فيهما الموجب بالقبول. مالم يوجد إتفاق أو نص قانوني يقضي بغير ذلك. ٢- ويفترض أن الموجب قد علم بالقبول في المكان وفي الزمان اللذين وصل إليه فيهما هذا القبول.

(٢) علي حيدر، درر الأحكام شرح مجلة الأحكام، تعريب المحامي فهمي سعيد الحسيني، (مكتبة النهضة، بيروت - بغداد)، ج ٢، ص ٥٢٦، ٥٢٨، العاني، الوكالة في الشريعة، ص ٨٠.

(٣) البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، (ط ١، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم - ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٢٢هـ)، (باب) رقم الحديث (٣٦٤٢)، ج ٤، ص ٢٠٧.

(٤) شكري، المنخلة النونية، ص ٢١٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢١٧.

ركن القبول في عقد الوكالة

المبحث الثالث

مجلس العقد بين العاقدین

مجلس العقد هو المكان الذي يوجد فيه المتعاقدان، الموجب والقابل، ويبدأ من وقت صدور الإيجاب، ويبقى مادام المتعاقدان منصرفين إلى التعاقد، فإن أعرض أحدهما فقد أنفض مجلس العقد.

ويجب أن يكون الإيجاب والقبول في مجلس واحد، فإتحد المجلس شرط في الإنعقاد، وهذه هي نظرية مجلس العقد فيما بين الحاضرين. أما إذا أوجب أحد المتعاقدين وكان المتعاقد الآخر غائب عن المجلس الذي صدر فيه الإيجاب، فلا بد من بلوغ الإيجاب إليه سواء عن طريق الكتابة أم الرسول، وكان التعاقد بين غائبين.

إن مجلس العقد في التعاقد بين الغائبين غير مجلسه في التعاقد بين الحاضرين، فالمجلس الثاني هو محل صدور الإيجاب، أما المجلس الأول فهو محل بلوغ الإيجاب إلى المتعاقد الآخر.

وبذلك قسمنا المبحث إلى مطلبين يشتمل الأول على التعاقد بين حاضرين، والثاني على التعاقد بين غائبين.

* * *

المطلب الأول

التعاقد بين حاضرين

في التعاقد بين حاضرين يجب تطابق الإيجاب والقبول في مجلس العقد. هذه عبارة الدكتور السنهوري التي يستهل بها موضوع التعاقد بين الحاضرين. وهذا يستلزم التطرق إلى كل من مجلس العقد وتطابق الإيجاب والقبول .

• أولاً :- مجلس العقد.

هو المكان الذي يضم المتعاقدين ولم يتفرقا عنه، ذلك أن اتحاد المجلس الذي يضم المتعاقدين الموجب والقابل هو شرط في انعقاد العقد وهذه هي نظرية مجلس العقد حسب تعبير السنهوري^(١). وليس المقصود بالمكان هو المعنى المادي وحسب وإنما المقصود وقت الاجتماع الذي يبقى فيه المتعاقدين منشغلين بالتعاقد دون أن يصرفهما عنه شاغل آخر. فالغرض من نظرية مجلس العقد هو تحديد المدة التي تصح أن تفصل القبول عن الإيجاب حتى يتمكن من عرض عليه الإيجاب من المتعاقدين أن يتدبر أمره فيقبل الإيجاب أو يرفضه^(٢). فإذا صدر الإيجاب من احد الطرفين موجهاً إلى الطرف الآخر الحاضر في المجلس، ثم صدر من هذا الأخير القبول تم العقد حتى لو جاء هذا القبول متأخراً إلى نهاية المجلس فلكل من الطرفين الحق في أن يرجع عما عرضه على الطرف الآخر مادام هذا الأخير لم يبد القبول بعد وهذا ما يسمى بخيار المجلس^(٣). ولكن هذا الخيار مشروط بأن يكون الإيجاب مازال قائماً غير مبطل، ويبطل الإيجاب الصادر في

(١) السنهوري، الوسيط، ج ١، ص ٢٧٣.

(٢) السنهوري، مصادر الحق، ج ٢، ص ٢، الذنون، محاضرات، ص ٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦، المحمصاني، النظرية العامة، ج ٢، ص ٤٢.

المجلس إذا رجع الموجب عن إيجابه قبل صدور القبول أو إذا انشغل الموجب بعد صدور الإيجاب منه بقول أو فعل لا علاقة له بموضوع التعاقد وكذلك إذا انشغل من وجه إليه الإيجاب بشيء مما تقدم. ويسقط الإيجاب أيضاً بإنقضاء مجلس العقد دون أن يرتبط به القبول. فإذا بطل الإيجاب ثم جاء القبول بعد ذلك فإنه لا عبرة به ولا يتم به العقد^(١).

وأما بصدد فورية القبول هل يشترط في القبول الفورية أم يجوز التراخي؟ لم يختلف الفقهاء في حالة قبول الوكالة فوراً بعد صدور الإيجاب، فهو قبول صحيح تنعقد به الوكالة، ولكن الاختلاف وقع في حالة تراخي الوكيل في القبول ففي صحة قبوله خلاف بين الفقهاء حيث ذهب فريق منهم وهم جمهور الحنفية والجعفرية والزيدية في الأصح وافقهم الحنابلة بأنه يجوز تراخي القبول ولا يشترط الفورية فيه. وحجة هذا الفريق أن وكلاء النبي صلى الله عليه وسلم كان قبولهم بفعلهم وكان متراخياً^(٢).

فيما ذهب فريق آخر منهم الشافعية إلى وجوب الفورية في القبول وحثتهم في ذلك أن الوكالة عقد حال حياة الموكل والوكيل فيجب القبول فيه على الفور فهو من هذه الناحية كالبيع. غير أنهم أثبتوا للعائد خيار المجلس، فيحق له بمقتضى هذا الخيار الرجوع في قبوله ولو إقترن بالإيجاب مالم يتفرقا عن مجلس العقد. فخير المجلس عندهم يعقب مجلس العقد فوراً ويستمر حتى نهاية المجلس، فلا ينقضي إلا بتفرق المتعاقدين بالابدان^(٣).

(١) القاضي، ملتنقى البحرين، ص ١٤٢-١٤٣.

(٢) الشيرازي : ابو اسحاق ابراهيم بن علي (ت:٥٤٧٦هـ)، المهذب، (نشر عيسى البابي الحلبي) ج١، ص٣٥٠، ابن قدامة: ابو محمد عبد الله بن احمد، المغني، (مطبعة الامام)، ج٥، ص٧٧، الفتاوى الهندية المسماة بالفتاوى العالمية لجماعة من علماء الهند، (ط٢، المطبعة الكبرى الاميرية، ببولاق، مصر)، ج٣، ص٥٦٠، العامل: محمد الجواد بن محمد الحسيني (ت:٥١٢٦هـ)، مفتاح الكرامة، (مطبعة الشورى بالفجالة، مصر)، ج٧، ص٢٥، المرتضى، البحر الزخار، ج٥، ص٥٥.

(٣) الشيرازي، المهذب، ج١، ص٣٥٠، ابن قدامة، المغني، ج٥، ص٧٧، د. هشام قريسة، نظرية العقد

ركن القبول في عقد الوكالة

أما المشرع العراقي فقد أخذ بالرأي الذي يصح فيه تراخي القبول إلى نهاية مجلس العقد، فقد نصت المادة (٨٢) منه "المتعاقدان بالخيار بعد الإيجاب إلى آخر المجلس". ومتى قام الإيجاب ولم ينقض الميعاد الذي يصح فيه القبول، فإن الموجب له أي القابل يكون بالخيار بين قبول الإيجاب أو رفضه "ولا يتحتم عليه أن يقبل، وإلا قام العقد على الإيجاب وحده"^(١).

هذا وقد اختلف فقهاء الشريعة في مسألة حق المتعاقدين بالرجوع عن العقد حتى بعد القبول وإرتباطه بالإيجاب، مالم يتفرقا ولم ينقض مجلس العقد بعد، وعن معنى التفرق. ويرجع سبب اختلافهم في الحقيقة إلى السبب في تفسيرهم للحديث الشريف:- «البيعان أو المتبايعان بالخيار مالم يتفرقا»^(٢). فمنهم من فسر التفرق بمقتضى النص الحرفي للحديث حيث فسر كلمة التفرق على أنها بالابدان وجعلوا التفرق بالابدان مباينة المتعاقد لمجلس العقد ومكانه بحيث لو نادى عليه المتعاقد الآخر لم يسمعه. حتى صار أحدهم إذا تعاقد مع آخر، ترك مجلس العقد ومكانه مقدار ماتقرر آنفاً ليصبح العقد بعدها باتاً. غير أنهم جوزوا لكل من المتعاقدين أن يرجع عن العقد حتى بعد القبول مالم يتفرقا من مجلس العقد بالابدان وسموا هذا الخيار بخيار المجلس أيضاً وهذا عند الشافعية^(٣).

والى هذا المعنى ذهب أيضاً ابن حزم بقوله « إن لكل واحد منهما قبل افتراقهما - بالابدان - إبطال ذلك العقد أحب الأخر أم كره...»^(٤) في حين اعتبر الإمام ابوحنيفة

في الفقه الاسلامي، (دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٨م)، ص ٥١.

(١) السنهوري، الوسيط، ج ١، ص ٢٧٥.

(٢) البيهقي: ابو بكر احمد بن الحسين الخراساني (ت: ٥٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي امين قلعي، معرفة السنن والآثار، (ط ١)، كراتشي - باكستان، دار قتيبة، دمشق - بيروت، دار الوعي، حلب - بيروت، دار الوفاء، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، ج ٨، ص ٢١، رقم الحديث (١٠٩٩١).

(٣) الشيرازي، المهذب، ج ١، ص ٣٥٠، المحمصاني، النظرية العامة، ج ٢، ص ٤٢.

(٤) ابن حزم: علي بن احمد بن سعيد الظاهري الاندلسي (ت: ٥٤٥٧هـ)، المحلى، (مطبعة الامام، مصر، بلا.ت.))،

وتلميذه محمد بن الحسن أن المقصود في التفرق هو التفرق بالأقوال، فقد روي عن أبي حنيفة قوله "أرأيت إن كانوا في سفينة فكيف يفترون"^(١). وأجازوا لكل من العاقدين حق الرجوع عن العقد في المجلس لحين القبول. فإن تم القبول وارتبط بالإيجاب على الوجه الصحيح انعقد العقد وامتنع الرجوع عنه أي ينقطع عندهم خيار المجلس بإرتباط الإيجاب بالقبول، وحجة هذا الفريق أن إثبات خيار المجلس لأحد المتعاقدين بعد توافقهما يقتضي إبطال حق الآخر دون مسوغ بل ويناقض الآيات الكريمة التي أقرت الوفاء بالعقود.

• ثانياً:- تطابق الإيجاب والقبول

يجب أن يأتي القبول مطابقاً للإيجاب مطابقة تامة بأن يكون متفقاً كل الاتفاق مع الموجب في جميع المسائل التي تناولها الإيجاب، فإذا لم تتحقق هذه المطابقة «أنزل القبول منزلة الإيجاب الجديد وأصبح مفتقراً إلى قبول الموجب»^(٢). بمعنى أن القبول إذا جاء غير مطابق للإيجاب كأن اختلف عنه زيادة أو نقصاً أو تعديلاً فإن العقد لا يتم ويعتبر مثل هذا القبول رفضاً يتضمن إيجاباً جديداً. وهذا الحكم قد نص عليه صراحة في المادة (٩٦) من القانون المدني المصري ولم يكن له مقابل في القانون المدني العراقي إذ قضت بأنه "إذا اقترن القبول بما يزيد في الإيجاب أو يقيد منه أو يعدل منه، أعتبر رفضاً يتضمن إيجاباً جديداً"^(٣).

وقد نصت الفقرة الثانية من المادة (٨٦) من القانون المدني العراقي على ما يأتي "وإذا إتفق الطرفان على جميع المسائل الجوهرية في العقد واحتفظا بمسائل تفصيلية يتفقان

ج ٨، ص ١٤١٧.

(١) ابن عبد البر: ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت: ٤٦٣ هـ)، الانتقاء في فضائل الثلاثة الاثمة الفقهاء مالك والشافعي وابي حنيفة (رضي الله عنهم)، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ج ١، ص ١٤٨.

(٢) الشريف، شرح القانون المدني، ج ١، ص ١١٠.

(٣) مجموعة القوانين المصرية، القانون المدني رقم (١٣١) لسنة ١٩٤٨ م، مطبعة الاتحاد، مصر،

١٩٤٩ م، ص ٢٥.

ركن القبول في عقد الوكالة

عليهما فيما بعد ولم يشترطاً أن العقد يكون غير منعقد عند عدم الاتفاق على هذه المسائل فيعتبر العقد قد تم، وإذا قام خلاف على المسائل التي لم يتم الاتفاق عليها فإن المحكمة تقتضي فيها طبقاً لطبيعة الموضوع ولأحكام القانون والعرف والعدالة" والحكم الذي تقرره هذه المادة التي لها نظير في المادة (٩٥) من القانون المدني المصري، هو مجرد تفسير واحترام لنية المتعاقدين على إعتبار أنهم قصدوا إنهاء العقد بصورة نهائية بعد الاتفاق على المسائل الجوهرية جميعاً، على أن المتعاقدين قد حددا مسائل تفصيلية لم يتم الاتفاق عليها وإحتفظا بها لتكون محلاً للاتفاق فيما بعد. ولكن حتى لو لم يتم الاتفاق عليها فيما بعد فإن العقد يعتبر قد تم. والذي يبرر هذا الحكم هو أن هذه المسائل ليست جوهرية في العقد من ناحية ومن ناحية أخرى أن القانون قد أباح للقاضي أن يقضي فيما إختلفا فيه من مسائل غير جوهرية طبقاً لطبيعة المعاملة ولأحكام القانون والعرف والعدالة.

وعلى هذا النحو يتسع نطاق مهمة القاضي ولم يعد يقتصر على تفسير العقد بل يجاوز ذلك إلى إستكمال بعض نواقص العقد ليكون القاضي أقرب إلى حالة تكميل العقد منه إلى تفسيره^(١).

ومع ذلك إذا تبين للمحكمة وقام الدليل أن المتعاقدين قصدوا أن لا يتم إبرام العقد إلا بعد الاتفاق على هذه المسائل التفصيلية فإن العقد لم يبرم وتقتضي المحكمة بموجب ذلك مادام المتعاقدين لم يتفقا على جميع المسائل التي تناولاها جوهرية كانت أو تفصيلية^(٢).

* * *

(١) الذنون، محاضرات، ص ٢٨.

(٢) السنهوري، الوسيط، ج١، ص ٢٧٧ - ٢٧٩.

المطلب الثاني

التعاقد بين غائبين

• تنص المادة (٨٧) من القانون المدني العراقي انه:

(١- يعتبر التعاقد ما بين غائبين قد تم في المكان والزمان اللذين يعلم فيهما الموجب بالقبول ما لم يوجد اتفاق صريح أو ضمني أو نص قانوني يقضي بغير ذلك. ٢- ويكون مفروضاً أن الموجب قد علم بالقبول في المكان والزمان اللذين وصل إليه فيهما). لا يوجد في قواعد القانون العامة مانع من انعقاد العقد بين غائبين سواء كان من العقود الرضائية أو الشكلية. فجميع العقود يمكن إبرامها بين غائبين والفرق بين التعاقدين أو أن ما يميز التعاقد بين حاضرين عن الغائبين هو وجود فترة زمنية تفصل بين صدور القبول وعلم الموجب به. ولا وجود لها في التعاقد بين حاضرين. إذ تنمحي هذه الفترة من الزمن ويعلم الموجب بالقبول في الوقت الذي يصدر فيه. أما في التعاقد ما بين غائبين فإن القبول يصدر ثم تمضي فترة من الزمن هي المدة اللازمة لوصول القبول إلى علم الموجب، ومن ثم يختلف وقت صدور القبول عن وقت العلم به^(١).

وهنا يثور التساؤل عن زمان ومكان انعقاد العقد أي متى ينعقد العقد بين غائبين واين ينعقد. الجواب ينطوي عن أربع نظريات بهذا الصدد ولا بد من التطرق اليها وهي :-
١- نظرية إعلان القبول :- وفي ذلك ينعقد العقد عند إعلان القبول بعد وصول الإيجاب إلى مَنْ وُجّه إليه وبذلك يكون زمان انعقاد العقد هو نفس مكان وزمان إعلان القبول.

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٤.

٢- نظرية تصدير القبول:- فإنه في هذه الحالة أيضاً لا يكفي إعلان القبول ممن وجه إليه الإيجاب بل يشترط أن يكون هذا الاعلان نهائياً لارجوع فيه ممن صدر منه القبول وبعثه إلى الموجب بحيث لا يملك أن يسترده.

٣- نظرية استلام القبول:- أي عندما يستلم الموجب القبول الذي صدره اليه القابل فإنه يتم انعقاد العقد ويكون هو مكان انعقاد العقد وزمانه.

٤- نظرية العلم القبول :- أي علم الموجب بالقبول بمعنى لا يكفي لانعقاد العقد حتى بعد استلام القبول من قبل الموجب نفسه ما لم يحط به علماً. فأنصار هذه النظرية لا يكتفون بإعلان القبول بل يشترطون علم الموجب به شأن كل إرادة يراد بها أن تنشئ أثراً قانونياً فهي لا يترتب عليها هذا الاثر إلا إذا علم بها من وجهت إليه. ويتخذون من وصول القبول قرينة على علم الموجب وإن كانت قابلة لإثبات العكس^(١). وهذه النظرية هي التي اخذ بها القانون المدني العراقي بالمادة (٨٧) منه، بعد أن قرر قاعدة مفادها أن وصول القبول إلى الموجب قرينة على علم الموجب ولكنها قرينة قابل لإثبات العكس. فالمادة (٨٧) صرحت بأن مكان تمام العقد بين غائبين هو المكان الذي يعلم فيه الموجب بالقبول وزمان انعقاده هو زمان علم الموجب بالقبول وذلك على فرض أن الموجب كان قد علم بالقبول في المكان والزمان اللذين وصل إليه فيهما هذا القبول ويفهم أيضاً أن القانون ذهب إلى أن العقد بين غائبين لم يكن ليتم بإعلان القبول ممن صدر إليه الإيجاب وإنما يتم عند علم الموجب بالقبول. أما قبل وصول العلم بالقبول إلى الموجب فإنه يحق للقابل الرجوع عن قبوله، ولا يتم العقد بوصول القبول بعد ذلك الى الموجب وعلمه به.

وبصدد الجانب الفقهي يقول الدكتور السنهوري: أما في الفقه الإسلامي فلم نعتز على نص صريح في هذه المسألة يبين متى يتم العقد بين الغائبين، هل يتم بمجرد إعلان

(١) السنهوري، الوسيط، ج ١، ص ٣٠٩ - ٣١٠.

القبول أو لا يتم إلا بعلم الموجب بالقبول^(١). ولكنه عاد بعد أن استعرض آراء فقهاء الشريعة الى القول: فيتم العقد بين الغائبين إذن في الفقه الاسلامي بإعلان القبول ولا يشترط علم الموجب بالقبول^(٢).

ويؤيده فيما ذهب إليه الاستاذ منير القاضي شارح مجلة الاحكام العدلية بقوله: وذهب طائفة الى أن العقد يتم بإعلان القبول وهو مذهب متين جرت عليه الشريعة الاسلامية وكثير من فقهاء القانون وقضاء المحاكم في دول كثيرة^(٣).

لكن القانون المدني العراقي أخذ بنظرية علم الموجب بالقبول كما تقدم في المادة (٨٧) منه وكذلك القانون المدني المصري في المادة (٩٧) منه. وجعل من تسلم الموجب القبول قرينة على العلم به حتى لا يجعل أحد الطرفين المتعاقدين تحت رحمة الطرف الآخر وهذه القرينة القانونية قرينة بسيطة قابلة لإثبات العكس.

وقد نصت المادة (٨٨) من القانون المدني العراقي على أنه "يعتبر التعاقد بالتليفون أو أية طريقة مماثلة كأنه تم بين حاضرين فيما يتعلق بالزمان وبين غائبين فيما يتعلق بالمكان" ولانظير لهذه المادة في القانون المدني المصري.

ولما كان الضابط المميز للتعاقد بين غائبين كما تقدم هو وجود فترة زمنية تفصل بين صدور القبول وبين علم الموجب به. ولما كان مثل هذا الضابط لا وجود له في حالة التعاقد بالتليفون أو بأية طريقة مماثلة لهذا فقد قرر المشرع إعتبار التعاقد بالتليفون كأنه تم بين حاضرين فيما يتعلق بالزمان وبين غائبين فيما يتعلق بالمكان أي أنه تم في مكان الموجب إذ فيه يحصل العلم بالقبول حسب المادة آنفه الذكر على أنه من حيث الزمان لا يفترق عن التعاقد بين حاضرين لأن الفارق الزمني بين إعلان القبول وبين علم الموجب به معدوم أو في حكم المعدوم فيعتبر التعاقد تاماً في الوقت الذي يعلن فيه من توجه إليه

(١) السنهوري، مصادر الحق، ج ٢، ص ٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٥.

(٣) القاضي، ملتمى البحرين، ص ١٥٦.

الإيجاب قبوله، وهذا الوقت بذاته هو الذي يعلم فيه الموجب بالقبول»^(١).
 هذا ويتميز ركن القبول في عقد الوكالة بالوقت الحاضر حيث الكاتب العدل هو
 الجهة الرسمية التي خولها القانون تصديق عقد الوكالة، يتميز بكونه لا يتم في مجلس
 العقد بين الحاضرين غالباً، لكون تصديق الوكالة من الكاتب العدل لا يشترط حضور
 الوكيل بل الغالب أن يكون عقد الوكالة بين الغائبين، ويكون القبول بصيغة تنفيذ عقد
 الوكالة كما بينا.

* * *

(١) القاضي، ملتنقى البحرين، ج ١، ص ١٥٧، الذنون، محاضرات، ص ٣٠.

الخاتمة

علمنا أن الركن في العقد عامة ويعقد الوكالة خاصة هو أساس وجوده لا يقوم إلا به، ولا ينعقد إلا بإرتباط الإيجاب بالقبول فهما ركننا العقد الأهم الذي يمثل تراضي المتعاقدين وإنصراف إرادتهما إلى إحداث الأثر القانوني في المعقود عليه كما أشارت إليه المادة (٧٣) من القانون المدني العراقي بقولها: العقد هو إرتباط الإيجاب الصادر من أحد العاقدين بقبول الآخر على وجه يثبت أثره في المعقود عليه.

فقد تبين لنا أن ركن القبول والإيجاب هما صيغة العقد المتأتية من توافق إرادتي المتعاقدين، فكل منهما شطر الرضى الذي لا ينعقد العقد بدونه، سواء على رأي من ذهب إلى أن ركن عقد الوكالة هو الإيجاب والقبول وحسب أو من ضم إليهما المحل والعاقدين ولكن مع ذلك فإنه يمكن إعتبار القبول دون الإيجاب هو الأهم حيث بإقتترانه بالإيجاب يصبح الموجب موجباً والقابل قابلاً وإلا كان الإيجاب بصورة عامة لغواً لا يترتب عليه أثر قانوني مالم يقترن به القبول. وإن ركن القبول متى لابسته ظروف معينة تنقله من محض حالة سلبية إلى حالة إيجابية، حيث إن قاعدة لا ينسب إلى ساكت قول تكتمل بتمامها «ولكن السكوت في معرض الحاجة بيان» وذلك بالنسبة إلى القبول الملايس وحسب، أما بالنسبة للإيجاب فإنه لا يتصور أن يكون مجرد السكوت إيجاباً، على حد تعبير السنهوري. والتعبير عن القبول يكون اما بالكلام أي اللفظ أو بغير اللفظ، واما صراحة أو دلالة، واما ما بين حاضرين أو ما بين غائبين. بل إن عقد الوكالة لا يكون في الغالب ولاسيما بالوقت الحاضر حيث الكاتب العدل الجهة الرسمية المخولة بتصديق عقد الوكالة، لا يكون إلا بين غائبين. وبذلك يندر تحقق عقد الوكالة ما بين حاضرين لأن حضور الوكيل مجلس العقد ليس بشرط في عقد الوكالة، وكذلك لم يشترط الكاتب العدل حضور الوكيل (القابل) عند تصديقه عقد الوكالة.

ركن القبول في عقد الوكالة

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- احمد فتحي زغلول، شرح القانون المدني، (المطبعة الاميرية، مصر، ١٩١٣م).
- البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، (ط١، دار طوق النجاة - مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم - ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٢٢هـ).
- البيهقي: ابو بكر احمد بن الحسين الخراساني (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي امين قلعجي، معرفة السنن والآثار، (ط١، كراتشي - باكستان، دار قتيبة، دمشق - بيروت، دار الوعي، حلب - بيروت، دار الوفاء، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م).
- الجرجاني: علي بن محمد بن علي (ت: ٥٨١٦هـ)، تحقيق عادل أنور خضر، التعريفات، (ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- ابن حزم: علي بن احمد بن سعيد الظاهري الاندلسي (ت: ٥٤٥٧هـ)، المحلى، (مطبعة الامام، مصر، بلا ت).
- د.حسن علي الذنون، محاضرات في القانون المدني العراقي نظرية العقد، (جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمي، ١٩٥٦م).
- الخطاب: ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي (ت: ٥٥٩٤هـ)، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، (مكتبة النجاح في طرابلس - ليبيا).
- الحلبي: جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي (ت: ٧٢٦هـ)، تذكرة الفقهاء، (المكتبة المرتضوية لآحياء الآثار الجعفرية).

ركن القبول في عقد الوكالة

- الخطيب : محمد الشربيني ،مغني المحتاج الى معرفة الفاظ المنهاج، (مطبعة مصطفى الحلبي، ٥١٣٧٧ - ١٩٥٨م).
- الرملي : شمس الدين محمد بن شهاب الدين حاشية الشبراملسي لابي الضياء نور الدين بن علي (ت:٥١٠٧٨)، نهاية المحتاج الى شرح المنهاج، (مصطفى الحلبي، ٥١٣٥٧-١٩٣٨م).
- الشيرازي : ابو اسحاق ابراهيم بن علي (ت:٥٤٧٦)، المهذب، (نشر عيسى البابي الحلبي).
- صبحي المحمصاني ،النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية، (مطبعة الكشاف بيروت، ١٩٤٨م).
- د. صلاح الدين الناهي، الوجيز الوافي، (عمان - الاردن، ٥١٤٠٤ - ١٩٨٤م).
- ابن عابدين: العلامة محمد امين (ت:٥١٢٥٢)،رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الإبصار المسماة حاشية ابن عابدين،(المطبعة الاميرية،بولاق، ٥١٣٢٦).
- العاملي: محمد الجواد بن محمد الحسنيني(ت:٥١٢٢٦)،مفتاح الكرامة،(مطبعة الشورى بالفجالة، مصر).
- ابن عبد البر: ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت: ٥٤٦٣)،الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وابي حنيفة (رضي الله عنهم)،(دار الكتب العلمية، بيروت).
- د.عبد الرزاق احمد السنهوري، مصادر الحق في الفقه الاسلامي،(ط٢، منشورات الحلبي، بيروت، ١٩٩٨م).
- د.عبد الرزاق احمد السنهوري، الوسيط في شرح القاون المدني، (ط٣، دار النهضة العربية، مصر، ١٩٨١م).
- د.عبد الكريم زيدان، الوجيز في اصول الفقه، (ط٣، مطبعة سلمان الاعظمي، بغداد، ٥١٣٨٧-١٩٦٧م).

- عبد المجيد الحكيم، الموجز في شرح القانون المدني، (ط٤)، مطبعة العاني، بغداد، (١٩٧٤م).
- علي حيدر، درر الحكام شرح مجلة الاحكام، تعريب المحامي فهمي سعيد الحسيني، (مكتبة النهضة بيروت - بغداد).
- الفتاوى الهندية المسماة بالفتاوى العالمية لجماعة من علماء الهند، (ط٢)، المطبعة الكبرى الاميرية، ببولاق، مصر).
- ابن قدامة: ابو محمد عبد الله بن احمد، المغني، (مطبعة الامام).
- الكاساني : علاء الدين ابو بكر بن مسعود (ت: ٥٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (ط١)، مطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م).
- د. مالك دوهان الحسن، شرح القانون المدني، (دار النشر، بغداد).
- مجموعة القوانين المصرية، القانون المدني رقم (١٣١) لسنة ١٩٤٨م، (مطبعة الاتحاد، مصر، ١٩٤٩م).
- محمد رضا عبد الجبار العاني، الوكالة في الشريعة والقانون، (مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).
- د. محمود سعدالدين الشريف، شرح القانون المدني العراقي، (مطبعة العاني، بغداد، ١٩٥٥م).
- مراد شكري، المنخلة النونية، مكتبة الحسن، عمان (بلا.ت).
- المرتضى :احمد بن يحيى (ت: ٨٤٠)، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الامصار، (مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م).
- د. مصطفى احمد الزرقا، المدخل الفقهي العام، (ط٢)، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٤م).
- ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: ٥٧١١هـ)، لسان العرب، (دار صادر - بيروت، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م).
- منير القاضي، شرح المجلة، (ط١)، مطبعة العاني، ١٩٤٨م).

- منير القاضي، ملتقى البحرين الشرح الموجز للقانون المدني العراقي، (مطبعة العاني، بغداد، ١٩٥١-١٩٥٢م).
- النووي: الامام يحيى بن شرف (ت: ٥٦٧٦هـ)، تحقيق المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، روضة الطالبين، دمشق .
- د. هشام قريسة، نظرية العقد في الفقه الاسلامي، (دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٨م).

• القوانين :

- ١- القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ .
- ٢- القانون المدني المصري رقم ١٣١ لسنة ١٩٤٨ .
- ٣- قانون مجلة الاحكام العدلية لسنة ١٨٧٦ .

* * *

- ١٠ -

سورة الهمزة - دراسة تحليلية^{٢٤}

الدكتور

يقظان عبد اللطيف أيوب

كلية الإمام الأعظم «رحمه الله» الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى وشفاء لما في الصدور، وجعل منه علاجاً للأخلاق الذميمة، والأفعال القبيحة، فالسعيد من اتعظ وتاب، والشقي من أنكر وتكبر، وأصر على ضلاله وطغيانه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي تحمل ما تحمل في سبيل الله لتبليغ دعوة رب العالمين، الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

إن مما دعاني إلى الكتابة في هذه السورة، افتتاحها بكلمة الويل، وهي كلمة لم تفتح بها إلا سورتان من سور القرآن الكريم، ولا شك أن تصدر السورة بهذه الكلمة العظيمة الوقع على النفس ينبأ بخطر عظيم بعدها، فلا بد أن يقف عندها الإنسان ملياً، ليحذر هذا الخطر المحقق بالنفس، والعياذ بالله .

وكانت دراستي لها دراسة تحليلية، لتعم الفائدة، فتناولت أسباب النزول، والمكي والمدني، والقراءات القرآنية، والمناسبة بين السورة وما قبلها وما بعدها، والمناسبة بين آيات السورة نفسها، وتحليل الألفاظ لغوياً، وإعراب الكلمات المختلف في إعرابها، والنكت البلاغية في الآيات، ودلالات آيات السورة، والأشعار التي ذكرها العلماء مما يستفاد من السورة، وقد أوردت أقوال العلماء في ذلك كله، مناقشا لها، وموفقا بينها، ومرجحا ما يحتاج إلى ترجيح، ولم أضف الناسخ والمنسوخ والمسائل الفقهية لعدم وجودها في السورة، وعلى ذلك قسمت البحث إلى مقدمة وثمانية مباحث وخاتمة، داعياً المولى القدير التوفيق والسداد .

المبحث الاول

المكي والمدني

سورة الهمزة مكية، وممن ذكر ذلك الزجاج في معاني القرآن وغيره من علماء التفسير كالسمرقندي والثعالبي وغيرهما^(١)، بل روى ابن عطية وابن الجوزي والقرطبي الإجماع على مكيتها^(٢)، وذكر الإمام السيوطي عن ابن مردويه عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قوله: إنها نزلت بمكة^(٣)، ولقد بحثت عن كلام ابن عباس الذي نقله السيوطي فلم أجده عند غيره من العلماء. ونقل ابن الجوزي عن المفسر هبة الله قوله: وقد قيل إنها مدنية^(٤)، ووضح من صيغة التمريض التي استخدمها أنه قول ضعيف ولا يعتد به إذ لم يقل به أحد من علماء

(١) معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ٥، ٣٦١. وبحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، د: ط، د: م، د: ن، ٣، ٦١٦. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، ١٠، ٢٨٥.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ، ٥، ٥٢١. زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ، ٤٤٨، ٤. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ٢٠، ١٨٣.

(٣) الدر المنثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، د: ن، ٨، ٦٢٣.

(٤) ينظر زاد المسير، لابن الجوزي، ٤، ٤٨٨.

سورة الهمزة - دراسة تحليلية-

التفسير الأثبات، لا من المتقدمين ولا من المتأخرين، أضف الى ذلك ما روي في سبب نزولها من أنها نزلت في رجال من مشركي أهل مكة، كما سيرد في المبحث الثاني .
بالإضافة إلى أنها لم تثبت مدنية، فإنَّ فيها ما عهد عن القرآن المكي من مقاطع قصيرة، وكلمات ذات نبرة قويه، تهز النفوس وتقشعر منها الابدان زيادة في العبرة والاتعاظ لما تحمل من تهديد ووعيد، وما علم من أن أكثر السور القصيرة نزلت بمكة.
فالذي أراه والله أعلم هو ما اجمع عليه العلماء من انها مكية، لما اوردت من ادلة، ومستبعد أنها مدنية .

* * *

المبحث الثاني

أسباب نزول السورة وفيمن نُزلت

اتفق المفسرون على أن السورة نزلت للنهي عن الصفات الذميمة المذكورة فيها، وعلى الوعيد الشديد لمن يفعلها، ولكنهم اختلفوا فيمن نزلت، وهل خاصة هي أو عامة، وقد ذكروا لذلك أقوالاً، سأوردها محاولاً التوفيق بينها أو ترجيح ما يرجح منها . ذكر التستري أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، ووافقه على ذلك الواحدي، ولم يذكر غيرهم من أهل الشرك^(١).

وعدد الطبري أكثر من رأي فقال: إنها نزلت في جميل بن عامر الجمحي، وقال أيضاً أنها نزلت في الاخنس بن شريق، ونقل رأي ثالث أنها نزلت في جميع بني عامر وليست بخاصة لاحد، وذكر أيضاً قول من قال أن هذا من نوع ما تذكر العرب الشيء العام، وهي تقصد به الخاص، وآخر ما نقل من الأقوال قول من قال بل معني به كل من كانت هذا الصفة صفته^(٢)، ووافق الطبري على القول الثاني السمعاني في تفسيره^(٣).

-
- (١) ينظر تفسير التستري، لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُّستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)، منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ، ٢٠٥. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، ١٢٣٢ .
- (٢) ينظر جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٢٤، ٥٩٧ .
- (٣) ينظر تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ٦، ٢٨٠ .

وبالتفصيل نفسه في الاقوال تكلم البغوي والزمخشري والرازي^(١)، قال الزمخشري: ((ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما، ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه، فإن ذلك أزر له وأنكى فيه))، وجزم الرازي بأن الوعيد يتناول جميع من وقع منه هذا الفعل بقوله: (إنه عام لكل من يفعل هذا الفعل كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ)^(٢).

وبعد أن راجعت أكثر التفاسير، لم اجد أيًا منها ينسب القول فيمن نزلت السورة إلى أحد من الصحابة، إلا ما نقل الرازي عن محمد بن إسحاق قوله: ما زلنا نسمع أن هذه السورة نزلت في أمية بن خلف^(٣)، وواضح من الرواية أنها غير مسندة وإنما هي أقوال منقولة بدون إسناد ولذلك لا يمكن الجزم بها.

فالذي أراه وأرجحه والله أعلم هو أن النص عام فيمن كانت هذه صفاته لعدم الجزم في الذي نزلت فيه، وكما قال الرازي ومن وافقه حتى لو كان السبب خاصا فاللفظ عام، وكما معلوم لدينا عند اهل الاصول أن ((العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب))^(٤).

(١) ينظر معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لمحيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ، ٥، ٣٠٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو ابن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ، ٥، ٧٩٥. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ، ٣٢، ٢٨٣.

(٢) التفسير الكبير، ٣٢، ٢٨٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المحصول، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، ٣، ١٢٥.

المبحث الثالث

المناسبة

((هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه. وفي كتاب الله تعني إرتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها))^(١).
من المعلوم أنّ القرآن الكريم متناسق مترابط، ولهذا الترابط والتناسق مناسبات، لإيصال الفهم الصحيح والدقيق للغاية التي أنزل من أجلها كلام الله سبحانه، وسأتكلم على المناسبة من عدة جوانب في ثلاث مطالب :

المطلب الاول

المناسبة بين سورة الهمزة وما قبلها

أردت أن أتكلم في المطلب الاول على تناسب سورة الهمزة مع ما قبلها في الترتيب وهي سورة العصر. قال ابو حيان: ((لَمَّا قَالَ فِيمَا قَبْلَهَا: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}، بَيَّنَّ حَالَ الْخَاسِرِ فَقَالَ: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ}))^(٢)، ويقول البقاعي: ((لما بين الناجين من قسمي الإنسان في العصر، وختم بالصبر، حصل تمام التشوف إلى أوصاف الهالكين، فقال مبيناً لأضلهم وأشقاهم الذي الصبر على أذاه في غاية الشدة ليكون ما أعد له من العذاب مسلاة للصابر: {ويل} أي هلاك عظيم جداً {لكل همزة} أي الذي صار له الهمز عادة لأنه خلق ثابت في

(١) مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥، ٨٥.

(٢) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين

الأندلسي (المتوفى: ٥٧٤ هـ)، دار الفكر، بيروت، د: ط، ١٤٢٠ هـ، ١٠، ٥٤٠.

جبلته وكذا {لمزة} ^(١)، وقال الألويسي: ((لما ذكر سبحانه فيما قبلها أن الإنسان سوى من استثنى في خسر بيتن عز وجل فيها أحوال بعض الخاسرين)) ^(٢).

* * *

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٥٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د:ط، د:ت، ٢٢، ٢٤٣.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، ١٥، ٤٦٠.

المطلب الثاني

مناسبة السورة لما بعدها

سأتكلم في هذا المطلب على التناسب بين سورة الهمزة وما بعدها وهي سورة الفيل . يقول أبو حيان: ((لَمَّا ذَكَرَ فِيمَا قَبْلَهَا عَذَابَ الْكُفَّارِ فِي الْأَجْرَةِ، أَخْبَرَ هُنَا بِعَذَابِ نَاسٍ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا. وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْخِطَابَ لِلرَّسُولِ ﷺ، يَذْكُرُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ، إِذْ كَانَ صَرَفَ ذَلِكَ الْعُدُوِّ الْعَظِيمِ عَامَ مَوْلِدِهِ السَّعِيدِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ))^(١).

وقال البقاعي: ((لما قدم في الهمزة أن كثرة الأموال المسببة بالقوة بالرجال ربما أعقبت الوبال، دل عليه في هذه بدليل شهودي وصل في تحريقه وتغلغله في الأجسام وتجريفه إلى القلوب في العذاب الأدنى كما ذكر فيما قبلها للعذاب الأكبر الأخرى، محذراً من الوجاهة في الدنيا وعلو الرتبة، مشيراً إلى أنها كلما عظمت زاد ضررها بما يكسبه من الطغيان حتى ينازع صاحبها الملك الأعلى))^(٢).

ويقول الألوسي: ((لما تضمن الهمز واللمز من الكفرة نوع كيد له (عليه الصلاة والسلام) عقب ذلك بقصة أصحاب الفيل للإشارة إلى أن عقبي كيدهم في الدنيا تدميرهم فإن عناية الله عز وجل برسوله ﷺ أقوى وأتم من عنايته سبحانه بالبيت، فالسورة مشيرة إلى مآلهم في الدنيا إثر بيان مآلهم في الأخرى، ويجوز أن تكون كالأستدلال على ما أشير إليه فيما قبلها من أن المال لا يغني من الله تعالى شيئاً، أو على قدرته عز وجل على إنفاذ ما توعد به أولئك الكفرة في قوله سبحانه لِيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ))^(٣).

(١) البحر المحيط، ١٠، ٥٤٤ .

(٢) نظم الدرر، ٢٢، ٢٤٩ .

(٣) روح المعاني، ١٥، ٤٦٤ .

المطلب الثالث

تناسب آيات سورة الهمزة فيما بينها

قال الرازي:

((إِنَّ الْفَائِدَةَ فِي ذِكْرِ جَهَنَّمَ بِهَذَا الْأَسْمِ هَاهُنَا وَجُوهٌ: أَحَدُهَا: الْإِتِّحَادُ فِي الصُّورَةِ كَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: إِنْ كُنْتَ هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ فَوَرَاءَكَ الْحُطْمَةُ وَالثَّانِي: أَنَّ الْهَامِزَ بِكَسْرِ عَيْنٍ لِيَضَعَ قَدْرَهُ فَيُلْقِيهِ فِي الْحَضِيضِ فَيَقُولُ تَعَالَى: وَرَاءَكَ الْحُطْمَةُ، وَفِي الْحُطْمِ كَسْرٌ فَالْحُطْمَةُ تَكْسِيرُكَ وَتَلْقِيكَ فِي حَضِيضِ جَهَنَّمَ لَكِنَّ الْهُمَزَةَ لَيْسَ إِلَّا الْكَسْرُ بِالْحَاجِبِ، أَمَّا الْحُطْمَةُ فَإِنَّهَا تَكْسِيرٌ كَسْرًا لَا تُبْقِي وَلَا تَذُرُ الثَّلَاثُ: أَنَّ الْهَمَّازَ اللَّمَّازَ يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ وَالْحُطْمَةُ أَيْضًا اسْمٌ لِلنَّارِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَأْكُلُ الْجِلْدَ وَاللَّحْمَ))^(١).

في قوله تعالى:

{يحسب أن ماله أخلد * كلا لينبذن في الحطمة}، يقول البقاعي: ((ولما كان هذا الحسبان لشدة وهيه وبيان ضعفه لا يحتاج إلى إقامة دليل على فساده، اكتفى فيه بأداة الردع الجامعة لكل زجر فقال: {كلا} أي لا يكون ما حسبه لأنه لا يكون له ما لا يكون لغيره من أمثاله بل يموت كما مات كل حي مخلوق))^(٢).

ويقول الألوسي:

((من تأمل في هذه السورة ظهر له العجب العجيب من التناسب، فإنه لما بولغ في الوصف في قوله تعالى هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ قِيلَ الْحُطْمَةُ لِلتَّعَادُلِ، وَلَمَّا أَفَادَ ذَلِكَ كَسْرَ الْأَعْرَاضِ قُوبِلَ بِكَسْرِ الْأَضْلَاعِ، الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ بِالْحُطْمَةِ وَجِيءَ بِالنَّبْذِ الْمُنْبِئِ عَنِ الْاسْتِحْقَارِ، فِي مَقَابِلَةِ مَا

(١) التفسير الكبير، ٣٢، ٢٨٥

(٢) نظم الدرر، ٢٢، ٢٤٦.

ظن الهامز اللامز بنفسه من الكرامة، ولما كان منشأ جمع المال استيلاء حبه على القلب، جيء في مقابله تَطْلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ، ولما كان من شأن جامع المال المحب له أن يأصد عليه، قيل في مقابله إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوْصَدَةٌ، ولما تضمن ذلك طول الأمل قيل في مقابله عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ^(١).

* * *

(١) روح المعاني، ١٥، ٤٦٣ .

المبحث الرابع

معاني الألفاظ في السورة

سأقوم في هذا المبحث بتحليل الألفاظ ومعرفة معانيها متتبعا أقوال المفسرين لتتم الفائدة .

قال الزجاج: في قوله سبحانه {ويل} بأنها ((كلمة تقال لكل من وقع في هلكة))^(١)، وقال ابن عطية: {وَيْلٌ: لفظ يجمع الشر والحزن، وقيل وَيْلٌ: واد في جهنم)^(٢)، ويقول الرازي: ((الْوَيْلُ: لَفْظَةُ الدَّمِّ وَالسُّخْطِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ كُلُّ مَكْرُوبٍ يَتَوَلَّوْنَ فَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَأَصْلُهُ وَيُّ لِفُلَانٍ ثُمَّ كَثُرَتْ فِي كَلَامِهِمْ فَوُصِلَتْ بِاللَّامِ، وَرُوِيَ أَنَّهُ جَبَلٌ فِي جَهَنَّمَ))^(٣)، وقال الخازن: ((وَيْلٌ: أي قبح، وقيل اسم واد في جهنم))^(٤)، والراجح والله أعلم ان ويل هو واد في جهنم، لما روى الحاكم في مستدركه وصححه الذهبي عن رسول الله ﷺ قال: ((ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره))^(٥)، وأما المعاني الأخرى التي ذكرها العلماء، فإنها تجسد ما سيقع بأهل النار من الهلكة والشر والحزن والذم والسخط وغيرها مما هو على شاكلتها، وهكذا نكون قد جمعنا بين القول بان {ويل} واد في جهنم،

(١) معاني القرآن للزجاج، ٥، ٣٦١ .

(٢) المحرر الوجيز، ٥، ٥٢١ .

(٣) التفسير الكبير، ٣٢، ٢٨٣ .

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن،

المعروف بالخازن (المتوفى: ٥٧٤١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ ٤٦٨ .

(٥) المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه

بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، دار الكتب

العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١، ١٩٩٠، كتاب الأهوال، ٢، ٦٣٩، برقم ٨٧٦٤ .

وبين المعاني الأخرى التي ذكرها العلماء .

قال الرازي في قوله تعالى {همزة لمزة}: ((الْهَمْزُ: الْكَسْرُ وَاللَّمْزُ: الطَّعْنُ وَالْمَرَادُ الْكَسْرُ مِنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ وَالغَضُّ مِنْهُمْ وَالطَّعْنُ فِيهِمْ وَبِنَاءِ فِعْلِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ عَادَةٌ مِنْهُ قَدْ ضَرِيَ بِهَا وَنَحْوُهُمَا اللَّعْنَةُ وَالضُّحْكَةُ، وَلِلْمُفَسِّرِينَ الْفَاطَا أَحَدَهَا: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْهُمَزَةُ الْمُعْتَابُ، وَاللَّمَزَةُ الْعِيَابُ، وَقَالَ: هُمُ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرَّقُونَ بَيْنَ الْأَجَبَةِ النَّاعِتُونَ لِلنَّاسِ بِالْعَيْبِ. وَثَانِيهَا: قَالَ أَبُو زَيْدٍ: الْهُمَزَةُ بِالْيَدِ وَاللَّمَزَةُ بِاللِّسَانِ، وَثَالِثُهَا: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: الْهُمَزَةُ بِالْمُوَاجَهَةِ وَاللَّمَزَةُ بِظَهْرِ الْعَيْبِ، وَرَابِعُهَا: الْهُمَزَةُ جَهْرًا وَاللَّمَزَةُ سِرًّا بِالْحَاجِبِ وَالْعَيْنِ وَخَامِسُهَا: الْهُمَزَةُ وَاللَّمَزَةُ الَّذِي يُلَقَّبُ النَّاسُ بِمَا يَكْرَهُونَ، وَيَدْخُلُ فِيهِ مَنْ يُحَاكِي النَّاسَ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَصْوَاتِهِمْ لِيَضْحَكُوا، قَالَ الْحَسَنُ: الْهُمَزَةُ الَّذِي يَهْمُزُ جَلِيسَهُ يَكْسِرُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَاللَّمَزَةُ الَّذِي يَذْكُرُ أَخَاهُ بِالسُّوءِ وَيَعِيبُهُ))^(١)، وأرى والله أعلم، أن كل المعاني التي نقلها الرازي تنطبق على الهمزة اللمزة، لأن كل هذه الصور المذكورة، تؤدي نفس الغرض من الهمز واللمز، وحتى توسع قاعدة الهمز واللمز، للتقليل من ظاهرة ايداء الناس بما يكرهون بأي شكل من الأشكال .

قال الطبري في قوله سبحانه: {الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ}: ((هو الذي جمع مالا وأحصى عدده، ولم ينفقه في سبيل الله، ولم يؤد حق الله فيه، ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه))^(٢)، ويقول الماتريدي: ((أي: جمع ماله عنده ولم يفرقه وعدده وذكره -أي: حفظ عدده، وذكره على الدوام- لئلا ينقصه، وصفه بالبخل والشح))^(٣)، وقال السمرقندي: ((يعني: استعبد بماله، الخدم والحيوان، وعدده أي: حسبه وأحصاه))^(٤)، ونقل ابن الجوزي في تفسير الآية رأيان فقال: ((للمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: أحصى عدده، قاله السدي،

(١) التفسير الكبير، ٣٢، ٢٨٤ .

(٢) جامع البيان، ٢٤، ٥٩٨ .

(٣) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ١٠، ٦١٥ .

(٤) بحر العلوم، ٣، ٦١٦ .

والثاني: أَعَدَّهُ لما يكفيه في السنين، قاله عكرمة^(١)، أرى ان كل المعاني التي ذكرها المفسرون في معنى الآية يصلح أن يكون تفسيراً لها، فجمع المال له غايات عديدة، فهو يجمع للمفاخرة، ويجمع لاستعباد البشر والاستقواء به، وكذلك يمسك المال بخلا وشحا خشيت أن ينقص بالبذل والعطاء .

ذكر الماوردي في معنى أخلده في قوله تعالى: {يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ} وجهين: أحدهما: يزيد في عمره، قاله عكرمة، الثاني: يمنعه من الموت، قاله السدي، ويحتمل ثالثاً: ينفعه بعد موته^(٢)، وقال الزمخشري: ((أَخْلَدَهُ وخلده بمعنى، أي طوّل المال أمله، ومناه الأمانى البعيدة، حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أنّ المال تركه خالداً في الدنيا لا يموت، أو يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الأشجار وعمارة الأرض عمل من يظن أن ماله أبقاه حياً، أو هو تعريض بالعمل الصالح، وأنه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم، فأما المال فما أخلد أحداً فيه))^(٣)، ويقول ابن عطية: (يحسب أن ماله هو معنى حياته وقوامها، وأنه حفظه مدة عمره ويحفظه)^(٤)، أعتقد أن كل انسان خلا قلبه من الايمان وتعلق بالدنيا وزخرفها، ستكون عنده هذه الأفكار نفسها من حب المال والاستزادة منه، ويتصور أنه بالمال سينجو وأن المال سيحفظه ولا قيمة لحياته بدون المال ولذلك يحرص على جمعه والبخل به .

قال الطبري في معنى الحطمة بأنها: ((اسم من أسماء النار، كما قيل لها: جهنم وسقر ولظى، وأحسبها سميت بذلك لحطمها كل ما ألقى فيها، كما يقال للرجل الأكل: الحطمة))^(٥)، ونقل أبو منصور الماتريدي عن معنى الحطمة قوله: ((قيل: باب من أبواب

(١) زاد المسير، ٤، ٤٨٩ .

(٢) ينظر تفسير الماوردي = النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، د: ت، ٦، ٣٣٦ .

(٣) تفسير الكشاف، ٤، ٧٩٥ .

(٤) المحرر الوجيز، ٥، ٥٢١ .

(٥) جامع البيان، ٢٤، ٥٩٨ .

النار، وقيل: هي صفة النار، والحطمة: هو الكسر؛ فكأنه قال: النار التي يعذب بها الكفرة، وتكسر عظامهم وتحطمهم))^(١)، ونقل القرطبي قوله: ((هِيَ الطَّبَقَةُ السَّادِسَةُ مِنْ طَبَقَاتِ جَهَنَّمَ. حَكَاهُ الْمَاوَرِدِيُّ عَنِ الْكَلْبِيِّ. وَحَكَى الْقَشِيرِيُّ عَنْهُ: الْحُطْمَةُ الدَّرَكَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ دَرَكِ النَّارِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: وَهِيَ الدَّرَكُ الرَّابِعُ))^(٢)، ولعلي أرجح أن الحطمة اسم من أسماء النار، أو هي صفة من صفاتها، لأنه تأويل قريب، ولأن الكلام على أنها اسم من أسماء أبوابها، أو طبقة من طبقات النار مستبعد، لأن هذا التأويل بعيد فيحتاج إلى إسناد، ولم يورد أحد ممن قال به أي دليل على كلامه، والله أعلم .

وفي معنى قوله تعالى: {تَطَّلِعُ} قال الزجاج: ((ومعنى: {تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ} يبلغ ألمها وإحراقها إلى الأفئدة))^(٣)، وقال السمرقندي: ((يعني: تأكل اللحم، حتى تبلغ أفئدتهم، وقال القتيبي: تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ أَي: تشرف على الأفئدة))^(٤)، وقال الزمخشري: ((ومعنى اطلاع النار عليها: أنها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها. أو تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها))^(٥)، ونقل القرطبي قوله: ((وقيل: مَعْنَى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ أَي تَعْلَمُ مِقْدَارَ مَا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَذَلِكَ بِمَا اسْتَبَقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَمَارَةِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ: أَطَّلَعَ فَلَانٌ عَلَى كَذَا: أَي علمه))^(٦)، وأعتقد أن كل هذه المعاني المذكورة تصلح أن تكون تفسيراً للآية الكريمة، والله أعلم .

قال الماوردي في معنى قوله تعالى: {لِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ}: ((فيه ثلاثة أوجه: أحدها: مطبقة، قاله الحسن والضحاك. الثاني: مغلقة بلغة قريش، يقولون آصد الباب إذا أغلقه، قاله مجاهد، الثالث: مسدودة الجوانب لا ينفث منها جانب، قاله سعيد بن المسيب،

(١) تأويلات أهل السنة، ١٠، ٦١٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ٢٠، ١٨٤ .

(٣) معاني القرآن، للزجاج، ٥، ٢٦٢ .

(٤) بحر العلوم، ٣، ٦١٧ .

(٥) تفسير الكشاف، ٤، ٧٩٦ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن، ٢٠، ١٨٥ .

وقال مقاتل بن سليمان: لا يدخلها رُوح ولا يخرج منها غم^(١)، وقال الرازي: (قَالَ الْحَسَنُ: مُؤَصَّدَةٌ أَي مُطَبَّقَةٌ مِنْ أَصَدَّتْ الْبَابَ وَأَوْصَدْتُهُ لُعْتَانٍ، وَلَمْ يُقَلْ: مُطَبَّقَةٌ لِأَنَّ الْمُؤَصَّدَةَ هِيَ الْأَبْوَابُ الْمُغْلَقَةُ، وَالْإِطْبَاقُ لَا يُفِيدُ مَعْنَى الْبَابِ)^(٢)، قال الماوردي في قوله تعالى: (فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ): ((فيه خمسة أوجه: أحدها: أنها مؤصدة بعمد ممددة، قاله ابن مسعود، وهي في قراءته {بعمدٍ ممددة}، الثاني: أنهم معذبون فيها بعمد محددة، قاله قتادة، الثالث: أن العمد الممددة الأغلال في أعناقهم، قاله ابن عباس، الرابع: أنها قيود في أرجلهم، قاله أبو صالح، الخامس: معناه في دهر ممدود^(٣))، وقال الواحدي: ((في عمدٍ {جمع عمدٍ {ممددة} قيل: يعني: أوتاد الأطباق التي تطبق عليهم ومعنى {في عمدٍ}: بعمدٍ وقيل: إنها عمدٌ يُعذبون بها في النار^(٤))، يقول المراغي: ((وعلينا أن نؤمن بذلك ولا نبحت عن كون العمد من نار أو حديد ولا في أنها تمتد طولاً أو عرضاً، ولا في أنها مشبهة لعمد الدنيا، بل نكل أمر ذلك إلى الله، لأن شأن الآخرة غير شأن الدنيا، ولم يأتنا خبر من الرسول ﷺ يبين ذلك^(٥))، ولعل المراغي قد وفق بقوله، لأننا بعد معرفة المعنى اللغوي ليس لنا أن نبحت عن تفاصيل غيبية لم يفصح عنها القرآن الكريم، أو الرسول ﷺ، فنحن مأمورون أن نؤمن بها كما جاءت من عند الله تعالى، من غير أن نخوض بتفاصيلها، والله أعلم .

* * *

(١) النكت والعيون، ٦، ٣٣٧ .

(٢) التفسير الكبير، ٣٢، ٢٨٦ .

(٣) النكت والعيون، ٦، ٣٣٧ .

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ١٢٣٢ .

(٥) تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي

الحلي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦ م، ٣٠، ٢٤٠ .

المبحث الخامس

أوجه القراءات القرآنية في السورة

وردة في السورة عدة أوجه لقراءة بعض كلماتها، سأوردها وأورد تعليقات العلماء عليها وتوجيههم لها .

قال الزمخشري: ((قرئ: {ويل للهمزة اللمزة}، وقرئ: {ويل لكل همزة لمزة}، بسكون الميم: وهو المسخرة الذي يأتي بالأوابد والأضاحيك فيضحك منه ويشتم))^(١)، وقال ابن عطية: ((قرأ ابن مسعود والأعمش والحسن: {ويل الهمزة اللمزة}، وهذا البناء الذي هو فعلة يقتضي المبالغة في معناه))^(٢)، ويقول الشوكاني: ((قَرَأَ الْجُمْهُورُ هَمْزَةً لَمْزَةً بِضَمٍّ أَوْلِهِمَا وَفَتَحَ الْمِيمَ فِيهِمَا. وَقَرَأَ الْبَاقِرُ وَالْأَعْرَجُ بِسُكُونِ الْمِيمِ فِيهِمَا، وَقَرَأَ أَبُو وَائِلٍ وَالنَّخَعِيُّ وَالْأَعْمَشُ {وَيْلٌ لِلْهَمْزَةِ اللَّمْزَةِ}))^(٣)، ووجه القنوجي القراءة بقوله: ((وقد أطرده أن بناء فعلة لمبالغة الفاعل أي المكثراً لمأخذ الاشتقاق، وإذا سكنت العين يكون لمبالغة المفعول، يقال رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره، ولعنة بسكون العين إذا كان ملعوناً للناس يكثر لعنه))^(٤). وفي قوله تعالى: {الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ} قال الطبري: اختلفت القراء في قراءة {جمع وعدد}، فقرأه من قراء أهل المدينة أبو جعفر، وعامة قراء الكوفة

(١) تفسير الكشاف، ٤، ٧٩٥ .

(٢) المحرر الوجيز، ٥، ٥٢١ .

(٣) فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ، ٥، ٦٠٣ .

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت،

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ١٥، ٣٨١ .

سوى عاصم: «جَمَعَ» بالتشديد، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والحجاز، سوى أبي جعفر وعامة قراء البصرة، ومن الكوفة عاصم، «جَمَعَ» بالتخفيف، وكلهم مجمعون على تشديد الدال من {وَعَدَّدَهُ}، وقد ذكر عن بعض المتقدمين بإسناد غير ثابت، أنه قرأه: {جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ} بتخفيف الدال، بمعنى: جمع مالا وجمع عشيرته وعدده، هذه قراءة لا أستجيز القراءة بها، بخلافها قراءة الأمصار، وخروجها عما عليه الحجة مجمعة في ذلك، وأما قوله: {جَمَعَ مَالاً} فإن التشديد والتخفيف فيهما صوابان، لأنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب^(١)، وقد وجّه الماتريدي القرأتين بقوله: ((أي: جمع ماله عنده ولم يفرقه وعدده وذكره، أي: حفظ عدده، وذكره على الدوام لئلا ينقصه، فوصفه بالبخل والشح، ومن قرأه بالتشديد، فمعناه: أنه جمعه وادخره بممر الزمان، لم يجمع ذلك في أيام قصيرة، والأصل {جمعه} بالتخفيف، لكن شدده لما فيه من زيادة الجمع))^(٢)، ويقول السمرقندي: ((قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي الذي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ بالتشديد، والباقون بالتخفيف. فمن قرأ بالتشديد، فهو للمبالغة كثر الجمع، ومن قرأ بالتخفيف، فمعناه وجمع مَالاً وَعَدَّدَهُ أي: قوماً أعدهم نصارا))^(٣).

ومما ذكر من أوجه القراءة في السورة في قوله تعالى: {لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ} ما نقل الطبري عن الحسن البصري أنه كان يقرأه: {لَيُنْبَذَنَّ} فِي الْحُطَمَةِ يعني: هذا الهمزة اللمزة وماله، فثناه لذلك^(٤)، ونقل ابن الجوزي القراءة بهذا الوجه عن أكثر من واحد، ومنهم صحابة، فقال: ((وقرأ أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وابن أبي عبله، وابن محيصن: {لَيُنْبَذَنَّ} بألف ممدودة، وبكسر النون، وتشديدها، أي: هو وماله))^(٥)، وروى الزجاج وجها آخر لقراءتها فقال: ((وقرئت {لَتُنْبَذَنَّ} فِي الْحُطَمَةِ، فمعناه

(١) ينظر جامع البيان، ٢٤، ٥٩٨.

(٢) تأويلات أهل السنة، ١٠، ٦١٥.

(٣) بحر العلوم، ٣، ٦١٦.

(٤) ينظر تفسير الطبري، ٢٤، ٥٩٨.

(٥) زاد المسير، ٤، ٤٨٩.

أنه لينبذ هو وجمعه في الحطمة))^(١)، وقد أسند هذه الرواية الى الحسن البصري ابو محمد المالكي في تفسيره الهداية^(٢)، وذكر أبو حيان وجها آخر لقرآنها فقال: ((وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو: {لَيُنْبِذَنَّه} ^(٣) اي وكأن المال ينبذه في النار والله أعلم، وذكر أبو حفص الدمشقي وجهاً آخران عن الحسن فقال: ((وقرأ الحسن أيضاً: { لَيُنْبِذَنَّه } على معنى لينبذن ماله، وعنه أيضاً: بالنون { لَنُنْبِذَنَّه } على إخبار الله - تعالى - عن نفسه، وأنه ينبذ صاحب المال))^(٤)، ونقل الزمخشري وجها في قراءة {الحطمة} فقال: ((وقرئ: {الحاطمة} يعنى أنها تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم، وهي أوساط القلوب))^(٥)، وقد أسند أبو حيان الرواية لزيد ابن علي فقال: ((وَقَرَأَ الْجُمُهورُ: فِي الْحُطْمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ، وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ: فِي الْحَاطِمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاطِمَةُ))^(٦).

ذكر الزجاج في قوله تعالى: {إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ} قرئت بالهمز مؤصدة، وبغير همز قرئت مُؤَصَّدَةٌ، والعرب تقول أَوْصَدْتُهُ فعلى هذا مُؤَصَّدَةٌ بغير همز، وتقول آصَدْتُهُ فعلى هذا مُؤَصَّدَةٌ بالهمزة^(٧).

في قوله تعالى: {عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} قال الطبري: ((اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة: {في عَمَدٍ} بفتح العين والميم، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: {في عُمَدٍ} بضم العين والميم، والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان، قد قرأ بكل

(١) معاني القرآن للزجاج، ٥، ٣٦٢ .

(٢) ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمُوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة

، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ١٢، ١٤٣١ .

(٣) البحر المحيط، ١٠، ٥٤١ .

(٤) اللباب في علوم الكتاب، ٢٠، ٤٩٢ .

(٥) تفسير الكشاف، ٤، ٧٩٦ .

(٦) البحر المحيط، ١٠، ٥٤١ .

(٧) معاني القرآن للزجاج، ٥، ٣٦٢ .

واحدة منهما علماء من القراء، ولغتان صحيحتان والعرب تجمع العمود: عُمداً وَعَمَداً، بضم الحرفين وفتحهم، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب^(١)، وللرازي فيها تفصيل آخر اذ يقول: ((المَسْأَلَةُ الْأُولَى: قرئ {في عمد} بضميتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحَتَيْنِ، قَالَ الْفَرَّاءُ: عُمْدٌ وَعَمْدٌ وَعَمْدٌ مِثْلُ الْأَدِيمِ وَالْأُدْمِ وَالْأَدَمِ وَالْإِهَابِ وَالْأَهْبِ وَالْأَهَبِ، وَالْعَقِيمِ وَالْعُقْمِ وَالْعَقَمِ، وَقَالَ الْمُبَرِّدُ وَأَبُو عَلِيٍّ: الْعُمْدُ جَمْعُ عَمُودٍ عَلَى غَيْرِ وَاحِدٍ أَمَّا الْجَمْعُ عَلَى وَاحِدٍ فَهُوَ الْعُمْدُ مِثْلُ زُبُورٍ وَزُبُرٍ وَرَسُولٍ وَرَسُولٍ))^(٢)، وفي قوله تعالى: {ممددة}، قال ابن عطية: ((قرأ الجمهور: {ممددة} بالخفض على نعت العمدة، وقرأ شعبة عن عاصم: {ممددة} بالرفع على اتباع مُؤَصِّدَةً))^(٣).

* * *

(١) جامع البيان، ٢٤، ٦٠٠.

(٢) التفسير الكبير، ٣٢، ٢٨٦.

(٣) المحرر الوجيز، ٥، ٥٢٢.

المبحث السادس

أوجه الإعراب

بعد أن تناولت أوجه القراءات في الآيات، سأتكلم في هذا المبحث على وجوه الأعراب التي ذكرها العلماء وتوجيهاتها والراجح منها .

قال الزجاج: (({وَوَيْلٌ} مرفوع بالإبتداء، والخبر {لِكُلِّ هُمْزَةٍ}، ولو كان في غير القرآن جاز النصب، ولا يجوز في القرآن لمخالفة المصحف، فمن قال: وَيلاً للكافرين، فالمعنى جعل الله له ويلاً، ومن قال: {وَوَيْلٌ} فهو أجود في العربية، لأنه قد ثبت له الويل، والويل كلمة تقال لكل من وقع في هلكة))^(١)، يقول أبو السعود: ((وساغ الإبتداء به مع كونه نكرةً لأنه دعاءٌ عليهم بالهلكة أو بشدة الشرِّ))^(٢)، وقال الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين: ((إذا قلنا أن ويل هو واد في جهنم، تكون الجملة خبرية وويل حينئذ معرفة لكونه علماً))^(٣)، ولا خلاف في جواز الإبتداء بالاسم العلم، والرأيان مرضيان عند أهل اللغة، والله أعلم .

في قوله تعالى: {الَّذِي} قال الرازي: (الَّذِي بَدَلٌ مِنْ كُلِّ أَوْ نَصَبٌ عَلَى دَمٍّ، وَإِنَّمَا وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا الْوَصْفِ لِأَنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى السَّبَبِ وَالْعِلَّةِ فِي الْهَمْزِ وَاللَّمْزِ وَهُوَ إِعْجَابُهُ بِمَا جَمَعَ مِنَ الْمَالِ، وَظَنُّهُ أَنَّ الْفَضْلَ فِيهِ لِأَجْلِ ذَلِكَ فَيُسْتَنْقَضُ غَيْرُهُ))^(٤)، ومقصود كلامه

(١) معاني القرآن للزجاج، ٥، ٣٦١ .

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د:ت، ٩، ١٩٨ .

(٣) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، للشيخ احمد الصاوي المالكي، المكتبة الاسلامية، د:ط، د:ت، ٤، ٣٥١ .

(٤) التفسير الكبير، ٣٢، ٢٨٤ .

أن قوله تعالى: {الذي} هي بدل من قوله تعالى {لكل} في الآية قبلها في مجرورة، أو هي منصوبة بفعل محذوف قبلها تقديره أعني، والله أعلم، وأضاف العكبري رأياً آخر مع الجر والنصب فقال: ((يَحْتَمِلُ الْجَزَّ عَلَى الْبَدَلِ، وَالنَّصْبَ عَلَى إِضْمَارِ أَعْنِي، وَالرَّفْعَ عَلَى هُوَ))^(١)، أي على تقدير هو قبلها وتكون الجملة استئنافية، وأضاف السمين الحلبي قوله: ((ولا يجوزُ جَرُّهُ نَعْتاً ولا بياناً لتغايرِهما تعريفاً وتنكيراً))^(٢)، أي لا يجوز إعرابها نعتاً ولا عطف بيان لأنهما غير متفقين بالتعريف والتنكير ويشترط لإعرابهما نعتاً أو عطف بيان الإتفاق، وقد رجح الشوكاني أن يكون منصوباً على الذم فقال: ((وَهَذَا أَرْجَحُ لِأَنَّ الْبَدَلَ يَسْتَلِزِمُ أَنْ يَكُونَ الْمُبْدَلُ مِنْهُ فِي حُكْمِ الطَّرْحِ))^(٣)، والله أعلم. في قوله تعالى: {يحسب أن ماله أخلده} يقول العكبري: (({يَحْسَبُ}: حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي {جَمَعَ}، وَ{أَخْلَدَهُ}: بِمَعْنَى يُخْلِدُهُ. وَقِيلَ: هُوَ عَلَى بَابِهِ؛ أَي أَطَالَ عُمُرَهُ))^(٤)، وذكر السمين الحلبي رأياً آخر في {يحسب} فقال: ((يجوزُ أَنْ تَكُونَ مُسْتَأْنَفَةً، وَأَنْ تَكُونَ حَالاً مِنْ فاعِلٍ))^(٥)، فقد اتفق معه في أن جملة يحسب يمكن أن تكون حالا من ضمير الفاعل لجمع، أو أن تكون جملة مستأنفة. قال العكبري في قوله تعالى: {التي تطلع على الأفئدة}: (({الَّتِي}: رَفَعُ عَلَى النَّعْتِ، أَوْ حَبْرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ، أَوْ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِأَعْنِي))، وفي قوله تعالى: ((في عمد ممددة)) ثلاثة إعرابات: ((هُمُ فِي عَمَدٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالاً مِنَ الْمَجْرُورِ؛ أَي مُؤَثِّقِينَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِمُؤَصَّدَةٍ))^(٦)، أي إنها خبر لمبتدأ محذوف أو حالا أو صفة، والله أعلم.

(١) التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)،

عيسى البابي الحلبي وشركاه، د: ط، د: ت، ٢، ١٣٠٣.

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم

المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، دار القلم، دمشق، د: ط، د: ت، ١١، ١٠٦.

(٣) فتح القدير للشوكاني، ٥، ٣٠٦.

(٤) التبيان في إعراب القرآن، ٢، ١٣٠٣.

(٥) الدر المصون، ١١، ١٠٧.

(٦) التبيان في إعراب القرآن، ٢، ١٣٠٤.

المبحث السابع

النكت البلاغية في الآيات

سأتناول في هذا المبحث ما ذكر العلماء من المسائل البلاغية في آيات سورة الهمزة. قال الألوسي: ((الهمزة الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا في الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيالهم والطعن فيهم، وأصل ذلك كان إستعارة لأنه لا يتصور الكسر والطعن الحقيقيان في الأجسام فصار حقيقة عرفية))^(١)، وفي السورة مقابلة لطيفة بين معنى الهمز واللمز ومعنى الحطمة وفي هذا يقول الرازي: أَنَّ الْهَامِزَ لِيَضَعُ قَدْرَهُ فَيُلْقِيهِ فِي الْحَضِيضِ فَيَقُولُ تَعَالَى: وَرَأَيْكَ الْحُطْمَةَ، وَفِي الْحُطْمِ كَسْرٌ فَالْحُطْمَةُ تَكْسِرُكَ وَتُلْقِيكَ فِي حَضِيضِ جَهَنَّمَ لَكِنَّ الْهُمَزَةَ لَيْسَ إِلَّا الْكَسْرَ بِالْحَاجِبِ، أَمَّا الْحُطْمَةُ فَإِنَّهَا تَكْسِرُ كَسْرًا لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، وَالْهَمَّازَ اللَّمَّازَ يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ وَالْحُطْمَةُ أَيْضًا اسْمٌ لِلنَّارِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَأْكُلُ الْجِلْدَ وَاللَّحْمَ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: ذَكَرَ وَصَفَيْنِ الْهَمَزَ وَاللَّمَزَ، ثُمَّ قَابِلَهُمَا بِاسْمٍ وَاحِدٍ وَقَالَ خُذْ وَاحِدًا مِنِّي بِالِاثْنَيْنِ مِنْكَ فَإِنَّهُ يَفِي وَيَكْفِي^(٢)، وفي تكرار كلمة الحطمة بأسلوب السؤال للتعظيم من شأنها، قال القرطبي: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ} عَلَى التَّعْظِيمِ لِشَأْنِهَا، والتفخيم لأمرها)^(٣).

يذكر الألوسي في قوله تعالى: {يحسب ان ماله اخلده} ثلاث نكات ؛ إذ يقول: ((الكلام من باب الإستعارة التمثيلية، والمراد أن المال طول أمله ومناه الأمانى البعيدة فهو يعمل من تشييد البنيان وغرس الأشجار وكري الأنهار ونحو ذلك عمل من يظن أن ماله أبقاها

(١) روح المعاني، ١٦، ٤٦٠ .

(٢) ينظر التفسير الكبير، ٣٢، ٢٨٥ .

(٣) الجامع لاحكام القرآن، ٢٠، ١٨٤ .

حيا، والإظهار في مقام الإضمار لزيادة التقرير، والتعبير بالماضي للمبالغة في المعنى المراد^(١). وفي قوله تعالى: {نار الله الموقدة}، قال الرازي: ((نارُ اللَّهِ فَالإِصَافَةُ لِلتَّفْخِيمِ أَي هِيَ نَارٌ لَا كَسَائِرِ النَّيِّرَانِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي لَا تَخْمَدُ أَبَدًا أَوْ الْمُوقَدَةِ بِأَمْرِهِ أَوْ بِقُدْرَتِهِ))^(٢). يقول الزمخشري في قوله تعالى: {تطلع على الأفئدة}؛ ((ومعنى اطلاع النار عليها: أنها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها، أو تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها))^(٣)، ومقصوده على المعنى الثاني إذا ما حمل معنى الآية على المجاز لا على الحقيقة فيكون اطلاع النار على معتقدات القلوب، وهذا المعنى ما بينه ابن عطية فقال: ((ويحتمل أن يكون المعنى أنها لا يتجاوزها أحد حتى تأخذه بواجب عقيدة قلبه ونيته فكأنها متطلعة على القلوب باطلاع الله تعالى إياها))^(٤)، ويقول القرطبي: (وَقِيلَ: مَعْنَى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفئِدَةِ أَي تَعَلَّمُ مِقْدَارَ مَا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَذَلِكَ بِمَا اسْتَبَقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَمَارَةِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ. وَيُقَالُ: اطَّلَعَ فُلَانٌ عَلَى كَذَا: أَي عِلْمَهُ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى}، وَقَالَ تَعَالَى: {إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا}، فَوَصَفَهَا بِهَذَا، فَلَا يَبْعُدُ أَنْ تُوصَفَ بِالْعِلْمِ)^(٥).

وقد ذكر الألوسي من التناسب والتوفيق في السورة، مما يسمى بمراعاة النظير في البديع، إذ قال: ((من تأمل في هذه السورة ظهر له العجب العجيب من التناسب فإنه لما بولغ في الوصف في قوله تعالى هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ قِيلَ الحُطْمَةُ لِلتَّعَادُلِ ولما أفاد ذلك كسر الأعراس قوبل بكسر الأضلاع المدلول عليه بالحطمة وجيء بالنبذ المنبئ عن الاستحقاق في مقابلة ما ظن الهامز اللامز بنفسه من الكرامة ولما كان منشأ جمع المال استيلاء حبه على القلب جيء في مقابلة تَطَّلِعُ عَلَى الأفئدة ولما كان من شأن جامع المال المحب له

(١) روح المعاني، ١٥، ٤٦١.

(٢) التفسير الكبير، ٣٢، ٢٨٦.

(٣) تفسير الكشاف، ٤، ٧٩٦.

(٤) المحرر الوجيز، ٥، ٥٢٢.

(٥) الجامع لاحكام القرآن، ٢٠، ١٨٥.

أن يأصد عليه قيل في مقابله إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ولما تضمن ذلك طول الأمل قيل في مقابله عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ^(١) .

* * *

(١) روح المعاني، ١٥، ٤٦٣ .

المبحث الثامن

الفوائد والإشارات في السورة

في هذا المبحث سأتكلم على الفوائد المستخرجة من السورة، والإشارات التي أورها العلماء في أثناء تفسيرهم آيات السورة الكريمة .

يقول الماوردي في قوله تعالى: {ويل لكل همزة لمزة}: إن الآية نزلت في الكفار، وكذلك كثير من الآي، ومعلوم أنه وجد منهم هذا الفعل أو عدم، استوجبوا ما ذكر من العقوبات وأشد، مع أن الذي فيهم من الكفر أقبح من هذين الفعلين، فكيف وقع تعبيرهم بذلك؟! والجواب عن هذا وأمثاله من نحو قوله تعالى: {لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُظْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ} (١)، أولاً: إن الإيمان لم يحسن لاسمه، ولا قبح الكفر لنفس اسم الكفر، ولكن الإيمان بالله - تعالى - إنما حسن من حيث أوجبت الحكمة الإيمان به، وقبح الكفر، لأن الحكمة أوجبت ترك الكفر بالله تعالى، فالإيمان حسن لما فيه من المعنى، والكفر قبح لما فيه من معنى الكفر، وهذان الفعلان قبيحان في أنفسهما، لا بغيرهما؛ فكان التعبير الذي يقع بهذين الفعلين أكثر وأبلغ منه في تعبيرهم بالكفر؛ لذلك غيرهم الله - تعالى - بهذين الفعلين، وثانياً: أن هذا يخرج مخرج الموعظة لأمة مُحَمَّد ﷺ وذلك أن رسول الله ﷺ كان يهزم به ويسخر منه؛ لما يأمرهم بالمعروف، ونهيههم عن المنكر، ولا يحمله ما كانوا يتعاطونه على ترك أمرهم بالمعروف، ونهيههم عن المنكر؛ لئلا يمتنع أحد من أمته عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما يخشى أن يسخر به أو يستهزأ، وثالثاً: أن يكون هذا على وجه المكافأة والانتقام لما كانوا يفعلون بنبينا محمد ﷺ على الزجر والردع عن ذلك؛ إذ

(١) المدثر، ٤٣-٤٤-٤٥-٤٦.

العقلاء يمتنعون عن الأفعال القبيحة؛ فعلى هذه الوجوه يحتمل معنى تعبيرهم^(١). وأشار السمرقندي الى سبب ذكر القلوب باطلاع النار عليها دون غيرها من أعضاء الجسم في قوله تعالى: {التي تطلع على الأفئدة}:(وخص الأفئدة، لأن الألم إذا وصل إلى الفؤاد، مات صاحبه فأخبر أنهم في حال من يموت، وهم لا يموتون، كما قال الله تعالى: {لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى}، ويقال: تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفئِدَةِ يعني: تأكل الناس، حتى تبلغ الأفئدة فإذا بلغت ابتداء خلقه، ولا تحرق القلب، لأن القلب إذا احترق لا يجد الألم، فيكون القلب على حاله)^(٢)، وقال الرازي: ((أَنَّ سَبَبَ تَخْصِيصِ الْأَفئِدَةِ بِذَلِكَ هُوَ أَنَّهَا مَوَاطِنُ الْكُفْرِ وَالْعَفَائِدِ الْخَبِيثَةِ وَالنِّيَّاتِ الْفَاسِدَةِ))^(٣).

يقول الرازي: ((أَنَّ الْآيَاتِ تُفِيدُ الْمُبَالَغَةَ فِي الْعَذَابِ مِنْ وُجُوهِ أَحدهَا: أن قوله: {لَيُنْبَذَنَّ} يَقْتَضِي أَنَّهُ مَوْضِعٌ لَهُ قَعْرٌ عَمِيقٌ جَدًّا كَالْبَيْتِ وَثَانِيهَا: أَنَّهُ لَوْ شَاءَ يَجْعَلُ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ بِحَيْثُ لَا يَكُونُ لَهُ بَابٌ لِكِنَّةِ الْبَابِ يُذَكِّرُهُمُ الْخُرُوجَ، فَيَزِيدُ فِي حَسْرَتِهِمْ))^(٤).

إن الكمالات الدينية كلها منوطة مربوطة بالتخلق بأخلاق الله، والتأدب بآدابه، فلا بد لأرباب الارادة، والطلب ان يهذبوا ظواهرهم بالشرائع النبوية المقتبسة من مشكاة النبوة فمن رغب عنها ولم يتصف بها فما له في الآخرة من خلاق لذلك قد حث وحرص سبحانه في هذه السورة أرباب العناية والتوفيق على كسب الآداب والتخلق بمحاسن الأخلاق والاتصاف بأوصاف الكمال بتوبيخ اصحاب الغفلة والضلال المسيئين الأدب مع الله ومع خلص عباده وبسوء منقلبهم ومآبهم عنده سبحانه^(٥).

(١) ينظر تاويلات أهل السنة، ١٠، ٦١٤، ٦١٥.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي، ٣، ٦١٧.

(٣) التفسير الكبير، ٣٢، ٢٨٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، لنعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ٢، ٥٢٩.

وقد ذكر سيد قطب من فوائد السورة مما ورد من التقييح للأفعال الذميمة والتهديد والوعيد لمرتكبها ما قال فيه: ((انا لنرى في عناية الله سبحانه بالرد على هذه الصورة معنيين كبيرين: الأول: تقييح الهبوط الاخلاقي وتبشيع هذه الصورة الهابطة من النفوس، والثاني: المنافحة عن المؤمنين وحفظ نفوسهم من أن تتسرب اليها مهانة الإهانة، وإشعارهم بان الله يرى ما يقع لهم، ويكرهه، ويعاقب عليه، وفي هذا كفاية لرفع أرواحهم وأستعلائها على الكيد اللئيم))^(١).

* * *

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعة الحادية عشر - ١٤١٢ هـ، ٦، ٣٩٧٣.

الخاتمة

بعد توفيق الله تعالى على اتمام البحث، سأورد أهم النتائج التي توصلت اليها،

وهي:

أن السورة مكية، ولا صحة للقول بمدنيتها .

ترجح أن معنى كلمة (ويل) واد في جهنم .

ثبت أن الهمز واللمز يكون بكل ما يدل عليه، سواء من قول او فعل، سرا او جهرا .

ترجح أن تفسير كلمة (الحطمة) اسم من اسماء النار او صفة من صفاتها .

السورة فيها مواسة للنبي (صلى الله عليه وسلم) مما كان يلاقيه من الكفار والمنافقين،

ولأتمته من بعده، وان لا يحملهم ما يفعله الكفار بهم من ترك الدعوة الى دين الله تعالى،

وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

* * *

المراجع و المصادر

- (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد ابن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د: ت .
- (٢) بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، د: ط، د: م، د: ت .
- (٣) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، دار الفكر، بيروت، د: ط .
- (٤) تأويلات أهل السنة، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
- (٥) التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د: ط، د: ت.
- (٦) تفسير التستري، لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)، منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ .
- (٧) تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- (٨) تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .
- (٩) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

(١٠) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

(١١) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، للشيخ احمد الصاوي المالكي، المكتبة الإسلامية، د: ط، د: ت.

(١٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمن الحلبى (المتوفى: ٧٥٦هـ)، دار القلم، دمشق، د: ط، د: ت .

(١٣) الدر المنثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، د: ت .

(١٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .

(١٥) زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ .

(١٦) فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

(١٧) فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ .

(١٨) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، لنعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

- (١٩) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعة الحادية عشر - ١٤١٢ هـ.
- (٢٠) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ- ٢٠٠٢ م.
- (٢١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
- (٢٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيشي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ.
- (٢٣) مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥ م.
- (٢٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- (٢٥) المحصول، للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.
- (٢٦) المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١، ١٩٩٠.
- (٢٧) معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى:

- ٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- (٢٨) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لمحبي السنة أبو محمد الحسين ابن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ .
- (٢٩) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ .
- (٣٠) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي ابن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د: ط، د: ت .
- (٣١) النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، د: ت .
- (٣٢) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمَّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م
- (٣٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ .

* * *

طاعة الوالدين في الطلاق

الأستاذ المساعد الدكتور

قاسم ناظم غفوري

كلية الإمام الأعظم «رحمه الله» الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مُعِزُّ من أطاعه ومُذِلُّ من عصاه، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد حبيب الله ومصطفاه، وعلى آل بيته الطيبين الأطهار، وأصحابه البررة الأخيار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القرار. وبعد:

فإن حق الوالدين أعظم الحقوق بعد حق الله وحق رسوله ﷺ، وذلك ببرّهما والإحسان إليهما، وطاعتهما، وخفض الجناح لهما، وبتقديمهما على النفس والأهل والأولاد، من غير منة ولا استئثار.

وإن التوفيق للبرّ بهما وخدمتهما من أعظم ما من الله تعالى به على الإنسان ووفقه إليه، وقد جُبلت القلوب على حُبِّ من أحسن إليها، والوالدان الكريمان هما صاحبا الإحسان كلّ الإحسان إلى الإنسان، فهما سبب وجوده بعد العدم، وهما أنسه وسعادته ورغد عيشه، بل كل نعمة يرُفّل فيها حسناتهما وبركاتهما.

ولذا كان شكر الوالدين على ما أسديا للولد من خير يلي شكر الله تعالى، فقد قال تعالى: ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ (١٤) (١).

وإن المسلم ليدرك كلّ الإدراك إذا ما تلا الآيات الكريمة الواردة في حق الوالدين، تلك المرتبة العالية التي رفع الله الوالدين إليها، إذ جعلها تلي مرتبة الإيمان بالله والعبودية له. وقد تتابعت آيات الكتاب الكريم واضحة مرضاة الوالدين بعد مرضاة الله عزوجل، وجاعلة الإحسان إليهما والبر بهما رأس الفضائل.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (٢).

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

ومن هنا كان المسلم الواعي لهدي دينه أبرّ بوالديه من أي إنسان في الوجود، ويستمر برّه بهما ما تنفّسا في هذه الحياة، واستمرت بهما الأيام، بل وبعد الممات بالدعاء لهما وإنفاذ وصيتهما وصلة أرحامهما وأحبابهما، وذلك عملاً بوصية الله تعالى بالوالدين، ولاسيما حين يصلان إلى زمن العجز والضعف والهزم، وحين يحتاجان إلى مزيدٍ من الخلق الراقي، والبسمة الحانية، والكلمة الودود.

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۗ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢٤) (١).

والباحث المتأمل في النصوص الواردة في بر الوالدين يجد الأحاديث النبوية الشريفة تترى مواكبة الآيات الكريمة، مؤكدة فضل بر الوالدين، محذرة من عقوقهما والإسادة إليهما مهما تكن الأسباب.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((سألت النبي ﷺ أيُّ العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قال: ثم أي؟ قال: ثم برُّ الوالدين، قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله)) (٢).

فقد أخبر ﷺ أن برَّ الوالدين هو أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام، وأن برَّهما مقدم على الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى نبي الله فاستأذنه في الجهاد، فقال: أحيي والدك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد)) (٣).

وتماماً لبيان عظيم حق الوالدين، وكبير شأنهما ووجوب طاعتهما في غير معصية، فقد

(١) سورة الاسراء، الآية: ٢٣-٢٤.

(٢) صحيح البخاري، مواقيت الصلاة، باب الصلاة لوقتها: ٩/٢ واللفظ له، صحيح مسلم، الإيمان: ٨٩/١.

(٣) صحيح البخاري، الجهاد، باب الجهاد بإذن الوالدين: ١٤٠/٦، واللفظ له، صحيح مسلم، البر: ١٩٧٥/٤.

حذّر رسول ﷺ أشد التحذير من عقوقهما.

فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ (ثلاثاً) قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت))^(١).

و هكذا فإن برّ الوالدين في الإسلام لأمرٌ عظيم، وهو نابع من أوثق الروابط، وأمتن الوشائج الإنسانية، من رابطة البنوة بالأبوة والأمومة.

ولقد وقر في أخلاق المسلمين والمسلمات وجوب بر الوالدين، فسارع الأبناء والبنات إلى برهما في حياتهما وبعد مماتهما، قبل الزواج وبعده.

وقد تبتسم الدنيا للإنسان، ويتقلب في بيت الزوجية، في أعطاف النعيم، وينصرف إلى الزوجة، ويلتفت إلى الذرية الناشئة، فيشغل عن الوالدين، ويقل اهتمامه بهما والإحسان إليهما، وتفقد أحوالهما، ولكن المسلم الواعي الراشد في نجاة من هذه الغفلة وعصمة، لأنه على اتصال دائم بالنبع الكريم الثر من توجيهات الإسلام العالية الحكيمة المسددة، فإذا هو مقبلٌ عليهما، يتفقد دوماً أحوالهما، ويسارع إلى برهما والإحسان إليهما، ما أسعفه جهده ووقته وظرفه، وما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

إذا أدرك المسلم ما تقدم، ووعاه في قلبه، فلن يتخلف أبداً عن والديه وطاعتهم، مهما أمراه ما لم يكن فيه كفرٌ بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(٢).

و يعلم حينئذ أيضاً أولوية والديه عليه في كل شيء، وتقديم رغباتهما على رغباته، وطلباتهما على كل طلب.

وقد تكون رغباتهما وطلباتهما تدخلاً في خاصة أمور ابنهما، مما لو أطاعهما فيه، فقد يعود عليه ذلك بالضرر الشديد، بل بخراب بيته وأسرته، كأمرهما له بفراق زوجته،

(١) صحيح البخاري، الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر: ٤٠٥/١٠، صحيح مسلم الإيمان: ٩١/١.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٥.

التي يريان أن وجودها معهما سببٌ لتنكيد عيشهما وعدم راحتها، أو لعلّةٍ أخرى يريان- في اجتهادهما- أن المصلحة لهما ولولدهما طلاقها وفراقها. والولد لا يريد أن تكون زوجته التي هي حق من أخص حقوقه سبباً لإيذاء والديه اللذين هما سبب لوجوده وسعادته، وهو شديد الخوف من عقوبتهما، ومن الوقوف على أعتاب ذلك، بل يريد البرّ بهما، وإسعادهما وإدخال السرور على قلبيهما، وإبهاج نفسيّتهما ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

والواجب على المسلم في مثل هذه الحالة أن يتأنّى ويُحسِنَ التصرف في الأمور، ويسلُك مع والديه مسلك الرفق والتؤدّة والتلطف والإقناع، فلا يقسو ولا يجور، ولا يخرج عن دائرة الأدب والتهذيب، بل يحاول إقناعهما بالسُّبُل المُجدية في ذلك، وسلاحه في سبيل الوصول إلى هدفه الصبر والكلمة الطيبة، والبسمة الودود، والحجة القوية، والمنطق السليم، والأسلوب المهذب الحكيم.

إذ الإسلام أمر المسلم بهذا الإحسان كله نحو الوالدين حتى لو كانا مشركين، فأمره بحسُن عشرتهما على شركهما، مع أن الشُّرك أعظم الظلم، ومع ذلك لم يحلّ دون برّ الوالدين في شرعة الإسلام السمحة الفريدة الغزاة^(١).

ويأتي السؤال الآن تجاه هذه المسألة التي يكثر وقوعها، وهي إصرار الوالدين أو أحدهما على تطليق الولد لزوجته، والأمر له بفراقها، وقد حاول كثيراً التوفيق وإقناعهما بعدم طلاقها، فلم يُجد ذلك نفعاً، وهما يستغيثان الله ويلك طلقها وإلا فالغضب والسُّخط والدعاء عليك:

وهنا يقف هذا الولد المبتلى حائراً: هل يهدم بيته وأسرته ويطلق زوجته طاعةً لوالديه؟ ويكون نتيجة ذلك الطلاق ما يكون من مشكلات وأسى ولوعة تقع عليه وعلى زوجته وأولاده، بل المجتمع بأسره، أم يرفض طلاقها، ولا يطيعهما في ذلك الأمر؟ ويقع نتيجة

(١) اقتبست في هذه المقدمة شيئاً من كلام الدكتور الفاضل الأستاذ محمد علي الهاشمي في كتابيه: شخصية المسلم: ٥٥-٦٨، شخصية المرأة المسلمة: ١٣١-١٤٣.

لذلك في نار غضب والديه وعقوقهما.

و يتساءل: هل طاعتها في أمرها أو أمر أحدهما بطلاق زوجته داخله تحت عموم وجوب طاعتها وعدم معصيتها، أم أن ذلك غير واجب عليه وإن سخطا وغضبا عليه، ولا يعد ذلك من العقوق؟

وهكذا لما وجدتُ هذا الولد المبتلى في حيرة شديدة من أمره، غدوت أبحث في هذه المسألة الواقعية الاجتماعية المحرجة، وما ورد فيها من أحاديث وآثار وأقوال للعلماء والفقهاء ليكون هذا البحث دليلاً له ينقذه من حيرته ونوراً يستضيء به في دربه ومسيرته فيعلم حكم الشرع فيما وقع فيه، وحتى يكون على بصيرة من أمره.

ولما عازمت على جاء -ولله الحمد- عون الله تعالى وتيسيره وتوفيقه، وتمّ جمع حَبَّات عقد ما قصدت، وضمّ بعضها إلى بعض، مما هو منشور في زوايا خبايا بطون الكتب. ولم أر أحداً - فيما اطّلت- أفرد هذه المسألة بالبحث، واستقصى ما ورد فيها كما يسره الله تعالى لي، وذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء، وما توفيقى إلا بالله، وأسأله المزيد من فضله.

١. خطة البحث:

٢. المقدمة.

٣. المبحث الأول: الأحاديث والآثار الواردة في المسألة

٤. المبحث الثاني: أقوال وفتاوى الصحابة في المسألة.

٥. المبحث الثالث: أقوال الفقهاء في هذه المسألة.

٦. النتائج والتوصيات.

* * *

المبحث الاول

الأحاديث والآثار الواردة في المسألة

روي الإمام الترمذي^(١) عن ابن عمر رضي الله عنه قال:

((كانت تحتي امرأة أحيبها، وكان أبي يكرهها، فأمرني أبي أن أطلقها، فأبيت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: يا عبد الله بن عمر! طلق زوجتك)).

وفي رواية أبي داود وابن ماجه وأحمد^(٢):

((...فأبيت، فأتى عمر النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: طلقها، فطلقها)).

وفي رواية ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرک^(٣):

((... فقال: ﷺ أطع أبك، وطلقها، فطلقها^(٤))).

(١) سنن الترمذي، الطلاق، باب ما جاء في الرجل يسأله أبوه أن يطلق زوجته: ٥٩٤/٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) سنن أبي داود، الأدب، باب في بر الوالدين: ٣٥٠/٥، سنن ابن ماجه، الطلاق، باب الرجل يأمره أبوه بطلاق امرأته: ٦٧٥/١.

(٣) صحيح ابن حبان (الإحسان): ١٦٩/٢، والمستدرک للحاكم: ١٩٧/٢ وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(٤) ويتساءل هنا: هل هذه المرأة التي طلقها ابن عمر بأمر أبيه هي التي طلقها في مدة الحيض وأمره النبي ﷺ بمراجعتها؟ ففي صحيح البخاري في أول باب الطلاق: ٣٤٥/٩ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه انه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن ذلك فقال رسول الله ﷺ: ((مره فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم أن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء)). الحديث.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: ٣٦١/٩ في شرح هذا الحديث، وذكر حديث السنن المتقدم في أمر

طاعة الوالدين في الطلاق

عن أميمة رضي الله عنها مولاة رسول الله ﷺ قالت: كنت أصب على رسول الله ﷺ وضوءة، فدخل رجل فقال: أوصني فقال: ((لا تشرك بالله شيئاً وإن قُطعت وحرقت بالنار، ولا تعص والديك، وإن أمرك أن تتخلى من أهلك ودينك فتخله...))^(١) الحديث.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله علمني عملاً إذا أنا عملته دخلت الجنة قال: ((لا تشرك بالله شيئاً وإن عُذبت وحرقت، أطلع والديك وإن أخرجاك من مالك ومن كل شيء هو لك...)) الحديث^(٢).

وقد ورد بصيغة والفاظ اخرى: وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أوصاني رسول

عمر رضي الله عنه ابنه بطلاق امرأته، قال: ((ويحتمل أن تكون هي هذه، ولعل عمر لما أمره بطلاقها، وشاور النبي ﷺ فامتثل أمره، اتفق أن الطلاق وقع وهي في الحيض، فعلم عمر بذلك، فكان ذلك هو السر في توليه السؤال عن ذلك، لكونه وقع قبله)).

لكن يلاحظ من حديث البخاري الذي فيه طلاق ابن عمر امرأته في الحيض، أن النبي ﷺ بعد أمره له بمراجعتها قد جعل له الخيار بعد انتهاء عدتها بين الأمسك والطلاق، فإذا كان كذلك، وقلنا بأن هذه المرأة هي تلك، فما فائدة طاعة أبيه في تطليقها والمقصود فراقها، وهنا قد جعل له النبي ﷺ الخيار. فالذي يظهر أن هذه المرأة غير تلك، والله اعلم.

(١) رواه الطبراني- في الكبير: ١٩٠/٢٤، وفيه يزيد بن سنان الرهاوي، وثقة البخاري وغيره، والأكثر على تضعيفه وبقية رجاله ثقات وفي حاشية سبط ابن العجمي على الكاشف للذهبي: ٣٨٣/٢ نقل عن الترمذي في السنن: ٢٣٤/٥ عن الامام البخاري انه قال: الرهاوي: مقارب الحديث، الا أن ابنه محمد بن يزيد يروي عنه مناكير.

وهذا الحديث ليس من رواية ابنه عنه، حيث رواه الطبراني في الكبير: ١٩٠/٢٤ عن يزيد بن سنان من رواية مروان بن معاوية ومن طريق عيسى بن يونس كلاهما عن يزيد، وله شاهد من حديث أبي ریحانه عند ابن النجار في تاريخه، كم في إتحاف السادة المتقين: ٣٩٢/٦ بلفظ: ((وأطع والديك وإن أمرك أن تخلى من أهلك ودينك)).

(٢) قال المنذري في الترغيب والترهيب: ٣٨٣/١، رواه الطبراني في الأوسط، ولا بأس بإسناده في المتابعات.

طاعة الوالدين في الطلاق

الله ﷺ بعشر كلمات، قال: ((لا تشرك بالله شيئاً وإن قُتِلت أو حُرِّقت، ولا تعص والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك..)) الحديث^(١).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ بسبع: ((لا تشرك بالله شيئاً وإن قُطعت أو حُرِّقت... وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من دنياك فاخرج))^(٢).

وروى البيهقي^(٣) عن مكحول عن أم أيمن أن رسول الله ﷺ أوصى بعض أهل بيته: ((لا تشرك بالله لا تشرك بالله وإن عُدِّت وإن حُرِّقت، وأطع والديك، وإن أمراك أن تخرج من كل شيء فاخرج...)) الحديث. وهكذا فالحديث بهذه الطرق والشواهد لا ينزل عن مرتبة الاحتجاج به والله أعلم، وهو بألفاظه المتقاربة يفيد - صراحة أو بالعموم - الأمر بطاعة الولد للوالدين وإن أمراه بالخروج عن أهله وطلاق زوجته.

وفيما يلي أذكر عدة أحاديث فيها أمر النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص بطاعة أبيه بقوله له ((أطع أبك))، وهو نص عام بالأمر بطاعته في كل شيء، ويدخل فيه أمر الطلاق، مع أن سبب ورود هذا الأمر - كما سيأتي - شكوى عمرو بن العاص ابنه عبد الله للنبي ﷺ بكثرة صيامه وقيامه، وتقصيره في حق زوجته، فقال له ﷺ ((أطع أبك)) ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(١) قال النذري في الترغيب والترهيب: ٣٨٣/١، رواه احمد - المسند: ٣٨/٥، والطبراني في الكبير: ٨٣/٢٠، وإسناده احمد صحيح لو سلم من الانقطاع، فإن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير لم يسمع من معاذ.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢١٥/٤: ((رواه احمد والطبراني في الكبير، ورجال احمد ثقات، إلا أن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير لم يسمع من معاذ، وإسناد الطبراني متصل، وفيه عمرو بن واقد القرشي وهو كذاب.

(٢) الادب المفرد للبخاري: ٦٩/١، وقال الهيثمي في المجمع: ٢١٧/٤: ((رواه الطبراني، وفيه شهر بن حوشب، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات)).

وله شاهد من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عند الطبراني كما في مجمع الزوائد: ٢١٦/٤ بلفظ ((ولا تعص والديك، وإن أمراك أن تخرج من الدنيا كلها فاخرج...)).

(٣) السنن الكبرى: ٣٠٤/٧، وقال: في هذا إرسال بين مكحول وأم أيمن، أخرجه ابن ماجه.

طاعة الوالدين في الطلاق

وبناء على ذلك فهَمَّ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه هذا العموم من الأمر- كما سيأتي - حين أمره أبوه أيضاً أن يدخل معركة صِفِّين، فدخل فيها طاعة لأمر والده، مع أن فيها فتنة عظيمة وهي قتال أصحاب رسول الله ﷺ، ولكنه كان موفقاً، مسدداً، فإنه دخل ولكن لم يقاتل، واستطاع أن يوفق بين الأمرين.

(عن حنظلة بن خويلد العنبري قال: بينما أنا عند معاوية إذ جاء رجلان يختصمان في رأس عمار، ويقول كل واحد منهما: أنا قتلتها، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تقتله الفئة الباغية)).

قال معاوية: فما بالك معنا؟

قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال:

((أطع أباك ما دام حياً، ولا تعصه)).

فأنا معكم، و ليست أقاتل^(١).

(عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن أباه عمراً قال له يوم صِفِّين:

اخرج فقاتل، قال: يا أبه! كيف تأمرني أخرج أقاتل وقد سمعت من عهد رسول الله

ﷺ إليّ ما سمعت^(٢)!؟

فقال: نشدتك الله! أتعلم أن آخر ما كان من رسول الله ﷺ إليك أن أخذ بيدك

فوضعها في يدي فقال:

((أطع عمرو بن العاص ما دام حياً))

قال: نعم.

(١) مسند أحمد: ١٦٤/٢ رقم الحديث (٦٥٣٨)، ورواه ابن سعد في الطبقات: ٢٥٣/٣، قال الهيثمي

في مجمع الزوائد: ٢٤٤/٧: رواه أحمد، ورجاله ثقات، وقال الشيخ أحمد شاکر في شرح المسند:

٤٧/١٠، اسناده صحيح.

(٢) كأنه يريد توصيته له بتجنبه الفتنة.

قال: فإنني أمرك أن تقاتل^(١).

سبب شكوى عمرو بن العاص ابنه عبد الله لرسول الله ﷺ:

((عن رجاء بن ربيعة قال: كنت في مسجد رسول الله ﷺ إذ مرَّ الحسين بن علي، فسلم، فردَّ عليه القوم السلام، وسكت عبد الله بن عمرو، ثم رفع عمرو صوتَه بعدما سكت القوم فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم أقبل على القوم فقال: ألا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قالوا: بلى.

قال: هو هذا المتقّي^(٢).

والله ما كلمته كلمة، ولا كلمني كلمة منذ ليالي صفيين، ووالله لأن يرضى عني أحب إلي من أن يكون لي مثل أحد.

فقال له أبو سعيد: ألا تغدو إليه؟

قال: بلى.

فتواعدا أن يغدوا إليه، وغدوت معهما، فاستأذن أبو سعيد، فأذن فدخلنا، فاستأذن لابن عمرو، فلم يزل به حتى أذن له الحسين، فدخل، فلما رآه زحل^(٣) له وهو جالس إلى جنب الحسين، فمدَّ الحسين إليه، فقام ابن عمرو فلم يجلس، فلما رأى ذلك خلا عن أبي سعيد، فأزحل له فجلس بينهما، فقصَّ أبو سعيد القصة. فقال: أكذاك يا ابن عمرو؟ أتعلم أنني أحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟

(١) المستدرک للحاکم: ٥٢٧/٣، ولم يعلق عليه بشيء، وكذلك الذهبي في تلخيصه، لكن الذهبي ذكره في سير اعلام النبلاء: ٩٢/٣، وقال: فيه عبد الملك بن قدامة الجمحي ضعف، وقال ابن حجر في التقريب ص ٣٦٤ (٤٢٠٤): ضعيف.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٤٠/٧ رواه الطبراني من رواية عبد الملك بن قدامة الجمحي عن عمرو بن شعيب، وعبد الملك وثقة ابن معين وغيره، وضعفه أبو حاتم وغيره.

(٢) اي الذاهب المولي.

(٣) اي تنحى له.

قال: إي ورب الكعبة إنك لأحب أهل الأرض إلى أهل السماء.
 قال: فما حَمَلَك على أن قاتلتني وأبي يوم صِفِّين؟ والله لأبي خيرٌ مني.
 قال: أجل، ولكن عمرو شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: إن عبد الله يصوم النهار ويقوم الليل^(١)، فقال رسول الله ﷺ:

((صلِّ ونم، وصم وأفطر، وأطع عمر)).

فلما كان يوم صِفِّين أقسم عليّ.
 والله ما كثرتُ لهم سواداً، ولا اخترطت لهم سيفاً، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم.
 فقال الحسين: أما علمت أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟
 قال: بلى.

قال: كأنه قِيلَ منه^(٢).

ولهذا الحديث طريق أخرى عن رجاء بن ربيعة أيضاً، ولكن في فضل الحسن بدل الحسين رضي الله عنه.

((عن رجاء بن ربيعة قال: كنت جالساً بالمدينة في مسجد الرسول ﷺ في حلقة فيها أبو سعيد وعبد الله بن عمرو، فمرَّ الحسن بن علي. فسلم، فردَّ عليه القوم، وسكت عبد الله ابن عمرو، ثم أتبعه فقال: وعليك السلام ورحمة الله، ثم قال: هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء، ما كلمته منذ ليالي صِفِّين.
 فقال أبو سعيد: ألا تنطلق إليه فتعتذر إليه؟
 قال: نعم.

قال: فقام فدخل أبو سعيد فاستأذن فأذن له، ثم استأذن لعبد الله بن عمرو فدخل.

(١) وسيأتي بعد صفحات ذكر هذا السبب في رواية البخاري في صحيحه، ولكن ليس فيه ((وأطع عمراً)) أو ((أطع أباك)).

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٨٧/٩: ((رواه الطبراني في الأوسط، وفيه علي بن سعيد بن بشير، وفيه لبن، وهو حافظ، وبقية رجاله ثقات، وقد تقدم من البزار في ترجمه الحسن والله اعلم)).

فقال أبو سعيد لعبد الله بن عمرو: حديثنا بالذي حدّثتنا به حيث مرّ الحسن.

فقال: نعم أنا أحدكم، إنه أحب أهل الأرض إلى أهل السماء.

قال: فقال له الحسن: إذا علمت أنني أحب أهل الأرض إلى أهل السماء فلم قاتلتنا، أو

كثرت يوم صفين؟

قال: أما إني والله ما كثرت سواداً، ولا ضربت معهم بسيف، ولكنني حضرت مع أبي - أو

كلمة نحوها.

قال: أما علمت أنه: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟

قال: بلى ولكنني كنت أسرد الصوم على عهد رسول الله ﷺ فشكاني أبي إلى رسول

الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إن عبد الله بن عمرو يصوم النهار ويقوم الليل!

قال: صم وأفطر، وصلّ ونم، فإني أنا أصلي وأنام وأصوم وأفطر.

قال لي: يا عبد الله. أطع أباك.

فخرج يوم صفين وخرجت معه^(١).

وقد جاء سبب شكوى عمرو بن العاص ابنه عبد الله لرسول الله ﷺ في رواية

البخاري في صحيحه^(٢).

((عن عبد الله عمرو قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كَنَّتِه، فيسألها

عن بَعْلها، فتقول: نعم الرجل من رجل، لم يَطأ لنا فراشاً، ولم يفتش لنا كَنَفاً منذ أتيناها^(٣).

فلما طال ذلك عليه، ذكر للنبي ﷺ فقال: القني به.

فلقيته بعد^(٤).

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٧٧/٩: ((رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير هاشم بن البريد،

وهو ثقة)) لكن قال الحافظ بن حجر في التقريب: ٥٧٠: ثقة إلا أنه رمي بالتشيع)).

(٢) فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ: حسبك: ٩٤/٩، وينظر أيضاً في صحيح البخاري، كتاب

الصيام، باب حق الجسم في الصوم: ٢١٨/٤.

(٣) اي لم يقربها.

(٤) القائل: هو النبي ﷺ عمدة القاري: ٥٨/٢٠.

فقال: كيف تصوم؟

قلت: أصوم كل يوم.

قال: وكيف تختتم؟

قلت: كل ليلة.

قال: صم في كل شهر ثلاثة، واقرأ القرآن في كل شهر...)) الحديث.

ولكن في هذه الرواية لم يُذكر قوله ﷺ له: ((أطع أباك)).

* * *

المبحث الثاني

أقوال وفتاوى الصحابة (رضي الله عنهم) في المسألة

وهذا الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه يُستفتى في حادثة ابن عمر رضي الله عنه، فيأمر بما أمر به رسول الله ﷺ.

فقد روى الحاكم^(١) ((عن أبي عبد الرحمن قال: تزوّج رجل، فكرهت أمّه ذلك، فجاء يسأل أبا الدرداء فقال: طلق المرأة وأطع أمك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: الوالدة أوسط أبواب الجنة، فأضغ ذلك أو احفظه)).

وفي رواية أخرى للحاكم^(٢) أيضاً وغيره ((عن أبي عبد الرحمن أن رجلاً أمره أبواه أو أحدهما أن يطلق امرأته، فجعل ألف محرراً أو مئة محرراً، وماله هدياً إن فعل، فأتى أبا الدرداء، فذكر أنه صلى الضحى، ثم سأله فقال:

((أؤف^(٣) بنذرِك، وبرِّ والديك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: الولد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فحافظ على الباب أو اترك هذا)).

وفي رواية ثالثة للحاكم^(٤) وغيره ((عن أبي عبد الرحمن السلمي أن رجلاً أتى أبا الدرداء رضي الله عنه فقال: إن أمي لم تزل بي حتى تزوّجت، وإنها تأمرني بطلاقها، وقد

(١) المستدرک: ١٦٨/٤، رقم الحديث (٧٢٥١) كتاب الاطعمة، وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(٢) المستدرک: ١٥٢/٤، وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه، سنن الترمذي، البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين: ٣١١/٤، وصححه، سنن ابن ماجه، الطلاق، باب الرجل يأمره أبوه بطلاق امرأته: ٦٧٥/١.

(٣) وهو التصديق بكل ماله وبألف عبد يجعلهم احراراً وينظر: ص ٣٠ لتوجيه هذا الاثر في الدلالة على الحكم.

(٤) المستدرک: ١٩٧/٢، وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه، صحيح ابن حبان (الإحسان): ١٦٨/٢.

أَبَتْ عَلِيَّ إِلَّا ذَاكَ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِالَّذِي آمَرَكَ أَنْ تَعَقَّ وَالدَّتْكَ، وَلَا أَنَا بِالَّذِي آمَرَكَ أَنْ تَطْلُقَ
امْرَأَتَكَ، غَيْرَ أَنَّكَ إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ بِمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
((الوالدة أوسط أبواب الجنة، فحافظ على ذلك الباب إن شئت أو أضعه)).
زاد الرواي عند ابن حبان: ((قال: فأحسب عطاء قال: فطلَّقَهَا)).
ويُروى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أمر ابنه عبد الله أيضاً بطلاق زوجته حين
شغلته عن واجباته:

((فعن سالم بن عبد الله: كانت عاتكة بنت زيد تحت عبد الله بن أبي بكر قد غلبته
على رأيه وشغلته عن سوقه، فأمره أبو بكر بطلاقها واحدة، ففعل، فوجد^(١) عليها، فقعد
لأبيه على طريقه وهو يريد الصلاة، فلما أبصر به شكى وأنشد:
فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير جرم تطلق
فرق له، وأمره بمراجعتها))^(٢).

• أول من أمر ابنه بطلاق زوجته:

((إن أول من أمر ابنه بطلاق امراته إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام))^(٣)، وقد
استجاب له إسماعيل عليه السلام وطلق زوجته برأ بأبيه، بل بلغ برّه به ما لا يتصوره
عقل، وذلك حين قال له أبوه إبراهيم الخليل: ﴿يَبْنِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَارِ آتِيَّ أَدْبَحَكَ فَأَنْظُرُ
مَاذَا تَرَى﴾ فقال له إسماعيل عليه السلام: ﴿يَنَابِتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ
مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(٤).

(١) اي حزن عليها.

(٢) عزاه في كنز العمال: ٧٠٦/٩، والسيوطي في مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه ص ١٧٩
للخراطي في ((اعتلال القلوب))، وقال: ورواه وكيع في ((الغرر)) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف،
وفيه: ((قال: أي بني. أتحبها؟ قال: نعم، قال: راجعها)). وعزاه الطرطوشي في ((بر الوالدين)) ص ٧٣ للزبير
بن بكار.

(٣) عارضة الأحوذى للقاظمي ابن العربي: ١٦٤/٥.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

طاعة الوالدين في الطلاق

أما قصة طلاق زوجته بأمر أبيه الخليل إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فقد رواها الإمام البخاري في صحيحه^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، فبعد أن ذكر ابن عباس رضي الله عنه قصة نبع ماء زمزم لإسماعيل عليه السلام، ونزول قبيلة جرهم عندهم، قال: ((... وشبَّ الغلام -إسماعيل- وتعلَّم العربية منهم، وأنفَسهم وأعجبهم حين شبَّ، فلما أدرك زوجته امرأةً منهم، وماتت أمُّ إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تَرِكَته^(٢)، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا^(٣). ثم سألتها عن عيشهم وهيئتهم؟

فقالت: نحن بشرٌ، نحن في ضيقٍ وشدة، فشكَّتُ إليه.

قال: فإذا جاء زوجك فأقرني عليه عليه السلام، وقولي له: يُعَيِّرُ عَتَبَةَ بابه.

فلما جاء إسماعيل كأنه أنَس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟

قالت: نعم. جاء شيخ كذا وكذا^(٤)، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني: كيف عيشنا؟

فأخبرته أنا في جهْدٍ وشدة.

قال: فهل أوصاك بشيء؟

قالت: نعم. أمرني أن أقرأ (عليك السلام)، ويقول: غَيَّرَ عَتَبَةَ بَابِك.

قال: ذلك أبي، أمرني أن أفارقك. إلحقي بأهلك. فَطَلَّقَهَا، وتزوَّج منهم أخرى.

فلبث عنهم إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- ما شاء الله، ثم أتاهم بعدُ فلم يجده، فدخل

على امرأته، فسألها عنه؟ فقالت: خرج يبتغي لنا.

قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم.

فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله.

(١) الأنبياء، باب يزفون: ٣٩٧/٦.

(٢) اي يسأل عن حال ما تركه هناك من اهل وولد، ينظر: فتح الباري: ٤٠٤/٦.

(٣) وفي رواية أخرى للبخاري في صحيحه في الباب نفسه: ٣٩٨/٦: ((فقالت امرأته: ذهب يصيد)).

(٤) وفي رواية عطاء بن السائب: كالمستخفة بشأنه، كما في فتح الباري: ٤٠٤/٦.

فقال: ما طعامكم؟

قالت: اللحم.

قال: ما شرايبكم؟

قالت: الماء.

قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء.

قال النبي ﷺ: ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ، ولو كان لهم دعا لهم فيه.

قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه^(١).

وفي رواية أخرى عند البخاري في صحيحه في الباب نفسه عن ابن عباس رضي الله عنه، فيها زيادة تبين خصلةً أخرى جمال من أخلاق الزوجة الثانية لإسماعيل عليه السلام: ((...فقلت امرأته: ذهب يصيد. فقالت: ألا تنزل فتطعم وتشرّب؟ فقال: وما طعامكم

وما شرايبكم؟

فقالت: طعامنا اللحم، وشرابنا الماء.

قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرايبهم.

قال: فقال أبو القاسم ﷺ: بركةٌ بدعوة إبراهيم)).

قال: فإذا جاء زوجك فأقرئي عليه السلام، ومُريه يشبّ عتبه باباه.

فلما جاء إسماعيل قال: هل آتاكم من أحد؟

قالت: نعم. أانا شيخ حسن الهيئة - وأثنت عليه - فسألني عنك، فأخبرته،

فسألني: كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا بخير.

قال: فأوصاك بشيء؟

قالت: نعم هو يقرأ (عليك السلام)، ويأمرك أن تثبّت عتبه بابك.

قال: ذاك أبي وأنت العتبه. أمرني أن أمسكك...)) الحديث.

(١) اي ليس أحد يخلو من اللحم والماء، ولا يشرب معه شيء آخر بغير مكة إلا اشتكى بطنه، فهذه بركة من خصائص مكة المكرمة بدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ينظر: فتح الباري: ٤٠٥/٦.

وهكذا لما وجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام الزوجة الأولى لإسماعيل عليه السلام متضجرة من حياتها مع إسماعيل عليه السلام، كافرة لنعم ربها، غير شاكرة لها، مع سوء أخلاقها، حين ذلك رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام من المصلحة لابنه إسماعيل أن يطلقها، وأن لا يعيش مع هذه المرأة التي ستربي وتنشئ أولاد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولذلك أمره بفراقها، فأطاع إسماعيل أمر أبيه وطلقها، وأبدله خيراً منها. وهذا وإن كان شرعاً لمن قبلنا، فهو شرع لنا، حيث ذكر لنا من غير إنكار، بل تتأكد حجيته حينما أقرّ بحادثة مماثلة في شرعنا، وهو ما تقدم في الأحاديث من أمره ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنه بطلاق زوجته، حتى طلقها.

* * *

البحث الثالث

أقوال الفقهاء في هذه المسألة

بعد عرض هذه الأحاديث والآثار الواردة في هذه المسألة، نجد أن الفقهاء رحمهم الله تعالى قد اختلفت وجهات نظرهم فيما تفيده هذه النصوص.

فهل هذا الأمر من النبي ﷺ لابن عمر رضي الله عنه في طلاق زوجته يفيد الندب أم الوجوب؟ وكذلك سائر ما ورد من الأحاديث القاضية بالأمر بالطاعة.

وهل هو عام في كلِّ والدَيْن، أم هو خاص في أمثال عمر رضي الله عنه، ذلك الرجل الملمهم المحدث صاحب العقل الرجيح؟.

وهل أمر الطلاق مما يخص كل إنسان بنفسه، ولا يحق للوالدين التدخل فيه إلا إن أضرَّهما بقاء زوجته؟

أو أنه داخل تحت عموم وجوب طاعتهما في كل ما أمر به، ما لم يكن معصية؟

وهل الطلاق معصية، لأنه يبغضه الله، فلا يطاعان فيه؟

و هكذا تدور أقوال الفقهاء في هذه المسألة على ما سبق، وسأعرض فيما يأتي ما وقفت عليه من أقوالهم، مع بيان وجهة نظر كل منهم، وأسأل الله التوفيق والسداد.

• القول الأول:

يستحب طاعة الوالدين في أمرهما أو أمر أحدهما بطلاق الزوجة، إن لم يكن الطلب عن تعنت واتباع هوى، ولم يخف الولد على نفسه فتنة أو مشقة بطلاقها، ولا يجب ذلك.

وبهذا قال الشافعية والحنابلة في الرواية المعتمدة المصححة عندهم والتي عليها الأصحاب.

طاعة الوالدين في الطلاق

• ومن نصوص الشافعية:

جاء في أسنى المطالب للشيخ زكريا الأنصاري:
 ((ويستحب الطلاق لخوف تقصيره في حقها، وألحق به ابن الرُّفعة طلاق الولد إذا أمره
 به والده، وهو ظاهر إذا أمر به، لا لتعنّتٍ ونحوه)). اهـ
 وذكر ابن حجر الهيتمي في تحفة المحتاج بشرح المنهاج^(١):
 ((من الطلاق المندوب: أن يأمر به أحدُ والديه من غير نحو تعنّت، كما هو شأن
 الحمقى من الآباء والأمهات، ومع عدم خوف فتنة أو مشقة بطلاقها فيما يظهر)). أهـ
 وعلى هذا فيندب عند الشافعية للولد طلاق زوجته بأمر أحد والديه بشرطين، وإلا فلا
 يندب، وهما:

أن لا يكون هذا الطلب عن تعنّتٍ، كما يفعله كثير من حمقى الآباء والأمهات.
 ألا يخاف الولد على نفسه الفتنة أو المشقة بطلاقها.

• ومن نصوص الحنابلة:

قال الإمام منصور البهوتي في شرح منتهى الإرادات^(٢):
 ((لا يجب على ابن طاعة أبويه، ولو كانا عدلين في طلاق زوجته)). اهـ
 ومعنى: ((ولو كانا عدلين)) أي غير ظالمين، بل يتحريان الحق والعدل، ولا يتبعان
 الهوى، ومع ذلك لو كانا عدلين وأمره بالطلاق فلا تجب طاعتهما.
 وقد وافق الشافعية والحنابلة الإمام علي القاري أحد كبار أئمة فقهاء الحنفية من
 المتأخرين المتوفى سنة ١٠١٤ هـ، فقد قال: هذا -أي التزام أمر والده بالطلاق - هو الكمال،
 أما باعتبار أصل الجواز، فلا يلزمه طلاق زوجته التي أمر بفراقها، وإن تأذيا ببقائها أذى
 شديداً)).

وعلى هذا نصُّ أيضاً من المالكية الشيخ محمد المدني علي كنون المتوفى سنة

(١) الهيتمي، تحفة المحتاج، ٤/٨.

(٢) منتهى الإرادات: ٧٤/٣.

١٣٠٢ هـ في تلخيصه لحاشية الرهوني على شرح الزرقاني على متن خليل، حيث ذكر نص ابن حجر الهيتمي في ذلك - المتقدم - مقررًا له ومعتدًا^(١).

• **صفة الطلاق الذي يؤمر الولد بفعله:**

تقدم فيما روي عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه أمر ابنه بطلاق زوجته طلقة واحدة، وهو طلاق السنة.

وقد نص على ذلك الإمام أبو جعفر الطحاوي من الحنفية فقال:

((والذي يُؤمر به الولد في هذا غير مبيح له فيه طلاق زوجته في الموضع الذي نهاه الله تعالى عز وجل عن طلاقها فيه، وإنما هو طلاقه إياها في الموضع الذي أباح الله الطلاق فيه، لا في ضده^(٢))).

فيطلقها طلقة واحدة في طهر لم يمسه فيها.

• **أدلة القول الأول:**

يُستدل لهذا القول باستحباب الطلاق وعدم وجوبه بحديث ابن عمر رضي الله عنه في أمر والده بالطلاق، وقول النبي ﷺ له: ((طَلَّقْهَا))، ونحوه من الأحاديث المتقدمة الذكر، القاضية بالأمر بالطاعة.

وقد حمل أصحاب هذا القول هذه الأحاديث على الندب دون الوجوب.

فقد قال. الإمام ابن حجر الهيتمي:

((و عليه فلو كان متزوجاً بمن يُحبّها، فأمره بطلاقها، ولو لعدم عفتها، فلم يمتثل أمره، لا إثم عليه، لكن الأفضل طلاقها امتثالاً لأمر والده، وعليه يحمل حديث ابن عمر في أمره ابنه بطلاق زوجته^(٣))). اهـ.

و كذلك قال الإمام علي القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عند شرح

(١) الهيتمي، تحفة المحتاج، ٤/٨.

(٢) مشكل الآثار: ٤١٨/٣.

(٣) الزواج: ٧٢/٢.

حديث ابن عمر: (قوله ﷺ: ((طَلَّقَهَا)): أمر نَدَب، أو وجوب إن كان هناك باعث آخر). اهـ
فقد جعل الأصل في هذا الأمر للندب، ولم يبيِّن لنا ما البواعث الأخرى التي تجعل هذا
الندب واجباً؟ مع نص ابن حجر الهيتمي السابق يجعل هذا الأمر للندب ولو أمراه بالطلاق
لعدم عفتها، فلم يره باعثاً لجعل هذا الأمر للوجوب، مع فظاعة ذلك وشناعته.
وعلى هذا جرى أيضاً الإمام ابن عَلاَن^(١) عند شرح حديث أبي الدرداء رضي الله عنه
لما سأله رجل أن له امرأة، وأمه تأمره بطلاقها فقد قال :

((فإن شئت فأضِعْ ذلك الباب أي بعدم برّها، وترك امتثال أمرها، أو احفظ بذلك، وإن
لم يكن واجباً البر بالطلاق، لكنه برٌّ لهما، وإجلال لأمرهما، فامتثله.
وما ذكرته من أن ما ليس واجباً أصالة، لا يصير واجباً بأمرهما، هو ما عليه الجمهور،
فقالوا: إن أمرا بمباح صار مندوباً، أو بمنذب زاد تأكّد نَدْبِهِ، وادعى القرطبي في ((المفهم))
أنه إذا أمراه أو أحدهما بأمر وجبت طاعتهما فيه، وإن لم يكن في أصله واجباً، بل كان من
المباحات)). اهـ

والظاهر من كلام ابن عَلاَن أنه يريد جمهور الشافعية. والله أعلم.
وهكذا فالشافعية والحنابلة في المعتمد عندهم ومن تقدم ممن وافقهم يرون أن هذا
الأمر من النبي ﷺ: ((طَلَّقَهَا)) ونحوه من الأحاديث الآمرة بالطاعة حتى في التخلي عن
المال والأهل وكل شيء، محمولة على الندب دون لوجوب.
ولم أفق بعد بحثٍ طويل على نص من كلام العلماء في القرينة التي صرفت هذا الأمر
من الوجوب إلى الندب، بناء على قول الجمهور بأن الأمر في الأصل يدل على الوجوب^(٢).
ولعل القرينة في ذلك أن الطلاق من الحقوق الخاصة بالولد دون غيره، كأمواله الخاصة،
حيث لا يحق لأحد التصرف فيها إلا بإذنه، ولهذا يُحمل الأمر بالطلاق على الندب

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: ٢٢٧/٣.

(٢) مع ان هناك فريقاً من العلماء يرون أنه للندب، الامدي: ١٤/٢، كشف الاسرار للبخاري: ١٠٧/١-

والاستحباب برّاً بالوالدين وإحساناً لهما، وتقديماً لرغباتهما على رغبات الولد. ومحل هذا الاستحباب إن كان الأمر بالطلاق صادراً عن والدَيْنِ عَدْلَيْنِ نحو سيدنا عمر رضي الله عنه، وإلا فإن كان عن تعنتٍ واتباع هوىٍ منهما فلا يستحب حينئذٍ. -ويمكن أن يقال أيضاً إن الأمر بالطلاق في الأحاديث السابقة محمول على التأكيد والمبالغة في برّهما، لا على وجوب ذلك. والله أعلم. ويستدل لهذا القول أيضاً بأن في الطلاق إضراراً بالولد وأهله وأولاده، ولا ضرر ولا ضرار.

وفي هذا يقول الإمام السفاريني في غداء الألباب^(١):

(وقال رجل للأمام أحمد رضي الله عنه:

لي جارية، وأمي تسألني أن أبيعها؟

قال: تتخوّف أن تتبّعها نفسك؟

قال: نعم.

قال: لا تبعها.

قال: إنها تقول: لا أرضي عنك أو تبعها؟

قال: إن خفت على نفسك، فليس لها ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

لأنه إذا خاف على نفسه يبقى إمساكها واجباً، أو لأن عليه في ذلك ضرراً.

ومفهوم كلامه - أي الإمام أحمد - إذا لم يخف على نفسه يُطيعها في بيعها، لأنه لا

ضرر عليه فيه لا ديناً ولا دنياً.

-وقال أيضاً:

قيّد أمره ببيع السُرِّيَّة إذا خاف على نفسه، لأن بيع السرية ليس بمكروه، ولا ضرر عليه

فيه، فإنه يأخذ الثمن.

(١) ٣٣٢/١، وينظر الاداب الشرعية لابن مفلح: ٤٤٧/١-٤٤٨.

بخلاف الطلاق فإنه مضر في الدين والدنيا.
 وأيضاً فإنه يُتَّهم في الطلاق ما لا يُتَّهم في بيع السرية.
 والمعتمد عدم وجوب طاعة كل واحد من الأبوين في طلاق زوجته، لقوله ﷺ:
 ((لا ضرر ولا ضرار))^(١)، وطلاق زوجاته بمجرد هوى ضررٌ بها وبه. اهـ من غذاء الألباب
 للسفاريني.

وعلل الإمام البهوتي الحنبلي في شرح المنتهى^(٢) قول الحنابلة بعدم وجوب طلاقها
 قال: ((لأنه ليس من البر)) اهـ.

وبهذا أجاب الإمام ابن تيمية في فتاواه^(٣)، فقد ((سئل عن رجل متزوج وله أولاد،
 ووالدته تكره الزوجة، وتشير عليه بطلاقها. هل يجوز له طلاقها؟ فأجاب: لا يحل له أن
 يطلقها لقول أمه، بل عليه أن يبرَّ أمه، وليس تطليق زوجته من برِّها)) اهـ.

• القول الثاني:

وجوب طاعة الولد لأبيه دون أمه في أمره له بطلاق زوجته.
 وهذا القول رواية عن الإمام أحمد، وبه قال من الحنابلة أبو بكر الخلال^(٤) أحمد بن
 محمد جامع علم الإمام أحمد ومرتبته، المتوفى سنة ٣١١ هـ
 ويستدل لهذا القول بأن حديث ابن عمر رضي الله عنهما لورد في هذه المسألة، قد جاء
 في أمر الأب دون الأم^(٥)، وفيه أمر النبي ﷺ: (طَّلِقْهَا) والأمر للوجوب.
 وعليه ((إذا أمرته أمه بالطلاق، فقد قال الإمام أحمد:

(١) سنن ابن ماجه، الاحكام، باب من بني في حقه ما يضر بجاره: ٧٨٤/٢، مسند احمد: ٣١٣/١.
 وقال العلاني: للحديث شواهد ينتهي مجموعها الى درجه الصحة او الحسن المحتج به، كما في فيض
 القدير للمناوي: ٤٣٢/٦، وينظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص ٢٦٥.

(٢) ١١٩/٣.

(٣) ١١٢/٣٣.

(٤) المبدع: ٢٥٠/٧، الانصاف: ٤٣٠/٨، معونة أولي النهى للفتوح: ٤٦٤/٧.

(٥) ينظر: غذاء الألباب: ٣٣١/١.

طاعة الوالدين في الطلاق

لا يعجبني طلاقه))^(١).

وعلل لهذه الرواية البهوتي في كشاف القناع بقوله: (لعموم حديث: (أبغض الحلال إلى الله الطلاق^(٢))).

ويجاب عن الاستدلال بأن الحديث ورد في الأب دون الأم، بما سيأتي في القول الثالث الآتي، من أن حق الوالدة على ولدها أوجب من حق والده.

وأيضاً فليس حديث ابن عمر رضي الله عنه هو الحديث الفرد في هذه المسألة، بل هناك أحاديث أخرى- كما تقدم- آمرة بطاعتها كليهما، وإن أمراه أن يتخلى عن أهله وماله والدنيا كلها.

• القول الثالث:

وجوب طاعة الوالدين في أمرهما أو أمر أحدهما بطلاق الزوجة. وبهذا قال الإمام أبو جعفر الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١هـ فقد عقد في كتابه مشكل الآثار^(٣) باباً سماه: طلاق الرجال نساءهم اللاتي يكرههن آباؤهم. هل ذلك مما عليهم في برّ آبائهم أم لا؟.

وبعد أن ذكر حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه في أمر والده له بالطلاق قال: ((فكان في هذا الحديث ما قد دلّ على أن من حق الوالد في هذا على ابنه إجابته أباه إلى ما سأله إياه من هذا.

وإذا كان ذلك من الوالد على ولده، كان من حق والدة على ولدها أوجب، ولولدها ألزم، لأن حق الوالدة على الوالد يتجاوز حق الوالد عليه، وسيجيء بذلك منصوصاً عن رسول الله ﷺ في موضعه فيما بعد من كتابنا هذا إن شاء الله^(٤).

(١) المبدع: ٢٥٠/٧، الانصاف: ٤٣٠/٨.

(٢) ٢٢٣/٥.

(٣) ٥٢١/٦.

(٤) رواية الترمذي في سننه، البر والصلة، باب ما جاء في بر الوالدين: ٣٠٩/٤.

وبهذا قال أيضاً الإمام القرطبي أحمد بن عمر بن إبراهيم المتوفى سنة ٥٦٥ هـ، كما صرح بهذا في كتابه ((المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم^(١))). كما قال بهذا أيضاً أحد كبار أئمة فقهاء الشافعية، وهو الإمام تاج الدين السبكي عبد الوهاب بن علي المتوفى سنة ٧٧١ هـ

فقد نقل ذلك عنه الإمام الزبيدي في إتحاف السادة المتقين حيث قال:
ووجدت بخط قاضي القضاة تاج الدين السبكي ما نصه:

((...و حاصله: أنه يجب امتثال أمرهما والانتهاز عن نهيهما، ما لم تكن معصية على الإطلاق، وإنما تكون معصية إذا كان فيه مخالفة لأمر الله الواجب أو لشرعه المقرّر. فعلى ما قلته: لو أمراه بطلاق امرأته ونحوه، وجب عليه طاعتها. هذا الذي أعتقده، وأرجو أنه حقٌّ إن شاء الله تعالى، والله أعلم)). اهـ.

وبهذا أيضاً قال الشوكاني، واستدل أيضاً بحديث ابن عمر رضي الله عنه، وبنحو كلام الطحاوي، فقد قال: (قوله ﷺ: (طلق امرأتك)) هذا دليل صريح يقتضي أنه يجب على الرجل إذا أمره أبوه بطلاق زوجته أن يطلقها، وإن كان يحبها فليس ذلك عُذراً له في الإمساك. ويلحق بالأب الأم، لأن النبي ﷺ قد بيّن أن لها من الحق على الولد ما يزيد على حق الأب، كما في حديث: (مَنْ أَبْرُ رَسُولَ اللَّهِ؟ فقال: أمك، ثم سأله، فقال: أمك، ثم سأله، فقال: أمك وأباك^(٢))).

• القول الرابع:

وجوب طاعة الولد لأبيه دون أمه في أمره له بطلاق الزوجة.
الشرط: أن يكون الوالد على بصيرة، عدلاً في أمره.
وهذا القول رواية عن الإمام أحمد^(٣).

(١) نيل الاوطار: ٤/٧

(٢) معونة أولي النهي: ٤٦٤/٧، الانصاف: ٤٣٠/٨.

(٣) الاداب الشرعية لابن مفلح: ٤٤٧/١، غداء الالباب: ٣٣١/١.

ويستدل لهذا القول بما تقدم من دليل للقول الثاني، وهو أن حديث ابن عمر رضي الله عنه الوارد في المسألة قد جاء في حق الأب دون الأم، فاقتصر عليه. وقد تقدم الجواب عن هذا في التعقيب على القول الثاني. وأما اشتراط العدالة في الوالد، فمستمدة من حال سيدنا عمر رضي الله عنه، الذي جاء الحديث في حقه مع ابنه عبد اللّهرضي الله عنه، وكان الإمام أحمد يرى في هذه الرواية أن الأصل في الطلاق كونه حقاً خاصاً للولد، وليس لوالديه أن يأمره به، فلما جاء حديث ابن عمر رضي الله عنهما بخلاف هذا الأصل قصر الحكم -في هذه الرواية على مثل عمر رضي الله عنه. ولهذا حين ((سأل رجل الإمام أحمد رضي الله عنه فقال: إن أبي يأمرني أن أطلق امرأتي؟. قال: لا تطلقها.

قال: أليس عمر أمر ابنه عبد الله أن يطلق امرأته؟

قال: حتى يكون أبوك مثل عمر رضي الله عنه).

ولكن يجاب عن هذا أيضاً بما تقدم من أن هناك أحاديث أخرى غير حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) وردت بطاعة الأبوين وإن أمراه بالتخلي عن أهله ومن كل شيء. وهذا القول الرابع هو أيضاً رأي الإمام الغزالي فقد قال في الإحياء: (وإن كرهها أبوه، فليطلقها، فقد قال ابن عمر رضي الله عنه: ((كان تحتي امرأة أحبها، وكان أبي يكرهها، ويأمرني بطلاقها، فراجعت رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن عمر طلق امرأتك)).

فهذا يدل على أن حق الوالد مقدّم، ولكن والده يكرهها لا لغرض فاسد، مثل عمر).

قال الزبيدي في شرحه على الإحياء^(١): أي حق الوالد مقدّم على حق الزوجة.

وقال الزبيدي أيضاً عند شرحه لقوله (مثل عمر رضي الله عنه: وأين مثله؟.

وبهذا أيضاً قال الإمام القاضي ابن العربي المالكي والإمام المنذري رحمهما الله

(١) اتحاف السادة المتقين: ٣٩٢/٥.

تعالى: ونصَّهما متقاربان، وهذا هو نص المنذري، فقد قال:
 ((ومن برّ الابن لأبيه: أن يكره ما كرهه أبوه، وإن كان محباً له، وأن يُحِبَّ ما أحب أبواه،
 وإن كان كارهاً له.

هذا إذا كان الأب من أهل الدين، يُحِبُّ في الله، ويُبغض في الله، ولم يكن ذا هوى،
 فإن لم يكن كذلك استُحِبَّ له فراقها لإرضائه، ولم يجب عليه كالحالة الأولى، لأن طاعة
 الأب في الحق: من طاعة الله^(١) اه.
 ولكن في هذه الرواية لم يُذكر قوله ﷺ له: ((أطع أباك)).

* * *

(١) حاشية نسخته من مختصرة لسنن أبي داود: ٣٥ / ٨، وينظر عارضة الاحوذى بشرح صحيح الترمذي،
 لابن العربي: ١٦٤/٥.

خاتمة فيها نتائج وتوصيات

بعد العرض السابق المفصّل، للمسألة، نخلص إلى أن هناك أربعة أقوال للعلماء فيها، وهي كما يلي:

يستحب طاعة الوالدين في أمرهما أو أمر أحدهما بطلاق الزوجة، إن لم يكن الطلب بطلاقها عن تعنت واتباع هوى، ولم يخف الولد على نفسه فتنة أو مشقة بطلاقها، ولا يجب ذلك.

و به قال الشافعية والحنابلة في المعتمد عندهم، وهو قول الإمام علي القاري من الحنفية، والإمام محمد المدني علي كنون من المالكية.

وجوب طاعة الولد لأبيه دون أمه في أمره له بالطلاق.

وهو قول الإمام أحمد -رحمه الله- في رواية عنه.

وجوب طاعة الوالدين في أمرهما أو أمر أحدهما بالطلاق. وهو قول الإمام الطحاوي

والقرطبي والسبكي والشوكاني -رحمهم الله تعالى-.

وجوب طاعة الولد لأبيه دون أمه في أمره له بالطلاق، بشرط أن يكون الولد على بصيرة

عدلاً في أمره.

وهو قول للإمام أحمد -رحمه الله- في رواية ثالثة عنه، وقول الإمام الغزالي والمنذري

رحمهما الله تعالى.

ويمكن إجمال تلك الأقوال، وجعلها في قولين:

فالأول: استحباب طاعتها في ذلك، والثاني: وجوب طاعتها في ذلك، على تفصيل:

بقصره على أمر الأب عند جماعة، أو على الأب العدل عند جماعة، أو بطاعتها سواء كان

الأمر الأب أو الأم.

وهنا يُلاحظ أن القول الأول هو قول الفريق الأكبر من العلماء، وأن وجهة نظرهم في

طاعة الوالدين في الطلاق

حمل الأمر الوارد بالطلاق على الندب دون الوجوب أقرب وأوفق بما جعله الشارع الحكيم من أمور خاصة بالإنسان نفسه دون غيره، كالطلاق والنكاح ونحو ذلك. وفي هذا القول واقعية وسعة ويُسر في الحياة الاجتماعية للإنسان، ولاشك أن هذا من أعظم مقاصد الشرع.

كما يُلاحظ اتفاق هذا القول الأول مع القول الرابع في اشتراط عدالة الولد، وعدم تعنته واتباعه لهوى نفسه.

ولذا يُوجّه هنا أنه مع القول بعدم الوجوب واستحباب طاعتهما في الطلاق إن كان السبب وجيهاً، فإنه يجب ألا يتسرع أبداً بإيقاع الطلاق، بل يُحاول الولد الإصلاح ما استطاع، فإذا اضطر فليطلق طلاقاً سنياً: مرة واحدة في طهر لم يمسه فيها.

أما إن كان أمرهما بالطلاق عن تعنت واتباع هوى، كما هو حال كثير من جهلة الأباء والأمهات، فحينئذ لا تستحب طاعتهما في ذلك، فإن أبغض الحلال إلى الله الطلاق، والأثار السيئة المترتبة على الطلاق كثيرة جداً: على الولد وعلى زوجة وأولاده، بل على المجتمع الإسلامي كله.

بل إن القول بوجوب طاعتهما في ذلك قد يسيء إلى الدين الإسلامي، فيُنظر إليه أنه دينٌ يدعو إلى هدم الأسر وتفريقها، مما يخالف تماماً المقاصد الشرعية للزواج. ولو قلنا بوجوب ذلك لتقطّعت أواصر الأسر، وتهدّمت بيوت كثيرة نتيجة خلافات بين الطرفين لا تجد لها سبباً يُذكر.

وتوجيه آخر في هذا المقام في حال تهديد الوالدين لولدهما بالغضب والدعاء عليه إن لم يطلق، وهو أمر مهم جداً: أن يوجه الولد في هذه الحالة للقيام بمداراة والديه ما استطاع، وأن يكون حكيماً في ذلك، ولا سيما مع مشاورة أولي النهي والأحلام. وهذا كما فعل سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حين أمره والده بالدخول في معركة صفين، فكان حكيماً جداً في تصرفه، حيث دخل في تلك المعركة، التي هي من أعظم الفتن المضلة. وذلك مداراة لأمر والده. وبذلك امتص غضبه وعدم رضاه، ولكنه

طاعة الوالدين في الطلاق

لم يقاتل في تلك المعركة تجنباً من الوقوع في تلك الفتنة الدهماء، كما تقدم عنه رضي الله عنه، فكم كان موفقاً حكيماً.

وَيَذَكِّرُ هُنَا الْوَالِدَانَ أَيْضاً بِأَنْ لَا يُحَوِّجَا وَلَدَهُمَا لِإِيقَافِهِ عَلَى عَتَبَةِ بَابِ الْعُقُوقِ وَعَدَمِ الطَّاعَةِ. وَرَحِمَ اللَّهُ وَالِدَا أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى بَرِهِ.

وفي ختام هذا التوجيه يُرشدُ الولد في حال امتثال أمر والديه بالطلاق، وقيامه بتطليق زوجته طلاق السُنَّة، لإدخال الرضا على قلب والديه، فإنه يُنصح هنا أن يراجع زوجته قبل انتهاء عدة الطلاق، حتى تعود الأمور إلى نصابها. ولعلَّ الله تعالى يُحدِّثُ له بعد ذلك فرجاً ومخرجاً، وعسى الله أن يأتي بفتح من عنده، ويزول ما في النفوس من شحناء، وتصفو القلوب، وتعود الألفة والمحبة.

هذا وأسأل الله تعالى الإخلاص والتوفيق والسداد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، والحمد لله أولاً وأخيراً.

* * *

المصادر والمراجع

- إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين، للزبيدي محمد بن محمد، ت ١٢٠٥هـ دار الفكر.
- أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء، د. مصطفى سعيد الخن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٤٠٢/٣.
- الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي علي بن محمد، ت ٦٣١هـ دار الفكر بيروت، ط ١٤٠١/١هـ.
- إحياء علوم الدين، للغزالي محمد بن محمد، ت ٥٠٥هـ- إتحاف السادة المتقين. الآداب الشرعية والمِنَح المرعية، لابن مفلح محمد بن مفلح، ت ٧٦٣هـ مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- الأدب المفرد، للبخاري محمد بن إسماعيل، ت ٢٥٦هـ- شرح الأدب المفرد. الأربعون النووية، للنووي يحيى بن شرف الدين، ت ٦٧٦هـ- جامع العلوم والحكم. أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري، ت ٩٢٦هـ المكتبة الإسلامية، صورة عن الطبعة الميمنية بمصر.
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، للمرداوي علي بن سليمان، ت ٨٨٥هـ تحقيق محمد حامد الفقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ١٤٠٠/٢هـ.
- بُر الوالدين، للطرطوشي محمد بن الوليد، ت ٥٢٠هـ تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١٤٠٦/١هـ.
- تاريخ دمشق، لابن عساكر علي بن الحسن. ت ٥٧١، طبع المجمع العلمي العربي بدمشق.
- تاريخ يحيى بن معين (رواية الدوري)، يحيى بن معين ت ٢٣٣هـ تحقيق د. أحمد

طاعة الوالدين في الطلاق

- محمد نور سيف، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي، ط١/١٣٩٩هـ
تحفة المحتاج بشرح المنهاج، لابن حجر الهيتمي أحمد بن محمد، ت ٩٧٤هـ دار
صادر، بيروت.
- الترغيب والترهيب، للمنزري عبد العظيم بن عبد القوي، ت ٦٥٦هـ باعتناء محمد
عمارة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ
- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، ت ٨٥٢، تحقيق محمد
عوامة، دار الرشيد، حلب، ط٣/١٤١١هـ
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر العسقلاني أحمد ابن
علي، ت ٨٥٢هـ تصحيح عبد الله هاشم اليماني، ١٣٨٤هـ
- تلخيص المستدرک، للذهبي محمد بن أحمد، ت ٧٤٨هـ- المستدرک.
تلخيص حاشية الرهوني على شرح الزرقاني، محمد المدني علي كنون ت ١٣٠٢هـ
مطبوع في حاشية كتاب حاشية الرهوني على شرح الزرقاني علي خليل، تصوير عن طبعة
بولاق المصرية عام ١٣٠٦هـ دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، ت ٨٥٢هـ دار صادر، تصوير
عن طبعة حيدرآباد الدکن، ط/١٣٢٥.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي جمال الدين يوسف، ت ٧٥٤هـ تحقيق
د.بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة، بيروت. ط٤/١٤٠٦.
- جامع العلوم والحکم في شرح الأربعين النووية، لابن رجب الحنبلي عبد الرحمن بن
أحمد، ت ٧٩٥هـ دار الفكر. تصوير عن طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٢هـ
- حاشية المنذري على مختصره لسنن أبي داود، مع معالم السنن للخطابي، عبد
القوي ابن عبد العظيم المنذري، ت ٦٥٦هـ تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة
المحمدية، القاهرة.
- حاشية سبط ابن العجمي على الكاشف للذهبي، إبراهيم بن محمد. ت ٨٤١هـ

- مطبوع مع الكاشف للذهبي، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة جدة، ط ١٤١٣/١هـ
 حاشية قليوبي على شرح الجلال المحلي على منهاج الطالبين للنووي، أحمد بن
 أحمد القليوبي، ت/١٠٦٩، طبعة عيسى البابي الحلبي.
 دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان محمد علي، ت ١٠٥٧هـ دار
 الكتاب العربي، بيروت، ط ١٤٠٥/١٠هـ
 الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي أحمد بن محمد، ت ٩٧٤هـ دار
 المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ
 سنن ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٥هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
 سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥هـ إشراف عزت دعاس وعادل
 السيد، دار الحديث، حمص، سورية، ط ١٣٨٨/١هـ
 سنن الترمذي، محمد بن عيسى، ت ٢٧٩هـ تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء
 التراث الإسلامي، بيروت.
 السنن الكبرى، للبيهقي أحمد بن الحسين، ت ٤٥٨هـ توزيع دار الباز، صورة عن
 طبعة حيدر آباد الدكن، ط ١٣٤٤/١هـ
 سير أعلام النبلاء، للذهبي محمد بن أحمد، ت ٧٤٨هـ تحقيق شعيب الأرنؤوط،
 مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٩٨٢/٢هـ
 شخصية المرأة المسلمة، محمد علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، ط ١٤١٥/١هـ
 شخصية المسلم، محمد علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١٤١٤/٥هـ.
 شرح الأدب المفرد (فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد) لفضل الله الجيلاني،
 المكتبة الإسلامية، حمص، ١٣٨٧هـ
 شرح مسند الإمام أحمد، أحمد محمد شاكر، ت ١٣٧٧هـ دار المعارف للطباعة
 والنشر، القاهرة، ط ١٣٦٨/٣هـ.
 شرح منتهى الإرادات، للبهوتي منصور بن يونس، ت ٩٥١هـ عالم الكتب، بيروت.

صحيح ابن حبان (الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان)، محمد بن حبان البستي،
ت ٣٥٤هـ، ترتيب علي بن بلبان الفارسي، ت ٧٣٩هـ تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة
الرسالة، بيروت ط ١/١٤٠٨هـ

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦هـ فتح الباري.
صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، ت ٢٦١هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،
دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الطبقات، لابن سعد محمد بن سعد، ت ٢٣١هـ دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي، لابن العربي المالكي محمد بن عبد الله
ت ٥٤٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب، للسفاريني محمد بن أحمد، ت ١١٨٨هـ، دار
العلم، بيروت.

الفتاوى (المجموع) لابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم، ت ٧٢٨هـ
جمع وترتيب عبد الرحمن العاصمي النجدي، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة
١٤٠٤هـ

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، ت
٨٥٢هـ، المكتبة السلفية، دار الفكر.

فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمنادي محمد عبد الرؤوف بن علي، ت ١٠٣١هـ
كشاف القناع عن متن الإقناع، للبهوتي منصور بن يونس، ت ١٠٥١هـ تحقيق جلال
مصيلحي، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.

كشف الأسرار عن أصول البزدوي، للبخاري عبد العزيز بن أحمد، ت ٧٣٠هـ دار
الكتاب العربي، القاهرة.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي المتقي بن حسام الدين الهندي، ت ٩٧٥هـ
باعتناء بكرى حياني وصفوف السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ

المبدع في شرح المقنع، لابن مفلح إبراهيم بن محمد، ت ٨٨٤هـ المكتب الإسلامي، بيروت.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثم بن نور الدين علي بن أبي بكر، ت ٨٠٧هـ دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للبغوي، علي بن سلطان القاضي، ١٠١٤هـ مطبعة المعارف، ملتان، باكستان، نشر مكتبة الإمدادية.

المستدرک علی الصحیحین، للحاکم النیسابوری محمد بن عبد الله، ت ٤٠٥هـ مصورة عن طبعة حيدر آباد الدكن، دار الكتاب العربي، بيروت.

مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، للسيوطي عبد الرحمن، ت ٩١١هـ تحقيق عبد الله الصديق الغماري، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ المكتب الإسلامي، بيروت.
مشكل الآثار، للطحاوي. أحمد بن محمد، ت ٣٢١هـ تحقيق شعيب الأناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١/١٥١٥هـ

المعجم الكبير، للطبراني سليمان بن أحمد، ت ٣٦٠هـ تحقيق حمدي السلفي، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل، العراق، ط ٢.

معونة أولى النهى شرح المنتهى، لابن النجار الفتوحى محمد بن أحمد، ت ٩٧٢هـ تحقيق عبد الملك بن دهيش، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط ١/١٤١٦هـ

المغني في الضعفاء، للذهبي محمد بن أحمد، ت ٧٤٨هـ تحقيق نور الدين عتر، طبع، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر.

المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، للقرطبي أحمد بن عمر، ت ٦٥٦هـ تحقيق محيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط ١/١٤١٨.

المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي

محمد ابن عبد الرحمن، ت ٩٠٢ هـ صححه وعلق عليه عبد الله محمد الصديق الغماري،
دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١/١٤٠٧ هـ
نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، للشوكانى محمد بن علي، ت ١٢٥٠ هـ دار الجيل،
بيروت.

* * *

علم البحث والمناظرة آدابه
وأثره في إختلاف الفقهاء

الدكتور

محمد عبد علي ضاحي

كلية الإمام الأعظم «رحمه الله» الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الحكيم العليم، والصلاة والسلام على إمام المتقين وحجة الله البالغة إلى الناس أجمعين، سيدنا وإمامنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنَّ الحوار والجدل ظاهرة إنسانية بل عالمية لوجودها في غير الأجناس البشرية، فقد خلق الله تعالى الإنسان ناطقًا مفكرًا تتوارد عليه أفكار ومعلومات يجد نفسه مدفوعًا بالجبلة والطبع إلى حب الإفصاح عنها، وقد تشتد وتبرز أشد البروز في كثير من المواقف، كظروف الحجاج والنقاش وتبادل الأفكار واحتكاك بعضها ببعض موافقةً أو مخالفةً أو برهنةً أو معارضةً، وما شاكل ذلك مما هو مرتكز في الفطرة الإنسانية وما تستدعيه طبيعة النوع البشري من التعارف والمدنية، فالجدال لا يمكن أن يخلو منه بشر عنده بيان لأنه يعبر عما يختلج في نفسه من بيان بصرف النظر عن طبيعة هذا البيان وبواعثه، فالنفس البشرية مجبولة على حبِّ الدفاع عن نفسها وتقرير مطالبها وإيضاح أبعاد مقاصدها، حتى في مواقف القيامة فإنها لا تتخلى عن هذه النزعة البيانية الإنسانية، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُل نَفْسٌ تَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [سورة النحل: ١١١]، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: ((يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فأخذ بيمينه وأخذ بشماله))^(١)، فالحديث يشير إلى رسوخ صفة

(١) رواه الترمذي في سننه، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة: ٣٩/٤ (برقم: ٢٣٤٩)، عن الحسن البصري عن أبي هريرة، كما أخرجه أحمد في مسنده، المكتب الإسلامي، بيروت، (برقم: ١٨٨٨٣) وأخرجه ابن ماجه في سننه، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (برقم: ٤٢٦٧)، كلاهما عن الحسن عن أبي موسى، وفي سننه انقطاع بين الحسن والصحابي لعدم سماعه منهما.

وينبغي التنبه إلى أنني اعتمدت في ترقيم الأحاديث ترقيم العالمية المستعمل في برنامج: (موسوعة

الجدل في الإنسان حتى في موقف عسير كيوم القيامة.

إن هذه النزعات البيانية تتفاعل مع بعضها مع تفاوت العقول واختلاف الآراء والأفكار والنحل والأذواق والمشارب مما يكون ذا أثر فعال فيما يجري بين الناس من مجادلات ومناظرات، فالجدل يعود بمعناه العام إلى نزعة البيان والإفصاح المودعة فطرياً في الإنسان، وهو عبارة عما يجيش في النفس من تأثيرات وأحاسيس لإظهار مبدأ أو نصره حق أو تصحيح خطأ أو توجيه مفهوم أو غير ذلك مما جبلت عليه النفوس البشرية، وبأي دافع كان هذا الحوار الإنساني، بل إن النزعة الجدلية لم تقتصر على طبيعة الإنسان اختلافاً وبيانياً وجدالاً فحسب، بل كان وجود الإنسان نفسه مثاراً لتساؤل الملائكة، فعندما أخبرهم الله تعالى بقوله: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ رغبوا في البيان وأدلوا بوجهة النظر على سبيل الاسترشاد وقياس الأولى^(١).

هذا وإن القرآن الكريم قد أتى بأنواع الحجج والبراهين، وجاء بالأدلة السمعية والعقلية، قال السيوطي رحمه الله في كتابه الإتقان ما نصه: (قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يبني من كليات المعلومات العقلية والسمعية، إلا وكتاب الله قد نطق به لكن أوردته على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين)^(٢).

على أنه ينبغي أن نُقرّر بعض الحقائق والأمور بهذا الصدد، وكما يلي^(٣):

١- إن مادة الجدل لم تكن بالمادة التي يقصد إليها منهج الإسلام (قرآناً وسنةً) قصداً أولياً في هداياته وتوجيهاته فهو لا يستهل دعوته بالجدال والمناظرة، ولكن يقيم الحجج والبراهين ويسوق المعلومات والمبادئ بأسلوب الوعظ والإرشاد والوعد والوعيد تربية

الحديث الشريف) «الإصدار الثاني»، إنتاج شركة البرامج الإسلامية الدولية، ١٩٩١-١٩٩٧.

(١) ينظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر عواض الألمعي، مطابع الفرزدق، القاهرة: ص ٢٩.

(٢) الإتقان، الإمام السيوطي، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، ١٩٦٧م: ٥٢/٤.

(٣) ينظر: مناهج الجدل: ص ١٢-١٥.

للنفوس وتهذيباً للأخلاق وهداية للمجتمعات الإنسانية بالموعظة الحسنة لأنها تدخل إلى الإنسان من وجدانياته فتؤثر فيه وهذا أنسبها للدعوة العامة، إذ كثيراً ما أثار الجدل العناد واللجاجة بين المتناظرين فيضيع الحق. لذا كان المنهج الإسلامي لا يأتي بالجدل إلا عند معارضة خصومه له وتوارد الشبه فيلجم خصومتهم بالجدل المحكم والاستدلال الملزم بأسلوب رائع مفحم، وهذا هو المنهج العام وما ورد بخلاف هذا من الأدلة فهو لحكمة تقتضيها أسرار الوحي الإلهي.

٢- لقد امتنع بعض السلف عن الخوض في الجدل من باب سدِّ الذرائع، لئلا يقع الناس في محظور النزاع والجدال ولكي لا يفتح لهم باب المراء والجدل، إذ لو دخل هذا الباب كل داخل بغير حدود أو قيود لتأه في غياهب اللجاجة والخصومات واستعمل الجدل في غير موضعه وربما نحاه به منحى الغرور والمراء، لهذا زهد كثير منهم في تقرير قواعد الجدل وسرد مواقفه وأهدافه؛ لأن الجدل إذا استطار بين الخصمين كان فيه ضياع للحق إذا لم يلتزم فيه جانب الحكمة وحسن المناظرة، هذا فضلاً عن تخرجهم وورعهم أمام النصوص التي تدم الجدل.

٣- إن المذاهب الكلامية والآراء الفلسفية نشأ معظمها متأخرًا عن عصر الصحابة والتابعين، وانتحل هذه المذاهب والآراء كثيرٌ ممن لا يوثق بعلمهم، فكانت ردود الفعل عند كثير من أهل السنة حازمة وجريئة إذ تصدوا لتلك المذاهب والآراء بالنقض والإبطال لما لمسوا فيها من فضول القول ومجانفة الصواب، على أن المناظرة لنصرة الحق والمجادلة بالتي هي أحسن وجدت في عهد النبي ﷺ منهجًا لتقرير الدعوة وتثبيت العقيدة.

إن جهل المسلمين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يجعلهم غير قادرين على كشف أسرار المذاهب المادية الحديثة وغيرها من مذاهب الكفر والإلحاد والضلالة مما يروجه أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم، فإن البعض من هؤلاء يتهمون الإسلام بأنه دين تلقيني عاطفي بضاعته مسلمات وقضايا خطابية وأنه يفر من الجدل ويكره النقاش.

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

لكن من خلال دراسة الآيات القرآنية ونصوص السنة وسيرة المسلمون الأوائل ينكشف للمنصف العاقل مدى كذب هؤلاء وافترائهم على الإسلام، فإن الإسلام قد كرمَّ العقل ورفع من شأنه وحذّر من إهماله وأوجب إعماله، وأشاد في آيات كثيرة بالحكمة والتفكير والبرهان والحجة، بل أمر الرسول الكريم ﷺ بمجادلة الكافرين، كما أمره بدعوتهم إلى الإيمان وجاء الأمر بهما في آية واحدة حيث قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٥].

وأخيراً، فهذا البحث محاولةٌ لإبراز ملامح علم البحث والمناظرة وآدابه وفق المنهج الإسلامي المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وبيان أثر ذلك في تنظيم مسائل الخلاف بين الفقهاء وتوجيهها بحيث تكون مصدر إثراء وتنوع في الفكر والفقهاء والتشريع، وقد أسميته: ((علم البحث والمناظرة: آدابه وأثره في اختلاف الفقهاء))، فإن أحسنت فبفضل الله، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان، وأسأله تعالى العفو والغفران، والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

• خطة البحث:

لقد اشتمل هذا البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، وكما يأتي:
 المقدمة: تضمنت تمهيداً للبحث وتوطئة لما سيأتي من مباحث، وفيها خطة البحث.
 المبحث الأول: التعريف بماهية علم البحث والمناظرة. وفيه ثلاثة مطالب:
 المطلب الأول: بيان معاني مفرداته لغة واصطلاحاً.
 المطلب الثاني: بيان نشأته ومشروعيته.
 المطلب الثالث: بيان منهج المناظرة والاعتراضات العقلية والشرعية التي ترد على المتناظرين.

المبحث الثاني: بيان آداب البحث والمناظرة، وأثرها في اختلاف الفقهاء.

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في اختلاف الفقهاء

• وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان آداب البحث والمناظرة.

المطلب الثاني: بيان أثرها في اختلاف الفقهاء.

الخاتمة: تضمنت على أبرز ما توصل إليها الباحث من نتائج ومقترحات.

* * *

المبحث الأول

التعريف بعلم البحث والمناظرة

- وفيه مطلبان، وكما يأتي:

المطلب الأول

بيان معاني مفرداته لغةً واصطلاحاً

- تعريف المناظرة لغةً:

المناظرة لغةً: هو من قولهم: ناظر فلاناً أي صار نظيراً له، وناظر فلاناً: باحثه وباراه في المجادلة، وناظر الشيء بالشيء: جعله نظيراً له. فالمناظرة مأخوذة من النّظير أو من النّظر بالبصيرة ونظر في الشيء أي أبصره.

قال ابن فارس في: ((النون والطاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشيء ومعاينته ثم يستعار ويتسع فيه))^(١)، وقال الراغب الأصبهاني: ((النظر: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الرؤية))^(٢).

وأما تعريف (الجدل) فهو لغة هو اللدّد (الشدة) في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالاً ورجل جدل ومجدل يقال جادلت الرجل فجدلته جدلاً: أي غلبته ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام، وجادله، أي خاصمه، مجادلة وجدالاً، والاسم (الجدل)

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة: ٤٤٤/٥.

(٢) مفردات الراغب الأصبهاني: ص ٥١٨.

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

وهو شدة الخصومة. وأصل الاشتقاق من الجَدَل وهو شدة الفتل، وقال ابن سيده: جدل الشيء يجدله جدلاً: أحكم فتله، والجدل معناه الصرع على الجدالة وهي الأرض سميت بذبك لشدتها. يقال: جدله جدلاً، وجدله فانجدل وتجدل: صرعه على الجدالة^(١).

وفي الحديث عن النبي ﷺ: ((إني عبدُ الله في أمِّ الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته))^(٢)، أي ملقى على الجدالة وهي الأرض^(٣). وخلاصة المعنى اللغوي للجدل أنه: شدة الخصومة والقدرة عليها وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام، كما ذكره ابن فارس في مقاييس اللغة حيث قال: ((الجيم والداد واللام أصل واحد وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، امتداد الخصومة ومراجعة الكلام))^(٤).

• تعريفها اصطلاحاً:

عرّف كثير من العلماء (المناظرة) اصطلاحاً بأنها النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب، وعرّفها آخرون بأنها تردد الكلام بين الشّخصين يقصد كل منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه ليظهر الحق، وقيل: هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للحق، فإذا لم تكن المناظرة لإظهار الحق كانت مرء وجدالاً وخصومة ووبالاً على صاحبها^(٥).

وأما (الأدب) فهي رياضة النفس بالتعليم والتّهذيب على ما ينبغي، والأدب جُملة ما

(١) لسان العرب، ابن منظور، مطبعة بولاق، القاهرة: ١٠٣/١١، ١٠٥.

(٢) مسند أحمد: ١٢٧/٤ (١٦٥٣٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة: ٤٣٣/١.

(٤) مقاييس اللغة: ٤٣٣/١. وينظر: مناهج الجدل: ص ١٩-٢٠، ومناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة، د. فرج الله عبد الباري، دار الأفاق، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤ م: ص ١٢٧.

(٥) ينظر: التعريفات، الجرجاني، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة: ص ٢٩٨، والتوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق د. محمد رضوان الدايدة، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٠ هـ: ص ٦٧٨، وشرح عبد الوهاب على الولدية في آداب البحث والمناظرة، للشيخ عبد الوهاب بن ولي الدين الآمدي، دار نور الصباح، سوريا، ط ١، ٢٠١٢ م: ص ١٥-١٦.

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

يَنْبَغِي لذي الصُّنَاعَةِ أَوْ الفن أن يتمسك به، كأدب القاضي وأدب الكاتب، ويأتي الأدب بمعنى كل ما أنتجه العقل الإنساني من صُرُوب المعرفة، فعِلوم الأدب عند المتقدِّمين تشمل: (اللغة والصِّرف والاشتقاق والنَّحو والمعاني والبيان والبديع والعروض والقافية والخطِّ والإنشاء والمحاضرات)، وتطلق الآداب حديثاً على الأدب بالمعنى الخاصِّ بالإضافة إلى: (التاريخ والجغرافية، وعلوم اللسان، والفلسفة). وتأتي (الآداب العامة) بمعنى: العُرف المقرَّر المرْضِي.

وعلى هذا، يكون المراد بـ(آداب البحث والمناظرة): بأنه علم يتعلق بقواعد نظرية وأخلاقية تضبط المباحثات والمناظرات لاستبعاد الخطأ والشك من النتائج التي يتوصل إليها المتناظران، فهي تبين وتنظِّم كيفية المناظرة وشرائطها. وقد يعبر عنه بـ(علم الجدل) لأنَّ المجادل مناظر ايضاً وربما يفرِّق بينهما بأنَّ الجدل لا يكون إلا بين اثنين متحاورين، والنظر قد يكون من جانب شخص واحد يتأمل ويستنبط لنفسه.

وعلى أية حال، فقد شاع بين الناس ألفاظ وإن لم تكن متطابقة تطابقاً تاماً في المفهوم، إلا أنها -عموماً- قريبة من بعضها البعض، كـ(المناظرة) و(الجدل) و(المحاورة) و(المناقشة) و(المباحثة)؛ لأنها ترجع في نهاية أمرها إلى طريقة البيان والتبيين التي أودعها الله في بني الإنسان جبلةً وطبعاً. وقد توجد بينها فروق، إذ يرى البعض أن:

الجدل: يراد منه إلزام الخصم ومغالته، فهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم.

المناظرة: هي تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهما في ظهور الحق.

المحاورة: هي المراجعة في الكلام، ومنه التحاور أي التجاوب، وهي ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه. وقريب من ذلك: المناقشة والمباحثة^(١).

وفي هذا يقول ابن سينا ما نصه: ((أما المجادلة فهي مخالفة تبغي إلزام الخصم

(١) ينظر: مناهج الجدل: ص ٢٥.

بطريق مقبول محمود بين الجمهور))^(١)، وقال الفيومي بعد أن ذكر المعنى اللغوي للجدل: ((ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها))^(٢)، وأيضاً قال الجرجاني في التعريفات: ((الجدل عبارة عن مرآة يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها))^(٣).

وأما الجدل عند المنطقيين والفقهاء والأدباء فهو: ((ما تركب من مقدمات مشهورة أو مسلم بها أما عند الجميع أو عند الخصم))، قال البستاني: ((هو القياس المؤلف من مقدمات مشهورة أو مسلمة أي قياس مفيد لتصديق لا تعتبر فيه الحقيقة وعدمها بل عموم الاعتراف أو التسليم))، ثم قال: ((والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو عاجز عن أدراك مقدمات البرهان))^(٤)، وهذا اصطلاح متأخر، وهو قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين بالدليل البرهاني أو الإقناعي الخطابي.

ومهما يكن من كثرة هذه التعريفات، فإن معناها يدور حول المنازعة في البيان على سبيل إلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات دعوى المتكلم، على أن هذه المناظرة منها ما هو حسن ومنها ما هو قبيح. كما يلاحظ أن هذه التعريفات قد أخذت الطابع المنطقي والفلسفي الذي يطغى على منهج أصحابها، ونحن في دراستنا سنأخذ بالمعنى العام للجدل، وبهذا يكون الجدل من قبيل المناقشة والمناظرة والحوار، وقد ورد لفظ (المجادلة) بصحبة لفظ (المحاورة) في سورة المجادلة [آية: ١]، قال تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما﴾^(٥).

* * *

(١) الشفاء، ابن سينا، المطابع الأميرية، القاهرة: (كتاب الجدل) ٢٣/١.

(٢) المصباح المنير، الفيومي، المطابع الأميرية، القاهرة: ص ١٢٨.

(٣) التعريفات: ص ٦٦.

(٤) محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة البيان، بيروت: ٢٢٤/١.

(٥) ينظر: مناهج الجدل: ص ٢٠، ٢٣، ومناهج البحث: ص ١٢٧-١٢٩.

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

المطلب الثاني

بيان نشأته ومشروعيته

نشأة فن المناظرة في المجتمع الإسلامي وأسباب انتشاره:

إنَّ نشأةَ الجدلِ وفنِ المناظرة - كظاهرةٍ أو كعلمٍ فيما بعد - في البيئات الإسلامية قد ظلَّ في عصر الصحابة والتابعين مقصوراً على ما تدعوا إليه الحاجة من تبيان الحق ودفع الشبه وترجيح الأدلة في الاجتهادات الفقهية ولم يقع في العقائد إلا نادراً^(١)، لأنهم كانوا يعرفون الأدلة نصّاً ومعنى، وكانت فطرتهم سليمة، ولكن بعد أن ترجمت الثقافات والعلوم اليونانية والفارسية إلى اللغة العربية وظهرت مدارس علم الكلام وعقدت الندوات، وألقيت المحاضرات في مختلف العلوم والفنون، وانتشرت المذاهب الفلسفية وهبَّ الصراع الفكري بين دعاة الحق ودعاة الباطل؛ تكونت من تلك المجادلات الكلامية والآراء الفلسفية ثروة فكرية هائلة وان كان كثير منها قد نَدَّ عن مناهج الصواب وجرَّ على الأمة الإسلامية في عقائدها كثيراً من الاضطراب والتفكك، وأما هذه النزعات الفلسفية فلم يقف علماء الشريعة الإسلامية تجاهها مشلولي الحركة فقد تصدوا لتلك الآراء بالقلم واللسان، وجادلوا بالحجة والبرهان، ورأى البعض منهم ضرورة الاطلاع والتعمق في علوم أولئك الفلاسفة ليتسنى الردُّ عليهم على خبرةٍ واطلاعٍ^(٢).

وهناك أسباب عديدة أدت إلى انتشاره في المجتمع الإسلامي يمكن إجمالها فيما يلي:

يلي:

١- انتشار الفتح الإسلامي ودخول كثير من الأمم ذات النحل والعقائد المختلفة

(١) كما في اختلافهم في رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج.

(٢) ينظر: مناهج الجدل: ص ٣١.

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

والأساطير والقصص في حوزة الدولة الإسلامية الجديدة وسريان كثير من روايب تلك الأمم إلى المسلمين بحكم الجوار والمخالطة.

٢- دخول كثير من هذه الأمم في الدين الإسلامي وكان حال بعضهم ما بين رجلين: رجل لم يفهم الدين وأحكامه كما ينبغي فخلط أقوالاً قديمة وأخرى إسلامية جديدة، فكان له من الرأي مخرج خاص لا هو بالقديم المحض ولا هو بالجديد الصافي، وهو مع ذلك حسن النية صادق الإسلام، ورجل دخل في الإسلام على غدر ونفاق فبيت له الشر وربض في مجال الفتنة وأضر له الكيد وذهب يخلط ويلفق كما شاء له الهوى. وهذا لا يعني عدم وجود من دخل في الإسلام من تلك الأمم وهو صادق الإسلام سليم الفهم، فقد وجد منهم خلق كثير انتصر بهم الإسلام.

٣- ورود بعض النصوص من القرآن والسنة المطهرة التي توهم بظاهاها خلاف ما هو معلوم ومتفق عليه بين السلف الصالح فتحتاج إلى تأويل وتفسير، بينما وجد من ذوي الأهواء من يتمسك بالظواهر أو ينحرف في التأويل ويجادل فيه ليحرك ساكن الخلاف ويذكي نار الفرقة.

٤- ميل العقول إلى نوع من الترف العقلي بالبحث فيما يعرض من مبهم أو مشكل واختيار المسائل التي تثيرها دواعي السياسة والاجتماع، وقد كان هذا النوع من التفكير حين تفرغت الدولة من الحروب والفتح فتفرغت النفوس ومالت إلى الدعة والاطمئنان.

٥- انتشار مجالس القصص في المدن الإسلامية فقد فتح السبيل للناس في تناول المشكلات الطارئة وامتحان المسائل والكلام فيما يعنيههم من حوادث والرغبة في معرفة حكمة الدين، فأقبل الناس على هذه المجالس واستمعوا إلى القصاص وجادلوهم فيما يقولون وقويت عندهم ملكة البحث والمناظرة.

٦- مهاجمة اليهود والنصارى والدهريين وغيرهم للدين الإسلامي وقد فهم إياه بما يروجون من شبه ومفتريات يبغون بها الحط من الدين والغض منه والنكاية به، فجالوا في ميدان الكيد جولات واسعة وناظروا المسلمين في مواقف عدة وانبرى كثير من العلماء

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

لدحض أقوالهم وتفنيدهم مزاعمهم.

٧- طرق باب البحث في بعض الموضوعات العويصة كالغيبيات كانت ولا تزال مزالقة للباحثين وميداناً يتفاضل فيه المتجادلون، على أن العقل البشري مهما أوتي من الذكاء والفتنة لن يستطيع أن يصل إلى كنهها من طريق التقليد، فالتسليمُ بها من طريق السمع أولى وأحمدُ عاقبةً.

ولا يغرب عن الذهن أن مجالس المناظرة كان يكتنفها في أكثر الأحيان اللدد واللجاج وتحزب كل فريق لرأيه وبذل الجهد في تأييده وتدعيمه مما دعا إلى توسع دائرة الخلاف وتشعب طرق النقاش.

كل هذه الأسباب التي سقناها هيأت العقول ونشطتها للجدل والمناظرة فيما عرض من مسائل دينية وسياسية فثارت بحكم الضرورة ربح الخلاف لاختلاف الأنظار وتباين المقاصد^(١).

وأخيراً، أقول: إننا نواجه اليوم غزواً فكرياً مركزاً يتمثل في المادية الجدلية ونحوها من الفلسفات المعاصرة، وليست في الحقيقة المادية الجدلية الحديثة والمنطقية الوضعية إلا امتداداً لتلك الماديات القديمة التي لاكتها ألسنة ملاحدة اليونان فالماذهب المادية الحديثة التي تحارب الأديان السماوية هي امتداد لتلك الحركات الإلحادية القديمة؛ إنها فكرة الماديين المحدثين كما كانت فكرة الماديين القدماء ولم يغير من جوهرها تحطيم الذرة أو تفتيتها، اللهم إلا في كيفية التعبير عنها، صحيح أن أساليب الحركات المادية الحديثة -التي أصبحت تغزو شعوب العالم- حركات منظمة تدفعها الشيوعية الحمراء في خط منتظم وتوجهها الحركات الإلحادية والصهيونية العالمية فتقتنص بها الشعوب التي فقدت الحصانة النفسية ولم تخالط بشاشة الإيمان قلوبها، الأمر الذي جعلها أرضاً موبوءة تقضي على أعلى ما تملكه النفوس المؤمنة من عقيدة

(١) ينظر: مناهج الجدل: ص ٣١-٣٢، ومناهج البحث: ص ١٢٨-١٢٩، وضوابط المعرفة، للشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، بيروت، ط ١، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م: ص ٣٧٢-٣٧٦.

الإيمان والمثل العليا للأخلاق والقيم^(١).

• أساس مشروعية المناظرة:

إنَّ المناظرة سلاح ذو حدين، وقد اشتبه الأمر على قوم قصرت علومهم وندت أفهامهم فذهبوا ينكرون الجدل والمناظرة ويرون ذلك من الأمور الدخيلة على الإسلام والمسلمين، فجنى هؤلاء على الإسلام من حيث لا يشعرون، إذ لم يحرِّروا أقوالهم ويفرّقوا بين ما يبيحه الشرع وما يمنعه، وما تقتضيه ضرورة البلاغ لرسالة الله تعالى والدفاع عنها من الحجة والبرهان، وبين ما يكون فضولاً من القول ورجماً بالغيب وخوضاً في لجج الباطل.

بينما يقابل هؤلاء قومٌ أفرطوا في الجدل والمناظرة في الدين وأطلقوا العنان للعقول دون قيود أو حدود، واعتبروا العقل هو الركيزة الأولى التي تبني عليها الأحكام ويتفرع عنها الحكم على كل قول أيّاً كان مصدره، وهؤلاء قد حكموا للعقل بالعصمة من الخطأ وقدموا أدلته على أدلة الشرع^(٢).

والحقُّ أن الشرع قد جاء بالأدلة السمعية والعقلية ولم يجعل بينهما تناقضاً، والشرع في الحقيقة هو عصمة للعقل من الخطأ، لأن العقول مهما بلغت من الإدراك فطاقاتها محدودة، وهي عاجزة عن اقتحام متاهات الغيب التي لا يعلمها إلا الله، وهناك حقائق ثابتة -كوجود الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العليا- العقل عاجز عن إدراك كنهها، فليس لنا أن نجعل العقل مهيمناً على نصوص الشريعة ينسخ منها ما يريد ويغير ما لا يدرك حقيقته وكنهه، ولكننا نستخدم العقل في التمييز بين الحق والباطل ونعمله في جميع شؤون الحياة، نتأمل به في خلق الله وبدائع صنعه، ونسلك به الطريق المستقيم، مستنيرين بنور الوحي وهدى النبوة، علمًا بأن العقل السليم لا يخالف النصوص الصحيحة التي جاء بها الشرع^(٣).

(١) ينظر: مناهج الجدل: ص ١٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ص ٤٤.

(٣) ينظر: مناهج الجدل: ص ٤٤-٤٥.

وقد أَلَفَ الشيخ ابن تيمية رحمه الله كتابه: (درء تعارض العقل والنقل) المسمى (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول) وتحدث عن هذا بما لا مزيد عليه. وقصارى القول أن إنكار الجدل وذمه مطلقاً فيه تعسف ومكابرة للحق والواقع، وقبوله والدعوة إليه مطلقاً فيه أيضاً تعسف ومكابرة، وقد وردت نصوص من الكتاب والسنة تأمر بالجدل وأخرى تنهى عنه، فعلمنا يقيناً أن الجدل الذي تأمر به هذه النصوص غير الجدل الذي تنهى عنه، لأن نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة الصحيحة لا تتعارض في حقيقة الأمر.

ويمكننا أن نقول: إن المناظرة تنقسم إلى قسمين: ممدوحة، ومذمومة، فالجدل (المناظرة) الممدوح: (هو ما كان بنية خالصة وجرى بطريقة سليمة وأدى إلى خير)، أو يقال: (هو كل جدال أيدَّ الحق أو أفضى إليه بنية خالصة وطريقة صحيحة). وأهم الأدلة الصريحة من كتاب الله تعالى، منها قول الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦]، ووجوه الدلالة في الآيتين أن الله تعالى أمر بالمجادلة لأهل الكتاب بالرفق واللين والإنصاف، وترك التعسف والبذاءة والاستطالة إلا لمن بدأ منهم بشيء من ذلك فإنه يعارض بما يفحمه ويلجم خصومته. وفي هذا الصدد يقول الشيخ ابن تيمية رحمه الله: ((فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه ولا وفَّى بموجب العلم والإيمان ولا حصلَّ بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ولا أفاد كلامه العلم واليقين))^(١).

وأما المناظرة المذمومة فهي: (كل جدال ظاهراً الباطل أو أفضى إليه)، والأدلة كثيرة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة في ذم هذا النوع من الجدل وبيان أوجه الذم فيه، من أبرزها قوله تعالى: ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به

(١) درء تعارض العقل والنقل، الشيخ أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، دار الكتب الوطنية، القاهرة: ١/٣٥٧.

الحق ﴿الكهف: ٥٦﴾، وقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد﴾ [سورة الحج: ٣]، ففي قول الله عز وجل: ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾ [الكهف: ٥٦] نرى تنصيصاً على ذم الجدل بالباطل، وأن الباطل قد يظهر وتكون له صولة، فالجدال بالحق لإقامة الحجة على أهل الإلحاد والبدع من الجهاد في سبيل الله كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم))^(١)، وإنما يكون الجهاد باللسان بتبيان الحق والحجة والبرهان (أي الجدل المحمود) لا بالشغب والهديان والسب والشتم. فالجدال بالحق من النصيحة بالدين، وأن البشرية كلما احتكمت في فض نزاعاتها إلى منطق الحجة والبرهان والتزمت آداب البحث والمناظرة كلما كانت أقرب إلى السمو والإنسانية، ممّا لو لجأت إلى منطق القوة والسلاح^(٢).



(١) سنن النسائي، الحافظ أبي عبد الرحمن النسائي، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة: ٧/٦ (برقم:

٣٠٤٥)، وله متابعات وشواهد عند أحمد وأبي داود والدارمي.

(٢) ينظر: مناهج الجدل: ص ٥٢، ٥٧-٦٠، ومناهج البحث: ص ١٢٩-١٣٧.

المطلب الثالث

منهج المناظرة، والاعتراضات العقلية والشرعية (فقها وأصوليا) الواردة على المتناظرين

لم يكتفِ علماء الإسلام -وخصوصًا الفقهاء والأصوليون- بإنتاج المادة الأصولية، بل تعدوها إلى إنتاج وصياغة مادة جدالية كثيرة، من حيث بيان الأدلة وكيفية الاعتراض عليها وأنواع هذه الاعتراضات والإجابة عن كل واحدٍ منها. وقد خصصت هذا المطلب للكلام عن منهج المناظرة والأسئلة والاعتراضات التي ترد على المتناظرين، فتحدثت عن الدعوى والدليل والاعتراض، إذ يمكن إظهار هذه المنهجية من خلال بيان الهيكل العام للمناظرة (الدعوى، والدليل، والاعتراضات)، وكما يأتي:

• الفرع الأول- الدعوى

لم يفرد علماء المناظرة والبحث تعريفًا للدعوى، وكل ما هناك أنّ في عباراتهم ما يفيد إطلاق الدعوى على الاعتقاد، ولعل ذلك راجع إلى أن الاعتقاد نفسه هو تشبث الناظر بقضايا قد تحتمل الكذب والصدق، فالاعتقاد هو استقرار حكم ما في النفس وقد يكون حقا وقد يكن باطلا. وعلماء الأصول إن لم يعتنوا بتعريف الدعوى، فقد اعتنوا ببعض المسائل التي تقتضي أن تنعت بالدعوى وتحدثوا عن ما يستدعي تسميتها بالدعوى، فليس كل موضوع قابل للمناظرة، بل هناك مواضيع لا تكون مجالاً للمناظرة، ومن جملتها:

- **المفردات:** وهي كل ما انتسب إلى عالم التصورات، وتشمل الاسم والفعل والحرف،

كما تشمل التعريف والمركب الإضافي التقييدي وغير التقييدي.

- **الجملة الإنشائية:** وهي الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وتشمل

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

الأوامر والاستفهام والتمني والنداء.

إن هذين العنصرين لا يدخلهما التناظر إلا من جهتين: فالمفردات تكون محلا للتناظر من جهة غموض مفرداتها أو من جهة إخلالها بشروط حدودها. أما الجملة الإنشائية، فبدورها تستدعي كلما استلزمت أسلوبا خبريا أو ادعاء نقليا^(١). والدعوى التناظرية لا تقتصر على هذين الجانبين، بل تظهر في كل القضايا التي يلتزم صاحبها بشروط معينة، كالشروط الحدية أو الشروط التقسيمية أو الشرط الخبرية.

١- شروط التعريفات:

يُقَسَّم علماء البحث التعريف إلى أربعة أقسام:

أ- **التعريف اللفظي**: وهو عبارة عن تعريف لفظ بلفظ آخر أظهر منه عند سامعه.

ب- **التعريف التنبيهي**: وهو إحضار معنى في ذهن المخاطب كان معلوما عنده من قبل بالحد والرسم.

ج- **التعريف الحقيقي**: وهو تعريف ماهية الشيء وحقيقته التي لها وجود في الماصدق بالحد والرسم.

د- **التعريف الاسمي**: وهو تعريف ماهية وهمية لا يعلم وجودها في الماصدق. واشترطوا في التعريف اللفظي والتنبيهي أربعة شروط تستدعي الدعوى والتناظر، وهي:

أ- أن يكون تعريفه جامعاً، ب- أن يكون مانعاً، ج- أن يكون غير جامع بين النقيضين، د- أن يكون تعريفه أظهر عند السامع من المعروف.

أما شروط التعريف الاسمي والحقيقي، فيمكن إجمالها في أربعة شروط:

أ- أن يكون التعريف خالياً من الأخطاء اللفظية.

(١) ينظر: رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ط٣، ١٩٨١م: ٤/١٣، والمستصفي من علم الأصول، الإمام الغزالي، دار الفكر، بيروت، د.ت.: ١/١١، وآداب البحث، منلا حنفي، مطبعة تونس، ١٣٤٤هـ: ص٧.

- ب- أن يخلو التعريف من لفظ مجازي غير مقترن بقريضة تدل عليه.
 ج- أن يخلو التعريف من لفظ مشترك غير مقترن بقريضة تدل على مراده.
 د- أن يخلو التعريف من لفظ غريب ظاهر^(١).

٢- شروط التقسيمات:

جعل علماء البحث والمناظرة (التقسيم) على نوعين: الأول: تقسيم الكل إلى أجزائه، الثاني: تقسيم الكل إلى جزئياته.

وعرفوا الأول بأنه: تحصيل الحقيقة المركبة بذكر جميع أجزائها التي تتركب منها، واشتروا في هذا النوع شرطان أساسيان: أ - أن يكون التقسيم جامعا لكل أجزاء المقسم ومانعا من دخول أي جزء ليس منه.

ب- أن يكون كل قسم من أقسام المعرف مباينا لغيره من الأقسام، كما يشترط في هذه الأقسام وباجتماعها تشكل وحدة المقسم.
 وعرفوا الثاني بأنه: ضم قيود متباينة أو متخالفة إلى المقسم لتحصيل أقسام متباينة أو متخالفة بعدد تلك القيود.

• ويشترط في هذا النوع ثلاثة شروط^(٢):

أ- أن يكون التقسيم جامعا مانعا.
 ب- أن يكون كل قسم غير مساوٍ للمقسم، ولا أعم منه، ولا مغايرا له، ولا أعم وأخص منه من وجه.

ج- أن يكون كل قسم غير مساوٍ لغيره من الأقسام ولا يكون بينهما عموم وخصوص.

٣- شروط التصديق:

(١) ينظر: آداب البحث والمناظرة، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٣٨٨هـ ص ٢٤-٢١، وضوابط المعرفة: ص ٣٨٥، ومنطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث، عادل فخوري، دار الطليعة، بيروت، ط ٢، ١٩٨١م: ص ٦٠-٦٢.

(٢) ينظر: ضوابط المعرفة: ص ٣٩٥-٣٩٧، وآداب البحث، الشنقيطي: ص ٧، ومنطق أرسطو، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت-الكويت، ط ١، ١٩٨٠م: ١٠٦١/٣.

التصديق (القول الخبري) هو كل مركب تام يحتمل الصدق والكذب لذاته^(١). وينقسم إلى قسمين، وكما يأتي:

• القسم الأول: التصديق البديهي:

وهو كل خبر غير محتاج إلى نظر واستدلال. وهو ينقسم إلى قسمين: قسم لا يعتبر مجالاً للمناظرة، وقسم يعتبر مجالاً للمناظرة. أما عن الذي لا يعتبر مجالاً للمناظرة، فهو بدوره ينقسم إلى خمسة أقسام:

أ- التصديق البديهي الأولي: عرفه الإمام الغزالي رحمه الله بأنه العقليات المحضة التي أفضى ذات العقل بمجرد إلهائها من غير استعانة بحس أو تخيل مجبل على التصديق بها.

ب- التصديق البديهي الفطري: هو قضية حكم العقل بثبوت محمولها لموضوعها أو عدم ثبوتها له بعد تصورهما بواسطة قياس نظري طبيعي^(٢).

ج- التصديق البديهي التجريبي: هو كل قضية يحكم العقل فيها بثبوت المحمول للموضوع بواسطة التجريب، وقد عبر عنها الغزالي «باطراد العادات»^(٣).

د- التصديق البديهي الحسي: كل قضية يحكم العقل بثبوت المحمول للموضوع اعتماداً على إدراك الحواس الظاهرة.

هـ- التصديق البديهي الوجداني: وهو كل قضية يحكم العقل فيها بثبوت المحمول للموضوع اعتماداً على الإدراك الباطني، وقد سماها الغزالي بالمشاهدات الباطنية، ومثّل لها بعلم الإنسان بجوع نفسه وعطشه وخوفه وجميع الأحوال الباطنية^(٤).

أما القسم الذي يعتبر محلاً للمناظرة، فينقسم إلى قسمين:

أ - التصديق الخفي الحدسي: وهو كل قضية يحكم فيها العقل بنسبة المحمول

(١) ينظر: المستصفى: ٤٤/١.

(٢) ينظر: المستصفى: ٤٤/١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٥/١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

للموضوع استنادا إلى الحدس.

ب- التصديق الخفي المتواتر: وهو كل قضية حكم العقل فيها بنسبة المحمول

للموضوع اعتمادا على أخبار جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب^(١).

القسم الثاني: التصديق النظري:

وهو ما يحتاج في إدراكه إلى تأمل، وضابطه عند أهل هذا الفن هو كل قضية لا يحكم

العقل بثبوت محمولها لموضوعها إلا بعد النظر فيها والاستدلال عليها^(٢).

ومعلوم أن هذا النوع هو الذي يعتبر المجال الحقيقي للتناظر، فقد لا يسلم

بحقيقته المعارض إلا بعد الاقتناع بدليله ومقدماته، وعليه فقبوله للتناظر يأتيه من جهة

ادعائين: الادعاء الأول: يتمثل في النقل، والادعاء الثاني: يتمثل في النسبة الخبرية

بين الوصف والموصوف. أما شرطه فيتمثل في: (أ- صحة النقل، ب- صحة النسبة بين

الوصف والموصوف)، ويلاحظ أن الادعاء الشرعي لم يقتصر على هذه الأقسام (التعريفات

والتقسيمات والتصديقات)، بل يتعداها إلى ادعاءات هي من صميم موضوع المناظرة

الشرعية، وذلك كأن يدعي المناظر الأصولي: (أن للأمر صيغة، وأن الأمر يحمل على

الوجوب، وأن الأمر يحمل على الفور، وأن الأمر يحمل على العموم)، ونحو ذلك من

الأسئلة والاستفسارات التي تحتملها الأدلة الشرعية^(٣).

• الفرع الثاني - الدليل

الدليل هو المرشد إلى المطلوب، ويشتق منه الدال وهو المعرف بحقيقة الشيء، وقد

قيل: الدليل والدال بمعنى واحد، وقد يسمى الدليل دالا. والمستدل هو الطالب للدليل،

وهذا المعنى يقع من السائل لأنه يعترض المسؤول بالمطالبة، ويقع من المسؤول لطلبه

(١) ينظر: المستصفي: ١/٤٤-٤٦، وآداب البحث، الشنقيطي: ٣٣-٣٥، وضوابط المعرفة: ص ٤١١-

٤١٥، ٤٦٣، وفي أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المؤسسة الحديثة، البيضاء،

ط١، ١٩٨٧م: ص ٨١.

(٢) ينظر: المستصفي، الغزالي: ١/١١١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، والآداب العضدية: ص ١-٧، وآداب البحث، الشنقيطي: ص ٣٥.

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

الدليل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

والاستدلال هو طلب الدلالة، وقد يكون ذلك بالنظر والرؤية وقد يكون بالسؤال^(١).
والدليل عند علماء الكلام هو ما أفضى إلى يقين، أما الدليل المفضي إلى الظن، فليس بدليل وإنما هو أمانة^(٢)، أما الفقهاء فأغلبيتهم ينعنون الدليل الظني والقطعي بالدليل^(٣).

• أنواع الأدلة الشرعية وشروطها:

يمكنني القول بأن الأدلة عند عامة الفقهاء والأصوليين يقصد بها الأدلة المتفق عليها (وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس)، وكذا الأدلة المختلف في حجيتها -والراجح عند أغلبهم الاحتجاج بها واعتبارها (وهي: الاستحسان، والاستصلاح، والاستصحاب)، ونحوها من الأدلة التي هي محل نظر في حجيتها (وتشمل: قول الصحابي، وعمل أهل المدينة، والعرف، وسدّ الذرائع، وشرع من قبلنا).

وعلى أية حال، فلكل واحد من هذه الأدلة شروط وترتيب خاص، وسأحاول بيان أهم هذه الأدلة وأبرز شروطها، وكما يأتي:

١ - الكتاب (القرآن الكريم):

هو مصدر الأدلة النقلية والعقلية^(٤)، ويشترط في الاحتجاج به الشروط التالية:

- أ - التواتر، فإن لم يكن متواتراً لم يكن قرآناً أصلاً.
- ب - وضوح الدلالة، ووضوح الدلالة النصية تخضع لترتيب تتمثل في: تقديم المنطوق

(١) ينظر: الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٩٨٠ م: ٢٣/٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ورسائل ابن حزم: ٤١٣/٤، والإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، تحقيق الشيخ احمد محمد شاكر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠ م: ٣٩/١، والحدود في الأصول، أبو الوليد الباجي، تحقيق نزيه حماد، مؤسسة الزعبي، لبنان، ط ١، ١٩٧٣ م: ٤٠، والكافية في الجدل، الإمام الجويني، تحقيق فويزة حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط ١، ١٩٧٩ م: ٤٧، والمنطق عند الفارابي، تحقيق رفيع العجم، دار المشرق، بيروت، ط ١، ١٩٨٦ م: ٥٣/٣.

(٣) ينظر: الفقيه والمتفقه: ٢٤/٢.

(٤) القرآن الكريم هو أساس حجية باقي الأدلة سواء منها النقلية (كالسنة النبوية) أو العقلية (كالقياس).

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

على المفهوم، وتقديم النص على الظاهر، وتقديم البيان على الإجمال.

ج- أن يكون مستمر الأحكام أي أن لا يكون منسوخا.

د- أن يكون راجحا لا مرجوحا، وذلك اعتمادا على دلالته^(١).

٢- السنة النبوية المطهرة:

هو الدليل النقلى الثانى بعد الكتاب، ويشترط فى الاحتجاج بها ما يشترط فى الكتاب، باستثناء الشرط الأول، فقد يستدل بها وإن لم تكن متواترة، ولهذا فليس التواتر شرطا فى الاستدلال بها، ولكن يشترط فى السنة كخبر واحد صحة الإسناد، ولصحته ينبغى توافر الشرطين التالىين:

أ- أن يكون سند الخبر الواحد مقبول الرواة، فلا بد من توافر شرطي العدالة والضبط.

ب- أن يكون سند الخبر الواحد متصل الرواية بالنبي ﷺ^(٢).

٣- القياس:

هو دليل عقلي، يحتج به إذا توافرت له أركانه وشروطه، ومن أركانه: (الأصل، والفرع، وحكم الأصل، والعلة).

أ- الأصل: هو ما ينبني عليه غيره، ويشترط فيه أن تكون علته موجودة فيه لأن مقصود المجتهد هو إثبات حكم الأصل فى الفرع، بناء على اشتراكهما فى العلة^(٣).

ب- الفرع: هو ما ينبني على غيره، ويشترط فيه أن لا يتقدم حكمه على حكم الأصل، لأنه لو ثبت الحكم فى الفرع لما التجأ إلى القياس وكان أخذنا بحكم الفرع أولى من أخذ حكم الأصل.

ج- حكم الأصل: وهو ما ورد به الأصل متخذاً صفة الفرضية (الإيجاب) أو الحرمة أو

(١) ينظر: مفتاح الوصول فى علم الأصول، الشريف التلمساني، منشورات مكتبة الوحدة العربية، البيضاء، دت: ص ٥، ٢٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ص ١٠.

(٣) ينظر: شرح تنقيح الفصول فى اختصار المحصول فى الأصول، الإمام القرافى، دار الفكر، القاهرة، تحقيق طه عبد الرؤوف، ط ١، ١٩٧٣م: ص ٤٠٦-٤٠٨.

الكراهية (الممنوع) أو الندب، فهو إذن لا يخرج عن هذه الأوصاف، ومن شروطه:
 - أن يكون حكم الأصل حكماً شرعياً لا لغوياً، وبهذا الشرط يخرج القياس في اللغات.
 - أن يكون معقول المعنى أي يدرك العقل سبب شرعيته، وعلى هذا الأساس فلا يجوز القياس في المسائل التعبدية والكفارات والحدود.

د- العلة: هي في الاصطلاح: ما اقتضى حكماً قام به، كالعلم علة العالمية، وكذا عرفت بأنها: الوصف المعروف للحكم بوضع الشارع علامة عليه.

• ومن شروط هذا الركن:

- أن تكون العلة وصفاً ظاهراً، ومثاله الإسكار، فإنه وصف ظاهر في تحريم الخمر.
 - أن تكون العلة وصفاً منضبطاً، ومعناه أن الوصف لا ينبغي أن يختلف باختلاف النسب والآفاق والكثرة والقلة.

ج- أن تكون العلة وصفاً متعدياً، ومعناه أن لا تكون مقصورة على الأصل، فإن كانت كذلك فلا يصح التعدي بها إلى الفرع لانعدام العلة فيه^(١).

وأخيراً، أقول: إننا وإن اقتصرنا على هذه الأدلة، فهذا لا يعني أن النظر للمسلمين يكتفون بهذه الأدلة، بل يستدلون بأدلة أخرى كالمصالح المرسلة والاستحسان والاستصحاب والدليل، كما أننا إذا أخذنا بهذه الأدلة فهو ما اتفق عليها أغلب النظر وفقهاء الأمة، إلا إن القياس بالنسبة لابن حزم لا يعتبر من الأدلة، إذ اشتهر بأخذه بالأدلة النصية، ولكنه أيضاً كان يأخذ عند تعذر النص بالأدلة العقلية كالدليل والبرهان، وعند تعذرهما يستصحب الحال.

كما كان النظر للمسلمون عند استدلالهم على دعوى لا يقتضون على دليل واحد، بل كثيراً ما يستدلون بأدلة مختلفة وكثيرة، فيستدلون بالكتاب والسنة والإجماع

(١) ينظر: المصدر نفسه: ص ٤٠٦-٤١٦، وبناء الفروع على الأصول، التلمساني: ص ١٥٣، ونشر البنود على مراقي السعود، سيدي عبد الله الشنقيطي، إحياء التراث الإسلامي، المغرب، مطبعة فضالة، د.ت: ١١٠-١١٥، ١٣٠.

والمعقول، ولعل قاعدة أكثر النظائر المسلمين هي التكتثير من الأدلة قوةً في حجتهم^(١). كما ينبغي التنبيه إلى أن جلب الدليل رهين بالدعوى، وإن كان بعض علماء النظر قد أجازوه للمعترض، إلا أن أغلب علماء هذا الفن قد أجازوا به «السند» فقط، واشتروا أن لا يكون السند إلا بعد دليل المدعي، وإلا كان المعترض غاصبا لحق المدعي. والمدعي يتوجب عليه جلب الدليل في الحالات التي تقتضي التذليل، كأن تكون الدعوى نظرية غير معلومة، أما والعكس كأن يكون الادعاء بديهيًا أو نظريًا معلومًا فإنه غير مطالب بالدليل، ولا بأس من مطالبته بالتنبيه عند بعض أهل هذا الفن، ولا يجوز -كذلك- إلا إذا كان البديهي خفيًا، أما إذا كان البديهي أوليًا فتمتنع المطالبة بالتنبيه. والمطالبة بالدليل لا تقتصر على الأقوال الخبرية بل تطلب في كل الأخبار -إنشائية كانت أم خبرية- النقلية غير المعلومة، فإن كان المستدل ناقلًا بأي وجه كان، فيطلب منه صحة النقل إن لم تكن معلومة للطالب؛ لأنها لو كانت معلومة فطلبها لا يليق بمجال المناظر من حيث هو مناظر لأن فرضه إظهار الصواب^(٢).

• ترتيب الأدلة الشرعية عند الفقهاء والأصوليين:

إن الترتيب المتعارف عليه عند علماء الأصول للأدلة المتفق عليها يخضع للترتيب التالي: الكتاب، ثم السنة، ثم الإجماع، ثم القياس. غير أن هناك بعض الفقهاء، وخاصة منهم المالكية قد رتبوا هذه الأدلة على ترتيب غير معهود، فقدموا الإجماع على الكتاب والسنة والقياس بدعوى عدم قبول الإجماع للنسخ فقدموه على الكتاب والسنة والقياس؛ لأن الكتاب والسنة يقبل النسخ والتأويل. بل قدم بعض فقهاءهم القياس على الخبر، بل

(١) ينظر: التقريب لحد المنطق، الإمام ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٥٩م، طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٨٣م: ٣٢٢/٤، ٣٣٤، وابن حزم حياته-عصره-أراؤه وفقهه، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، د.ت: ص ٢١٠.

(٢) ينظر: حاشية الصبان على شرح آداب البحث: ص ٧-٨، والمزن المطر على الروض الناظر في آداب المناظر، الحسين بن أحمد السياغي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط ١، ١٩٨٤م: ص ٤٨-٤٩، ٣١-٥٢.

قدموه على كل منصوص بدعوى تضمنه للحكمة في مقابل تضمن النص للحكم، فقالوا: القياس يقدم على خبر الواحد؛ لأن الخبر إنما ورد لتحصيل الحكم، والقياس متضمن للحكمة، فيقدم على الخبر^(١).

أما ترتيب الأخبار والمعاني، فيخضع لشروط وقيود نشير إلى بعض منها، وكما يأتي:

(١) ترجيح الأخبار:

وينقسم إلى: ترجيح للسند، وترجيح للمتن. وكما يأتي:

أ - الترجيح بالسند^(٢):

- ١- ترجيح خبر مروى في قصة مشهورة عند أهل النقل على خبر عارٍ منها.
 - ٢- ترجيح خبر الأضبط والأحفظ على من هو دون ذلك.
 - ٣- ترجيح الخبر الأكثر رواة على غيره الأقل رواة.
 - ٤- ترجيح خبر من لم تختلف الرواية عنه على غيره.
 - ٥- ترجيح خبر صاحب القصة على غيره.
 - ٦- ترجيح خبر عاضده عمل أهل المدينة على غيره.
 - ٧- ترجيح خبر من عرف بالتقصي للحديث.
 - ٨- ترجيح سند خبر خالٍ من الاضطراب على غيره.
- #### ب- الترجيح بالمتن^(٣):

- ١- ترجيح متن خالٍ من الاضطراب والاختلاف على غيره.
- ٢- ترجيح متن منطوق الدلالة على محتمل الدلالة.

(١) ينظر: حاشية الصبان: ص ٣٣٧، ٣٨٧.

(٢) ينظر: الإشارات، أبو الوليد الباجي، تحقيق الأستاذ المصطفى الوظيفي، مطبعة النجاح الجديدة، ط ١، ١٩٨٨م: ص ١٣٧-١٤٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ص ١٤٥-١٥٣.

- ٣- ترجيح متن مستقل بنفسه على غير المستقل بنفسه.
 - ٤- ترجيح متن عام متفق على تخصيصه على غيره المختلف معه في القصد.
 - ٥- ترجيح متن مؤثر في الحكم على غير المؤثر فيه.
 - ٦- ترجيح متن ورد بألفاظ متغايرة على غيره الوارد بلفظ واحد.
- (٢) ترجيح المعاني^(١) :
- ١- ترجيح العلة المنصوص عليها على غير المنصوص عليها.
 - ٢- ترجيح العلة العائدة على أصلها بالتخصيص على غيرها.
 - ٣- ترجيح العلة الموافقة للفظ الأصل على المخالفة.
 - ٤- ترجيح العلة المطردة المنعكسة على غيرها.
 - ٥- ترجيح العلة التي يشهد لها أصول كثيرة على غيرها.
 - ٦- ترجيح قياس رد الفرع إلى أصل من جنسه على غيره الذي رد الفرع إلى أصل من غير جنسه.
 - ٧- ترجيح العلة المتعدية على الواقفة.
 - ٨- ترجيح العلة العامة على الخاصة.
 - ٩- ترجيح العلة التي تعم فروعها على غيرها التي لا تعم فروعها.
 - ١٠- ترجيح العلة المنتزعة من أصل منصوب عليه على أخرى منتزعة من أصل غير منصوب عليه.
 - ١١- ترجيح العلة القليلة الأوصاف على أخرى كثيرة الأوصاف.

• الفرع الثالث - الاعتراض

الاعتراض هي المرحلة الثالثة الحقيقية بعد الدعوى والدليل، وهو عبارة عن مقابلة

(١) وهو عبارة عن ترجيح للأقيسة ويكون ترجيحها خاصا بالعلة. ينظر: الإشارات، الباجي: ص ١٥٧-

الخصم في كلامه بما يمنعه من تحصيل مقصوده بما بينه^(١). والاعتراض هو الوظيفة الثالثة التي يقوم بها المعترض، ولقيامه بهذه الوظيفة يتحتم عليه انتهاج طرق جدالية نظرية متعارف عليها بين أهل هذا الفن، فوظيفته تبتدئ عادة بأبسط عمل إلى أعقده وخلال هذه الفترة يقطع المعترض عدة مراحل ويلتزم عدة ضوابط. وهذه المراحل التي يقطعها الاعتراض هي ما سأشير إليها ضمن المحاور الآتية:

أولاً - السؤال الجدلي

تناول علماء الإسلام السؤال -الذي يُعترض به على المناظر- من عدة جوانب، كل واحد من جهة اختصاصه، فمن علماء الإسلام من ركز حديثه على المحظور من الأسئلة، فاعتبر السؤال الاحتمالي وكثرة الأسئلة من الأسئلة المذمومة^(٢)، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تَبَدُّ بِكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^(٣).

ومن العلماء من تجاوز هذا الطرح وافترض التسليم بصحة جميع الأسئلة، فركز حديثه عن أدوات السؤال وخصائصها وطبيعة السؤال وعلاقته بالجواب والمستجوب، وهذا الطرح الأخير هو الذي نهجه علماء هذا الفن سواء من تأثر بالسؤال الجدلي الأرسطي أو من اكتفى بالأسئلة الجدالية الأصولية. والسؤال عند أهل هذا الاتجاه يبتدئ عادة من السائل وتتحد طبيعته انطلاقاً من غرض السائل: فإن كان غرضه المعرفة سمي مسترشداً، وإن كان غرضه المناظرة سمي مناظراً. والسائل في هذه الحالات لا بد له من الاعتماد على أدوات تخدم غرضه ومقصده، فهو إما أن يطرح سؤاله ب (هل): هل هذا الشيء موجود، فيلزم المجيب الإجابة ب(لا) أو (نعم). وإما أن يطرح سؤاله بالألف إذا قابلها (أم)، ك(أعندك دراهم أم دنانير؟) فيتعين عليه الإجابة بأحدهما دون الإجابة ب(لا) أو (نعم)^(٤).

(١) ينظر: الكافية في الجدل: ص ٦٧.

(٢) ينظر: الموافقات في أصول الأحكام، الإمام الشاطبي، دار الفكر، د.ت: ١٨٤/٤، ١٨٧، والفتاوى والمتفق: ٧/٢.

(٣) سورة المائدة- الآية: ١٠١.

(٤) ينظر: الكافية في الجدل: ص ٧٢-٨٧، ٥٣١-٥٣٣.

وهكذا بالنسبة لباقي الحروف التي يعتمدها السائل ويستغلها لأغراضه الجدالية، فإذا كان يفترض في السائل المعرفة بطبيعة الحروف فإنه من باب الأولى أن يعرف طبيعة الأسئلة وغرضه من الأسئلة^(٥):

- فإن كان غرضه تفريضا، سأل بـ«ما تقول في كذا»؟

- وإن كان غرضه حجرا ومنعا، سأل بقوله «النبيد حرام أم حلال»؟

- وإن كان غرضه الإجمال، سأل بـ«هل المسلم يقتل بالكافر»؟

إن هذا الطرح بهذا الشكل قد يوجد بكثرة عند المتأثرين بالجدل الأرسطي، بينما علماء هذا الفن من الأصوليين اكتفوا بالحديث مباشرة عن السؤال الجدلي وهو:

١- السؤال عن المذهب: ويكون بـ ما تقول في كذا؟

ويقابله: الجواب بـ كذا وكذا.

٢- السؤال عن الدليل: ويكون بـ ما دليلك عليه؟

ويقابله: الجواب بـ كذا وكذا.

٣- السؤال عن وجه الدليل: ويكون بالاستفسار.

ويقابله: الجواب بالبيان.

٤- السؤال على وجه القدح: ويكون بالمطالبة والاعتراض والمعارضة.

وهي المطالبة بتصحيح الأخبار، والاعتراض على نفس الدليل بما يطلبه، والمعارضة بمقابلة دليله بمثله أو بما هو أقوى منه.

ويقابل ذلك: جواب المسؤول بما يبطل هذه الاعتراضات^(٦).

ولم يكتفِ أهل هذا الفن بهذه الأسئلة الجائزة في المناظرة، بل تحدثوا عن الأسئلة

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ص ٧٧، ٨٣، ومنطق الفارابي: ٤٣/٣.

(٦) ينظر في تفاصيل ذلك: التقريب، ابن حزم: ص ٣٢٩-٣٣٠، والفقهاء والمتفقه: ٤٠/٢، ٥١، والمنهاج في ترتيب الحجاج، أبو الوليد الباجي، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، بيروت، ١٩٨٧ م: ص ٣٦-٤١، والإحكام، ابن حزم: ٧١/١-٧٢.

المحظورة، وهي أسئلة ينبغي للمتناظرين تجنب الوقوع فيها، ومنها ما يأتي^(١):

١- أن يعارض السائل المسؤول بما يقوله به، كأن يقول له: أنت تقول كذا أو لم تقول كذا.

٢- أن يعارض السائل مشغبا، يقصد التشنيع ولا يقصد طلب الحق.

٣- أن يسأل عما لا ينفع في الدين.

٤- أن يسأل عن صعاب المسائل وشرارها (الغلوطات).

٥- أن يسأل عن علة الحكم وهو من قبيل التعبدات.

٦- أن يسأل السؤال إلى حد التكلف.

٧- أن يظهر من سؤاله معارضة كتاب أو سنة أو رأي.

٨- أن يسأل عن المتشابهات.

٩- أن يسأل سؤال التعنت والإقحام وطلب الغلبة.

وهذه الأسئلة المحظورة هي نفس الشروط التي ينبغي للسائل تجاوزها، ولكن

ينبغي ملاحظة الأمور الآتية:

١- أن السؤال عن المذهب ووجه الدليل لا يعتبران، إلا في حالة غموض هذين النوعين.

٢- أن السؤال عن الدليل يختلف باختلاف نوعية الدليل، فإن كان دليل الخصم

من القرآن اقتضى منهج المناظرة أن يسأل السائل بالمنازعة في أحكامه أو المنازعة في

مقتضى لفظه، أو بالمعارضة. وإن كان دليله من السنة طالبه بإسناد حديثه أو القدح في

إسناده أو الاعتراض على متنه أو ادعاء نسخه أو معارضته بخبر غيره. وإن كان دليله من

القياس عارضه بغيره من النصوص أو بالمنع أو بالفرق.

٣- إن السؤال الجدلي ينبغي أن يخضع للتراتبية التالية:

أ- السؤال عن المذهب (رأي المستدل الذي اختاره).

ب- السؤال عن الدليل.

(١) ينظر: التقريب، ابن حزم: ٣٣٢/٤، والموافقات، الشاطبي: ١٨٨/٤-١٨٩.

ج- السؤال عن وجه الدليل.

د- السؤال الاعتراضي^(١).

ثانيًا - كيفية الاعتراض

ينبغي تقسيم كيفية الاعتراض (أو وظائف السائل) إلى قسمين:

أ - وظائف السائل في المناظرة العقلية.

ب- وظائف السائل في المناظرة الشرعية.

وذلك لما يظهر من اختلاف بين الوظيفتين كمًا وكيفًا.

• كيفية الاعتراض في المناظرة العقلية:

تنحصر وظائف المعترض (السائل) في المناظرة العقلية في ثلاث وظائف هي: (المنع، والنقض، والمعارضة)، وإن كان هناك من ادعى انعدام انحصارها في هذه الوظائف، وجعل حصرها في هذه الوظائف الثلاثة هو حصر استقرائي، غير أن المتعارف عليه عند أهل هذا الفن من أنواع الاعتراض الوظائف الثلاثة السابقة^(٢).

١- المنع (المناقضة):

لغة: هو نقيض الإعطاء، وفي الاصطلاح: هو طلب الدليل على مقدمة دليل المستدل، وقيل: هو امتناع السائل عن قبول ما أوجبه المعلل من غير دليل. واستقر معناه عند أهل هذا الفن في طلب الدليل.

وعبارة المنع غالبًا تكون بإحدى الصيغ الآتية:

- امنع هذه الدعوى.

- هذه الدعوى ممنوعة.

- لا أسلم لك هذه الدعوى.

(١) ينظر: الفقيه والمتفقه: ٤٣/٢-٤٤، والكافية في الجدل: ص ٧٩.

(٢) ينظر: حاشية الصبان على شرح آداب البحث: ص ١٠، ١٦، ومجموع المتون الكبرى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٥٨م: ص ٥٤٩.

- هذه الدعوى غير مسلم بها. - ممنوعة غير مسلمة^(١).

• ولكن للمنع في عرف أهل الفن معنيان:

الأول: أعم، فيتناول النقص والمناقضة والمعارضة جميعاً.

والثاني: المعنى الأخص يقال له مناقضة؛ وهو الذي نقصد الوقوف عنده، وينعت بالمناقضة وتساويه مع المناقضة في الحد ناتج عن كونهما يعترضان على مقدمات الدليل مجرداً أو مع السند، فالمنع هو اعتراض على بعض مقدمات الدليل أو كلها على سبيل التعيين. ومنع بعض مقدمة الدليل أو كلها لا يعني إلا مطالبة بالدليل؛ لأن منع مقدمة الدليل أو كلها ليس دليلاً. ومن هنا اشترط أهل هذا الفن أن يكون منع المانع مطالبة، وإلا كان منعه غصبا للمعلل، ولهذا السبب كذلك منع أهل هذا الفن أن يقرن المانع امتناعه بالاستدلال، ولكن لا يمنع من استناده إلى سند يتقوى به منع مقدمة من مقدماته (المطلوب) أو كل واحدة منها على التعيين، فذلك يسمى منعا مجرداً أو مناقضة ونقضه نقض تفصيلي، ولا يحتاج في ذلك إلى شاهد، وإن ذكر شيء يتقوى به سمي سندا للمنع.

والسند: هو ما يذكره المانع معتقداً أنه يستلزم نقيض الدعوى التي يوجه إليها المنع، وينقسم إلى نوعين: نوع يؤخذ فيه بعين الاعتبار الصورة التي يرد عليها، ونوع يؤخذ فيه بعين الاعتبار نسبته إلى نقيض الدعوى^(٢).

٢- النقص:

لغة: هو الكسر، واصطلاحاً: هو خدش مجموع الدليل بتخلف الحكم عنه واستلزامه فساداً آخر، وقيل: هو ادعاء السائل بطلان دليل المعلل مع إقامته الدليل على دعوى بطلانه.

(١) ينظر: المزن الماطر: ص ٢١-٢٢، والتعريفات، الجرجاني: ص ٢٥٠، وحاشية الصبان: ص ١٠، وأصول الحوار، دطه: ص ٧٦.

(٢) ينظر: حاشية الصبان: ص ١٣-١٤، والتقريب، ابن حزم: ص ٣٢٢، وشرح عبدالوهاب على الولدية: ص ٨٧-١٠٢، وآداب البحث، الشنقيطي: ص ٤١-٤٨، ومجموعة المتون الكبرى: ص ٥٤٥، وضوابط المعرفة: ص ٤٢٠-٤٢٣.

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

وادعاء السائل بطلان المعلل يكون بيان تخلي المدلول عن الدليل، ويكون بنسبة استلزام المحال أو الدور السبقي لدليل المعلل أو يكون بإثبات مصداقية دليل المعلل على مدعى آخر غير الذي برهن به المعلل.

وبطلان دليل المعلل لا يكون إلا بشاهد من السائل، ولا يكون إلا نقضا للدليل، بخلاف المنع فإنه يكون على مقدمات الدليل، ولعل هذا راجع إلى أن المعلل في هذه المرحلة يكون قد استشهد على دعواه، فلا يقع الغصب من المعارض (السائل).

وقد قسّم علماء البحث هذا النوع من الاعتراض إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: النقض الحقيقي: وهو عبارة عن التزام السائل بذكر جميع عناصر دليل المعلل من غير زيادة ولا نقصان ثم يشرع في نقضها وبيان وهنها.

القسم الثاني: النقض الحقيقي المكسور: وهو عكس النقض الحقيقي المشهور؛ لأن السائل فيه لا يلتزم بإيراد عناصر الاستدلال، بل يحذف منها بعض الأجزاء التي تمكنه من الاعتراض على المعلل، وهذا الاعتراض لا ينبغي أن يتكئ عليه السائل في المناظرة لأنه قد يكون غير معتبر.

القسم الثالث: النقض الشبهي: وهو عبارة عن إبطال الدعوى من طرف السائل بناء على بيان مخالفة المعلل لإجماع العلماء أو منافاته لمذهبه^(١).

٣- المعارضة:

لغة: هي المقابلة على سبيل الممانعة، وهي اصطلاحاً: إقامة الدليل على خلاف ما أقام عليه الخصم، أو هي مقابلة دليله بدليل يباينه إنتاجاً. وتكون المعارضة بإثبات نقيض المدعى أو نفيه، كما تكون بإنتاج دليل يساوي نقيض الدعوى أو إثبات الأخص من النقيض. وتتم هذه العملية تبعاً للصور التالية:

أ - معارضة بالقلب: وهي عبارة عن قلب دليل المستدل فيكون دليلاً للسائل، وهي

(١) ينظر: المزن الماطر: ص ٢١-٢٢، وحاشية الصبان: ص ١٣، وشرح عبد الوهاب: ص ١٢٩-١٣٧، وآداب البحث، الشنقيطي: ص ٥٥-٥٧، وضوابط المعرفة: ص ٤٤٤.

كثيرا ما تكون في المغالطات.

ب- معارضة بالمثل: وهي أن يكون دليل المستدل والمعارض كلاهما من ضرب واحد في الصورة دون المادة.

ج- معارضة بالغير: وهي أن يكون دليل المستدل مخالفا لدليل المعارض مادة وصورة^(١).

كيفية الاعتراض في المناظرة الشرعية:

إن الناظر بمنهج المناظرة الشرعية وللممارسة التناظرية، يظهر له أن ممارسي هذا الفن قد استعملوا بعض الوظائف التناظرية، فاستعملوا: (المطالبة والمنع، المعارضة، والمشاركة، والقول بالموجب والمنازعة في المقتضى، والتأويل، واختلاف القراءات أو الروايات، والاعتراض على الإسناد).

ويلاحظ أن هناك اختلافا بين المناظرة العقلية والمناظرة الشرعية، ويظهر هذا

الاختلاف على مستويين:

أ - يظهر المستوى الأول في كمية الاعتراض، فالاعتراضات في المناظرة الشرعية تفوق بكثير الاعتراضات في المناظرة العقلية، فهي لا تقتصر على وظائف المناقضة والنقض والمعارضة، بل تتعداها إلى ابتكار وظائف أخرى، كالقول بموجب العلة والممانعة وفساد الوضع والمناقضة والمعارضة والكسر.

ب- يظهر المستوى الثاني في اختلاف محتويات ومضامين ووظائف السائل في المناظرة العقلية عن مضامين ووظائف السائل في المناظرة الشرعية^(٢).

وعموماً، فقد حصر بعض الباحثين اعتراض السائل في المناظرة الشرعية في خمس

(١) ينظر: حاشية الصبان: ص ١٨، والمزن الماطر: ص ٢٢، وشرح عبد الوهاب: ص ١١٩-١٢٨، وأصول الحوار، د. طه: ص ٧٩.

(٢) ينظر: آداب البحث، الشنقيطي: ص ٩٨-٩٩، وإحكام الفصول في أحكام الأصول، أبو الوليد الباجي، تحقيق عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٦ م: ص ٦٤٧-٦٧٢. ناهيك عن استعمال هذه الاعتراضات في مبحث القياس بأكملها.

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

وظائف، والواقع أنها غير منحصرة في عدد، فهي تفوق هذه الوظائف وتختلف باختلاف أدلة المعلل^(١)، وكما يأتي:

الأول: كيفية الاعتراض على الاستدلال بالكتاب:

اختلف الأصوليون حول عدد أوجه الاعتراض على الاستدلال بالكتاب، فالبغدادي يرى أن الاعتراض على الاستدلال بالكتاب يكون بثلاثة وظائف اعتراضية:

١- أن ينازع في كونه محكما ويدعى أنه منسوخ.

٢- أن ينازعه في مقتضى لفظه.

٣- أن يعارضه بغيره.

بينما الباجي يرى أن الاعتراض على الاستدلال بالكتاب يكون بالأوجه التالية:

١- الاعتراض عليه بأن المستدل لا يقول به.

٢- القول بمؤجبه والمنازعة في مقتضاه.

٣- الاعتراض بدعوى المشاركة في الاستدلال.

٤- الاعتراض عليه بدعوى النسخ.

٥- الاعتراض عليه باختلاف القراءة.

٦- الاعتراض عليه بالتأويل.

٧- الاعتراض عليه بالمعارضة.

والباجي قد جمع بين القول بالموجب والمنازعة في المقتضى (وهو الاعتراض الثاني هنا)، بينما فصل الشيرازي بينهما، فاعتبر القول بالمؤجّب وظيفة اعتراضية لوحدها، والمنازعة في المقتضى وظيفة أخرى، وبهذا يكون عدد الأوجه الاعتراضية عند الشيرازي ثمانية، أي بزيادة اعتراض آخر على هذه الاعتراضات السبعة^(٢).

(١) ينظر: حاشية الصبان: ص ٢٢-٢٣، وأصول الحوار، د. طه: ص ٧٩، والمزن الماطر: ص ٢٢، ٥٣، ٦٥.

(٢) ينظر: الفقيه والمتفقه: ٤٣/٢-٤٤، والمنهاج في ترتيب الحجاج: ص ٤٢، والمعونة في الجدل، أبو إسحاق الشيرازي، تحقيق عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٨٨: ص ١٤٧.

ثانيا: كيفية الاعتراض على الاستدلال بالسنة:
يمكن الاعتراض على الاستدلال بالسنة من جانبين:

١- الاعتراض على الإسناد،

٢- الاعتراض على المتن.

١- الاعتراض على الإسناد:

• نميز فيه بين اسنادين:

أ- الإسناد المتواتر.

ب- الإسناد الواحد.

أ- الإسناد المتواتر: والمتواتر بدوره ينقسم إلى قسمين: (المتواتر اللفظي، والمتواتر

المعنوي).

فالإسناد الأول لا يمكن الاعتراض عليه، فهو بمنزلة النص القرآني من جهة ثبوته.
أما الإسناد الثاني فيمكن الاعتراض عليه؛ وذلك لاشتراكه بين الخبر المتواتر والخبر الواحد من جهة المعنى. ولهذا فاستدلال المستدل بالخبر المتواتر المعنوي يمكن للسائل من الاعتراض عليه بأنه خبر واحد.

ب- الاسناد الواحد: فيمكن الاعتراض عليه من جهتين:

الأول: الاعتراض بالمطالبة والتصحيح: الاعتراض بالمطالبة منه ما هو مستحسن، وذلك كأن يستدل المستدل بخبر منكر أو غير مشهور، فللسائل الاعتراض بالمطالبة. ومنه ما هو ممتنع، وذلك كأن يستدل المستدل أو المعلل بخبر مشهور فيعترض عليه السائل بالمطالبة على الخبر المشهور^(١).

(١) ينظر: الكافية في الجدل: ص ٦٨، ٩٣، والمعونة في الجدل: ص ٥٢، والمنهاج في ترتيب الحجاج: ص ٧٦-٧٧. والملاحظ أن المطالبة قد تكون ببيان وجه الدليل، ولكن هنا نقصرها على المطالبة بصحة الدليل. والحديث المشهور عند المحدثين: هو أول أقسام الآحاد، وهو ما له طرق محصورة بأكثر من اثنين. ينظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، الإمام الحافظ أحمد ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ.

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

الثاني: الاعتراض بالطعن والتجريح، فيكون باعتراضين:

الاعتراض الأول: القدح في الراوي بالطعن، ويكون بوجوه، منها: (اتهامه بالكذب، أو

من جهة الدين، أو اتهامه بكثرة الخطأ والسهو أي عدم الضبط).

الاعتراض الثاني: القدح في الراوي بالجهالة.

والملاحظ أنّ هناك خلافاً كبيراً في بعض الاعتراضات الواردة على السند، وهي

اختلافات ناتجة عن مذهبية المعترض في الحديث، ومن هذه الاعتراضات المختلف

فيها:

١- أن يعترض على الحديث بالإرسال.

٢- أن يعترض على الحديث بالجهالة لأنه لم يرو عنه إلا واحد.

٣- أن يعترض على الحديث بزيادة فلان قد خالف فلان.

٤- أن يعترض على الحديث لأن السلف قد طعنوا فيه.

٥- أن يعترض على الحديث لأن راويه لم يعمل به.

٦- أن يعترض على الحديث لأنه موقوف على الراوي.

٧- أن يعترض على الحديث بمخالفته للقياس.

٨- أن يعترض على الحديث لأنه روي آحادا وهو ممّا تعم به البلوى.

٩- أن يعترض على الحديث لمخالفته للأصول^(١).

٢- الاعتراض على المتن:

تنقسم السنة من جهة متنها إلى ثلاثة أقسام: (السنة القولية، والسنة الفعلية، والسنة

الإقرارية).

والسنة القولية تنقسم من حيث ورودها إلى قسمين: سنة قولية واردة ابتداء، وسنة

قولية وإرادة على سبب.

(١) ينظر: المنهاج في ترتيب الحجاج: ص ٧٩-٨٠، والكافية في الجدل: ص ٩٢، والفقهاء والمتفقه:

٤٤/٢، وشرح عبدالوهاب على الولدية: ص ١٤٨-١٥١.

فلاعتراض على السنة القولية الواردة ابتداء هو نفس الاعتراض على الاستدلال بالكتاب، غير أن الناظر وبدقة يلاحظ أن هناك اختلافا طفيفا، ولعل هذا الاختلاف يلمس من خلال استبدال مبحث القراءات في الكتاب بمبحث اختلاف الراوية في السنة. أما السنة القولية الواردة على سبب فتتقسم إلى قسمين: سنة قولية نقل حكمها من غير سبب (مع ورودها على سبب)، وسنة قولية نقل حكمها مع سببها. فيمكن الاعتراض على السنة القولية التي نقل حكمها من غير سبب في حالة ادعاء المعلل حملها على سبب ولا يمكن قبول ادعائه هذا إلا بدليل. كما يمكن الاعتراض على السنة القولية التي نقل حكمها مع سببها اعتمادا على الأوجه التالية:

أ- يمنع أن يكون ذلك السبب له متعلق بالحكم

ب- أن يدعي السائل في السبب المنقول تأثيرا أو زيادة لفظ على السبب المنقول.

ج- أن ينتقل إلى سبب آخر غير سبب المستدل بدليل.

والملاحظ أن الاعتراض على الاستدلال بأفعاله النبي ﷺ هي نفس الاعتراضات على متن السنة القولية، وإن كان هناك إضافة فهي لا تعدو أن تكون في محور إمكان الاعتراض على السنة الفعلية، أي منع الاستدلال بها^(١).

كذلك يلتحق الاعتراض التقريري بالاعتراض الفعلي من جهة، والقولي من جهة أخرى، فالإقرار على القول هو كقوله ﷺ في الاعتراض، والإقرار على الفعل هو كفعله ﷺ في الاعتراض. فالإقرار القولي يمكن الاعتراض عليه بنفس اعتراضات السنة القولية، أي يمكن الاعتراض عليه^(٢):

١- المستدل لا يقول به.

٢- المنازعة في المقتضى.

(١) ينظر: المعونة في الجدل: ص ١٦٥، ١٨٧، والمنهاج في ترتيب الحجاج: ص ٥٦، ١٢٥-١٢٧، وإحكام الفصول: ص ١١٨، ١٢٥.

(٢) ينظر: المعونة في الجدل: ص ١٩٨، والمنهاج في ترتيب الحجاج: ص ٩٠، ١٢٧-١٢٨.

٣- المشاركة في الدليل.

٤- اختلاف الرواية.

٥- دعوى النسخ.

٦- التأويل.

٧- المعارضة.

أما الإقرار الفعلي، فيمكن الاعتراض عليه بنفس اعتراضات السنة الفعلية، وكما

يأتي:

١- منع من الاستدلال به.

٢- المستدل لا يقول به.

٣- المنازعة في المقتضى.

٤- دعوى الإجمال.

٥- المشاركة في الدليل.

٦- اختلاف الرواية.

٧- دعوى النسخ.

٨- التأويل.

٩- المعارضة.

ثالثاً: كيفية الاعتراض على الاستدلال بالقياس:

يتم الاعتراض على الاستدلال بالقياس اعتماداً على الاعتراضات التالية:

١- المطالبة، ٢- الاعتراض، ٣- المعارضة.

١- المطالبة:

هي مطالبة الخصم بتبيين حجته ودليله، وهي على وجوه:

- مطالبة المستدل بتصحيح إثبات الحكم بالقياس.

- مطالبته بالدليل على ما جعله أصلاً.

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

- مطالبته بالدليل على ما جعله حكما.
- مطالبته بالدليل على ما جعله علة.
- مطالبته بإثبات الوصف (أو العلة) في الأصل.
- مطالبته بإثبات الوصف (أو العلة) في الفرع.
- مطالبته بتصحيح العلة وإثبات علاقتها بالحكم^(١).

٢- الاعتراض:

يفترض للوصول إلى الاعتراض أن يخرج المستدل من مرحلة الدعوى المجردة على الدليل إلى الدعوى المستدل عليها، ولقطع هذه المرحلة لا بد له من الإجابة على جميع وجوه المطالبة وسلامة هذه الإجابات من المطالبة نفسها، فإذا ذلك تدخل دعوى المستدل مرحلة الدعوى المستدل عليها، ويبقى على المستدل أن تسلم أدلته من الاعتراض والمعارضة. فالاعتراض هو عبارة عن مجموع الاعتراضات الموجهة للقياس والعلة، وتكون كما يأتي:

أ - أن يعترض السائل على المستدل بأن المسألة المختلف فيها لا يجوز إثباتها بالقياس.

ب- أن يعترض بأن ما جعله علة لا يجوز أن يكون علة، وذلك من وجوه، منها:

- أن يدعي السائل أن أصل المستدل منسوخ.
- أن يدعي السائل أن علة أصل المستدل خفية لا تعلم.
- أن يعترض السائل على المستدل بعدم جواز تقدم الحكم على العلة.
- ج- أن يعترض السائل على المستدل بأن ما جعله حكما لا يجوز أن يكون حكما، وذلك اعتمادا على الاعتراضين التاليين: (إلحاق الحكم بالمجمل، والتشبيه بالأعيان المتضادة).

د- أن يعترض السائل على المستدل بالممانعة في حكم الأصل، ولا يتم له هذا الاعتراض إلا بعد توفره على الشروط الآتية: (أن يكون لمن ينصره مذهب في المنع لا

(١) ينظر: الكافية في الجدل: ص ٦٨، والمنهاج في ترتيب الحجاج: ص ١٤٩-١٥٠.

يختلف، وأن يختلف قوله، وأن لا يعرف له قول في ذلك^(١).

هـ- أن يعترض السائل على المستدل بالمانعة في علة (وصف) الأصل ويكون ذلك تارة على أصل السائل وأخرى على أصل المسؤول^(٢).

و- الاعتراض على العلة بالقول بالموجب، وهو اعتراض بخروج العلة من موضع النزاع.

ز- الاعتراض على العلة بالقلب، وهو اعتراض بعدم اختصاص العلة بالحكم المستدل

عليه، أو هي مشاركة الخصم للمستدل في دليله. وهي على ضربين:

- قلب بجميع أوصاف العلة، وهو مفسد للعلة؛ لأن العلة المفروض فيها أن يكون لها

متعلق بالحكم أما وان يكون لها متعلق بضده فذلك مفسد لها.

- قلب ببعض أوصاف العلة، فهو غير مفسد لها؛ لأن العلة وإن قلبت ببعضها، إنما

وجبت بأخرى.

ح- الاعتراض على العلة بفساد الوضع، وهو اعتراض على العلة بتعلقها بضد ما تقتضيه،

ويعرف ذلك من النص تارة ومن الأصول تارة أخرى.

ط- الاعتراض على العلة بفساد الاعتبار، وهو اعتراض على اعتبار الشيء بما لا يقتضي

اعتباره به.

ي- الاعتراض على العلة بالنقض عند تخلف الحكم عنها.

ك- الاعتراض على العلة بالكسر^(٣)، ويعترض بالنقض عند وجود معناها مع مختلف

الحكم.

ل- الاعتراض على العلة بالمطالبة بإجرائها في معلولاتها، وهو مطالبة المستدل بإجراء

علة حكم ما فيما يشابهه من الأحكام، وعند عدم إجرائها في الحكم الآخر يثبت فسادها.

(١) ينظر: المنهاج في ترتيب الحجاج: ص ١٥١-١٦٥.

(٢) لما يدعي المستدل علة الحكم يعترض عليه بالمطالبة، لكن لما يدعي الصحة فيعترض عليه بالمعارضة، لأن هناك فرق بين مرحلة المطالبة ومرحلة الاعتراض.

(٣) هذا الباب قد سماه الباجي باب الاعتراض على القياس بالكسر، وهو يدخل في باب الاعتراض على العلة.

م- الاعتراض على العلة بعدم التأثير، وهو اعتراض بوجود الحكم مع وجودها وعدمها، وعدم التأثير عند بعض الفقهاء يعتبر قدحا في العلة، خلافا للباقي الذي يرى أن عدم التأثير لا يقدح في العلة، فعدم التأثير -عنده- لا يدل على فساد العلة ولا على صحتها.

ن- الاعتراض على العلة بالمعارضة، فإذا سلمت دعوى المستدل ودليله من كل الاعتراضات السابقة، فعندئذ يمكن للسائل أن يعترض على المعلل بالمعارضة، وهي آخر ما يمكن الاعتراض به، فهي عبارة عن مقابلة الخصم للمستدل بمثل دليله أو بما هو أقوى منه. وتكون المعارضة بالعلة: (يذكر ما يوجب الفرق بين الفرع والأصل، أو يذكر ما يوجب الفرق بين معنى يتعلق بالحكم في الأصل وبين معنى يتعلق بالحكم في الفرع)^(١).

ثالثاً - الجواب على الاعتراض

هو المرحلة الأخيرة التي تقطعها المناظرة والتي يصير فيها المستدل معترضاً بنفسه وظائف السائل، مع استغلاله لكل الإمكانيات والطرق التي يتمكن بها من دفع اعتراض السائل، ويمكن بيان حالاتها كما يأتي^(٢):

- ١- إذا كان السائل مانعاً، فعلى المستدل دفع منعه، وذلك بتوضيح مراده من الدعوى أو بإقامة دليل على عين الدعوى المعترض عليها أو أخرى تساويها أو إبطال سندها.
- ٢- إذا كان السائل ناقضاً، فعلى المستدل دفع نقضه، وذلك ببيان عدم تخلف الدعوى عن الدليل أو ببيان عدم استلزامها للمحال والتسلسل، وله كذاك الحق في دفع النقض ببناء دليل آخر.

(١) ينظر: الكافية في الجدل: ص ١٦١، وروضة الناظر وجنة الناظر، ابن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨١م: ص ٣٠٦-٣٠٧، و شرح اللمع، أبو إسحاق الشيرازي، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م: ص ٨٨٩/٢، والمعونة في الجدل: ص ٢٤٦، والحدود، الباقي: ص ٧٩، ٨٨، والمنهاج في ترتيب الحجاج: ص ١٧٣-١٧٨، ١٩٥-١٩٦، ٢٠١، وإحكام الفصول: ص ٦٥٢، وشرح التنقيح، القرافي: ص ٣٩٩-٤٠١.

(٢) ينظر تفاصيلها في: أصول الحوار، وآداب البحث للشنقيطي، وضوابط المعرفة، والمنهاج في ترتيب الحجاج، والمعونة في الجدل.

٣- إذا كان السائل معارضا، فعلى المستدل دفع معارضته، وذلك بطلب المعلل من السائل إقامة الدليل على مقدمته التي بنى عليها دليله المنافي لدليل المعلل أو يعترض المعلل على دليل السائل الذي اعترض به على المعلل، إما بعدم صلاحية دليله وإما باستلزامه للمحال أو يحاول المعلل إثبات دعواه بدليل آخر غير الذي اعتمده لدعواه المنقوضة^(١).

٤- إذا اعترض السائل بدعوى عدم استدلال المعلل بالدليل المستدل به، فللمعلل بيان أن ما ذهب إليه السائل ليس كما اعتقد المعلل.

٥- إذا اعترض السائل بدعوى القول بالموجب والمنازعة في المقتضى، فللمعلل بيان دعوى الإجمال والاحتمال والخفاء، واستبعادها مع إثباته للنص، أو لمعنى أظهر.

٦- إذا اعترض السائل بدعوى المشاركة، فللمعلل استبعاد هذا الاعتراض وذلك بقصر معناه الذي ذهب إليه على معنى واحد أو احتمال واحد.

٧- إذا اعترض السائل بدعوى اختلاف القراءة، فللمعلل إثبات ادعائه وذلك عن طريق الجمع بين قراءته وقراءة خصمه أو بمعارضتها بما هو أقوى منها.

٨- إذا اعترض السائل بدعوى استبعاد النسخ، فللمعلل إثباته وذلك اعتمادا على النقل الصريح أو التاريخ.

٩- إذا اعترض السائل بدعوى التأويل فللمعلل حق استبعاد تأويل خصمه مع إقامة دليل على تأويله (سواء في الاشتراك أو في التخصيص أو في التقييد...).

١٠- إذا كان اعتراض السائل بالمعارضة، فللمعلل استبعاد معارضته وذلك بادعائه أن دليل اعتراضه ليس مثل دليله في القوة ولا هو أقوى منه^(٢).

(١) ينظر: أصول الحوار، د. طه: ص ٧٨-٧٩، ومجموع المتون الكبرى: ص ٥٤٩-٥٥٠، وآداب البحث، الشنقيطي: ص ٥٦-٥٧، ٦٦، وضوابط المعرفة: ص ٤٤٤.

(٢) ينظر: المنهاج في ترتيب الحجاج: ص ٤٢ وما بعدها، والمعونة في الجدل: ص ١٤٥ وما بعدها، وشرح عبد الوهاب: ص ١٤٤-١٤٨.

المبحث الثاني

آداب البحث والمناظرة وأثرها في اختلاف الفقهاء

- وفيه مطلبان، وكما يأتي:

المطلب الأول

آداب البحث والمناظرة

لقد تحدّث العلماء عن البحث والمناظرة وجعلوا له آدابًا وضوابط ينبغي لكل مجادل أن يتقيد بها لكي يكون صادقًا بعمله ناصحًا بقوله مثمرًا في جداله. ولو تصفّحنا السنة النبوية الشريفة للمسنا في حوارات الرسول ﷺ ومناظراته الأدب الرفيع والأسلوب الذي يعلو على أساليب غيره من البشر، ولو تأملناها جيدًا لوجدنا فيه الأسس القويمة للجدال بالحق التي تصونه عن أن يتحول إلى ممارسة بعيدة عن نشدان الحقيقة أو إلى مشاحنات أنانية ومشاغبات ومغالطات، ونحو ذلك مما يفسد القلوب ويهيج النفوس ويورث التعصب ولا يوصل إلى الحق.

وقد هدانا ربنا سبحانه وتعالى إلى الأسلوب الصحيح الذي نتعامل به مع الناس فننصحهم أو نجادلهم أو ندعوهم إلى الله أو نرشدهم إلى خير، أن يكون ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [سورة النحل: ١٣٥]، فذكر صفة الموعظة كونها حسنة، وعلمنا أن الجدل مع غير المسلمين يكون بالتي هي أحسن، فعند تعاملنا مع المسلمين من الأولى أن يكون بأحسن الأساليب حتى تؤثر في الناس، كما قال تعالى: ﴿ادفع بالتي

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في اختلاف الفقهاء

هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴿[سورة فصلت: ٣٤].
ويمكننا أن نلخص أهم القواعد والأسس للجدال في ما سيأتي من مطالب.
أولاً: الضوابط والآداب الواجب مراعاتها في المناظرة، والمتعلقة بصفات المناظر
هناك عوامل وأمور كثيرة تكون سبباً لنجاح المجادل الناصح في كلامه وتأثيره في
الناس، وهذه الأمور متعلقة بصفات خُلقية (ظاهرة وباطنة) ينبغي التحلي بها لتورث
استعداداً في نفسية المسلم تمكنه من النجاح في الجدل وبذل النصيحة للناس فيها.
فمن تلك الضوابط والآداب ما يأتي^(١):

١- الإخلاص والتجرد :

إن الله سبحانه وتعالى طيب ولا يقبل إلا طيباً، ولا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه، قال
تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [سورة البينة: ٥]، فنحن مأمورون
بالإخلاص لله، قال تعالى: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ [سورة الزمر: ٣]، فالإخلاص يلزم
الفرد المسلم في كلامه ونصيحته وجدله؛ لأن ما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع
وانفصل، فالإخلاص أساس النجاح، فإذا أردت أن تجادل الناس وتنصحهم وتكسبهم إلى
وجهة نظرك فحاول مخلصاً أن ترى الأشياء من وجهة نظر الشخص الآخر.

فكلما زاد الإخلاص ارتفع سمو الناصح (المجادل) ويكون كلامه مقبولاً، ولا ينتظر أن
يقبل نصحه وإنما هو واجب عليه يؤديه، فلا يلوم أحداً ولا يعتب على أحد لعدم الأخذ
بنصيحته، فالناصر يقدم النصيحة لوجه الله ولا يطلب من وراء ذلك أجراً دنيوياً، قال تعالى
على لسان هود عليه السلام يخاطب قومه: ﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا
على الذي فطرني أفلا تعقلون﴾ [سورة هود: ٥١]. وعلى المحاور أن يتجرد من التعصب
وأن يقصد ظهور الصواب ولو على يد صاحبه، فالحق ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق

(١) ينظر: الأساليب الصحيحة في إسداء النصيحة، أنور أحمد موسى العاني، مكتبة الرشد، بغداد،
١٩٩٨م: ص ٢٠-٣١، وأدب الحوار، د.عائض القرني، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م: ص ١١،
ومناهج البحث: ص ١٣٠-١٣٣.

بها، والمتحاوران كل واحد منهما مجتهد قد يصيب وقد يخطئ، وللشافعي رحمه الله كلمة عظيمة يقول فيها: (رأبي صواب يحتمل خطأ، ورأي خصمي خطأ يحتمل الصواب) كما قال: (ما جادلت أحداً إلا وودت أن يُظهر الله الحجةَ على لسانه)، وقال أيضاً: (ما حاورني أحد فقبل الحق مني إلا عَظُمَ في عيني، وما ردَّ الحق إلا سقط من عيني). وقد ذكر الإمام الغزالي في كتابه الإحياء أن من أدب المجادل الذي يقصد بجذاله وجه الله وإحقاق الحق، فقال: (ومن أدب المجادل أيضاً أن يكون في طلب الحق كناشد الضالة، سواءً لديه أن تظهر الضالة على يديه أو على يد من يعاونه، فيرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرّفه الخطأ وأظهر له طريق الحجة، وهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم...)^(١).

٢- القدوة (الالتزام السلوكي المطابق لقناعاته الفكرية) :

إن القدوة هي العامل التربوي الأساسي في تكوين الاتجاهات الإيجابية في الناس، فليس المنصوح أولى بالنصيحة من الناصح (المجادل)؛ لأن لسان الحال أبلغ من لسان المقال، فالناس تنظر إلى فعالك قبل أن تسمع مقالك، فأفعل ما أمرتني به، وأجتنب ما نهيتني عنه، اقتدي بك وأستمع لقولك، فالطريق الأفضل أن تغير ما بنفسك مما لا يليق بك، وفي ذلك يقول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيمٌ
ابدأ بنفسك فأنهها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيمٌ
فهناك تعذر إن وعظت ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم^(٢)

فالمجادل يكون قدوة حسنة إلى ما يدعو الناس إليه ولا يخالفهم إلى ما يدعوهم إليه، قال الله على لسان أحد الأنبياء مخاطباً قومه: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما

(١) إحياء علوم الدين، أبي حامد محمد الغزالي، المكتبة التوقيفية، مصر: ٧١/١.

(٢) ينظر: الأساليب الصحيحة: ص ٢٢. والأبيات للمتوكل بن عبدالله بن نهشل بن مسافع، وهو من أهل الكوفة، كان في عصر معاوية وابنه يزيد، ونسب البيت الأول إلى الأخطل، كما يروى لأبي الأسود الدؤلي. ينظر: إيضاح شواهد الإيضاح، أبو علي الحسن بن عبدالله القيسي، تحقيق: د. محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م: ٣٤٨/١.

أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴿[هود:٢]، وقال مخاطبًا بني إسرائيل: ﴿تأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ [البقرة: ٤٤].

٣- أن يكون أهلاً للحوار (القدرة العلمية والتخصصية في مجال الحوار):

من نصح وجادل فلينصح عن علم واختصاص فإنه أوقع في نفس المرء المنصوح وأقبل عنده، فالأسلوب مع الإخلاص والعلم يجعل المنصوح يستسلم وينقاد إليه ويطيعه، ألا ترى إلى المريض يأخذ بكلام الطبيب ويصدق، فإذا كان الناصح ذا علم كان ذا عزة ورفعة، وكلما كان الناصح ذا عقل راجح وحكمة وتجربة وسعة اطلاع وقدرة على الإحاطة بالأمور وسرعة فهمها وحسن التصرف فيها كان تأثيره كبيراً وكلامه مسموعاً فيؤخذ برأيه ويقنع المخطئ عن خطئه والمذنب عن ذنبه^(١).

٤- التواضع:

من الصفات الحميدة في الإنسان التواضع، لذا أرشد الله محمداً ﷺ وعلمه أن يسلكه مع أصحابه، قال تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ [سورة الشعراء: ٢١٥]، ويؤكد الرسول ﷺ التواضع بقوله: ((وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله))^(٢)، فمن تواضع للناس أحبه وسكنوا إليه وناصروه، فالتواضع وعدم التعالي على الناس يجمع القلوب، وهو الأسلوب الصحيح الذي يجب أن يسلكه المجادل حتى يكون موقع كلامه في النفوس قوياً مؤثراً، ويؤكد الرسول ﷺ على أصحابه ويوصيهم بالتواضع بقوله: ((وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبيع أحد على أحد))^(٣)، وفي هذا الحديث دليل على أن التواضع يقيم العدل وأن التكبر يؤدي إلى البغي والظلم واحتقار الناس. وقد وصف الله المؤمنين بالتواضع

(١) ينظر: الأساليب الصحيحة: ص ٢٣، وأدب الحوار: ص ١١، ومناهج البحث: ص ١٣١.

(٢) صحيح مسلم: ١٤١/١٦ (برقم: ٤٦٨٩).

(٣) صحيح مسلم: ٢١٩٨/٤ (برقم: ٥١٠٩).

وأنه يحبهم ويحبونه قال تعالى: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [سورة المائدة: ٥٤]، فمعنى الذلة هنا التواضع والتسامح، فعلى المجادل أن يكون متواضعاً مع مَنْ تكلم معه، فالكبير مذموم ويولد الجفاء، ومن التواضع للمنصوح أن تنزل إلى مستواه وتستدرجه بالنصيحة، وهذا هو الملاحظ في سيرة النبي ﷺ حين يكلم الطفل ويربي الشباب ويعلم الإعرابي الجاهل^(١).

٥- عفة النفس وترك الأطماع الدنيوية :

قال الرسول ﷺ: ((ومن يستعفف يعفه الله))^(٢)، فينبغي أن يتعفف المجادل الناصح عمًا في أيدي الناس، فإذا زهد فيما عند الناس أحبوه وظلَّ مرفوع الرأس عزيزًا قادرًا على قول ما يريد. وينبغي أن يكون المجادل مؤثرًا المصالحة العامة على المصلحة الخاصة ومؤثرًا ما فيه مصلحة الناس على مصلحة نفسه وذويه.

٦- التسامح :

ينبغي أن يمتاز المجادل بروح التسامح مع المنصوح، لعلمه أن كل ابن آدم خطأ، وأن الله يقبل التوبة عن عباده، فكيف لا يقبلها العباد بعضهم من بعض، فقد يحصل الخطأ والنزاع والخصومة بسبب سوء الفهم، لذا يعتمد المجادل التسامح وسعة الصدر، وقد قيل: (التمس لأخيك سبعين عذرًا فإن لم تجد فقل لعل له عذرًا لا أعرفه)، قال تعالى: ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]^(٣).

٧- الاستعداد للتضحية :

على المجادل أن يضحي بكثير من وقته -وإن كان الوقت هو الحياة- لأجل أن يقدم النصيحة في حوارهِ ونقاشه مع الناس، بل وينبغي أن يضحي بماله أحيانًا ليواسي أصحاب الاحتياجات ويسد الثغرات، ويضحي بما يتوقع من أذى في النفس والبدن وكذا يضحي

(١) ينظر: الأساليب الصحيحة: ص ٢٥، ومناهج البحث: ص ١٣٢.

(٢) صحيح البخاري: ١١٢/٢ (برقم: ١٣٣٨).

(٣) ينظر: الأساليب الصحيحة: ص ٢٥-٢٧، ومناهج البحث: ص ١٣٢.

بما يرجوه من نفع^(١).

٨- الاستفادة من خبرة وتجارب غيره من العلماء والعاملين الصالحين :

من الضروري للناصح أن يكتسب خبرة ممن قبله ويستشير أهل الخبرة، فيزورهم ويتعرف عليهم ويسكت طويلاً ويستمع كثيراً ليرى ويتعلم كيف يتعاملون مع الناس عند نصحتهم ويتعاون معهم ويأخذ بمشورتهم ويتعلم من أساليبهم وكيفية مخاطبتهم للآخرين^(٢).

ثانياً: الضوابط والآداب الواجب مراعاتها في المناظرة، والمتعلقة بأمر ((فنية أخلاقية وعلمية)) خارجة عن ذات المناظر وهي ضوابط وآداب تتعلق بنواحي فنية أخلاقية وعلمية، وهي الأمور الخارجة عن ذات المجالد، فمنها ما يخص الطرف الآخر المتحاور معه (المنصوح) ومنها ما يخص العملية الحوارية الجدلية. وهي أمور وآداب يتوقف على مراعاتها نجاح المتحاورين في حواراتهم ونقاشاتهم مع الآخرين. ويمكن أن نتناولها في محورين، وكما يأتي:

(الأول) الضوابط والآداب المتعلقة بالطرف الآخر المتحاور معه (المنصوح) :

كما أن للمناظر أساليب وصفات متنوعة في التأثير على الآخرين، فلا بد من معرفة الأساليب الصحيحة والصفات التي تخص المنصوح، ومراعاتها كي تصل النصيحة إليه واضحة ومقبولة ونافعة. ومنها الآتي^(٣):

١- مراعاته في الوقت والإنصات :

وقد قيل في الأمثال: (الوقت كالسيف، إن لم تقطعه قطعك)، فكن حذراً من أن يمر الوقت من بين يديك دون أن تنتفع منه، فالوقت هو الحياة فمن قتل وقته فقد قتل نفسه، وقيل أيضاً: (الوقت من ذهب، إن لم تحرص عليه ذهب) لأنه ثمين، لذا علينا

(١) ينظر: الأساليب الصحيحة: ص ٢٨-٣١، ومناهج البحث: ص ١٣٣.

(٢) ينظر: المصادر نفسها، وأدب الحوار: ص ١١.

(٣) ينظر: الأساليب الصحيحة: ص ٣٢-٤٤، وأدب الحوار: ص ٢٣-٣٠، ومناهج البحث: ص ١٣١-١٣٢.

أن نحصر على قضاء أوقاتنا فيما ينفعنا في الدنيا والآخرة، وسيحاسب الإنسان عن عمره كيف أفناه؛ كذلك يجب أن يختار المجادل الوقت المناسب للنقاش والحوار حتى يُسمع قوله ويُستمع إليه، فلا يُنصح شخصٌ عندما يكون مشغولاً بعمل منغمس فيه، فتضيع له فرصة يمكن أن ينتفع بها، فالمشغول لا يشغل، وكان ينبغي أن تُقدّم له النصيحة عند فراغه من شغله، إذ كلما قدمت له النصيحة في الوقت المناسب كان تأثيرها أكبر ونفعها أكثر وقبولها أسرع. وعلى الناصح أيضاً أن يتخير الوقت المناسب لحالته النفسية فلا ينصحه وهو غضبان، ولا ينصحه وهو سكران، وكذا لا ينصح لآعب القمار وهو يلعب... ونحو ذلك.

فمن آداب المجادل أن لا يجادل ويتحاور في الأوقات التي يتغير فيها مزاجه ويخرج عن حد الاعتدال؛ لأن المزاج إذا زاد على حد الاعتدال في الحرارة كان معه العجلة وقلة التوقف وعدم الصبر وسرعة الضجر، وإذا زاد في البرودة على حد الاعتدال أورث السهو والبلادة وقلة الفطنة وإبطاء الفهم.

كما ينبغي على المتحاورين أن ينصت أحدهما للآخر، وينصف بعضهما الآخر في الوقت، فلا يكون ظالماً فيتكلم طول الوقت ولا يترك المجال ليتكلم محاوره، فالواجب أن تنصت له مثلما أنصت لك، كما أن حسن الإنصات من حسن الخلق، فعليك أن تستمع له إذا حاورك، وبعض الناس ينقصه حسن الإنصات فتراه شارد الذهن وهذا ليس من الاحترام، فما دام أنك تحاوره فأقبل بقلبك وبعينيك إلى من تحاوره ليعلم أنك تحترمه وأنت تريد الحق.

٢- حسن التعامل مع المتحاور واحترامه والثناء عليه - بحق - إن احتيج لذلك :

جبلت النفوس على حبِّ من أحسن إليها، ولا يجد الإنسان أفضل من مدحك إياه، وخاصة بين أقرانه وأقربائه، ولكل إنسان صفات وعادات منها الحميدة ومنها الذميمة، أنظر إلى المنصوح فإن رأيت من ممن يرجى خيره ويقبل بوجهه إليك فقدم له النصيحة، فالناصح يشني على المنصوح بأنه معتاد على هذه العادات الحسنه وهذا يدل على العقل

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

والحكمة، ويغض له العادات القبيحة بأسلوب الناصح الحكيم، كقوله: "إن هذا لا يليق بأمثالك، وأنت رجل عاقل" أو "إن هذا لا يليق برجل كريم مثلك أو شريف" أو "هذا لم نعهده فيك" أو "هذا لا يناسبك" أو "هذا ليس من أفعالك" ... وهكذا، وأحياناً يثني على قبيلته أو على آبائه وإخوانه وأهله، ثم ينفي أن يعمل ما يسيء إلى سمعتها. وعلى المجادل (الناصح) أن لا يبالغ في المدح والإطراء، فيأخذ المنصوح الغرور وتأخذه العزة بالإثم إذا قيل له اتق الله، والرسول ﷺ قد استخدم هذا الأسلوب مع أصحابه وقد وردت أحاديث في ذلك وكيف أثر ذلك فيهم، من ذلك أن الرسول ﷺ مدح عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بقوله: ((نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل، فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً))^(١).

٣- نقد بعض تصرفات المتحاور مباشرة إن احتاج المقام لذلك، أو توجيه أنظاره إلى الفضائل بشكل غير مباشر:

لما عرف الرسول ﷺ قوة إيمان أصحابه وخاصة الذين سارعوا للدخول في هذا الدين واقتنعوا به أدبهم بأدب الإسلام، حتى يكونوا قدوةً لغيرهم، فقد كان ينكر على من يريد نصحه منهم إذا ظهرت منه صفة ذميمة - خاصة إذا كان من أهل التقوى-؛ لأنه إذا صدر منه خطأ ولم يستنكر عليه ربما عدّه الناس صواباً وفعلوا مثله ووقعوا بالإثم بحجة أنه فعله أصحاب النبي ﷺ ولم يستنكر عليهم. لذا نرى رسول الله ﷺ يعالج الأمر بحكمة، فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: ((سأببت رجلاً فغيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية))^(٢)، وعن ابن مسعود أن رجلاً شكى للنبي ﷺ فقال: ((يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطيل بنا فلان فيها، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضباً من يومئذ، فقال: أيها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف

(١) صحيح مسلم: ١٩٢٧/٤ (برقم: ٤٥٢٨).

(٢) صحيح البخاري: ١٥/١ (برقم: ٢٩).

فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة))^(١). وأحياناً الأسلوب المباشر قد لا يجد قبولا كالأسلوب غير المباشر، فقد يكون ربط الفرد بصفة حسنة أولى من الطلب منه أن يفعلها أو يتمسك بها، وقد كان رسول الله ﷺ خير الناصحين، فكثيراً ما يثير انتباه أصحابه إلى الفضائل بأسلوب غير مباشر، ومن ذلك توجيه الأسئلة، فقد قال الرسول ﷺ: ((أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟، قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا))^(٢).

٤- الانفراد بالمنصوح:

لقد ذكر الإمام الغزالي في كتابه الإحياء أن من أدب المجادل الذي يقصد بجذاله وجه الله وإحقاق الحق: ((أن يكون جداله مع خصمه في خلوته لا في حفل جامع، فإن الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن ودرك الحق، وفي حضور الجمع الكثير ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محققاً أم مبطلاً، فحرصهم إذًا على المحافل والمجامع ليس لله ولا لوجه الحق، فقد يخلو الواحد منهم بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه، وربما اقترح عليه صاحبه بعض الأمور فلا يجيب فإذا انتظم مجمع أو تكامل عقد محفل لم يغادر قوي الاحتياال منزعاً حتى يكون هو المختص بالكلام وفارس الميدان))^(٣)، فالنصيحة والنقاش عملية سهلة لكن المشكل هو في قبولها، فعلى المجادل الناصح أن يقدم نصيحته وجداله على انفراد، فهو أنفع وأوقع لأن النصيحة بين الخلق فضيحة، فنحن بشر وكلنا فيه نقص وعيب، وواجب المسلم أن يصبر ويبصر أخاه المسلم بما فيه من نقص أو عيب، فالمؤمن مرآة أخيه، ومن صفات المؤمنين أنهم يتواصون بالحق ويتواصون بالصبر، فلا بد للمجادل أن يحاول تلافي السلبيات والأخطاء فلا يتحرج من تقديم النصيحة ومناقشتهم من غير أن يجرح شعورهم أو ينتقدهم بطريقة تثير فيهم

(١) صحيح البخاري: ٣٠/١ (برقم: ٨٨).

(٢) صحيح البخاري: ١٠٨/١ (برقم: ٤٩٧)، وصحيح مسلم: ٤٦٣/١ (برقم: ١٠٧١).

(٣) إحياء علوم الدين: ٧٢/١.

استيائهم وتجعلهم يبررون خطأهم، فدع أسلوب الاتهام وحاول أن تعرف سبب قيامهم بالخطأ، وقد قال بعض الحكماء: (من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه)، وقال الإمام الشافعي رحمه الله:

تعمدني بنصحك في انفرادي وجنبنني النصيحة في الجماعة
فإن الناصح بين الناس نوع من التوبيخ لا أَرْضَى استماعه
وإن خالفتني وعصيت قولي فلا تجزع إذا لم تُعْطِ طاعة^(١)

فالكلام والنصح في السر دليل صدق المحاور لخصمه وأحفظ لماء الوجه، ودليل حب الخير له، وبه يُفَرَّق بين النصح والتعيير، وإظهار العيوب والأخطاء يحدث الفتن بين الناس وينفر من قبول النصيحة، وربما أصرَّ المنصوح على خطئه بسبب ذلك. بينما النصح على انفراد قد تطلعك على سر لا يعرفه أحد وربما تعذره على خطئه الذي وقع فيه، وقد يكون مجتهداً فأخطأ، فإذا بينت له الصواب رجع إليه وترك ما كان عليه^(٢).

٥- حمل المتحاور على تغيير المكان الذي يمنع من جدوى النقاش واختيار المكان المناسب للحوار :

على المجادل أن يجنب المنصوح الأماكن التي يرتادها وفيها معصية، وأن يبعده عن الأشخاص الذين يزينون له المنكر بأسلوب غير منفر له، بترغيبه بأماكن أفضل وأشخاص أحسن، وقد ضرب لنا الرسول ﷺ مثلاً يكون عبرة لنا، فذكر أن رجلاً قتل مائة نفس ومع ذلك أراد أن يتوب، فجاء إلى عالم ليذله على التوبة، فقال له العالم: ((انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء))^(٣).

ولذلك يُستحسن أن يكون الحوار في مكان مهياً يجتمع فيه أهل الرأي والعلم وأهل

(١) ديوان الإمام الشافعي، طبعة دار العلوم، بيروت: ص ٥٦.

(٢) ينظر: الأساليب الصحيحة: ص ٣٤، وأدب الحوار: ص ٢٦، ومناهج البحث: ص ١٣٢.

(٣) صحيح مسلم: ٤/ ٢١١٨ (برقم: ٤٩٦٧).

الرشد والبصيرة، ولا يجتمع في الأماكن العامة فيدخل الكبار والصغار والحمقى فتحصل أمور منكورة، ثم لا يكون حوارا بل شغب وفوضى^(١).

٦- التعامل مع المتحاور بدكاء :

اعلم أن المجادل يتعامل مع بشر فيهم الذكي والجاهل وفيهم المطيع وفيهم المعاند ونحو ذلك، وهؤلاء لهم قلوب وعواطف، فعليه أن يحاول الوصول إلى تلك القلوب ويحرك تلك العواطف بدكاء، فيستمع إليه إذا حدثه، ويصغي إليه بكل جوارحه، وينظر في وجهه ليعرف جده من هزله وعلمه من جهله، ويحسن الثناء عليه في صوابه ويقلل من العتاب عليه إذا زاد جهله وعناده، ويستدرجه بحكمته إلى الاعتراف بنصحه له، وينبغي أن يحس المتحاور (المنصوح) في داخله بأنه المحاور محببٌ له ويرجو له الخير، وينبغي أن يكون المجادل حذرا إذا نصح من كان بيده أمره فيكلمه بما لا يثير حفيظته عليه^(٢).

(الثاني) الضوابط والآداب المتعلقة بالعملية الحوارية :

على المجادل أن يعرف الطريق الصحيح لتقديم النقاش والنصيحة، كما أن عليه أن يعرف مقدار ثقافة المتحاور معه (المنصوح) حتى يكلمه بأسلوب يفهمه، فقد تكون النصيحة على شكل أسئلة يستدرج بها صاحبه حتى تقع النصيحة موقعها في نفسه ويعرف خطأه ويترك ما فعله أو ما ينوي فعله.

وهذا قد فعله رسول الله ﷺ، فعن أبي أمامة رضي الله عنه: ((أن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا (مه، مه) فقال النبي ﷺ: ادن مني. فدنا منه قريبا. قال: فجلس. قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أتحبه لعمتك. قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لعلماتهم. قال: أتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله

(١) ينظر: الأساليب الصحيحة: ص ٣٧، وأدب الحوار: ص ٢٨.

(٢) ينظر: الأساليب الصحيحة: ص ٣٩، وأدب الحوار: ص ٢٩-٣٠.

فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه وحصن فرجه. فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء^(١).

وقد يستعمل الرسول ﷺ أمثلة في الموعظة والنصيحة، واستعملها بعده العلماء والدعاة والمريون فلا غنى للمجادل عنها، والأمثلة تضرب ولا تقاس، وربما كان لها وقع في النفوس كبير، ومن تلك الأمثلة ذات العبرة: (من دقَّ باب الناس دقوا بابه)، (دقة بدقة ولو زدت لزاد السقا)... وغير ذلك من الأمثلة التي تناسب الموقف في النصيحة والحوار، بل قد يكون المثال وحده كافياً لتغيير سلوك الفرد إلى ما هو أحسن. وقد يستعمل الرسول ﷺ القصة التي فيها العبرة وتكون نصيحة للآخرين، كالإخلاص في الأعمال دليل على إجابة الدعاء، وضرب لنا مثلاً النفر الثلاثة الذين خرجوا يمشون فأمرت السماء فأووا إلى كهف فأنحدرت عليهم صخرة سدت باب الكهف، ثم انفرجت عنهم بسبب إخلاصهم في أعمالهم، فهذا بسبب أمانته وهذا بسبب بره لوالديه وآخر بسبب عفته^(٢).

فهناك أساليب وآداب لا غنى للناصح عنها تخص طبيعة النقاش نفسه، ويمكن

تقسيمها إلى قسمين وكالاتي:

(أ) ضوابط وآداب فنية أخلاقية: ويمكن إجمالها فيما يأتي^(٣):

١- أسلوب الرفق واللين :

قال تعالى مرشداً نبيه ﷺ وهو ذو الخلق العظيم: ﴿بما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]، هذا الإرشاد الرباني لنبيه ﷺ، نحن أولى أن نلتزم به ونسير على هداية الذي هدى الله به نبيه محمداً عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فالناس ينفضون عن الفظ الغليظ القلب، حتى ولو

(١) مسند أحمد: ٢٥٦/٥ (برقم: ٢١١٨٥).

(٢) صحيح البخاري: ١٠٥/٣، وقد أشار إليها القرآن في سورة الكهف. وينظر: الأساليب الصحيحة: ص ٤٨.

(٣) ينظر: الأساليب الصحيحة: ص ٤٩-٦٣، وأدب الحوار: ص ١٧-١٩، ٢١-٢٢، ومناهج البحث: ص ١٤٦-

كان ناصحًا لهم مريدا الخير لهم حريصا على ما ينفعهم. والسنة النبوية الشريفة تؤكد ذلك في أحاديث كثيرة منها: ما روته سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت: ((قال رسول الله ﷺ: إن الله يحب الرفق في الأمر كله))^(١)، كما ذكرت أن النبي ﷺ قال: ((إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه))^(٢). وينبغي أن يلاحظ أن الرفق المحبوب لله تعالى هو الذي لا يفضي إلى إهمال حق من حقوق الله تعالى، فإذا أفضى إلى ذلك لم يجوز ولم يكن محبوبًا، بل مبغوضًا ومسخوطًا عليه، قال تعالى مخاطبًا المؤمنين في إقامة حد الزنا: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ [سورة النور: ٢] ^(٣).

وقد حُبب إلينا الرسول ﷺ الرفق بقوله: ((إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه))^(٤)، فالرفق من أنواع الخير وقد أكد رسول الله ﷺ: ((من يحرم الرفق يحرم الخير))^(٥)، فخير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى رسول الله ﷺ، فقد كانت سيرته مع أصحابه وغيرهم بالرفق، فإذا أردت أن تكسب الناس إلى وجهة نظرك فتوسل بالرفق واللين ودع الغضب والعنف، وعلى المجادل أن يرفق بالمنصوح سواء كان في قوله أو في نبرات صوته، وأن يستعمل أسلوب التلميح أولى من التصريح، وأن يكون رقيقًا لأن القسوة تولد الجفوة، فيكون لينا في القول شديدًا في الحق، بل قد يستعمل الكلام غير المباشر الذي كان يستعمله رسول الله ﷺ، إذ كثيرًا ما كان يقول في وعظه وإرشاده: (ما بال أقوام يفعلون كذا..)، ففي ذلك فوائد تربوية تحفظ شخصية المنصوح وتؤدي إلى طمأنينته وبالتالي إلى استعداده الفكري والنفسي لتصحيح خطئه ويؤدي إلى تصحيح

(١) صحيح البخاري: (برقم: ٥٥٦٥).

(٢) صحيح مسلم: ١٤٦/١٦ (برقم: ٤٦٩٧).

(٣) ينظر: الأساليب الصحيحة: ص ٤٩-٥٢، وأدب الحوار: ص ١٧-١٩، ومناهج البحث: ص ١٤٦-١٤٨.

(٤) صحيح مسلم: ١٤٦/١٦ (برقم: ٤٦٩٨).

(٥) صحيح مسلم: ١٤٥/١٦ (برقم: ٤٦٩٥).

أخطاء تربوية موجودة عند متعلمين آخرين^(١).

٢- استعمال الألفاظ والعبارات المؤدبة والبليغة :

إنَّ استعمال العبارة البليغة له أهمية كبيرة في التأثير على السامع، لذا وجَّه الله نبيه إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ [سورة النساء: ٦٣]، فإذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع، فالناصح يختار العبارة الواضحة المفهومة، والكلمة البليغة الفصيحة، ويوضح الألفاظ بصوت مناسب، وتخير اللفظ المناسب، والأمثلة الواضحة، ويأخذ ما يستطيع العمل به وما يمكن تنفيذه وتطبيقه، قال تعالى: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للإنسان عدوا مبيناً﴾ [سورة الإسراء: ٥٣]، أي قولاً مؤثراً حسناً لفظه مفهوماً في عبارته، مناسباً لهم، وقد وصفت السيدة عائشة كلام رسول الله ﷺ بأنه: ((ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسر دكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بينه فضل يحفظه من جلس إليه))^(٢)، ومن الفوائد التربوية من هذا الحديث:

١. الإيجاز بالتحديث والتركيز على صلب الموضوع.
 ٢. التأنى في الحديث يفيد المتحدث نفسه، لئيسلسل أفكاره ويرتبها ترتيباً صحيحاً.
 ٣. التأنى يعطي فرصة للاستماع، ويقلل النسيان والتلعثم.
 ٤. أن كلامه ﷺ يفهمه الجاهل والمتعلم.
 ٥. إعادته ﷺ لكي يحفظ عنه كلامه ويستقر في النفوس^(٣).
- وهناك ألفاظ يستحسن مخاطبة المتحاور (المنصوح) بها ويقبل الكلام والنصح بسببها، كقولك لمن تخاطبه عبارات يرتاح لسماعها ويتأثر بها، منها قولك: (مما لا يخفى عليك..) ثم تبين له ما خفي عنه، وقولك: (ألا تذكر... ألا تعلم.. إنك تعلم..) ثم

(١) ينظر: الأساليب الصحيحة: ص ٥٣-٥٧، ومناهج البحث: ص ١٥٢-١٥٦.

(٢) صحيح البخاري: ٢٦/١ (برقم: ٣٣٠٣)، وسنن الترمذي: (برقم: ٣٥٧٢).

(٣) ينظر: الأساليب الصحيحة: ص ٥٨-٦٣، وأدب الحوار: ص ٢١-٢٢.

تعلمه ما تريد أن يفعله أو يترك ما تريد أن يتركه، وقولك: (إن رأيك صواب ولكن أرى رأياً آخر...) ثم تبين رأيك مع الأدلة، وقولك: (هذا رأي وأحب أن تصحح خطئي...) ثم تشرح وجهة نظرك.

٣- التماس العذر وعدم التسرع في إطلاق الأحكام وتعميمها :

إن الرسول ﷺ يحثنا بأسلوب عملي أن نلتمس العذر لمن أخطأ ونعطيه بالنقاش والنصيحة فرصة التوبة والرجوع عن رأيه وخطئه، وقد ورد في سيرته ﷺ شيء كثير، فعن عتيان بن مالك أن رجلاً وصف شخصاً يدعى مالك بن الدخشن بالنفاق، فقال رسول الله ﷺ : ((لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال لا اله إلا الله يريد بذلك وجه الله. قال: الله ورسوله أعلم، فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين. قال رسول الله ﷺ : فإن الله قد حرم على النار من قال لا اله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))^(١)، إنه أدب عظيم يعلمنا إيّاه الرسول ﷺ أن لا ننع في تعميم الحكم على شخص دون أن نملك الأسباب الكافية لذلك وكذلك يعلمنا أن ننتبه إلى الجوانب الايجابية في الشخص، ففي غزوة الفتح بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ فقال عن حاطب: ((إنه شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم))^(٢)، ففتهمك لمواقف الآخرين سيساعدك على ما تريد من ضبط الأعصاب والتصرف بحكمة مع الآخرين دون أن تنسى ماضيهم المشرف في لحظة سخط على تصرف خاطئ عن سوء تقدير الأمور، أن تفهم الدوافع للسلوك الخاطئ فربما قصد عملاً حسناً وأخطأ في تصرفه^(٣).

٤- تكرار الحوار والنصيحة إذا استلزم الأمر :

إن الأفراد يختلفون في استجاباتهم للنصح لذا كان التكرار ضرورياً مع تغيير

(١) صحيح البخاري: ٦٠/٢ (برقم: ٤٠٧).

(٢) صحيح البخاري: ١٤٥/٥ (برقم: ٢٧٨٥).

(٣) ينظر: الأساليب الصحيحة: ص ٦٠، وأدب الحوار: ص ٢١، ومناهج البحث: ص ١٥٣.

الأسلوب، وينبغي أن يسلك المجادل لعلاج الخطأ الحكمةً وفي جو من الحبّ وبما يحقق الخير، ولا يدع أخاه يتمادى في الخطأ ولا يكون للنصيحة مكثراً مملاً ولا مهملاً مخلاً، فتنوع الأساليب يشعره بحرص المتحاور معه عليه واهتمامه به ومحبتة له فيستجيب إن شاء الله، وإلاً فالهداية والتوفيق من الله تعالى^(١).

٥- اختيار البديل عن الآراء والأقوال والأفعال الخاطئة :

إن الإسلام عندما يشرّع أساليب العلاج فإنه يراعى كرامة الإنسان ولا يسمح بانتهاكها إلا إذا جاء الإنسان بما يُسقط كرامته وعفته، فالإسلام حريص على تكوين الاتجاهات الصحيحة والعادات الصحيحة عند المسلمين، لذا يحاول أن يجد الصواب بديلاً عن الخطأ في كل شؤون الحياة، فهو إذا نهى عن شيء غير صالح أمر بشيء نافع وإذا حرم الخبائث فقد أحل الطيبات، وقد اقترن في القرآن الكريم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي سنة النبي ﷺ أنه كان يعالج الخطأ ببديل عنه، فعن عمر بن أبي سلمة قال: ((كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحيفة، فقال لي: يا غلامُ سَمَّ الله وكُلَّ بيمينك وكُلَّ مما يليك، فما زالت تلك طعمتي بعد))^(٢)، أسلوب منح الطفل أدباً ربيعاً وعلماً نافعاً طول حياته، كلفه بما يطيق فلم يشعر بضيق، أسلوب منح الطفل الطمأنينة ليتلقى التوجيه النبوي في مأمن من التهديد والخوف، وجاء بأسلوب بديل عن الخطأ.

٦- مراعاة أخلاقيات الحوار الهادف: ومن أبرزها ما يأتي^(٣) :

أ. أن ينتظر كل منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه.

(١) ينظر: الأساليب الصحيحة: ص ٦٠-٦٣، وأدب الحوار: ص ٢١-٢٢، ومناهج البحث: ص ١٥٣-١٥٦.

(٢) صحيح البخاري: (برقم: ٤٩٥٧)، وصحيح مسلم: ١٩٣/١٣ (برقم: ٣٧٦٧).

(٣) ينظر: رسالة الآداب في البحث والمناظرة، للشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة،

القاهرة: ص ١٧٦-١٧٧.

ب. أن لا يسخر أحدهما من صاحبه، وأن لا يستصغر خصمه ولا يتهاون به وإن كان صغير المحل في الجدل فقد يجوز أن يقع لمن لا يؤبه له الخاطر الذي لا يقع لمن فوقه في الصناعة، وقد أوصى القدماء بالاحتراس من العدو وأن لا يستصغر صغيراً منه، والخصم عدو لأنه يجاهدك بلسانه وهو أقطع سيفيه.

ج. أن لا يجاري خصمه في الشغب إن شاغبه، ولا يرد عليه إن تجاوز عليه في كلامه، بل يستعمل الهدوء والوقار ويقصد مع ذلك وضع الحجة في موضعها فإن ذلك أغلظ على خصمه من السب.

(ب) ضوابط فنية علمية : ويمكن إجمالها فيما يأتي^(١):

١- أن يتخلى كلا الفريقين اللذين تصديا للمحاورة الجدلية حول موضوع معين عن التعصب لوجهة نظره السابقة وإعلانهما الاستعداد التام للبحث عن الحقيقة والأخذ بها عند ظهورها سواء كانت هي وجهة نظره السابقة أو وجهة نظر من يحاوره أو وجهة نظر أخرى.

وقد أرشدنا القرآن الكريم في "سورة سبأ" إلى الأخذ بهذه القاعدة إذ علّم الرسول ﷺ أن يقول للمشركين في مجادلته لهم: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ [سورة سبأ: ٢٤]، وفي هذا غاية التخلي عن التعصب لأمر سابق، وكمال الرغبة بنشيدان الحقيقة أنى كانت.

٢- أن يتقيد كلا الفريقين المتحاورين بالقول المهدب البعيد عن كل طعن وتجريح أو سخرية أو احتقار لوجهة النظر التي يدعيها أو يدافع عنها من يحاوره، وقد أرشدنا الإسلام إلى التقيد بهذه القاعدة في نصوص كثيرة، منها:

أ . قوله تعالى للمؤمنين في سورة العنكبوت: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦]، أي فإن سلك مجادلكم مسالك غير مهذبة القول

(١) ينظر: مناهج الجدل: ص ٤٣١-٤٣٨، ورسالة الآداب، ص ١٧٦-١٧٧، وأدب الحوار: ص ١٢-١٦، ١٩-٢٠، ومناهج البحث: ص ١٣٣-١٣٥.

فتقيدوا أنتم بكل قول مهذب واسلكوا كل طريقة هي أفضل وأحسن، وعبارة: ﴿بالتي هي أحسن﴾ تشمل بعمومها الأساليب الفكرية والقولية، وبهذا يتبين لنا أن المطلوب من المسلم أن يكون في مجادلته على حال أرقى وأحسن من الحالة التي يكون عليها من يجادله أدبًا وتهذيبًا.

ب. قوله في سورة الأنعام: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ [سورة الأنعام: ١٠٨].

٣- إحصار الحجّة والتزام الطرق الإقناعية الصحيحة لدى المجادلة، ومن هذه الطرق الصحيحة ما يأتي:

أ. تقديم الأدلة المثبتة أو المرجّحة للأموال المدعاة.

ب. إثبات صحة النقل للأموال المنقولة المروية^(١).

فالحجة إما أن تكون عقلية سليمة أو نقلية صحيحة، وهذان الأمران هما المقصودان بالقاعدة المعروفة عند علماء أدب البحث والمناظرة إذ يقولون، (إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدعيًا فالدليل)، وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى مضمون هذه القاعدة في نصوص كثيرة، منها:

أ. قوله تعالى: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [سورة النمل: ٦٤].

ب. قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ [سورة الأنبياء: ٢٤]. ففي هذين النصين يأمر الله رسوله محمدًا ﷺ بأن يطالب المشركين بتقديم برهانهم على ما يدعون، ويشمل البرهان في مثل هذا الإدعاء البرهان العقلي والبرهان النقلى الصادق عن رسول من رسل الله، وآية الأنبياء تشير إلى مطالبتهم بالبرهان النقلى حيث بيّن مراده من البرهان بعده مباشرة فقال: ﴿هذا ذكر من معي وذكر من قبلي﴾، أما آية النمل فتطالبهم

(١) ينظر: مناهج الجدال: ص ٤٣١-٤٣٣، ورسالة الآداب، ص ١٧٦، وأدب الحوار: ص ١٢، ١٩-٢٠، ومناهج البحث: ص ١٣٣.

بتقديم البرهان بشكل عام عقلياً كان أم نقلياً حيث لم يقيده بشيء فدّل على أن المراد كلاهما أو أحدهما.

٤- أن لا يكون المجادل ملتزماً في أمر من أموره بصد الدعوى التي يحاول أن يثبتها، فإذا كان ملتزماً بشيء من ذلك كان حاكماً على نفسه بان دعواه مرفوضة من وجهة نظره. ومن الأمثلة على سقوط الدعوى بسبب التزام المناظر بنقيض دعواه وقبوله له: استدلال بعض من أنكر رسالة محمد ﷺ بأنه بشر، وزعم هؤلاء أن الاصطفاء بالرسالة لا يكون للبشر وإنما يكون للملائكة أو مشروطاً بأن يكون مع الرسول من البشر ملك يرى، وفي اعتراضهم على بشريته قالوا: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ [الفرقان: ٧]، مع أنهم يعتقدون برسالة كثير من الرسل السابقين كإبراهيم وموسى وعيسى، وهؤلاء في نظرهم بشر وليسوا ملائكة، ولذلك أسقط الله دعواهم بقوله: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ [الفرقان: ٢٠].^(١)

٥- سلامة كلامه من التناقض، فلا يكون في الدعوى أو في الدليل الذي يقدمه المناظر تعارض أي لا يكون بعض كلامه ينقض بعضه الآخر فإذا كان كذلك كان كلامه ساقطاً بداهة. ومن أمثلة ذلك قول الكافرين حينما كانوا يرون الآيات الظاهرات التي تنزل على رسول الله ﷺ أنها سحرٌ مستمر، إذ قال تعالى في ذلك: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرًا مستمر﴾ [سورة القمر: ٢]، ففي قولهم هذا تعارض وتهافت ظاهر لا يستحق ردًا، وذلك لأن من شأن السحر كما يعلمون أن لا يكون مستمرًا، ومن شأن الأمور التي تستمر أن لا تكون سحرًا، أما أن يكون الشيء الواحد سحرًا ومستمرًا معًا فذلك جمع عجيب بين أمرين متضادين لا يجتمعان.

ونظير ذلك قول فرعون عن موسى عليه السلام إذ جاءه بسُلطان مبين من الحجج الدامغة والآيات الباهرة- أنه ساحر أو مجنون، قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسُلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون﴾

(١) ينظر: مناهج الجدول: ص ٤٣٤، ورسالة الآداب، ص ١٧٦.

[سورة الذاريات: ٣٨-٣٩]، وهذان أمران متضادان، ومن غير المقبول منطقيًا أن يكون الشخص الواحد ذو الصفات الواحدة مترددًا بين كونه ساحرًا وكونه مجنونًا، لأن من شأن الساحر أن يكون كثير الذكاء والدهاء وهذا أمر يتنافى مع الجنون تنافيًا كليًا، فكيف صحَّ في فكر فرعون هذا التردد^(١).

٦- أن لا يكون الدليل الذي يقدمه المجادل ترديدًا لأصل الدعوى فإذا كان كذلك لم يكن دليلًا وإنما هو إعادة للدعوى بصفة ثانية، وهذا ما يُسمَّى: (المصادرة على المطلوب)^(٢).

٧- عدم الطعن في أدلة المجادل إلا ضمن الأمور المبنية على المنطق السليم والقواعد المسلم بها لدى الفريقين.

٨- إعلان التسليم بالقضايا والأمور التي هي من المسلمات الأولى أو من الأمور المتفق عليها بين الفريقين المتناظرين، أما الإصرار على إنكار المسلمات فهو ممارسة مرفوضة في أصول المحاورات الجدلية السليمة، وليست من شأن طالبي الحق، فالثوابت والمسلمات لا يتحاور فيها ولا ينبغي تضييع الأوقات في مناقشتها.

٩- أن يتحرز المتحاوران من إطالة الكلام بشكل مُمل وبغير ضرورة، وكذا ينبغي أن يتجنبنا من اختصار الكلام بشكل يخل بالمقصود.

١٠- أن يتجنب المتحاوران غرابة الألفاظ وإجمالها وعدم وضوحها.

١١- أن يكون كلامهما ملائمًا للموضوع غير خارج عنه.

١٢- أن لا يتعرض أحدهما لكلام صاحبه (أي الخوض فيه سلبيًا وإيجابيًا) قبل أن يفهم غرضه منه^(٣).

(١) ينظر: مناهج الجدل: ص ٤٣٥.

(٢) ينظر: رسالة الآداب، ص ١٧٧، ومناهج البحث: ص ١٣٥.

(٣) ينظر: مناهج الجدل: ص ٤٣٦-٤٣٨، ورسالة الآداب، ص ١٧٦-١٧٧، وأدب الحوار: ص ١٩-٢٠، ومناهج البحث: ص ١٣٥.

١٣- قبول النتائج التي تُوصِل إليها الأدلة القاطعة أو الأدلة المرجحة، وإلا كانت المجادلة من العبث الذي لا يليق بالعقلاء أن يمارسوه. فعلى المغلوب أن يسلم للغالب وهذا من طلب الحق، قال ﷺ: ((الكبر بطل الحق وغمط الناس))^(١)، وبطل الحق ردُّه، فالتسليم بالنتائج واجب، سواء على المحاور أو المحاور.

وأخيراً، أقول: هذه مجموعة قيمة من آداب وضوابط البحث والمناظرة جمعتها في هذا المطلب ليكون المجادل على بصيرة عندما يدخل غمار المعترك الجدلي، فيبقى ثابت الجأش واضح المنهاج في طلب الحق وتقريره وقمع الباطل وإزهاقه، فنرجو على الباحثين أن يلتزموا بها ويلاحظوها لكي يرتقوا في مناظراتهم إلى المستوى الذي يحبه الله ويرضاه ويكونوا قدوةً لغيرهم وأنموذجاً للباحث الموضوعي والناجح في بحثه ونقاشه.



(١) صحيح مسلم: ٩٣/١ (برقم: ١٤٧).

المطلب الثاني

أثر مراعاة آداب البحث والمناظرة في اختلاف الفقهاء

إنَّ الحوار والمناقشة مهما بلغ لا يمكن أن يقضي على التباين في وجهات النظر، وإنما يضيِّق مداها ويُسهم بالوصول إلى المساحة الأكبر من التفاهم وبناء المشترك البشري وزيادة دائرة التفاهم. ونحن اليوم بحاجة إلى الاعتراف بالاختلاف، والتيقن من سرَّ أنه الخلق، وفطرة الله التي فطر الناس عليها، وأنه لا سبيل إلى تبديل خلق الله، وأنَّ كرامة الإنسان أصلاً منوطة بأنه أهلٌ لحرية الاختيار، وليس مبرمجاً على الطاعة وعدم المعصية كالملائكة، وأن هذا الاختيار يمكن أن يؤدي به إلى الطاعة أو إلى المعصية، وأن المسؤولية الشرعية هي فرع لحرية الاختيار، وأن ممارسة الأهلية والإنسانية (الاختيار) تعني القبول بالتباين والاختلاف في وجهات النظر، تبعاً للتباين بالمواهب والإمكانات والكسب العلمي والمعرفي، وهكذا سنة الحياة، إذ تستحيل الحياة وتصبح لا معنى لها، ولا تدفق لمجرها، إذا كان الناس جميعاً نسخة مكررة، ولا أدل على ذلك من الحال التي انتهت إليها الأنظمة الشمولية والدكتاتورية، حيث فشلت وسقطت. فالخلاف والتنوع الواقع تاريخياً في الحياة الإسلامية، كان وراء الإنتاج الضخم من التراث العلمي والثقافي وإنضاج الكثير من المناهج والقواعد والعلوم، فهذا الكم الهائل من العطاء الفكري والفقهي والمنهجي في التراث الإسلامي، ما هو إلا ثمرة لحرية التفكير والخلاف والتنافس، ولا أعتقد أن أي دين أو أية عقيدة شكلت قيمها محرضاً ثقافياً وفكرياً كحال العقيدة الإسلامية وكتابها الخالد القرآن، الذي كان الأساس الذي تمحورت حوله سائر الجهود الذهنية، وبقيت على تباينها واختلاف مناهجها مقرة بمشروعيتها العليا^(١).

(١) ينظر: اتحاف الغرب بأن الخلاف شر، الشيخ أمين المصلح، إصدارات الاتحاد الإسلامي للإصلاح

ولعل القضية الأهم تبقى: كيف ندير الخلاف، وكيف نتربى على قبوله، والإقرار بأنه حق إنساني، بل حق وواجب إسلامي، ونتعلم كيف نختلف، لأن ذلك ليس أقل شأنًا من أن نتعلم كيف نتفق، وكيف نصل إلى مرحلة الاعتراف بالآخر، وأن له كل الحق أن يكون له رأي كما أن لنا رأياً، وأن أدب الخلاف يعتبر من أرقى الآداب الإنسانية وأعلى مراتب الأخلاق، وأن الانغلاق والتعصب طفولة بشرية، فلا يجوز أن يتحول العلم إلى لجاج وبغي ومدعاة للتفرق، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ [الشورى: ١٤]. فإذا أحسننا إدارة الخلاف وتحلينا بأدبه، تحول إلى خلاف تنوع وتكامل وتعاون ونمو، وأصبح علامة صحة وإثراء وإغناء وإفادة من جميع العقول، بل ما شرعت الشورى إلا كآلية لإدارة ذلك والاستفادة من جميع الخبرات، فالحكمة ليست حكراً على شخص أو على أمة أو على مرحلة تاريخية دون سواها، ولكنها ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها. أما إذا فشلنا في إدارة الخلاف، تحول إلى تضاد وتبعثر وتفرق، وأصبح خطراً ماحقاً.

وإدارة الخلاف تعني معرفة كيفية الانتهاء والوصول إلى الرأي الراجح، ومن ثم اقتراحه بالتنفيذ، مع الاعتراف ببقاء ووجود المرجوح، فقد تتغير الظروف وتأتي معطيات التطبيق ليصبح المرجوح راجحاً، لذلك نرى أن الاجتهادات والمدارس الفقهية الكثيرة، وتعدد الآراء، حتى على مستوى المذهب الواحد، حيث يخالف الإمام تلامذته أو التلامذة إمامهم إذا تبينت لهم قرينة، تشكل مساحات خصبة لاختيار الاجتهاد الملائم ومن ثم اعتماده للتنفيذ، فالقضاء الملزم في أصله لا يخرج عن أن يكون رأياً اجتهادياً اختير من بين سائر الآراء لملاءمته، واقترن بالتنفيذ والإلزام، دون التضييق على العقول والاجتهادات الأخرى، التي بقيت لها حرية النظر والتي تبقى قرائن ودلالات واجتهادات مساندة ومحققة للقضاء القانوني، لكنها ليست قانوناً ملزماً^(١).

والدعوة، بغداد، ط ١، ٢٠١١م: ص ٤٩-٥٠.

(١) ينظر للتوسع في ذلك: الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، الأستاذ الدكتور صلاح الصاوي، دار الأندلس الخضراء، ط ١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، والبحوث المقدمة لمؤتمر مكة

ولعل تراثنا الفقهي والفكري ومدارسنا الاجتهادية واجتهاداتنا السياسية التاريخية، حتى ضمن إطار المذهب الواحد، بدءاً من اجتهادات الصحابة وخلافاتهم، وهم خير القرون، ومروراً بالمذاهب الفقهية والفكرية، دليل على مدى حرية الرأي التي شرعها الإسلام بعيداً عن الإرهاب الفكري والتعصب الفقهي ومحاولات إقصاء الرأي الآخر.

ونحن اليوم بحاجة إلى إعادة النظر في مناهجنا التربوية والفقهية والفكرية، وتأصيل واقعية الخلاف وأدب الخلاف وسنة الخلاف، ابتداءً من الأسرة وانتهاءً بالمنتديات والجامعات؛ والاستزادة من دراسة المقارنات، من فقه ولغة وأدب ومذاهب وأديان، وامتلاك أدوات البحث العلمي والموضوعي، التي تمكننا من استيعاب رأي المخالف، وكيفية التعامل معه، والإفادة منه، وإدارته^(١).

إن آفات التعصب الفقهي والفكري والمذهبي والحزبي والطائفي والعنصري تشكل خطورة كبيرة عندما تستشري وتصل إلى مرحلة الوباء الاجتماعي وتصبح مصلحة لبعض القائمين عليها، ومن ثمّ يكون التوارث الاجتماعي، فتقام الخنادق والحواجز والأسوار الفكرية والفقهية والنفسية حولها، وغاية ما في الأمر من الناحية العلمية والثقافية يصبح إعادة إنتاج الماضي والانغلاق عليه، والتفتيش ليس عن الحقيقة والدليل والقيام بالمقارنة والترجيح، وإنما التفتيش عن المسوغات والانتقاء للاعتداد بالرأي، بل قد تصل إلى محاولة ليّ عنق النص -حتى المحكم منه- وتقديم قول صاحب المذهب أو الإمام أو المجتهد أو الشارح المظنون القابل للخطأ على قول الشارع القطعي المعصوم، وبذلك تنتقل صفة الخلود من النص الإلهي إلى اجتهادات البشر، فيصبح الرأي الاجتهادي مقدساً لا يُمسّ وصالحاً لكل زمان ومكان. ولعل من النعم الكبيرة، أن جعل الإسلام الاختلاف في وجهات النظر والتباين بالأراء والتعددية بالأفكار، لا يؤدي إلى التفرق في الدين، أو

المكرمة الثالث عشر الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي تحت عنوان: (المجتمع الإسلامي... الثوابت والمتغيرات)، واتحاف الغر: ص ٤٩، ٨٣، ١٢٧-١٦٦.

(١) ينظر: اتحاف الغر: ص ٨٣-٨٤.

تفريق الدين ووجود الشيع الذي نهى الله عنه بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢]، ذلك أن التعددية والتباين والاختلاف في وجهات النظر إنما تتمحور حول النص المعصوم المأخوذ من الوحي، الذي يشكل مشروعية ومرجعية شرعية تؤطر الخلاف في الوقت نفسه، كما يشكل معيار التقويم الذي يحدد الخلل ويبين الخطأ، فالنصوص المحكمة، واضحة الدلالة في الكتاب والسنة، هي التي تؤسس وترسي قاعدة الوحدة ومنهج النظر ومساحة المتفق عليه، وهي تمثل المعايير التقويمية لكل الاجتهادات والآراء المتعددة، وفي المقابل نرى أن النصوص الظنية الدلالة تجعل المجال رحباً أمام العقل ليدرك أقصى ما يستطيع^(١).

ولقد جاء التراث الإسلامي في مجالات المعرفة جميعاً غنياً بوجهات النظر، لدرجة أنه استوعب كل الاحتمالات الممكنة للنظر مع أدلتها، إلا أن هذا الطيف الواسع، الذي يتمحور حول النص (الوحي)، لم يفقد الأمة الانتماء، بحيث استطاعت أن تبقى متماسكة وممتدة وقادرة على العطاء خلال خمسة عشر قرناً، بينما الكثير من الأمم والحضارات التي سادت سرعان ما بادت. فمساحة المتفق عليه أو مساحة المشترك، التي أورثتها الآيات المحكمة، وبيان حدودها، وتنزيلها من قبل سيرة الرسول ﷺ، جعلت نسيج الأمة الذهني متماسكاً، ومعاييرها موحدة، ورؤيتها متقاربة. كما أن الآيات ظنية الدلالة فتحت المجال واسعاً، وحرضت العقل المجتهد على بلوغ الآفاق الفكرية في مختلف الميادين^(٢).

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) إلا إنه ينبغي التنبيه إلى أن الخلاف المعتبر الذي لا إنكار عليه، هو الخلاف القوي الذي لا يصادم نصاً ولا إجماعاً للعلماء، ويكون منضبطاً بقواعد الاستنباط التي قررها العلماء، فهذا الخلاف لا إنكار عليه، وإنما تجري فيه المناظرة لمن تأهل لها، وأما إذا كان الخلاف ضعيفاً أو غير معتبر، فحينئذ الإنكار جارٍ فيه حسب قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي بيّنها أهل العلم، والله أعلى وأعلم. ينظر في تفاصيل ذلك: لا إنكار في مسائل الخلاف، د.عبد السلام مقبل، المكتبة العربية، ٢٠١٢م.

ولقد كان ذلك واضحاً ابتداءً من جيل الصحابة واختلافهم في وجهات النظر والاجتهاد، والرسول ﷺ بين ظهرائهم وإقراره ذلك، كما بقي واضحاً في أذهان الرواد طيلة مسيرة الأمة الثقافية، ولم يحصل الضيق به إلا في فترات التعصب وذهاب العلم وسيادة التقليد، يقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالاً، وإذا اختلفوا فأخذ رجل يقول هذا ورجل يقول هذا كان في الأمر سعة»^(١)، ويقول إسماعيل القاضي: «إنما التوسعة في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ توسعة في اجتهاد الرأي، فأما أن تكون توسعة لأن يقول إنسان بقول واحد منهم من غير أن يكون الحق عنده فيه فلا، ولكن اختلافهم يدل على أنهم اجتهدوا فاختلّفوا»^(٢)، ويقول الشاطبي رحمه الله: «فإن الله حكم بحكمته أن تكون فروع هذه الملة قابلة للأنظار ومجالاً للظنون، وقد ثبت عند النظار أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة، فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف، لكن في الفروع دون الأصول، وفي الجزئيات دون الكلّيات، فلذلك لا يضرها هذا الاختلاف»^(٣).

وبعد ذلك أقول: يمكن إجمال أهمية علم البحث والمناظرة ومراعاة آدابه وقواعده في تنظيم مسائل الخلاف بين العلماء عموماً وبين الفقهاء خصوصاً، ويمكن بيان ذلك من وجوه عدة، وكما يأتي:

أولاً: تحديد موطن الخلاف، وعدم توسعة شقة الخلاف فيما لا يجوز الخلاف فيه أو لا فائدة فيه. الأمر الذي يجعل الخلاف علمياً ومحصوراً بين أهل العلم وطلّبه، فلا يتجرأ عوام الناس على اقتحام هذه الميادين، وبالتالي تُنهي الكثير من الخلافات الجدلية وغير المبررة بين عموم الناس.

وهذا يعني الالتزام بالقواعد العامة للحوار، ومن ذلك اعتماد العقل والمنطق،

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٨٠/٣٠.

(٢) ينظر: جامع بيان العلم، ابن عبد البر: ٨٢/٢.

(٣) ينظر: الاعتصام للشاطبي: ص ٢٣.

فينبغي أن يلتزم أطراف الحوار بالطرق المنطقية السليمة أثناء المحاور، وأبرز معالم هذا الالتزام هو:

١- تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة لكل فرضية يقدمها المحاور.

٢- صحة النقل للنصوص المنقولة والمروية.

ومن هنا أخذ علماء آداب البحث والمناظرة قاعدتهم المشهورة التي يقولون فيها: (إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدّعياً فالدليل)، وقد وردت الإشارة إلى مضمون هذه القاعدة في كثير من الآيات القرآنية التي تطالب الطرف (الآخر) بتقديم البراهين والحجج المنطقية، منها قوله تعالى: ﴿أَمْ نَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْلَىٰ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]، فنجد أن المحاور في القرآن الكريم تعتمد على العقل والمنطق، ولا تتأثر بأي عامل أو مؤثر خارجي، ولا شك أن الحوار الذي يعتمد على الحجة الواضحة والدليل المنطقي القوي سيؤدي في النهاية إلى الحرية في التفكير، والتخلص من التعصب والانحياز^(١).

ومن القواعد التي تنظم الحوار أيضاً أن لا يكون في دعوى المناظر (المحاور) أو في دليله الذي يقدمه تعارضٌ واضح، أو أن يكون بعض كلامه ينقض بعضه الآخر، فإذا كان كذلك كان كلامه ساقطاً وفكرته لاغية، ذلك أن التناقض في الأفكار يجعل المحاور صيداً سهلاً لغريمه ومحاوره، بحيث يدينه من خلال طروحاته المتناقضة وأفكاره المتباينة دونما حاجة إلى عناء ومشقة. فالتناقض في الفكرة والتباين في طرحها يجعل كلام المُحاور متهافتاً لا يُلتفت إليه، ولا يستحق صاحبه إجابة؛ لأنه متهرب من منطق الحق بعيد عن الموضوعية العلمية.

كما أن من قواعد الحوار الأساسية هو إبراز الهدف الذي تدور حوله المحاور، مع التركيز على أن تكون الغاية واضحة والهدف محدداً ومقبولاً من النفوس والمشاعر بعد

(١) ينظر: اتحاف الغر: ص ١٢٧-١٥١، ورسالة الآداب، ص ١٧٦-١٧٧، وأدب الحوار: ص ١٩-٢٠.

اجتيازه مرحلة القبول العقلي^(١).

وأيضاً لا ننسى أن من أشد الأمور ضرورة للوصول بالحوار إلى هدفه وتحقيقه لغاياته هو توفر الأجواء الهادئة للتفكير الصحيح، الذي يمثل فيه الإنسان نفسه وفكره، والابتعاد عن الأجواء الانفعالية التي تبعد الإنسان عن الوقوف مع نفسه وقفة تأمل وتفكير؛ لأن الانخراط في محيط الأجواء الانفعالية يفقد المحاور استقلاله الفكري وشخصيته المميزة، فيبتعد عن الحقيقة، أما الفكر الهادئ الواعي فإنه يضع القضية في موقعها الطبيعي لينتهي بالإقرار بنتيجة المحاورة، سلباً أو إيجاباً، وفي هذا السياق يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِيُوحَدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، فقد دعا القرآن الكريم إلى التجرد عن الأجواء الانفعالية في حال أردنا أن نتبنى فكرة أو نرفضها، أو ننسجم مع موقف أو نبتعد عنه، حيث نقل القرآن الجو الانفعالي لأعداء النبي ﷺ والذي كان مسيطراً على التجمع العدائي، ودعاهم إلى الانفصال عن هذا الجو المحموم، بأن يتفرقوا مثنى وفردى في موقف تفكير وتأمل ليصلوا إلى النتيجة الحاسمة، حيث إن التفكير الهادئ سوف يعيد الأمور إلى نصابها ويفرض تلك التهمة جملة وتفصيلاً^(٢).

ثانياً: توجيه الاختلاف العلمي بين أهل العلم بالاتجاه الذي ينهض بالبحث والدراسة، والوصول بهما إلى حلول إيجابية ومتنوعة مثمرة، وكما يأتي:

من خلال الانضباط بقواعد البحث وآدابه يتضح لنا الخلاف الواقع: هل هو خلاف حقيقي أو غير حقيقي.

إن كان الخلاف غير حقيقي، بأن كان خلافاً لفظياً، لا فرق فيه أو لا ينتج عنه فائدة

(١) ينظر: اتحاف الغر: ص ١٥١-١٦٦، ومناهج الجدل: ص ٤٣٦-٤٣٨، ورسالة الآداب، ص ١٧٦-١٧٧، ومناهج البحث: ص ١٣٥.

(٢) ينظر: اتحاف الغر: ص ١٥١-١٦٦، ورسالة الآداب، ص ١٧٦، وأدب الحوار: ص ١٩.

علمية أو عملية، فحينئذ يلزم عدم وجود مبرر للجدال والخضام أو أي إشكال علمي أو عملي.

إن كان الخلاف حقيقياً فيلزم على الباحثين زيادة التدقيق والتمحيص في المسألة، مع الانضباط بقواعد الحوار العلمي الهادف واحترام الرأي الآخر للمخالفين. وعموماً، فهذا يعني ذلك إعداد خطة علمية للحوارات العلمية، أي وجود ضوابط نظامية تحكم عملية الحوار، وتناهى به عن أن يكون ارتجالاً واعتباطاً، خاصة إذا كان ذلك الحوار بين مدرستين فكريتين، أو اتجاهين علميين، والقيام بإعداد خطة علمية يقتضي اللجوء إلى أربع خطوات هي:

١- تحديد الموضوع.

٢- تحديد المصطلحات والمفاهيم.

٣- تحديد الغاية والهدف.

٤- تحديد الإجراءات والآليات.

• تحديد موضوع الحوار والنقاش العلمي:

فلا بد من تحديد الموضوع قبل بدء عملية التحاور، لأن موضوع الحوار هو جوهر العملية برمتها، وإذا ما جرى الاتفاق على ذلك كان الحوار معلوماً وواضحاً للأطراف المشاركة فيه، وسواء كان موضوع الحوار قديماً أو معاصراً فإن تحديده عامل أساس من عوامل نجاح المحاور؛ لأن تحرير محل النزاع يضمن عدم تحوّل الحوار إلى نوع من اللجاج، كما أنه يضمن عدم تشتت الأفكار وضياعها بسبب غموض الفكرة وعدم وضوحها، إضافة إلى أن عدم تحديد الموضوع لا يتيح فرصة للحكم عليه، فالقاعدة العلمية تقول: (الحكم على الشيء فرع عن تصوره) فلا يمكن إصدار حكم في مسألة معينة بدون تحديد عناصرها وملامحها الأساسية^(١).

(١) ينظر: مناهج الجدل: ص ٤٣٧-٤٣٨، ورسالة الآداب، ص ١٧٦-١٧٧، وأدب الحوار: ص ١٩-٢٠، ومناهج البحث: ص ١٣٥.

• تحديد المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في المناظرة:

إذ يتطلب الحوار الاتفاق على معاني هذه المصطلحات والمفاهيم؛ لأنه إذا أصبحت المصطلحات محل نزاع وخلاف بين المتحاورين فهذا يعني أن مهمتهم تزداد عناء ومشقة ولا يستطيعون مواصلة الحوار، بل ربما يتوقفون عنه في منتصف الطريق، لاختلافهم في تفسيرها.

• تحديد الغاية والهدف من المناظرة:

إذا ما كان الحوار صادقاً ونافعاً فلا بد أن يحدد له هدف يمكن الإشارة إليه صراحة، ويمكن الإشارة إليه ضمناً، ومهما يكن من أمر، فإن أهداف الحوار لا تخرج عن الوصول إلى تفسير متفق عليه حول موضوع المحاورة، أو الرغبة في تخطي حالة العقم أو الانغلاق الفكري^(١).

• تحديد الإجراءات والآليات التنظيمية المساعدة في عملية التحاور:

يجب أن تكون هذه الإجراءات التنظيمية والأدوات واضحة ومحددة من خلال ضرورة التأكد من صحة المعلومات المعروضة في الحوار، وضرورة مناقشة القضايا دون أن يكون في الذهن قرار مسبق أو حكم ثابت أو موقف صارم، مع ضرورة الاستئناس بذوي الخبرة والمختصين الذين لهم علاقة بالموضوع المطروح للمناقشة، وكذلك استخدام المناهج العلمية والمنطقية أثناء الحوار من خلال التفكير والتحليل والاستنباط ليكون الحوار عقلاً، وترتيب عناصر الحوار خطوة خطوة، وصولاً إلى الكليات والنتائج الكبرى، التي هي هدف الحوار وغايته^(٢).

وهناك شروط أخرى ذكرها العلماء في الكتب المختصة بآداب البحث والمناظرة، نشير إلى أبرزها فيما يأتي:

(١) ينظر: المصادر نفسها.

(٢) ينظر: لا إنكار في مسائل الخلاف، د.عبد السلام مقبل، المكتبة العربية، ٢٠١٢م: مقدمة الأستاذ عمر عبيد، وآداب البحث، الشنقيطي: ص ٧٦ وما بعدها، وضوابط المعرفة: ص ٣٧٢-٣٧٩.

أن يكون المتناظران على معرفة تامة بما يحتاجا إليه من قوانين المناظرة وقواعدها حول موضوع المناظرة.

أن يكونا على معرفة بالموضوع الذي يتناظران فيه، حتى يتمكن كل واحد منهما من الإحاطة بعناصر القضية بكل جوانبها، فإذا تكلم لم يخبط خبط عشواء ولم يناقش في البديهيات بغير علم، وإذا ألزم بالحق التزم به من غير مكابرة.

أن يكون موضوع المناظرة مما يجوز أن يجري فيه التناظر وتختلف فيه وجهات النظر، فالمفردات والبديهيات الجلية لا تجرى فيها المناظرة أصلاً.

أن يجري المتناظران مناظرتهما على عرف واحد ومصطلح متفق عليه، فإذا كان كلام أحدهما جارياً على عرف الفقهاء مثلاً فلا يجوز أن يكون كلام الطرف الآخر جارياً على عرف النحاة؛ لأن المناظرة في هذه الحالة لا يكون فيها قاسم مشترك يجمع الطرفين^(١).

وأخيراً أقول: إن مقومات الحوار تتطلب توفر أركانه متمثلة بالطرفين المتحاورين، والقضية التي يجري الحوار بشأنها، كما أن مقومات الحوار تتطلب جملة من القواعد والأسس التي تتعلق بالعملية الحوارية من خلال اعتمادها على العقل والمنطق، وعدم التناقض في المقدمات والأدلة، وإنصاف الخصم وحمائيته، وتحديد الغاية والهدف، وتوفير الأجواء الهادئة والمناسبة للتفكير السليم، وإعداد خطة علمية مبرمجة للشكل والمضمون، وبهذا نضمن حواراً علمياً ومنطقياً يعتمد الحجة والدليل، ويقدم الفكرة بعقلية مرنة وأسلوب واضح، بعيداً عن الأهواء والشهوات.

* * *

(١) لقد فصلت هذه الآداب والضوابط المرعية في المناظرة في: (المطلب الأول من المبحث الثاني) من هذا البحث، فلتراجع.

وللتوسع في مسائلها ينظر: مناهج الجدل، ورسالة الآداب، وأدب الحوار، ومناهج البحث، وضوابط المعرفة.

الخاتمة والنتائج

وبعد أن استكملنا رحلتنا في عالم المناظرة وآدابها المستوحاة من وحي الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة وقواعد العقل السليم والقيم الإنسانية العليا، فيمكننا أن نخلص إلى أهم النتائج والمقترحات الآتية:

هناك تعريفات كثيرة للمناظرة والجدل، ويلاحظ أن أغلب معانيها تدور حول المنازعة في الكلام على سبيل إلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات دعوى المتكلم، وقد أخذت هذه التعريفات الطابع المنطقي الذي يطغى على منهج أصحابها.

أن المناظرة تارة تكون بالحق وتارة تكون بالباطل، ومعلوم أن الحكم يدور بدوران علته، فحيث وجد الجدل بالباطل كان محرماً، وحيث وجد الجدل بالحق كانت المناظرة مباحةً أو واجبةً.

إن الخلاف والتنوع الواقع تاريخياً في الحياة الإسلامية، كان وراء الإنتاج الضخم من التراث العلمي والثقافي وإنضاج الكثير من المناهج والقواعد والعلوم، فهذا الكم الهائل من العطاء الفكري والفقهني في التراث الإسلامي، ما هو إلا ثمرة لحرية التفكير والخلاف. أطلق اسم: (آداب البحث والمناظرة) على الضوابط والقواعد والآداب التي ينبغي أن يتقيد بها المتناظران حول موضوع معين، وقد كان هذا الفن أبحاثاً متفرقة غير منسقة وغير كاملة، وكانت موزعة في شتى العلوم التي يدخل فيها الجدل، كالمنطق والفلسفة وعلم الكلام وعلم أصول الفقه وعلم الفقه.

وعندما كثر الجدل بين علماء الكلام وبينهم وبين الفلاسفة والملاحدة وأنصار الديانات المخالفة للإسلام، وبين الفقهاء والأصوليين حول الخلافات الفقهية والأصولية، كل ذلك اقتضى أن تضبط المحاوراة بين المتناظرين وتوضع في فن مستقل، وبعد ذلك أخذ العلماء يضبطون مناظراتهم وفق قواعد هذا الفن.

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

لم يكتف علماء الإسلام -وخصوصاً الفقهاء والأصوليون- بإنتاج المادة الأصولية، بل تعدوها إلى إنتاج وصياغة مادة جدالية كثيرة، من حيث بيان الأدلة وكيفية الاعتراض عليها وأنواع هذه الاعتراضات والإجابة عن كل واحدٍ منها، وقد خصصت مطلباً في الكلام عن منهج المناظرة عند العلماء والأسئلة والاعتراضات التي ترد على المتناظرين، فتحدثت عن الدعوى والدليل والاعتراض، وإظهرت هذه المنهجية من خلال بيان الهيكل العام للمناظرة (الدعوى، والدليل، والاعتراضات).

إن هناك آداب وضوابط ينبغي على كل فقيه أو طالب علم أن يتقيد بها لكي يكون صادقاً بعمله ناصحاً بقوله مثمراً في حوارهِ.

إنَّ من القضايا التي نحتاجها اليوم هي: (كيف ندير الخلاف، وكيف نتربى على قبوله، والإقرار بأنه حق إنساني، بل حق وواجب إسلامي، ونتعلم كيف نختلف)؛ فإذا أحسنا إدارة الخلاف تحول إلى خلاف تنوع وتكامل وتعاون.

تكمن أهمية علم البحث والمناظرة -ومراعاة آدابه وقواعده- في تنظيم مسائل الخلاف بين العلماء عموماً وبين الفقهاء خصوصاً، فمقومات الحوار تتطلب جملة من القواعد والأسس التي تتعلق بالعملية الحوارية من خلال اعتمادها على العقل والمنطق، وعدم التناقض في المقدمات والأدلة، وإنصاف الخصم وحمائته، وتحديد الغاية والهدف، وتوفير الأجواء الهادئة والمناسبة للتفكير السليم، وإعداد خطة علمية مبرمجة للشكل والمضمون، وبهذا نضمن حواراً علمياً يعتمد الحجة والدليل، ويقدم الفكرة بعقلية مرنة وأسلوب واضح، بعيداً عن الأهواء.

إنَّ الحوار والمناقشة مهما بلغت لا يمكن أن تقضي على التباين في وجهات النظر، وإنما تضيّق مداها وتسهم بالوصول إلى المساحة الأكبر من التفاهم وبناء المشترك البشري وزيادة دائرة التفاهم، فإدارة الخلاف تعني معرفة كيفية الانتهاء والوصول إلى الرأي الراجح، ومن ثم اقتراحه بالتنفيذ، مع الاعتراف ببقاء ووجود المرجوح، فقد تتغير الظروف وتأتي معطيات التطبيق فيصبح المرجوح راجحاً.

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا، وسبحان ربك
ربّ العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين .

* * *

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم.
- اتحاد الغرب بأن الخلاف شر، أمين المصلح، إصدارات الاتحاد الإسلامي للإصلاح والدعوة، بغداد، ط١، ٢٠١١م.
- إحكام الفصول في أحكام الأصول، أبو الوليد الباجي، تحقيق عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، تحقيق الشيخ احمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
- آداب البحث والمناظرة، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٣٨٨هـ
- أدب الحوار، الشيخ الدكتور عائض القرني، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- الأساليب الصحيحة في إسداء النصيحة، أنور أحمد موسى العاني، مكتبة الرشد، بغداد، ١٩٩٨م.
- إيضاح شواهد الإيضاح، أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي، تحقيق: د. محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- التعريفات، للجرجاني، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.
- التقريب لحد المنطق، الإمام ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٣م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ
- حاشية الصبان، العلامة الشيخ محمد بن علي الصبان، على (شرح آداب البحث) لمنلا

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

حنفي، وهي رسالة تستهل بـ(متن الآداب العضدية) وتثنى بشرح هذه الآداب لمنلا حنفي، مطبعة تونس، ١٣٤٤هـ.

درء تعارض العقل والنقل، للشيخ العلامة أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، دار الكتب الوطنية، القاهرة، د.ت.

ديوان الإمام الشافعي، طبعة دار العلوم، بيروت، د.ت.

رسالة الآداب في البحث والمناظرة، الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، د.ت.

رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ط ٣، ١٩٨١م.

سنن ابن ماجه، الحافظ ابن ماجه، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.

سنن أبي داود، الحافظ أبي داود سلمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر، بيروت، د.ت.

سنن الترمذي، الحافظ أبي عيسى الترمذي، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، د.ت.

سنن النسائي، الحافظ أبي عبد الرحمن النسائي، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.

شرح عبد الوهاب على الولدية في آداب البحث والمناظرة، للشيخ عبد الوهاب بن ولي الدين الأمدي، دار نور الصباح، سوريا، ط ١، ٢٠١٢م.

شرح اللمع، أبو إسحاق الشيرازي، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.

صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة المصرية، القاهرة، د.ت.

صحيح مسلم، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، طبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، د.ت.

ضوابط المعرفة، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، بيروت، ط ١، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٩٨٠م.
في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المؤسسة الحديثة، البيضاء،
ط ١، ١٩٨٧م.

الكافية في الجدل، الإمام الجويني، تحقيق فوفية حسين، مطبعة عيسى البابي الحلبي،
القاهرة، ط ١، ١٩٧٩م.

لسان العرب، لابن منظور، مطبعة بولاق، القاهرة، د.ت.

المزن الماطر على الروض الناظر في آداب المناظر، الحسين بن أحمد السياغي، مركز
الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط ١، ١٩٨٤م.

مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، د.ت.

المصباح المنير، الفيومي، المطابع الأميرية، القاهرة، د.ت.

المعونة في الجدل، أبو إسحاق الشيرازي، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب
الإسلامي، ط ١، ١٩٨٨م.

مفتاح الوصول في علم الأصول، الشريف التلمساني، منشورات مكتبة الوحدة العربية،
البيضاء، د.ت.

مقاييس اللغة، ابن فارس، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.

مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة، د. فرج الله عبد الباري، دار الأفاق، القاهرة، ط ١،
د.ت.

مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر عواض الألمعي، مطابع الفرزدق، القاهرة، د.ت.
منطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث، عادل فخوري، دار الطليعة، بيروت، ط ٢،
١٩٨١م.

المنطق عند الفارابي، تحقيق رفيق العجم، دار المشرق، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.
المنهاج في ترتيب الحجج، أبو الوليد الباجي، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب
الإسلامي، ط ٢، بيروت، ١٩٨٧م.

علم البحث والمناظرة آدابه وأثره في إختلاف الفقهاء

الموافقات في أصول الأحكام، الإمام الشاطبي، دار الفكر، د.ت.
 نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، الإمام الحافظ أحمد ابن حجر
 العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض،
 ط ١، ١٤٢٢هـ

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.

* * *

التكامل السياقي القرآني
وأثره في إظهار الإعجاز العلمي
آيات إنشاء المطر وإنزاله إنموذجاً

الدكتور

شاكر محمود حسين

كلية الإمام الأعظم «رحمه الله» الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على النَّبِيِّ الأَمِيِّ الأَمِينِ وعلى آله وصحبه أجمعين، وَمَنْ تبعهم بإحسانٍ، إلى يوم الدين.

وبعد: كَثُرَت المؤلفات والبحوث والندوات والمؤتمرات، والأحاديث في وسائل الإعلام عن الإعجاز العلمي في العقود الأخيرة، وذلك لما وصل إليه الجهد البشري من اكتشافات في العلوم كافة، ومطابقة بعض هذه العلوم للإشارات والحقائق العلمية التي ذُكرت في القرآن الكريم، واعتماد كثير من دعاة الأُمَّة الإسلامية عليها في نشر الدعوة.

ومصدراً لقوله تعالى ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١) وقوله ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٢)، وانطلاقاً من أسلوب التكامل السياقي، وهو أحد أساليب التفسير التي تُساعد المفسر في الكشف عن المحذوفات والمجملات والمبهمات والمشكلات، في مواضع اختصر فيها القول، وهو نوع من أنواع تفسير القرآن بالقرآن الذي اعتمد عليه المتقدمون والمتأخرون.

لذا اتخذت منه وسيلة للوصول إلى معرفة الإعجاز العلمي من كتب التفسير (حصراً)^(٣) في موضوع (إنشاء المطر وإنزاله) بدءاً من مرحلته الأولى، وهي إنشاء بخار الماء المتصاعد من البحار والمحطات وانتهاءً بمرحلته الأخيرة، وهي نزوله من بين السحاب. والهدف من هذا البحث إثبات أنَّ التكامل السياقي يُرشد إلى دقائق الإعجاز العلمي

(١) سورة الأنعام: الآية: ٣٨.

(٢) سورة النحل: الآية: ٨٩.

(٣) وذلك لتدليل على أن مفسري الأُمَّة الإسلامية، ولاسيما سلفها الصالح قد وفقهم الله إلى معرفة بعض من التفسيرات العلمية لآي القرآن الكريم والتي كان السبق لهم في ذلك.

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

وإشارات في القرآن الكريم، قبل أن تكتشف، ومن ثمّ تقديمها إلى الباحثين المختصين للبحث عنها والوصول إليها، أيّ الانتقال من أسلوب المطابقة إلى أسلوب التطبيق^(١). واقتضت طبيعة البحث أن يقسم على مقدمة ومبحثين وخاتمة. المقدمة: بيّنت فيها أهمية أسلوب التكامل السياقي وأثره في إظهار الإعجاز القرآني، هدف البحث، وخطته.

المبحث الأول: خصصته للدراسة التفسيرية على وفق أسلوب التكامل السياقي. المبحث الثاني: بينت علاقة التكامل السياقي بأسلوب المطابقة والتطبيق وأهم الاستنتاجات والأسئلة العلمية. الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج. وختاماً لا أدعي أنني أصبتُ في كلّ ما كتبت وإنّما هي محاولة في خضم محاولات، فإن أصبت فذلك بتوفيق الله، وإن أخطأت فمني، أو من الشيطان.

* * *

(١) سيتم تفصيل القول فيهما في المبحث الثاني.

المبحث الأول

الدراسة التفسيرية

التكامل السياقي^(١) لآيات إنشاء المطر وإنزاله

المطلب الأول

آيات إنشاء المطر وإنزاله

وردت في القرآن الكريم أكثر من آية أخبرت عن عملية إنشاء المطر وإنزاله وهي كالاتي^(٢) على وفق ترتيب المصحف العثماني الشريف:
قوله تعالى: ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِأَيْدِي لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ١٦٤.

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيْمَنٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف: ٥٧.

(١) هو عبارة عن جمع الآيات ذات الموضوع الواحد التي يكمل بعضها البعض في إعطاء الصورة النهائية لذلك الموضوع، وقد أفرده الباحث أبو صفية بكتاب، ينظر: التكامل السياقي (دلالة وتفسير): دار عمار، عمان - الأردن، لعبد الوهاب رشيد صالح أبي صفية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

(٢) هناك آيات أخرى أخبرت عن نزول المطر، أو تصريف الرياح وأنواعها أو غيرها من الآيات، لم نذكرها، لأن ما ذكرت يكفي لبيان مراحل إنشاء المطر وإنزاله وأغلبها جاءت داعية إلى الاعتبار والاعتاظ أو النظر في آلاء الله وشكرها.

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ الرعد: ١٢.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ الحجر: ٢٢.
قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُحْيِيَ بِهِ الْبَرِّيَّاتِ وَيُخْرِجَ مِنْهَا عُقْبًا كَثِيرًا﴾ النور: ٤٣.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا لِيَدَّبَّرَ بِدُغَائِبَهُمْ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ الفرقان: ٤٨.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الروم: ٤٨.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ فاطر: ٩.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ النبأ: ١٣ - ١٤.

* * *

المطلب الثاني

توجيه الآيات بأسلوب التكامل السياقي

بعد إتمام النظر في الآيات الكريمات، وهي مجتمعة، ظهر قسم من الآيات دلّ على معنى واحد، أو معنيين، من غير قصد لبيان تسلسل مراحل إنشاء المطر وإنزاله، كل ذلك بحسب ما اقتضاه سياق الآية ومقطعها، وقسمٌ بين مراحل إنشاء المطر وإنزاله بالتسلسل كمايتي النور، والروم، لذا سأبين:

أولاً: المعاني التي اشتملت عليها الآيات (من غير تسلسل)

ثانياً: مراحل إنشاء المطر وإنزاله بالتسلسل، مرحلة بعد أخرى، وستكون آيتا الروم، والنور، محور هذه المراحل، ما عدا المرحلة الأولى فسيعتمد على آية سورة النبأ.

أولاً: المعاني التي أفرزتها الآيات (بصورة عامة من غير تسلسل)

بيّنت الآيات أن الفاعل لهذه العملية (إنشاء المطر وإنزاله) هو الله سبحانه جلّت قدرته. أخبرت أغلب الآيات أنه سبحانه هو الذي أرسل الرياح.

عبّرت الآيات عن المطر تارةً بالماء، وأخرى بالودق

أوضحت آية البقرة^(١) أن من آياته سبحانه تصريف الرياح وهي: ردّ الرياح من حالة إلى أخرى^(٢) أي: تغييرها في "مهابها قبولاً ودبوراً وجنوباً وشمالاً، وفي أحوالها حارةً وباردةً، وعاصفةً ولينةً، وعقيماً ولواقح"^(٣)، ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ أي: المنقاد بالرياح على

(١) قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

البقرة: ١٦٤

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفي في حدود

٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط/٣، ٤٢٣هـ-٢٠٠٢م: ٢٨٢.

(٣) الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

وفق مشيئة الله سبحانه حيث يشاء^(١).

قال الرازي: "الريحُ هواءٌ متحركٌ وحركة الهواء بعد أن لم يكن مُتحرَكًا لأبَدٌ من سبب، وذلك السبب ليس نفسُ كونه هواءً ولا شيئاً من لوازم ذاته، وإلاّ لدامت حركة الهواء بدوام ذاته وذلك مُحال، فلم يبقَ إلا أن يقال: إنّه يتحرك بتحرك الفاعل المُختار"^(٢).

بيّنت آية الحجر^(٣) أن الرياح لواقح ومعنى ذلك كما يقول الطبري بعد أن ذكر أقوال العلماء: «والصواب من القول في ذلك عندي: أن الرياح لواقح كما وصفها به جلّ ثناؤه من صفتها، وإن كانت قد تُلّحح السحاب والأشجار، فهي لاقحة ملقحة، ولقحها: حملها الماء، وإلقاحها السحاب والشجر عملها فيه، وذلك كما قال عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه: (يرسل الرياح، فتحمل الماء من السحاب ثم تمرى السحاب فتدر كما تدر اللقحة)، فقد بين عبدالله رضي الله عنه بقوله: يرسل الرياح فتحمل الماء: أنها هي اللاقحة بحملها الماء وإن كانت ملقحة بإلقاحها السحاب والشجر»^(٤).

وقال ابن عاشور: "ومعنى الإلقاح أن الرياح تُلقح السحاب بالماء بتوجيه عمل الحرارة والبرودة متعاقبين فينشأ عن ذلك البخار الذي يصير ماءً في الجوّ ثم ينزل مطراً على الأرض"^(٥).

(ت٥٣٨هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م: ١٠٦، وينظر: تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت٥٧٤هـ)، تحقيق: محمد شراد الناصري، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م: ١: ١٩٠.

(١) ينظر: الكشاف: ١٠٦، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ١: ١٩٠.

(٢) مفاتيح الغيب: لأبي عبدالله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ: ١٩: ١٣٥.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ لَوْفِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ الحجر: ٢٢

(٤) جامع البيان: ١٧: ٨٦، وينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ)، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م: ١٠٦٨.

(٥) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م: ٢١: ١٢٠.

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

وقال سيد قطب: "أرسلنا الرياح لواقح بالماء، كما تلقح الناقاة بالنتاج"^(١).
أخبرت آيتنا الأعراف والرعد، أن السحاب عند إنشائه يكون ثقيلاً^(٢).
أغلب الآيات جاءت في سياق حثّ الناس على النظر في آياته وتذكر نعمته وشكرها،
والتفكر في دلائل قدرته الدالة على وحدانيته سبحانه.

ثانياً: التكامل السياقي لآيات إنشاء المطر وإنزاله (بصورة متسلسلة)

• المرحلة الأولى:

تبدأ هذه المرحلة بتأثير حرارة الشمس في مياه البحار والمحيطات، لجعل بخار الماء يتصاعد منها، ليكون النواة الأولى لإنشاء المطر، قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴾^(٣)، والمعنى: "هو الشمس المضيئة الباعثة للحرارة... والتي تؤثر في تكوين السحاب بتبخير المياه من المحيط الواسع في الأرض إلى طبقات الجو العليا وهي المعصرات، وفي السراج توقد وحرارة وضوء... وهو ما يتوافر في الشمس، فاختيار كلمة (سراج) دقيق كل الدقة ومختار... ومن السراج الوهاج وما يكسبه من أشعة فيها ضوء وحرارة"^(٤).

• المرحلة الثانية:

تبدأ من قوله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ ﴾^(٥) جاءت هذه الآية بصيغة الحصر لتبين أن الله هو وحده المتصرف في هذا الشأن العجيب دون غيره^(٦).

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، مصر - القاهرة، ط/٣٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: ٤: ٢١٣٤.

(٢) سنوضح مراد الآيتين أكثر بعد الانتهاء من مراحل إنشاء المطر وإنزاله.

(٣) سورة النبأ: الآية: ١٣، وفي الآية التي بعدها قال سبحانه جاءت هذه الآية ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَمَّاجًا ﴾ على وجه المقابلة بين المقدمة والنتيجة، وهي الحرارة الشديدة، وشدة انصباب الماء، ينظر: الكشاف: ١١٧٢، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لإبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م: ٨: ٢٩٨، والمعصرات: السحاب إذا أعصرت، أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر، ينظر الكشاف: ١١٧٢.

(٤) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٦: ٣٨٠٦.

(٥) سورة الروم: الآية: ٤٨.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١: ١٢٠، وهذا ما أخبرت به الآيات: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا ﴾

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

• ومعنى الإرسال لغةً:

قال ابن فارس: "الراء والسين واللام أصل واحد مطّرد منقاس، يدلُّ على الانبعاث والامتداد"^(١).

يدلُّ كلام ابن فارس على أنّ الدلالة الأصلية للإرسال معنيان الأول: البعث وهو: "إثارة الشيء وتوجيهه"^(٢) وهذا يناسب خاصية ووظيفة الرياح، وثانياً: الامتداد: وهذا يناسب مكان عمل الرياح وهو الفضاء الواسع.

يتبين مما ذكرت أن الله وحده مَنْ يُرسل الرياح لتؤدي وظيفتها على وفق تقديره سبحانه، وكما سيظهر في المراحل القادمة.

• المرحلة الثالثة:

تبدأ من قوله تعالى ﴿فَتَثِيرُ سَحَابًا﴾^(٣)، وإثارة الرياح للسحب^(٤) هو: "إنشأؤه بما تُحدِثُهُ الرياح في الأجواء من رطوبة، تحضُّل من تفاعل الحرارة والبرودة"^(٥).

بَيْتٌ يَدَى رَحْمَتِيهِ ﴿ الأعراف: ٥٧، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا لِّبَنَاتِكَ يَدَى رَحْمَتِيهِ﴾ الفرقان: ٤٨، ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا﴾ فاطر: ٩.

(١) معجم المقاييس في اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، د:ت: مادة (رسل): ٤٠٢.

(٢) معجم المقاييس في اللغة: مادة (بعث): ١٣٢.

(٣) سورة الروم: الآية: ٤٨، وكذلك في قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا﴾ سورة فاطر: ٩.

(٤) قال الجوهري: السحابة، الغيم، والجمع: سحابٌ وسُحُبٌ وسحائب، ينظر: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨هـ)، تحقيق: محمد محمد تامر، وآخرين، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م: مادة (سحب): ٥٢١.

(٥) التحرير والتنوير: ٢١: ١٢١، وقيل معنى ﴿فَتَثِيرُ سَحَابًا﴾ تجمع وتستخرج، ينظر: مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١١هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ٢١٥، وقيل: تزعجه من حيث هو، ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط/٤، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م: ١١٣٧.

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

وقال سيد قطب: "بما تحمله من بخار الماء المتصاعد من كتلة الماء في الأرض"^(١). يتبين من ذلك أنه سبحانه أرسل الرياح لتقوم بوظيفتها، وهي العملية الكيميائية في الجو من تفاعل النيتروجين والأكسجين - الموجود أصلاً في محيط الكرة الأرضية - مع كتلة البخار المتصاعد لتكون نواة السحب^(٢). إذ لولا الرياح لتبدد البخار في جو السماء أو ربما امتزج مع عنصر آخر قد يصدر عنه نوعاً من المضار لا نعلمها.

• المرحلة الرابعة:

وتبدأ هذه من قوله تعالى ﴿فَيَبِّسُهُ﴾^(٣) فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا^(٤)، والمعنى: أنه يبسط السحاب متصلاً في السماء تارةً، أي: يجعله ممتداً في جو السماء، ويجعله كسفاً أي تارةً أخرى، كما دلّت عليه المقابلة، أي: يجعله غمامات لأن حالة جعله كسفاً غير حالة بسطه في السماء، فتعين أن يكون الجمع بينهما في الذكر مراداً منه اختلاف أحوال السحاب^(٥).

قال الرازي: "ثم ذكر أنواع السُّحُبِ فمنه ما يكون متصلاً ومنه ما يكون متقطعاً"^(٦). يتبين لي من هذه العملية أنه بعد إرسال الرياح، وإثارة بخار الماء وإجراء العملية الكيميائية في جو السماء، تأتي هذه العملية، وهي بسط السحاب في جو السماء ومن ثم جعله قطعاً، أو يكون قسم منه مبسوطاً، وقسم آخر مقطوعاً، ولكل من الحالتين التي أخبرت عنها الآية الكريمة أغراض ومقاصد لإتمام عملية تكوين وإنزال المطر.

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٤: ٢٧٧٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢: ٨٥.

(٣) والبسط هو: امتداد الشيء ونشره وتوسيعه في عرض أو غير عرض، ينظر: معجم المقاييس في اللغة: مادة (بسط): ١٣٢، والمفردات: مادة (بسط): ١٢٢.

(٤) قال الراغب: والكِسْفَةُ: قِطْعَةٌ مِنَ السَّحَابِ وَالْقَطْنِ، ونحو ذلك من الأجسام المُتَخَلِّخِلَةِ الحائِلَةِ، وجمْعُهَا كِسْفٌ، قال تعالى ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾، المفردات: ٧١١.

(٥) ينظر: الكشاف: ٨٣٢، والتحرير والتنوير: ٢١: ١٢٢.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٥: ١٠٩.

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

• المرحلة الخامسة:

وتبدأ هذه المرحلة من سورة النور قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَزِجُ سَحَابًا﴾ ، افتتحت الآية بالاستفهام التقريري، والمعنى: ألم تر يا محمد^(١) -والمراد به أمته- ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ أظهر اسم الجلال وأكّده لبيان عظيم صنعه وقدرته، وقوله ﴿يُزِجِي﴾^(٢) ، والمراد بالإنزاج في اللغة هو: الرمي بالشيء وتسييره من غير حبس... والريح تُزجى السحاب: تسوقه سوقاً رفيفاً... وهذه بضاعة مُزجاة أي: يسيرة الاندفاع^(٣).

نفهم من ذلك أن الإنزاج يدل على: السوق برفق من دون تضيق وحبس مع الإشارة إلى أن هذا الأمر على عظمتها فإن سوقه بالنسبة إلى الذات الإلهية كان يسيراً سهلاً. قال ابن عاشور: "وأطلق الإنزاج على دُنُوِّ بعض السحاب من بعض بتقدير الله تعالى الشبيه بالسوق حتى يصير سحاباً كثيفاً"^(٤).

دلّ كلام ابن عاشور على أن السحاب كان قطعاً (كسفا) ثم يُزجى به مع دنو هذه القطع بعضها من بعض لتحصل المرحلة الآتية.

• المرحلة السادسة:

وتبدأ هذه من قوله تعالى ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ﴾ ، والمعنى: «ثم يؤلف بين السحاب وأضاف (بين) إلى السحاب ولم يذكر مع غيره، و(بين) لا تكون مضافة إلا إلى جماعة أو

(١) ينظر: جامع البيان: ١٩: ٢٠١.

(٢) أغلب المفسرين فسروا الإنزاج بالسوق، ينظر: تفسير غريب القرآن: لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م: ٣٠٦، وجامع البيان: ١٩: ٢٠١، وتفسير القرآن العظيم: لأبي محمد عبدالرحمن بن محمد المعروف بابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة مصطفى الباز، ط/٣، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ: ١٢: ٦٣٩، رقم الحديث (١٣٣٣٧).

(٣) معجم المقاييس في اللغة: مادة (زجي): ٤٦٩، وينظر: الصحاح: ٢٨٦، والقاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط/٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ١٢٩١.

(٤) التحرير والتنوير: ١٨: ٢٦٠.

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

اثنين، لأن السحاب في معنى جمع، واحده سحابة»^(١).

قال النحاس: "أي: يجمع القطع المتفرقة حتى تتألف"^(٢).

وقال البقاعي: "﴿ثُمَّ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ﴾ أي: بين أجزائه بعد أن كانت قطعاً في جهات مختلفة"^(٣).

والتأليف في اللغة هو: "انضمام الشيء إلى الشيء"^(٤)، ومعنى الإلف: اجتماع مع التثام، يقال: ألفت بينهم ومنه الألفة... والمؤلف: ما جمع من أجزاء مختلفة ورُتب ترتيباً قُدِّم منه ما حقه أن يقدم، وآخر ما حقه أن يُؤخَّر^(٥).

يتبين مما ذكر في أعلاه أن التأليف ليس انضمام السُّحُب بعضها إلى بعض فقط، بل هو انضمام مع التثام بين السُّحُب من خلال الخواص والعوامل المشتركة بين كل سحابة وأختها، أو انضمام السُّحُب بعضها إلى بعض لأجل التكامل، وهو جعل السحابة مُهيَّئة لإنزال المطر؛ لأن دلالة قوله تعالى: ﴿يُؤَلَّفُ﴾. والتأليف؛ لا يتم إلا بين شيئين أو أكثر قد اشتركا في صفاتٍ وخواص معينة دفعت باتجاه ذلك التألف؛ لأن التأليف أساسه الجمع بين أجزاء يُكمل بعضها البعض كل بحسب موقعه من ذلك المؤلف.

• المرحلة السابعة:

وهذه تبدأ من قوله تعالى ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾ أي: «بعضه فوق بعض»^(٦).

قال الطبري: ثم يجعل السحاب الذي يُزجيه، ويؤلف بعضه إلى بعض ركاماً، يعني

(١) جامع البيان: ١٩: ٢٠١، وينظر: معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق:

إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م: ٢: ١٥٦.

(٢) معاني القرآن: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالنحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق:

يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: ٢: ٨١١.

(٣) نظم الدرر: ٥: ٢٧٣.

(٤) معجم المقاييس في اللغة: مادة (ألف): ٨٥.

(٥) المفردات: مادة (ألف): ٨١.

(٦) غريب القرآن: لابن قتيبة: ٣٠٦.

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

متراكماً بعضه على بعض^(١).

قال الراغب: "الرُّكَّام: ما يُلقى بعُضه على بعض"^(٢).

يتبين مما ذكر أن السُّحْب تكون قطعاً يُلقى بعضها على بعض لتكون كالشيء المتراكم، نفهم من ذلك أن عملية التأليف لم تجمع كلَّ السُّحْب وتجعلها كتلةً واحدةً، وإنما تألفت السُّحْب فيما بينها كما في (المرحلة السادسة) بحسب القواسم المشتركة التي تؤدي إلى تألف بعضها مع بعض، ومثال ذلك: الغيمة (أ) تحمل خاصية معينة تألف مع خاصية الغيمة (ب)؛ لكونهما يكملان بعضهما البعض، وهكذا كل غيمة من أختها، أو ربما اشتركت أكثر من غيمة في ذلك، فعند ذلك تكون كلُّ غيمةٍ بعد عملية التأليف قد اكتملت خواصها التي تجعلها مُهيَّأة لإنزال المطر، فتأتي هذه المرحلة وهي جعلها رُكاماً، بعضها مُلقى على بعضٍ.

• المرحلة الثامنة:

وهي المرحلة الأخيرة، قال تعالى ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ ، أي: "فتري المطر^(٣) يخرج من بين السحاب وهو الودق^(٤)، والهاء في قوله ﴿ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ من ذكر السحاب، والخلال: جمع خَلَل^(٥)،^(٦).

(١) جامع البيان: ١٩: ٢٠١.

(٢) المفردات: ٣٦٥، وينظر: معجم المقاييس في اللغة: ٤١٨.

(٣) تفسير مقاتل: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ)، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ٢: ٤٢٢.

(٤) قال ابن فارس: الواو والداد والقاف كلمة تدل على إتيان وأنسنة، يقال وَدَقْتُ به، إذا أنست به، ينظر: معجم المقاييس في اللغة: مادة (ودق): ١٠٨٦، وظهر لي سُرُّ اختيار القرآن لفظ الودق الدال على المطر والإيناس، وذلك لمناسبة سياق الآيتين ومقطعيهما اللذين ذكرا فيه لبيان كمال القدرة والنعمة (والله أعلم).

(٥) قال ابن فارس: خل: الخاء واللام أصل واحد، يتقارب فروعه ومرجع ذلك إما إلى دَقَّةٍ، أو ترجية، ينظر: معجم المقاييس في اللغة: ٣٠٤، وقال الجوهري: خَلَلَهُ، وهي فروج في السحاب يخرج منها المطر، ينظر: الصحاح: ٣٤٢.

(٦) جامع البيان: ١٩: ٢٠٢.

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

قال ابن عاشور: "فإذا تراكم السحاب بعضه على بعض حدث فيه ما يسمى في علم حوادث الجوّ بالسيال الكهربائي، هو البرق، فقال بعض المفسرين: هو الودق، وأكثر المفسرين على أن الودق هو المطر، وهو الذي اقتصرت عليه دواوين اللغة، والمطر يُخرج من خلال السحاب"^(١).

• تنبيه:

جاء في آية الأعراف قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا ﴾ ، وفي آية الرعد قوله تعالى: ﴿ وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ ، فالآيتان وصفتا السحاب بالثقل، وقد تبين لنا أن السحاب مرّ بمراحل متعددة، والسؤال هاهنا في أيّ مرحلة أصبح السحاب ثقيلاً، وذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ﴾ ؟

ذكرت قول ابن عاشور في المرحلة الخامسة (مرحلة إزجاء السحاب) فقال: "وأطلق الإزجاء على دُنُوِّ بعض السحاب من بعض بتقدير الله تعالى الشبيه بالسوق حتى يصير سحاباً كثيفاً"^(٢)، قد نفهم من قوله (كثيفاً) دلالة على الثقل، وربما هو منه إشارة إلى عملية تكثيف الماء وليس بالضروري أن تكون هاهنا السحابة ثقيلة.

والذي يبدو لي أن (المرحلة السادسة) هي التي يكون فيها السحاب ثقيلاً أي: بعد إتمام عملية التأليف، لقوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ ﴾ والسوق هو قيادته لأجل إحياء البلد الميت، إذ (المرحلة السابعة) وهي مرحلة الرّكْم تكون عملية إسقاط المطر قد بدأت مباشرة بعد الرّكْم بفعل الاحتكاك بين طبقات السحاب، وهذا لا ينسجم مع قوله ﴿ سُقْنَهُ ﴾ أي: لا توجد فائدة من السوق بعد نزول المطر، أما المراحل (الأولى، والثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة) فهي في بداية تكون السُّحْب ولم تبلغ بعدُ مرحل الثقل التي بلغتها في مرحلة التأليف (المرحلة السادسة).

(١) التحرير والتنوير: ١٨ : ٢٦١.

(٢) التحرير والتنوير: ١٨ : ٢٦٠.

المبحث الثاني

التكامل السياقي بين المطابقة والتطبيق

بعد أن تتبعنا مراحل إنشاء المطر وإنزاله على وفق أسلوب التكامل السياقي لآيات القرآن الكريم، ظهرت لي بعض المعاني التي أفرزها البحث، وهي عبارة عن أسئلة واستنتاجات توصل إليها البحث، والتي بموجبها ننتقل من أسلوب المطابقة إلى أسلوب التطبيق.

المطلب الأول

أسلوب المطابقة

هو أن تكون فيه الاكتشافات العلمية والمعارف الكونية معروفة وتكون مطابقة لما في الآيات القرآنية والسنة النبوية من الحقائق، فيقوم العلماء بإظهار العلاقة بين الكشف العلمية وتلك الحقائق القرآنية والنبوية، وهو يمثل أكثر أعمال الإعجاز العلمي في الوقت الحاضر، وهذا يتماشى مع قوله تعالى: ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١)، وبحسب سياق الآيات فإن هذه الآية خطاب للكفار المكذبين مما يدل على أن ما سيظهر من الاكتشافات في الأفق وفي الأنفس سيتحقق في معظمه على أيدي من لا يؤمنون بالله سبحانه وتعالى، ولا بالقرآن، ولا باليوم الآخر، حتى يكون ما يتوصلون إليه من الاكتشافات والسنن الكونية برهاناً وتبيانياً على أن هذا الدين من الله وشاهد على صدق القرآن وإعجازه، وعلى ما جاء

(١) سورة فصلت: الآية: ٥٣.

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

به الوحي على سيدنا محمد ﷺ، يصبح حجة على الكفار والمكذابين وما يجري الآن في مجال الاكتشافات على يد غير المسلمين يؤكد ذلك، وقد يكون الخطاب في الآية السابقة عاماً لكل البشر، وأسلوب المطابقة لا مأخذ عليه إذا توخى المشتغلون بالإعجاز العلمي سلامة المطابقة وتجنبوا التعسف في الاستدلال الذي يقع فيه بعضهم اندفاعاً وتحمسا منهم، أو لقصور في البحث والاستدلال^(١).

* * *

(١) ينظر: تقويم الأعمال التي تناولت الإعجاز العلمي والطبي في السنة النبوية: ٦-٧.

المطلب الثاني

أسلوب التطبيق

وهو أن تكون المعارف العلمية والاكتشافات الكونية التي تطابق ما في القرآن والسنة النبوية من الحقائق ما زالت مجهولة ولم يتم اكتشافها بعد، فيقوم العلماء بالنظر في الإشارات والعبارات العلمية الواردة بالقرآن والسنة، والانطلاق منها نحو الدراسات العلمية والبحوث التجريبية التي تقودهم إلى الاكتشافات، وذلك يتماشى مع قوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

وأعمال الإعجاز العلمي في اتجاه أسلوب التطبيق ما زالت ضئيلة وهي في حاجة إلى مزيد من الاهتمام من جانب هيئات وجمعيات ولجان الإعجاز العلمي بالتنسيق مع مراكز البحوث العلمية وتوفير الإمكانيات للعلماء والباحثين.

والعمل بأسلوب التطبيق شاق لكنه ضروري طالما أن هناك اقتناعاً لدى علماء المسلمين بأن الآيات القرآنية، فيها الكثير من الحقائق في شتى العلوم.

وبهذا يصبح منهج الإعجاز العلمي بالأسلوب التطبيقي مصدر خير للبشرية كما أنه يحقق الفوائد الآتية:

أن يصبح القرآن الكريم مصدراً للحقائق العلمية بضوابط أخلاقية، ومقاصد إنسانية. أن لا يظل فهم آيات القرآن الكريم وما تضمنه من الحقائق، تابعاً على الدوام للمعارف التي يتحقق اكتشافها من خارج القرآن الكريم.

أن يصبح الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أكثر إشراقاً وواقعية وإيجابية ومصداقية وعطاء.

(١) سورة النحل: الآية: ٨٩.

أن يصبح للعلماء مصدران لمعرفة الحقائق والسنن الكونية وهما:

«الكون المسطور» ويمثله القرآن الكريم.

«الكون المنظور» في الآفاق والأنفس^(١).

المطلب الثالث: الأسئلة والاستنتاجات

هذه بعض الأسئلة التي توصل إليها البحث، نعرضها على أصحاب الاختصاص لنحصل منهم على إجابات علمية قد تؤدي إلى اكتشاف جديد، أو تكون هذه الاستنتاجات مرشداً وموجهاً لهم لاكتشاف بعض أسرار عملية إنشاء المطر وإنزاله، وبذلك نكون قد جعلنا السبق^(٢) للقرآن الكريم، وفيما يلي بعض هذه الأسئلة والاستنتاجات:

قوله تعالى ﴿فَتَثِيرُ﴾ قال الراغب: «ثار الغبار والسحاب ونحوها يثور ثوراً وثوراناً انتشر ساطعاً»^(٣)

يستنتج البحث من ذلك أن بخار الماء المتصاعد يكون ساكناً أو أنه يسير أو يرتفع بوتيرة واحدة لا تغير من صفاته، فتأتي الإثارة لتُهيج هذا البخار وتحدث فيه نوعاً من الحركة ليكون مهيئاً لإنشاء المطر.

سؤال: ما نوع هذه الإثارة وصفاتها وما هي الحالة التي يصبح البخار عليها بعد هذه العملية؟

سؤال: إذا لم تتم عملية الإثارة للبخار فأين يذهب؟

يستنتج البحث أن البخار في حالة عدم إثارته فإنه قد يبقى في الفضاء فيؤثر بطريقة ما كونه غازاً، وقد يمتزج مع عنصر آخر وعلى الأرجح يكون غير مفيد، وسبب ذلك أن

(١) ينظر: تقويم الأعمال التي تناولت الإعجاز العلمي والطبي في السنة النبوية: ٧-٨.

(٢) قد يكون هناك مَنْ سبقنا إلى هذه الأسئلة والاستنتاجات، ونحن لم نطلع عليها، وذلك لاعتمادنا على كتب التفسير فقط، والغرض هو تقديم هذا الأسلوب (التكامل السياقي) ليكون وسيلة للعمل بأسلوب التطبيق بعد إعداد مقوماته.

(٣) المفردات: ١٨١.

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

الله قدر كل شيء تقديراً^(١).

في المرحلة الرابعة أوضحت أن الله يبسط السحاب ويجعله قطعاً. يستنتج البحث بعد عملية الإثارة أن السحابة تفتقر إلى البسط ليحدث فيها نوعاً من التبريد السريع أو أي شيء يكون لازماً لانتاج السحابة الماطرة ومن ثم يتم تقطيعها! سؤال: أهذا التقطيع عشوائي أم له غايات مرادة، وهي إكساب كل قطعة خواص ومزايا تشابه غيرها من القطع في شيء وتختلف عن بعض في شيء آخر؟ وهنا سؤال آخر: إذا كان ذلك كذلك، فما هذه الخواص والصفات؟

في المرحلة الخامسة بيننا في قوله تعالى ﴿يُرْجَى﴾ أنه سوق برفق من غير تضيق. يستنتج البحث أنه لو سيقت السحابة بشكل سريع وشديد وبتضيق، لأدى إلى تغيير خواص هذه السحابة ولأفقدتها تكوين المطر.

في المرحلة السادسة قال تعالى ﴿يُولَّفُ﴾، وتبين أن التأليف يكون بين شيئين بينهما وثام وتكامل.

سؤال: ما هذه الصفات أو العوامل أو العناصر التي تساعد على تألف السحب فيما بينها وتكمل إحدهما الأخرى.

(١) توصلت إلى هذه الأسئلة والاستنتاجات، ثم كانت لي نظرة جديدة في تفسير الرازي فإذا به قد ذكر كلاماً علمياً نفيساً عن البخار وحالاته، إذ يقول: «إِنَّ تَكُونَ السَّحَابِ وَالْمَطَرِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرْدِ وَالظَّلْ وَالصَّقِيعِ فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ يَكُونُ مِنْ تَكَاثُفِ الْبُخَارِ وَفِي الْأَقْلِ مِنْ تَكَاثُفِ الْهَوَاءِ، أَمَّا الْأَوَّلُ فَالْبُخَارُ الصَّاعِدُ إِنْ كَانَ قَلِيلاً وَكَانَ فِي الْهَوَاءِ مِنَ الْحَرَارَةِ مَا يُحَلِّلُ ذَلِكَ الْبُخَارَ فَحِينَئِذٍ يَنْحَلُّ وَيَنْقَلِبُ هَوَاءً. وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْبُخَارُ كَثِيراً وَلَمْ يَكُنْ فِي الْهَوَاءِ مِنَ الْحَرَارَةِ مَا يُحَلِّلُ ذَلِكَ الْبُخَارَ فَتَبْلُغُ الْأَبْحَرَةُ الْمُتَصَاعِدَةَ إِذَا أَنْ تَبْلُغَ فِي ضَعُودِهَا إِلَى الطَّبَقَةِ الْبَارِدَةِ مِنَ الْهَوَاءِ أَوْ لَا تَبْلُغَ فَإِنْ بَلَغَتْ فَإِذَا أَنْ يَكُونَ الْبَرْدُ هُنَاكَ قُوياً أَوْ لَا يَكُونُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْبَرْدُ هُنَاكَ قُوياً تَكَاثُفَ ذَلِكَ الْبُخَارِ بِذَلِكَ الْقَدْرِ مِنَ الْبَرْدِ، وَاجْتَمَعَ وَتَقَاطَرَ فَالْبُخَارُ الْمُجْتَمِعُ هُوَ السَّحَابُ، وَالْمُتَقَاطِرُ هُوَ الْمَطَرُ، وَالذَّيْمَةُ وَالْوَابِلُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْغُيُومِ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْبَرْدُ شَدِيداً فَلَا يَخْلُو إِذَا أَنْ يَصِلَ الْبَرْدُ إِلَى الْأَجْزَاءِ الْبُخَارِيَّةِ قَبْلَ اجْتِمَاعِهَا وَانحلالها جبات كبراً أَوْ بَعْدَ ضَيُورَتِهَا كَذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ نَزَلَ ثُلْجاً، وَإِنْ كَانَ عَلَى الْوَجْهِ الثَّانِي نَزَلَ بَرْداً، وَأَمَّا إِذَا لَمْ تَبْلُغْ الْأَبْحَرَةُ إِلَى الطَّبَقَةِ الْبَارِدَةِ فَهِيَ إِذَا أَنْ تَكُونُ كَثِيراً أَوْ تَكُونُ قَلِيلاً»، مفاتيح الغيب: ٢٠٤: ٢٠٤.

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

في المرحلة السابعة بينت قوله ﴿رُكَّامًا﴾ وهو: الذي يلقي^(١) بعضه على بعض: يستنتج البحث: أنه في حالة وضع السُّحْبِ بعضها فوق بعض من دون إلقاء يؤدي ذلك إلى انحباس المطر أو أنه ينزل بصعوبة وبكمية قليلة، لأن الإلقاء يولد نوعاً من الضغط، وربما هذا فيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَبَّاجًا﴾^(٢) فكأنما الغيمة تعصر التي تحتها والمُلْقَاة فوقها تعصرها، وهكذا كل واحدةٍ تعصر التي تحتها!

* * *

(١) أكدنا على معنى الإلقاء مع معنى وضع بعضها على بعض لدلالة قوله تعالى ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ الأنفال: الآية: ٣٧، إذ عطف سبحانه قوله ﴿فَيَرْكُمُهُ﴾ على قوله ﴿بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ﴾ ليدل على اختلاف المعنيين، قال أبو حيان: «واحتمل الجعل أن يكون من باب التصيير ومن باب الإلقاء، «البحر المحيط: لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ: ٥: ٣١٧.

(٢) سورة النبأ: الآية: ١٤.

الخاتمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على خاتم النبِيِّينَ محمدٍ ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. وبعد: فقد أظهر البحث النتائج الآتية:

أسلوب التكامل السياقي، من الأساليب المهمة في التفسير، والتي تُعين الباحث للوصول ومعرفة أسرار الإعجاز البياني للقرآن الكريم بأرقى صورته.

أسلوب التكامل السياقي، من الأساليب المثلى في بيان التفسير والإعجاز العلمي.

أسلوب التكامل السياقي، يُساعد في نقل الباحثين المختصين من العمل بأسلوب المطابقة إلى أسلوب التطبيق.

أسلوب التكامل السياقي، يجعل الريادة والسبق للقرآن الكريم في مجال الإعجاز العلمي.

أسلوب التكامل السياقي، يحمي المفسر من الوقوع في التكلّف وتحميل النص ما لا يحتمل عند تفسيره للآيات التي فيها إشارات علمية، لأن جمع سياقات الموضوع الواحد، يجعلها أكثر وضوحاً، وأبعد عن الخطأ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين في البدء والختام.

* * *

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

المصادر والمراجع

- ويعد القرآن الكريم.

إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ)، وضع حواشيه: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، ط/٣، بيروت - لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

البحر المحيط: لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ.

البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

تأصيل الإعجاز العلمي والسنة: عبد المجيد الزندان، هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، ١٤٢١هـ.

التحرير: محمد الطاهر بن عاشور: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق - سوريا، ط/٤، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد شراد الناصري، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م.

تفسير القرآن العظيم: لأبي محمد عبدالرحمن بن محمد المعروف بابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة مصطفى الباز، ط/٣، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.

تفسير غريب القرآن: لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق:

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

- السيد أحمد صقر، المكتبة العلميّة، بيروت - لبنان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- تفسير مقاتل: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ)، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- التفسير والإعجاز العلمي في القرآن (ضوابط وتطبيقات): مرهف عبد الجبار سقا، دار محمد الأمين للطباعة والنشر، دمشق - سوريا، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- تقويم الأعمال التي تناولت الإعجاز العلمي والطبي في السنة النبوية: أحمد أبو الوفا عبد الآخر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.ت.
- التكامل السياقي (دلالة وتفسير): دار عمار، عمان - الأردن، عبد الوهاب رشيد صالح أبو حنيفة، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- الصحاح (تاج اللغة و صحاح العربية): لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨هـ)، تحقيق: محمد محمد تامر، وآخرين، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: يوسف الغُوش، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط/٤، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، مصر - القاهرة، ط/٣٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- القاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط/٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها: نصر بن علي بن محمد أبي عبد الله

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

المعروف بأبي مريم (ت ٥٦٥هـ)، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، مكة المكرمة،

١٤١٤هـ-١٩٩٣م

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان،

١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: عبدالرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٢٨هـ -

٢٠٠٧م:

مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١١هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزدي،

دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي

(ت ٥٤١هـ)، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

مصنف ابن أبي شيبة: لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي

(ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، د.ت.

معاني القرآن: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالنحاس (ت ٣٣٨هـ)،

تحقيق: يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس

الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

معجم المقاييس في اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، دار

الفكر، بيروت - لبنان، د.ت.

مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): لأبي عبدالله محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار

إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ

مفردات ألفاظ القرآن: للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفي

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

في حدود ٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط/٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

مقدمة في أصول التفسير: شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم المعروف بابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: عصام فارس الحرساني، ومحمد شكور حاجي امير، دار عمار، عمان - الأردن، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: محمد راتب النابلسي، دار المكتبي، دمشق، سوريا، ط/٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لإبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
مستخلص بحث بعنوان/ التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي (آيات إنشاء المطر وإنزاله أنموذجاً).

هذه دراسة في أسلوب التكامل السياقي القرآني؛ الذي يُرشد إلى دقائق الإعجاز العلمي وإشارته في القرآن الكريم قبل أن تكتشف؛ التي يمكن أن نقدمها إلى الباحثين المختصين للبحث عنها، والوصول إليها، أي الانتقال من أسلوب المطابقة، إلى أسلوب التطبيق وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة .

المقدمة: تضمنت أهمية الموضوع، وهدفه، وخطته.

المبحث الأول: خصصته للدراسة التفسيرية، على وفق أسلوب التكامل السياقي.
المبحث الثاني: بينت علاقة التكامل السياقي بأسلوب المطابقة والتطبيق، وأهم الاستنتاجات، والأسئلة العلمية.

الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج، ومنها:

أسلوب التكامل السياقي، من الأساليب المثلى في بيان التفسير، والإعجاز العلمي.
أسلوب التكامل السياقي، يساعد في نقل الباحثين المختصين من العمل بأسلوب

التكامل السياقي القرآني وأثره في إظهار الإعجاز العلمي

المطابقة، إلى أسلوب التطبيق.

أسلوب التكامل السياقي، يجعل الريادة والسبق للقرآن الكريم في مجال الإعجاز العلمي.

* * *

أثر السنّة في التفسير القرآني

الدكتور

محمد مكي عبد الرزاق

كلية التربية للبنات / الجامعة العراقية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً فيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً . والصلاة والسلام على رسوله القائل: ((ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته أن يقول حين يأتيه الأمر من أمري فيما أمرت به ، أو فيما نهيت عنه ، فيقول عندنا كتاب الله حسبنا، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله تعالى)) .

وان من نعمة الله تعالى على الناس أجمعين أن توجد بين أظهرهم كلمات الله المنزلة محفوظة من الزيادة والنقصان .

ولعل هذه أعظم نعمة يفيض الله تعالى خيرها على البشرية أجمعين ، أن يكون بين أيديهم كتاب محفوظ يحكمونه في حياتهم ، ويحتكمون إليه فيما يقع بينهم من اختلاف ، وذلك بعد أن حرّفت الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل وغيرها ، وضاع أكثرها ، ولعبت بها أيدي التغيير والتبديل ، قال تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة / ٧٩) .

ولذلك كان علم التفسير من أعظم العلوم على الإطلاق إذ هو الطريق إلى فهم معاني القرآن الكريم ومراد الله سبحانه وتعالى من خلقه ، ومن هنا اعتنى العلماء سلفاً وخلفاً بهذا اهتماماً عظيماً وصنفوا فيه الكثير من المصنفات وقد بدأت مسيرة تفسير كتاب الله تعالى في عهد النبوة ، حيث يعد النبي ﷺ المرجع الأول في تفسير كتاب الله تعالى فقد فسّر آيات الكتاب العزيز بقوله وعمله ﷺ .

أثر السنة في التفسير القرآني

وسأتناول في هذا البحث أثر السنة في منهج التفسير القرآني إن شاء الله تعالى: وقد كان منهجي في البحث هو الآتي :

أولاً: استعملت منهج الاستنتاج في فهم الموضوع من الآيات القرآنية .
ثانياً : في عموم البحث استقرأت كتب التفسير والمعاجم فيما له صلة بموضوع البحث .

ثالثاً: عزوت كل قول إلى قائله .

رابعاً: ذكرت الهوامش في نهاية البحث تماشياً مع مقررات البحوث .
خامساً: حرصت أن أعزو الآيات إلى سورها وذكرت أرقامها ، كما حرصت على تخريج الأحاديث وكانت خطتي في البحث على النحو الآتي :
قسمت البحث بعد هذه المقدمة إلى خمسة مطالب .

المطلب الأول: بعنوان البلاغ النبوي للقرآن الكريم وقسمته إلى قسمين الأول بلاغ الألفاظ، والثاني بلاغ المعاني .

المطلب الثاني: تناولت فيه التفسير النبوي للقرآن الكريم وقسمته إلى قسمين الأول بيان القرآن الكريم بالقول (النص)، والثاني بيان القرآن الكريم بالفعل (التطبيق) .
المطلب الثالث: تناولت فيه أسباب نزول القرآن الكريم .

المطلب الرابع: تناولت فيه دور السنة النبوية في الاستنباط من القرآن الكريم .
المطلب الخامس: تناولت فيه عناية الأمة لتفسير القرآن الكريم وخاصة في عصر الصحابة من بعد رسول الله ﷺ وعصر التابعين رضي الله عنهم أجمعين وقد قسمت هذا المطلب إلى قسمين الأول: تناولت فيه عناية الصحابة لتفسير القرآن الكريم والثاني: عناية التابعين لتفسير القرآن الكريم .

المطلب السادس: المصنفات في التفسير .

ثم الخاتمة ونتائج البحث.

ثم المصادر والمراجع .

أثر السنة في التفسير القرآني

المطلب الأول

البلاغ النبوي

ان المسلم حريص على معرفة كلام الله تعالى، ثم عليه أن يعود إلى المصدر الثاني والمنيع الصافي، ألا وهو سنة الرسول ﷺ الصحيحة الثابتة، فهي خير ما يفسر كتاب الله تعالى، لأن الرسول ﷺ أمر بالبلاغ، قال تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (١).

وقال أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (٢) فالرسول ﷺ مطالب بالبلاغ والبيان، ولكن ما هو البلاغ الذي طوب به الرسول ﷺ؟

فالبلاغ النبوي للقرآن الكريم يشتمل على:

- أولاً: بلاغ الألفاظ.
- ثانياً: بلاغ المعاني.
- أولاً: بلاغ الألفاظ.

المقصود ببلاغ الألفاظ بلاغ النبي ﷺ لألفاظ القرآن الكريم كما نزلت، وكما بلغه جبريل إياه، ودون زيادة أو نقصان.

فيقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ (٣).

وقد كان النبي ﷺ شديد الحرص على إبلاغ ألفاظ القرآن الكريم حتى إن العباس (رضي الله عنهما) يقول: كما في الحديث (كان رسول الله ﷺ) عالج من التنزيل شدة، وكان يحرك شفثيه. (٤)

أثر السنة في التفسير القرآني

فأنزل الله تعالى ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٥).

أي: جمعه في صدرك ثم تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (٦).

أي: فأستمع وأنصت، ثم إن علينا أن نقرأه، قال: فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل (عليه السلام) أستمع، فإذا أنطلق جبريل قرأه النبي ﷺ، ولا شك أن الرسول ﷺ بلغ ألفاظ القرآن الكريم بلاغاً تاماً، ولم يكتف شيئاً مما أنزل عليه. (٧)

ولو كان الرسول ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه، لكتف هذه الآية:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ (٨).

فهذه الآية فيها عتاب شديد للرسول ﷺ، ثم يقوم الرسول ﷺ فيقرأها على الناس في الصلاة وفي غيرها وهو المخاطب بها، أو يكتف هذه الآيات: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهَ يَزَكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ (٩).

ففيها عتاب شديد لرسول ﷺ، ومع ذلك يتلو هذه الآيات على الناس كما أنزلت عليه.

إن الله تعالى أختار محمداً ﷺ للعالمين رسولا حيث قال: ﴿اللَّهُ اعْلَمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (١٠).

أختار رجلاً يعلم أنه لن يكتف شيئاً مما يوحي إليه، وحتى الآيات التي عاتبه ولامه الله فيها على بعض ما صدر منه ﷺ، ينقلها للناس كما ينقل الآيات التي مُدح فيها، فيقرأ على الناس قول الله تعالى له ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١١).

ويقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضواناً﴾ (١٢).

كما يقرأ الآيات التي فيها اللوم والعتاب، سواء بسواء، وبهذا نجزم أن الرسول ﷺ قد بلغ القرآن الكريم بألفاظه بلاغاً تاماً لا ريب فيه.

ثانياً: بلاغ المعاني .

كان النبي ﷺ شديد الحرص على الإبلاغ اللفظي للقرآن الكريم لكنه ﷺ لم يكتف ببلاغ ألفاظه ، ولكن بلغهم معانيه أيضاً وإن تبليغ معاني الكتاب الكريم جزء من مهمته ﷺ ومسؤوليته أن يبلغ الناس ألفاظ القرآن ومعانيه .

فبعد أن قال تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ (١٣).

وهذا هو البلاغ اللفظي كم ﴿ اسبق، قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (١٤).
أي علينا أن نبين لك لفظه ومعناه، وبعد أن قال تعالى: ﴿ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ (١٥).

قال: (ويزكيهم)، والتركية تعني أن رسول ﷺ يربي أصحابه على القرآن الكريم، بحيث يتحول من مجرد كتاب مقروء إلى واقع حياة عملية ، تتحقق على ظهر الأرض (١٦).

كما ذكر حديث رسول ﷺ : (كان الواحد منهم كأنه قرآن يمشي على الأرض) (١٧).
وهذا التعبير دقيق جداً، فإن عائشة (رضي الله عنها) لما سئلت عن خلق الرسول ﷺ، قالت للسائل (أتقرأ القرآن؟ قال: نعم، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن) (١٨).
فهذا معنى قوله تعالى: (ويزكيهم) أي: يربيهم بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الفاضلة، والسلوك الحسن ويعدُّهم للدور العالمي الذي ينتظرهم لقيادة البشرية (١٩).
ثم قال تعالى: ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ فما الكتاب ؟ وما الحكمة ؟ .

قال الشافعي: قال تعالى ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (٢٠).

فذكر الله الكتاب وهو القرآن ، وذكر الحكمة ، فسمعت من أَرْضَى من أهل العلم يقول: الحكمة سنة رسول الله (٢١).

أثر السنة في التفسير القرآني

فإذا تأملنا قول الله تعالى: ﴿رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٢٢).

فإننا نلاحظ أنه في أول الآية قال: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ أي: يقرأ عليهم القرآن ويتلو عليهم ألفاظه، وهو البيان اللفظي للقرآن، فإذا ضبطوا القرآن وحفظوه وأتقنوه، انتقل إلى مرحلة أخرى، وهي ﴿ويعلمهم الكتاب﴾، أي: يعظّمهم في معاني القرآن، ويعلمهم ما حفظوه وضبطوه، ثم ينتقل إلى مرحلة ثالثة، وهي (ويزكّيهم) أي: يؤدّبهم بهذا الكتاب حتى يعملوا به وهي التزكية ولذلك قال أبو عبد الرحمن الجهني: (حدّثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ، أنهم كانوا يقرؤون من رسول الله ﷺ، عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل) (٢٣).

قالوا: فتعلمنا العلم والعمل. (٢٤).

فمهمة الرسول ﷺ البلاغ اللفظي والمعنوي، وقد قام بمهمة البلاغ بشقيها خير قيام، (عليه الصلاة والسلام).

المطلب الثاني: التفسير النبوي للقرآن الكريم.

إن الرسول ﷺ قد بين في سنته كل ما يحتاج إلى بيانه من القرآن، وهل البيان لكل القرآن أم لبعضه؟

من العلماء من يقول: لم يبين الرسول ﷺ من القرآن إلا قليلاً كما يقول السيوطي، ويستدلون بحديث مروي عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان لا يفسر شيئاً من القرآن برأيه إلا آياً بعدد (٢٥).

وهذا الحديث لا يصح، رواه البزار وغيره وهو معلول في إسناده محمد بن جعفر الزبيرى وهو ضعيف لا يحتج بحديثه.

ومن العلماء من يقول: إن الرسول ﷺ بين القرآن كله ومقصودهم بأنه بين ما يحتاج إلى بيان فهناك آيات لا تحتاج إلى بيان لأنها بينة بنفسها.

ويقول ابن عباس: (رضي الله عنهما) التفسير أربعة أوجه:

أثر السنة في التفسير القرآني

- وجه تعرفه العرب من كلامها ، فإذا اقريء على العرب فإنهم يفهمونه .
 - وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته ، وذلك كتفسير الآيات في الأحكام والعقائد التي
 يحتاج الناس إلى معرفتها .

وتفسير لانعلمه ، وهي المعاني الخفية التي لا يفهمها عامة الناس .
 وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى^(٢٦) .
 والخلاصة أن الرسول ﷺ قد بين كل ما يحتاج الناس إلى بيانه من القرآن الكريم في
 سنته .

وبشكل عام فإن السنة النبوية تفسير للقرآن الكريم ، وأنواع بيان السنة للقرآن
 على نوعين:

أولاً : بيان القرآن بالقول (بالنص) .

وهو أن يبين الرسول ﷺ القرآن بقوله ، وهذا كثيراً جداً حتى صنف فيه العلماء
 مصنفات مستقلة، مثل: تفسير السيوطي (الدر المنثور في التفسير المأثور)^(٢٧) .

وتفسير بن أبي حاتم^(٢٨) .

وتفسير الطبري^(٢٩) .

وتفسير ابن مردويه^(٣٠) .

وتفسير عبد بن حميد^(٣١) .

وكثير من كتب السنة تفرد باباً خاصاً بالتفسير، فمثلاً: (جماع الأصول لابن الأثير)^(٣٢) .
 خصص مجلداً تقريباً للمروي عن النبي ﷺ في تفسير القرآن في الكتب الستة وهي:
 صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داوود الترمذي وسنن النسائي وموطأ مالك ولم
 يستقص بل فرق بعضها في مواضع أخرى .

إذا فقد بين الرسول ﷺ وفسر أشياء كثيرة من القرآن الكريم بقوله ولفظه ، ومن
 أمثلة ذلك:

أ - ما جاء في الصحيحين عن كعب بن عجرة في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ

أثر السنة في التفسير القرآني

مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴿٣٣﴾ .

فقوله: ﴿ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ يحتاج إلى تفسير، فهو مجمل، ما الصيام ما مقداره؟ ما الصدقة؟ وما النسك؟

قال كعب: (كان بي أذى من رأسي فحملت إلى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي فقال: ما كنت أرى أن الجهد بلغ منك ما أرى؛ أتجد شاه فقلت: لا، فنزلت هذه الآية ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ قال: صم ثلاثة أيام، أو إطعام عشرة مساكين، نصف صاع طعاماً لكل مسكين) (٣٤).

فبين عليه الصلاة والسلام تفسير هذه الآية في هذا الحديث .

ب- قوله تعالى: ﴿ يَوْم يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ (٣٥).

بينها رسول الله ﷺ بأن ذلك حين تطلع الشمس من مغربها فقال: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ ﴿ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ (٣٦).

ج- كذلك ورد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ ﴾ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي (٣٧).

ففسر القوة بالرمي، والمراد الرمي بكل شيء سواء كان السهام كما في وقتهم، أو المدفعية والطائرات والصواريخ في وقتنا هذا (٣٨).

د- ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (ليس أحد يحاسب يوم القيامة ألا هلك، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى (فأما من أوتي كتابه بيمينه، فسوف يحاسب حساباً يسيراً؟ فقال رسول الله ﷺ: إنما ذلك العرض، وما من أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّبَ) (٣٩).

فبين ﷺ أن المقصود بالحساب اليسير، هو أن تعرض على العبد أعماله وذنوبه ولا يناقش فيها، وإلا لو نوقش الحساب عُدب .

هـ - وما جاء في الصحيحين من حديث البراء في تفسير قوله تعالى ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ قال ﷺ: إذا أقعد المؤمن في قبره، أتى، ثم شهد أن لا اله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ .

والأمثلة على ذلك كثيرة .

• ثانياً: بيان القرآن بالفعل (بالتطبيق) .

روي عن أهل التفسير أن أعظم كتاب يُفهم منه تفسير القرآن هو سيرة النبي: ﷺ، لأن سيرة النبي ﷺ عبارة عن ترجمة عملية للقرآن الكريم بأقواله وأفعاله وتقديره عليه الصلاة والسلام .

ولذلك لما سئلت سيدتنا عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ، قالت: (فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن) .

ويقول جابر أيضاً في حديثه الطويل في سياق حجة النبي ﷺ: ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به (٤٠) .
يعني في الحج وغير الحج .

ومن أمثلة أعمال الرسول ﷺ التي هي تفسير للقرآن:

أ - صلاته عليه الصلاة والسلام، فقد صلى وقال: (صَلُوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصِلِي) (٤١) .
فالصلاة داخلية تحت قوله تعالى (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) (٤٢) .
وصلاته تفسيراً "عملياً" لهذه الآية .

ب - حجه عليه الصلاة والسلام، فقد حج وأدى المناسك كلها من الإحرام والطواف والسعي والوقوف والنحر وغيرها، وقال (خذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ) (٤٣) .

فكل أعمال الرسول ﷺ في الحج داخلية في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ

حَجُّ الْبَيْتِ ﴿٤٤﴾ .

ج - وهكذا بين لنا أحكام الصيام بعمله ﷺ ، فكلها داخلة تحت قوله تعالى:
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ (٤٥) .

د - وبين لنا مقادير الزكاة ، فكلها تفسير لقوله تعالى ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (٤٦) .

هـ - ومن الأمثلة التفصيلية لذلك :

يقول الله تعالى ﴿ أقيم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ (٤٧) .

هذه الآية تحدد مواقيت الصلوات الخمس .

وقد أتاه ﷺ سائل يسأله عن مواقيت الصلاة ، فلم يرد عليه شيئاً : فأقام الفجر بين أن أنشق الفجر ، والناس لا يكاد يعرف بعضهم بعضاً ، ثم أمره فأقام بالظهر حين زالت الشمس ، والقائل يقول : (قد انتصف النهار) وهو كان اعلم منهم ، ثم أمره فأقام بالعصر والشمس مرتفعة ، ثم أمره فأقام بالمغرب حين وضعت الشمس ، ثم أمره فأقام العشاء حين غاب الشفق .

ثم اخر الفجر من الغد ، حتى أنصرف منها والقائل يقول :

(قد طلعت الشمس أو كادت) ثم آخر الظهر حتى كان قريباً من وقت العصر بالأمس ، ثم آخر العصر حتى أنصرف منها والقائل يقول : (قد أحمرت الشمس) ثم آخر المغرب حتى كان عند سقوط الشفق ، ثم آخر العشاء حتى ثلث الليل الأول ، ثم أصبح فدعا السائل ، فقال : (الوقت بين هذين) (٤٨) .

و - ومثله أيضاً : قول الله عز وجل عن السعي بين الصفا والمروة في الحج : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ (٤٩) .

وهذا يدل على أنه لا يحرم السعي بين الصفا والمروة ولا يجب أيضاً ولكن لما فعل ﷺ علم أنه واجب ، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها (ما أتم حج أمريء ولا عمرته ، لم يطف بين الصفا والمروة) (٥٠) .

أثر السنة في التفسير القرآني

فكل أفعاله وأقواله ﷺ هي بيان للقرآن الكريم ، ولذلك (كل ما حكم به رسول الله ، ﷺ ، فهو مما فهمه من القرآن) (٥١) .
وبذلك نعلم أن القرآن والسنة متلازمان، لا يتفرقان إلى يوم القيامة ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر، وأنه لا يمكن أن نفهم القرآن إلا على ضوء السنة .

* * *

المطلب الثالث

بيان أسباب نزول القرآن الكريم

ولا شك أن من يعلم سبب نزول القرآن يكون اقدر على فهم الآيات ، وربطها بسبب النزول ، ومعرفة على أي وجه أنزلت ، وأضرب على ذلك بعض الأمثلة :

أ - ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن الزهري عن عروة بن الزبير انه قال: سألت عائشة رضي الله عنهما، فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾^(٥٢).

فو الله ما على آدم جناح أن لا يطوف بالصفاء والمروة، قالت: بعس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه ، كانت : لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما ، ولكنهما أنزلت على الأنصار ، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناه الطاغية ، التي كانوا يعبدونها عند المشلل ، فكان من أهل التخرج أن يطوف بالصفاء والمروة ، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ، قالوا: يا رسول الله ، أنا كنا نتخرج أن نطوف بين الصفا والمروة ، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ... ﴾ الآية .

قالت عائشة رضي الله عنها : وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما ، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما .

ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال : إن هذا العلم ما كنت سمعته ، ولقد سمعت رجالاً من أهل العلم يذكرون: أن الناس كانوا يطوفون كلهم بالصفاء والمروة (إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهل بمناة) فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن، قالوا: يا رسول الله، كنا نطوف بالصفاء والمروة (إلا من ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن ، قالوا : يا رسول الله، كنا نطوف بالصفاء والمروة .

أثر السنة في التفسير القرآني

وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمرورة؟ فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ...﴾ الآية .
قال أبو بكر: فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما ، في الذين كانوا يتخرجون أن يطوفوا بالجاهلية بالصفا والمرورة، والذين يطوفون ثم تخرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام من أجل ذلك أمر الله تعالى بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا ، حتى ذكر بعد ما ذكر الطواف بالبيت)^(٥٣) .

• فالآية نزلت لأمرين:

الأول: لتقول للأَنْصار، طوفوا بين الصفا والمرورة خلافاً لما كنتم تفعلونه في الجاهلية يوم أن كنتم تُهلون لمناة .

الثاني: لتقول للمهاجرين ولسائر المسلمين، طوفوا بالصفا والمرورة وان كنتم تطوفون بهما في الجاهلية ، لأن هذا من شعائر الله ، وليس من عادات الجاهلية .
فمعرفة سبب النزول ها هنا تبين معنى الآية بياناً شافياً .

ب- قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ إِذَا أَفْضْتُمْ مِّنْ عَرَافَاتٍ فَأذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾^(٥٤) .

ما المقصود بالفضل؟ يحتمل أن يكون هو الذكر ، والدعاء والأجر ... والآية شاملة جامعة لهذا كله ، لكن من معاني الفضل التجارة في الحج .

وقد جاء عن ابن عباس أنه قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم، فنزلت ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج^(٥٥) .

أي ليس عليهم جناح أن يذهبوا للحج ويتاجروا فيه ، فبين سبب النزول معنى الآية .
ج - قوله تعالى ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(٥٦) .

ما المقصود بالتطهير؟ ثبت عن أبي داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة

رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح بمجموع طرقه، أن هذه الآية نزلت في أهل قباء، قال: (كانوا يستنجون بالماء).^(٥٧)

يعني : يستعملون الماء في الاستنجاء .

وفي رواية عند البزار: (أنهم يتبعون الحجارة بالماء)^(٥٨) .

وهذه رواية ضعيفة جداً ، فلم يكونوا يتبعون الحجارة بالماء ، يعني يستنجون بالحجارة ثم بالماء بل كانوا يستنجون بالماء لا بالحجارة .

د - قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾^(٥٩) .

هذه الآية يستدل بها أهل السنة والجماعة على أثبات القدر ، وأن كل شيء بقدر ، أي بقضاء من عند الله تعالى ، وقد رأيت بعض من ينكر ذلك ، يقول : أن معنى الآية خلقناه بقدر ، يعني مقدرًا مفصلاً مناسباً لأوانه وزمانه ، ولا مانع بأن يكون هذا جزءاً من معنى الآية ، لكن أيضاً (بقدر) تعني : مكتوب عند الله تعالى والذي يفصل هذا ويبين المعنى الصحيح للقدر ، ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة^(٦٠) .

قال: جاء مشركوا قريش يخاضمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ .

المطلب الرابع : دور السنة في الاستنباط من القرآن الكريم .

أحياناً تكون المعاني الواردة في النصوص النبوية تفصيلاً لمعاني آيات الكتاب العزيز ، وهذا النوع لطيف ، فتأتي إلى معنى جاء في السنة فتستخرج من القرآن ما يدل عليه ، وهذا أسلوب لطيف عني به الحافظ ابن كثير في تفسيره .

وهناك محاولة لبعض العلماء بجمع كل ما ورد في السنة النبوية مما يعتبر مستخرجاً من القرآن الكريم استنباطاً من النبي ﷺ ومن ذلك :

قوله ﷺ كما في الصحيح (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد).^(٦١)

ففي القرآن الكريم آية تدل على هذا المعنى، وهي قوله تعالى:

أثر السنة في التفسير القرآني

﴿ كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ (٦٢) .

ب- أيضاً قوله ﷺ كما في صحيح مسلم (إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وهند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركم المبيت والعشاء) (٦٣) .

فالآية التي تدل على هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَفْزِرْ مِنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ (٦٤) .
فمن مشاركته في الأموال، أن يأكل الشيطان ويشرب وينام معك، إذا لم تذكر الله تعالى .

ج - وأيضاً قوله ﷺ يوم الأحزاب : (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملاً الله بيوتهم وقبورهم ناراً) (٦٥) .

والحديث نفسه جاء في صحيح مسلم عن ابن مسعود (٦٦) .

فكان الحديث تفسير للصلاة الوسطى الواردة في قوله تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ (٦٧) .

وفي القرآن الكريم آية تدل على هذا وهي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ تَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ﴾ (٦٨) .

ويمكن أن نستنبط من هذه الآية أن الرسول ﷺ فهم أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر من القرآن الكريم ، فهذه الآية تدل على أن الأوقات تبتدئ بالفجر وتنتهي بالعشاء، فيكون الوقت الأوسط هو العصر، وقبله الفجر والظهر، وبعده المغرب والعشاء، فقد بدأ الله تعالى بقوله (قبل صلاة الفجر) وانتهى بقوله: ﴿ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ﴾ فأول الأوقات هو الفجر وآخرها العشاء .

ولذلك كان مسلك بعض الفقهاء وكثير من المحدثين في ذكر المواقيت في كتب

أثر السنة في التفسير القرآني

الفقه أن يبدأ بميقات صلاة الفجر، ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء .

د - ومنه أن بني سلمة (وهم من الأنصار) أرادوا أن يتحولوا بمنازلهم قرب مسجد رسول الله ﷺ، فلما علم بذلك النبي ﷺ قال: (يا بني سلمة، دياركم تكتب آثاركم) (٦٩).
يعني : ألزموا دياركم وأبقوا فيها .

وكانه ﷺ كره أن يخلوا أنحاء المدينة ، وأحب أن يكون أهل الخير منتشرين في البلد، ولا يكونون موجودين فقط حول المسجد، وتخلو بقية الأحياء منهم .
وقد يكون ﷺ فهم ذلك واستنبطه من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ (٧٠) .

فمن الآثار التي تكتب خطى الإنسان إلى المسجد ذهاباً وإياباً .

هـ- أيضاً قوله ﷺ: (لا يمسن القرآن إلا طاهر) (٧١) .

والمقصود بالطاهر على الراجح من أقوال أهل العلم الطاهر من الحدثين الأكبر والأصغر .

فقد يكون الرسول ﷺ استنبط ذلك من قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧٢) .

فقوله: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ كل ما بعده وصف له، فهو: ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾ وهو: ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ولذلك استدل أهل العلم على تحريم مس المصحف لغير المتوضئ بهذه الآية (٧٣) .

* * *

المطلب الخامس

عناية الأمة بتفسير القرآن

نزل القرآن على رسول الله ﷺ وتلقاه عنه أصحابه، ثم تلقاه عنهم المسلمون، وعنوا بتفسيره والاهتمام به في عصر الصحابة والتابعين، وتحدث الآن عن عناية الصحابة من بعد رسول الله ﷺ ثم عناية التابعين له:

• أولاً: عناية الصحابة بتفسير القرآن الكريم:

كان الصحابة يعنون بتفسير القرآن، حتى كان منهم من أشتهر بذلك^(٧٤).

ففضوا حياتهم ووقتهم في فهم معاني القرآن الكريم، ومن هؤلاء:

أ - عبد الله بن عباس: رضي الله عنهما^(٧٥).

حبر الأمة ن وترجمان القرآن^(٧٦).

وإمام المفسرين الذي دعا له النبي ﷺ، فقال: (اللهم فقهه في الدين وعلمه

التأويل)^(٧٧).

وقد ورد عنه في التفسير ما لا يحصى كثرة وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على

عهد الرسول ﷺ، وكان من قراء الصحابة، وسيد الحفاظ^(٧٥).

ب - عبد الله بن مسعود رضي الله عنه^(٧٨).

قال رسول الله ﷺ: (خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد (أي عبد الله بن مسعود

بدأ به) ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة)^(٧٩).

وقال عبد الله بن مسعود: (والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين

سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أنني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم) قال

الراوي: فجلست في الخلق أسمع ما يقولون، فما سمعت رداً يقول غير ذلك^(٨٠).

أثر السنة في التفسير القرآني

وقال رضي الله عنه- كما في الرواية الصحيحة:(والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه) (٨١).

ومن الصحابة رضي الله عنهم من ورد عنه اليسير في تفسير القرآن الكريم (٨٢).
ومن هؤلاء عمر وعلي وأبي بن كعب وعبد الله بن عمر (٨٣).

روى مالك في الموطأ أن ابن عمر رضي الله عنه مكث في تعلم سورة البقرة ثماني سنوات (٨٤).

فلما أتمها نحر بدنه شكراً لله تعالى، وهو لا شك كان يتعلم البقرة ألفاظاً ومعاني، وإلا فصار الطلبة اليوم في المدارس الابتدائية يحفظون سورة البقرة في أسبوع أو في شهر، حاشا ابن عمر أن يحتاج إلى ثماني سنين في حفظ ألفاظها فحسب، بل كان يتفهمها ويتلقاها ألفاظاً ومعاني .

• ثانياً - عناية التابعين بتفسير القرآن الكريم :

وكذلك التابعون تلقوا التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم ، فكان منهم أئمة في التفسير كمجاهد بن جبر المكي (٨٥) .

الذي يقول فيه سفيان الثوري (إذا جاءك التفسير من مجاهد فحسبك به) (٨٦).
وليس هذا بغريب ، فقد تلقى عن ابن عباس حتى إنه كان يقول عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية (٨٧) .

وكذلك ممن عرض بالتفسير من التابعين قتادة (٨٨) وعكرمة (٨٩) والسدي وغيرهم من التابعين وأتباعهم .



المطلب السادس

المصنفات في التفسير

ثم انتهى الأمر إلى الأئمة المصنفين فصنفوا مئات بل ألف الكثير في تفسير كتاب الله تعالى بمختلف الفنون ، فأهل اللغة صنفوا كتباً في تفسير القرآن من النواحي اللغوية، وفي الأعراب والبلاغة والبيان والبديع وغيرها^(٩٠) .

وأهل الفقه صنفوا كتباً في معاني آيات الأحكام وتفسيرها ودلالاتها واختلاف العلماء فيها^(٩١) .

وأهل الحديث صنفوا كتباً في جميع الروايات التي وردت في تفسير معاني كتاب الله^(٩٢) .

وهكذا أهل كل فن صنفوا كتباً في التفسير تتناول القرآن من الزاوية التي يحسبونها ويتحدثون فيها، وهذه الكتب لا شك فيها الغث والسمين، والقوي والضعيف، والجيد والرديء، بل إن بعض الذين فسروا القرآن الكريم، فسروه ليوافق ما لديهم من الأغراض، سواء أكانت حقاً أم باطلاً، فالمعتزلة مثلاً منهم من فسر القرآن ليخدم مذهبه الفاسد ، كما فعل القاضي عبد الجبار في تفسيره^(٩٣) .

وكما فعل الزمخشري في كشافه^(٩٤) .

حيث جعل القرآن دليلاً لمذهبه في الاعتزال^(٩٥) .

وكذلك بعض المتكلمين ، فسروا القرآن ليوافق آراءهم وأصولهم ، كما فعل الرازي في تفسيره الكبير المسمى (مفاتيح الغيب)^(٩٦) .

حيث قال السيوطي: (أن الرازي قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها وخرج من شيء إلى شيء، حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية وهذا

أثر السنة في التفسير القرآني

التفسير فيه كل شيء إلا التفسير^(٩٧).

وبعض الفقهاء فسروا آيات الأحكام تفسيراً يخدم اتجاهاتهم المذهبية ويؤيد ما اختاروه من الأقوال الفقهية .

ووجد من أرباب العلوم من يحاول أن يحمّل القرآن وألفاظه ما لا يحتمل من الدلالة على أنواع العلوم العصرية، كما فعل طنطاوي جوهرى في تفسيره المسمى ((بالجواهر))^(٩٨) .

فهو كتاب في الفلك والعلوم المادية والأحياء والفيزياء والجيولوجيا، وكما يفعل الذين يتحدثون عما يسمى (الإعجاز العلمي للقرآن) فإن منهم من يغلو فيحمل ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه مالا تحتمل، لتوافق بعض مكتشفات ومخترعات العلم، بل بعض النظريات العلمية التي لم تصل بعد إلى حد أن تكون حقيقية قطعية ثابتة .

* * *

الخاتمة

إن القرآن الكريم هو الميزان والفيصل فيما يتخاصم فيه الناس ويختلفون فيه من أمور الدين، وبذلك تحققت نعمة الله تعالى بحفظ القرآن الكريم إلى هذا الزمان وأنه نعمة كبرى على المسلمين، بل على البشرية كلها .

وشكر هذه النعمة أن يكون القرآن هو المهيم على حياتنا، أفراداً وأسراراً ومجتمعات ودولاً وأممياً بحيث يكون القرآن هو الحكم في كل أمورنا .

وإذ لم نفعّل نكون كفرنا هذه النعمة، وعقوبة كفران هذه النعمة عقوبة أليمة وهي أن يرفع هذا القرآن من بين أيدينا، فلا يبقى في الأرض منه آية .

ومن أجل أن نفهم تفسير القرآن الكريم وتعرف معانيه وتتضح مقاصده، قدمنا هذه الدراسة في دور السنة في تفسير القرآن الكريم وتوضيحه وتوصلت في بحثي هذا إلى نتائج أهمها ما يأتي:

أولاً : دور السنة كان شارحاً وموضحاً للقرآن الكريم عن طريق البلاغ المبين وهذا البلاغ على نوعين بلاغ ألفاظ وبلاغ المعاني .

ثانياً : كان التفسير النبوي للقرآن الكريم على نوعين بيان القرآن الكريم بالقول (النص) وبيانه بالتطبيق العملي أي بالفعل .

ثالثاً : أن من يعلم سبب نزول الآية أو النص يكون أقدر على فهم الآيات وربطها بسبب النزول ومعرفة على أي وجه أنزلت .

رابعاً : أحياناً تكون المعاني الواردة في النص النبوي (الحديث) تفصيلاً لمعاني آيات الكتاب العزيز ، وهنا يكمن دور السنة النبوية في استنباط الأحكام من معاني القرآن الكريم.

خامساً : من أشد عناية الأمة بالقرآن الكريم من بعد رسوله ﷺ عنايتهم بتفسيره سواء

أثر السنة في التفسير القرآني

كان في عصر الصحابة أو التابعين أو تابع التابعين .
سادساً: في دور التصنيف في كتب التفسير كان أهل كل فن يتناول القرآن من الزاوية التي يحسنونها ويتحدثون بها، فالمعتزلة صنفوا في التفسير ما يوافق آراءهم واعتقاداتهم، وكذلك أهل الكلام وعلماءه، والمتأثرون بالفلسفة كان أثر الفلسفة واضح في منهج كتابتهم للتفسير...

* * *

الهوامش

- . سورة الشورى الآية / ٤٨ .
- . سورة المائدة الآية / ٦٧ .
- . سورة آل عمران الآية / ١٦٤ .
- صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل البخاري، (ت ٢٥٦ هجري) كتاب بدا الوحي (٤)
- . سورة القيامة الآية / ١٦-١٧ .
- . سورة القيامة الآية / ١٨ .
- . ينظر: التفسير النبوي ٢٤-٢٥ .
- . سورة الأحزاب الآية / ٣٧ .
- . سورة عبس الآية / ١-٦ .
- . سورة الأنعام الآية / ١٢٤ .
- . سورة القلم الآية / ٤ .
- . سورة الفتح الآية / ٢٩ .
- . سورة القيامة الآية / ١٦-١٧ .
- . سورة القيامة الآية / ١٩ .
- . سورة آل عمران الآية / ١٦٤ .
- . ينظر التفسير النبوي - د. سليمان فهد العودة / ٢٤-٢٥ .
- . المصدر نفسه .
- . أخرجه الإمام مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه / ٧٤٦ .
- . ينظر التفسير النبوي للقرآن / ٢٥ .
- . سورة الأحزاب الآية / ٣٤ .

ينظر: الرسالة للشافعي / ٧٧-٧٨ .

سورة آل عمران الآية / ١٦٤ .

زيد بن خالد الجهني ، اختلف في كنيته وفي وقت وفاته اختلافاً كثيراً ، فقيل : أبا عبد الرحمن ، وقيل : أبا طلحة وقيل أبا زرعة ، وكان صاحب لواء جهينة يوم الفتح ، توفي بالمدينة سنة (٦٨هـ) ، وقيل بل مات بمصر سنة (٥٠هـ) وقيل توفي بالكوفة في آخر خلافة معاوية وقيل : توفي سنة (٨٧هـ) وقيل (٧٢هـ) ينظر الأستيعاب (٢/٤٩٩) .

مصنف ابن أبي شيبة / ٢٩٩٢٩ .

أخرجه البزار - كما في المجمع (٦/٣٠٣) وأبو يعلي (٤٥٢٨) والخطيب البغدادي في

تاريخ بغداد (١٣/٢٥٣) ، وابن القيسراني في المؤلف والمختلف (١/١٧١) .

ينظر: التفسير النبوي، د. سليمان فهد العودة ٣٨.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي المتوفى سنة (٩١١هـ) ، وفي هذا الكتاب سرد السيوطي الروايات عن السلف في التفسير بدون أن يعقب عليها ، فهو كتاب جامع لما يروى عن السلف في التفسير ، أخذه السيوطي من البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وأحمد وأبي داود وابن جرير وابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وغيرهم من تقدمه ودون تفسيره .

هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن ابن الحافظ الكبير أبي حاتم

محمد بن إدريس بن المنذر التميمي أحنظلي الرازي توفي سنة (٣٢٧هـ) ، ينظر : تذكرة الحفاظ (٣/٨٢٩-٨٣١) .

جامع البيان في تفسير القرآن للأمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ، رأس المفسرين على الإطلاق ، ويعتبر هذا التفسير أصل التفاسير ، لم يؤلف مثله ، كما ذكره العلماء قاطبة ، ومنهم النووي في تهذيبه وذلك لأنه جمع فيه الرواية والدراية ، ولم يشاركه في ذلك أحد لا قبله ولا بعده ، ينظر : طبقات المفسرين

أثر السنة في التفسير القرآني

للسيوطي ٩٦-٩٥/ والإتقان للسيوطي ٥٠٢-٥٠١/٢ .

هو الحافظ العلامة ومحدث أصبهان، أبو بكر احمد بن موسى بن مروديه بن فورك بن موسى بن جعفر الاصبهاني، المتوفى سنة (٤١٠هـ) وتفسيره في القرآن في سبع مجلدات . ينظر: سير أعلام النبلاء (٣١٠-٣٠٨/١٧) .

هو الإمام الحافظ الحجة أبو حمد عبد حميد بن نصر الكشي توفي سنة (٢٤٩هـ) . ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٣٦-٢٣٥/١٢) .

جامع الأصول لأحاديث الرسول لأبي السعادات مبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري الشافعي المتوفى سنة (٦٠٦هـ) .

سورة البقرة الآية / ١٩٦ .

أخرجه البخاري ١٨١٥ ومسلم ١٢٠١ من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه .

سورة الأنعام الآية / ١٥٨ .

أخرجه البخاري (٤٦٣٦) ومسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

أخرجه مسلم (١٩١٧) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه .

أخرجه البخاري (٦٥٣٧) ومسلم (٢٨٧٦) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي

الله عنه .

أخرجه البخاري (١٣٦٩) ، ومسلم (٢٨٧١) ، من حديث البراء بن عازب رضي الله

عنه .

أخرجه البخاري (١٦٥١) ومسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله

عنه .

أخرجه البخاري (٦٣١) ومسلم (٩٧٤) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه .

سورة البقرة الآية / ٤٣ .

أخرجه مسلم (١٧٧٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٩٣٠٧) وغيرهما ، وهذا لفظ

البيهقي ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

- سورة آل عمران الآية / ٩٧ .
- سورة البقرة الآية / ١٨٣ .
- سورة البقرة الآية / ٤٣ .
- سورة الإسراء الآية / ٧٨ .
- أخرجه مسلم (٦١٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .
- سورة البقرة الآية / ١٨٥ .
- أخرجه البخاري (١٧٩٠) ومسلم (١٢٧٧) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .
- ينظر الإتقان للسيوطي (٤٦٧/٢) .
- سورة البقرة الآية / ١٥٨ .
- أرجه البخاري (١٦٤٣) ومسلم (١٢٧٧) من حديث الزهري عن عروة بن الزبير عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .
- سورة البقرة الآية / ١٩٨ .
- أخرجه البخاري (٤٥١٩) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه .
- سورة التوبة الآية / ١٠٨ .
- أخرجه أبو داود (٤٥) والترمذي (٣١٠٠) وابن ماجه (٣٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال الترمذي حديث غريب من هذا الوجه .
- نصب الراية، البزار / ٢١٧/١ .
- سورة القمر الآية / ٤٨-٤٩ .
- أخرجه مسلم (٢٦٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
- أخرجه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
- سورة العلق الآية / ١٩ .
- أخرجه مسلم (٢٠١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

سورة الإسراء الآية / ٦٤ .

أخرجه البخاري (٦٣٩٦) ومسلم (٦٢٧) من حديث علي بن طالب رضي الله عنه .

أخرجه مسلم (٦٢٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

سورة البقرة الآية / ٢٣٨ .

سورة النور الآية / ٥٨ .

أخرجه مسلم (٦٦٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه والحديث حسن

بمجموع طرقه وله ما يشهد له .

سورة يس الآية / ١٢ .

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢١١) والالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥٧٢)

وأخرجه أبي مالك في الموطأ (٤٦٨) وأبو داود في المراسيل (٢١١١) من حديث أبي

بكر محمد ابن عمرو بن حزم من قوله مرسلًا .

وأخرجه الطبري (٣١٣٥) والحاكم (٦٠٥) من حديث حكيم بن حزام .

سورة الواقعة الآية / ٧٧-٨٠ .

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود وابن عباس وأبي بن

كعب ، وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير ، وأكثر من روي عنه عن

الخلفاء الأربعة هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والرواية عن الثلاثة الأولين قليلة

جداً ، ينظر : الإتيان (٤٩٣/٢) .

عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، ابن عم رسول

الله ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وتوفي رضي الله عنه سنة (٦٨هـ) . ينظر :

الإصابة في تمييز الصحابة (١٤١-١٥١) .

أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف (٣٢٢٢٠) وأحمد في فضائل الصحابة (١٥٥٦)

والحاكم في المستدرک (٦٢٩١) والبيهقي في المدخل إلى السنن (١٢٦) عن ابن

مسعود رضي الله عنه أنه قال : (نعم ترجمان القرآن ابن عباس) ، قال الحاكم : حديث

صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه .

أخرجه البخاري (١٤٣) ومسلم (٢٤٧٧) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١٤١٤-١٥١٥) .

عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أحد السابقين الأولين، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ القائل (من سره أن يقرأ القرآن غصاً كما نزل، فليقرأ على قراءة ابن أم عبد، أي: ابن مسعود ، توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة (٣٢٢هـ) . ينظر: الإصابة (٢٣٣/٤-٢٣٥) .

أخرجه مسلم (٢٤٦٤) من حديث عبد الله عمرو رضي الله عنهما .

رواه البخاري (٥٠٠٠) ومسلم (٢٤٦٢) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

أخرجه البخاري (٥٠٠٢) مسلم (٣٤٦٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

ومنهم أيضاً: أنس بن مالك وأبو هريرة وجابر ابن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم .

عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، أبو عبد الرحمن المكي ، أسلم قديماً وهو صغير وهاجر مع أبيه ، وأستشهد في أحد ، توفي سنة (٧٣هـ) . ينظر: تهذيب التهذيب (٢٨٧/٥-٢٨٨) .

الموطأ للأمام مالك (٤٧٧) .

مجاهد بن جبر ، الأمام شيخ القراء والمفسرين ، أبو الحجاج المكي الأسود مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القاري ، روى عن ابن عباس فأكثر وأطال وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقہ ، توفي وهو ساجد سنة (١٠٢هـ) . ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٤٩-٤٥٦) .

ينظر تفسير ابن كثير (٦/١) .

طبقات ابن سعد (٣٩٥/٢) وابن أبي شيبة (٣٠٢٨٧) واحمد في فضائل الصحابة

أثر السنة في التفسير القرآني

(١٨٦٧) والدا رمي (١١٦٠) والطبري في تفسيره (٣٩٥/٢) والحاكم في المستدرک (٣١٠٥) وأبو نعیم في الحلیة عن مجاهد رحمه الله (٢٧٩/٣).

قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، قيل: قتادة بن دعامة ابن عكاية، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السروسي البصري الضرير الأكمه كان من أوعية العلم وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ. قال معمر: سمعت قتادة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت بها شيئاً. وكان رحمه الله يختم القرآن في سبع، وإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم كل ليلة. قال احمد بن حنبل: كان قتادة عالماً بالتفسير وباختلاف العلماء توفي بواسط سنة (١٧٧هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٩/٥-٢٨٢).

اشتهر بالتفسير من التابعين كثيرون فمنهم:

- أهل مكة: وهم أتباع ابن عباس، كمجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح.

- أهل المدينة: وهم أتباع أبي بن كعب، كزيد بن اسلم وأبي العالية، ومحمد بن كعب القرظي.

- أهل الكوفة: وهم أتباع عبد الله بن مسعود، كقتادة وعلقمة والشعبي.

(٩٠) ومن ذلك: البحر المحيط لأبي حيان والكشاف للزمخشري والبسيط للوا حدي.

(٩١) ومن ذلك: أحكام القرآن للجصاص، وأحكام القرآن لابن العربي، والجامع لأحكام القرآن للقرظي.

(٩٢) ومن ذلك: جامع البيان للطبري والكشف والبيان عن تفسير القرآن للشعالبي، معالم التنزيل للبخاري، وتفسير القرآن لابن كثير.

(٩٣) هو أبو الحسن عبد الجبار بن احمد بن عبد الجبار ابن احمد بن خليل الهمداني الاسريادي الشافعي، شيخ المعتزلة، توفي سنة (٤١٥هـ) ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (٦٠-٥٩) وتفسير القاضي عبد الجبار هو: (تنزيه القرآن عن المطاعن) ونجد

أثر السنة في التفسير القرآني

فيه تأثير مؤلفه الكبير بمذهبه الاعتزالي ، فلا يكاد تمر آية تعارض مذهبه إلا صرفها عن ظاهرها ومال إلى ناحية مذهبه .

(٩٤) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الإمام الحنفي المعتزلي، الملقب (بجار الله) توفي سنة (٥٣٨هـ) ينظر : طبقات المفسرين للسيوطي (١٢٠) .

(٩٥) وتفسير الكشاف محشو بالبدع وإنكار الصفات والرؤية والقول بخلق القرآن وإنكار إن الله تعالى مدير للكائنات وخالق لأفعال العباد وغير ذلك من أصول المعتزلة ، ومع ذلك فهو تفسير لم يسبق إليه ، لما أبان فيه من وجوه الأعجاز في غير ما آية من القرآن ، ولما أظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته .

(٩٦) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الأمام فخر الدين الرازي القرشي البكري الشافعي المفسر المتكلم ، توفي سنة (٦٠٦هـ) ، ينظر : طبقات المفسرين للسيوطي ، ص ١١٥ .

(٩٧) الإتيان للسيوطي (٥٠١/٢) .

(٩٨) الجواهر في تفسير القرآن الكريم: للشيخ طنطاوي جوهرى ، فيه خروج بالقرآن عن قصده ، وهو أحد التفاسير المعاصرة التي تمثل الاتجاه العلمي لتفسير القرآن الكريم .

* * *

المصادر المراجع

- بعد القرآن الكريم .
- الإتقان في علوم القرآن / عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي، المتوفى: ٥٩١١هـ، تحقيق: محمد ابو الفضل، الناشر: الهيئة العامة للكتاب، ٥١٣٩٤-١٩٧٤ م .
- أحكام القرآن/ للأمام أبي بكر الجصاص (ت ٣٧٠هـ) ، مطبعة الأوقاف الإسلامية الأستانة ، ١٣٣٥هـ .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ لأبي عمر بن عبد البر ، تحقيق على محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢ م .
- أسرار التنزيل وأنوار التأويل/ فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق : محمد بابا علي الشيخ عمر ، وصالح محمد عبد الفتاح ، دار واسط ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥ م .
- البحر المحيط / أثير الدين أبو عبد الله محمد أبو حيان ، مصر ، مطبعة السعادة .
- البيسيط / تفسير الواحدي، ابو حسن علي بن احمد بن محمد الواحدي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ط ١ ٥١٤٣٠هـ .
- تاريخ بغداد/ للحافظ أبي بكر(الخطيب البغدادي) (ت ٤٦٣هـ) ،دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .
- تفسير البيغوي/ المعروف باسم (معالم التنزيل)،ابن مسعود الفراء البيغوي الشافعي(ت ٥١٦هـ)، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، تحقيق عبد المهدي، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م .
- تفسير القرآن العظيم / للأمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء - إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ)، دار الهلال للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت -

أثر السنّة في التفسير القرآني

لبنان، ١٩٨٨ م.

تفسير مجاهد/ الإمام المحدث المقرئ المفسر اللغوي أبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي، تحقيق: مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد باكستان .
تهذيب التهذيب / لابن حجر العسقلاني، دائرة المعارف النظامية الهند، الطبعة الأولى، ١٣٥٢ هـ.

جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ / الإمام أبو السعادات المبارك الشيباني المعروف بأن الأثير الجزري، المتوفى: سنة ٦٠٦ هـ، تحقيق: ايمن صالح شعبان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .

جامع البيان في تفسير القرآن / المعروف بتفسير الطبري، للإمام جعفر بن محمد ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٩٢-١٩٧٢ م.

الجامع لأحكام القرآن / أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، مراجعة صدقي جميل العطار .

الجواهر في تفسير القرآن الكريم / للشيخ طنطاوي جوهرى، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١١٣٥ هـ.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / لأبي نعيم أحمد عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت .

الدر المنثور في تفسير المأثور / جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، إشراف دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان .

الرسالة / ابو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن نافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي الشافعي، المتوفى: ٢٠٤ هـ، مكتبة الحلبي، مصر، ط ١، ١٣٥٨-١٩٤٠ م.

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها / ابو عبد الرحمن بوح بن

- نجاتي بن آدم الأشقودري محمد ناصر الدين الألباني، ولد سنة ١٣٣٢هـ-١٩١٤م وتوفي سنة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، المكتب الإسلامي .
- سنن ابن ماجه / الإمام أبي عبد الله محمد القزويني (ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي .
- سنن أبي داود / للأمام أبي داود سليمان السجستاني، تحقيق وتعليق: عزت الدعاس ، سورية ١٣٩١هـ .
- سنن الترمذي / محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٩٧هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- سنن الدرامي / للإمام أبو محمد الدرامي (ت ٢٥٥هـ)، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٣٤٩هـ-١٩٢٩م .
- السنن الكبرى / الحافظ أبي بكر البيهقي ، ط ١ ، ١٣٤٧هـ .
- سير أعلام النبلاء / محمد بن عثمان لذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة / اللالكائي، تحقيق: د. احمد بن سعد حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض، السعودية .
- صحيح البخاري / محمد إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، دار الفكر، بغداد، ١٩٨٦م .
- صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار حديث، القاهرة .
- الطبقات /محمد بن سعد بن منيع، مولى لبني هاشم ، من تلاميذه ابن ابي الدنيا والبلاذري ولد سنة ١٦٨هـ-٦٨٤م وتوفي سنة ٢٣٠هـ- ٨٤٥م ، تحقيق: د.علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانكي القاهرة، مصر، ٢٠٠٢م .
- طبقات المفسرين /محمد بن علي بن احمد، المعروف بالحافظ شمس الدين محمد الداوودي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / لأبي القاسم جار الله بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، ٤٦٧هـ - ٥٨٣هـ .
- الكشف والبيان/ للثعالبي احمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٤٢٧هـ) .
- المستدرک على الصحيحين / للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، دار النشر مكتب المطبوعات الإسلامية .
- مسند أبي يعلي الموصلي / الإمام الحافظ احمد بن علي المثنى التميمي ٥٢١٠ - ٥٣٠٧هـ تحقيق: حسين سليم اسد، الناشر: دار الثقافة العربية ، دمشق .
- مسند البزار (البحر الزخار)/ للشيخ الإمام الحافظ الكبير احمد بن عمرو بن عبد الخالق ، البصري البزار ، المتوفى: ٢٩٢هـ ، ط ١ ، ١٩٨٨م، الناشر: مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة .
- مصنف أبي حاتم / ابو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن ابي حاتم ، ولد سنة (٢٤٠ - ٣٢٧هـ) وتوفي سنة ٨٥٤ - ٩٣٨م .
- مصنف ابن أبي شيبة / محمد بن أبي شيبة العيسوي، دار القرآن والعلوم الإنسانية ، كراتشي باكستان ، ١٤٠٦هـ .
- المعجم الكبير/ للحافظ أبي القاسم احمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- الموطأ / لأمام الأئمة وعالم المدينة مالك بن انس رضي الله عنه ، تحقيق سعيد محمد اللحام ، دار إحياء العلوم - بيروت .
- المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب / ابو الفضل بن طاهر بن علي ابن احمد المقدسي الشيباني، المعروف بأبن القيسراني، ولد في بيت المقدس سنة ٤٤٨ - ٥٠٧هـ - ١٠٥٦ - ١١١٣م وتوفي في بغداد.

* * *

فهرس المحتويات

- ١- الرياض الندية ... الدكتور محمود داود الصميدعي ١٥
- ٢- الحوار في المنظور القرآني ... الدكتور صديق خليل صالح ٦٥
- ٣- الطب التام ... الدكتور عدنان عبد الرحمن- المدرس وحيدة عبد الخالق ٩٣
- ٤- تكوين اللبن ... الدكتور علي عبد الوهاب عبد الرزاق ١٥١
- ٥- النسخ في القرآن ... المدرس المساعد خساء فالح حسين ٢١٧
- ٦- كفاية القرآن ... الدكتور علي عبد الله أحمد ٢٧١
- ٧- ثقافة الحوار ... المدرس المساعد علي محمد صالح ٣٣٧
- ٨- أسرار فواتح سور القرآن ... الدكتور ماجد ياسين حميد ٣٧٣
- ٩- ركن القبول ... الدكتور عدنان نجم عبود ٤٠٥
- ١٠- سورة الهمزة ... الدكتور يقظان عبد اللطيف أيوب ٤٥١
- ١١- طاعة الوالدين ... الدكتور قاسم ناظم غفوري ٤٩١
- ١٢- علم البحث والمناظرة ... الدكتور محمد عبد علي ٥٣٣
- ١٣- التكامل السياقي ... الدكتور شاكر محمود حسين ٦١٩
- ١٤- أثر السنّة ... الدكتور محمد مكي عبد الرزاق ٦٤٩

* * *

